دار الثقافة

التفسير الحديث للكتاب المقدس

العهد القديم

سفر المزامير

الجزء الأول

التفسير الحديث للكتاب المقدس

العهد القديم

المزامير

من ١ - ٧٢

تأليف

القس ديريك كدنر

نقله إلى العربية

الدكتور القس منيس عبد النور

المحرر المسئول

جوزيف صابر



Psalms: (1 - 72)

An Introduction and commentary
By: The Rev. Derek Kidner
This book was first published in England by Inter-Varsity Press

Translated by permission and published in Arabic, 1993.

طبعة أولى

سفر المزامير (١)

صدر عن دار الثقافة - ص. ب. ١٢٩٨ - القاهرة

١٠ / ٥٧٦ ط١ ك١ / ٣ - ٣ / ١٩٩٣

رقم الايداع بدار الكتب : ٦٢٩٨ / ١٩٩٣
دولى: ٢ - ١٧٢ - ٢١٣ - ٩٧٧
جمع بسيويرس
طبع بدار الطباعة القومية

مجلس التحرير

مقدمة

تحرص دار الثقافة على تقديم كلمة الله للقارىء العربى . فإن العالم العربى لا يوجد به تفسير واحد حتى الآن للكتاب المقدس كله . إن الموجود حالياً هو أجزاء غير كاملة . وقد رأت دار الثقافة أن توفر للقارىء العربى مرجعاً كاملا للكلمة المقدسة .

وقد اختارت دار الثقافة المسيحية Tyndale Commentaries وهى تشمل العهدين القديم والجديد . ودار الثقافة تقدم المجموعة كلها بالإتفاق مع الناشر الأصلى وهو Inter-Varsity Press وكان سبب الاختيار أنها مختصرة ومركزة ، محافظة لاهوتيا . متمسكة بالأسس الكتابية الهامة ، تهتم بالنص الذى يعاون الدارس على الدراسة ، كما يعاون الواعظ على اكتشاف الأفكار الوعظية .

وقد جاء هذا التفسير ، رغم اهتمامه بتفسير النص ، والرجوع إلى اللغات الأصلية التى صدر فيها الكتاب المقدس ، لكنه تفادى كثيراً من التعقيدات الدراسية . وقد اهتم هذا التفسير بإلقاء الضوء على المعانى ، ليكتشف القارىء ما هو المقصود بالمعنى .

قد اهتم هذا التفسير ، بأن يدرس الكتاب المقدس فقرات فقرات ، ليوضح المعانى العامة المقصودة ، ثم شرح الآيات ، آية آية ، وفى حالة وجود مشكلات معينة حاول الإسهاب فى شرحها .

كما اهتم التفسير ، بكتابة مقدمة كل سفر ، توضح الكاتب ، تاريخ الكتابة ، وظروفها . إن مقدمة السفر ، تعاون الدارس أن يعرف الظروف المحيطة بالسفر ، والموضوعات الرئيسية فيه .

اشترك فى كتابة التفسير مجموعة من العلماء العظماء المدققين ، الذين قدموا الدراسة ، بعمق وبأمانة . كما أشرف على تحرير العهد القديم D. J. Wiseman والعهد الجديد R.V.G. Tasker & Leon Morris .

ودار الثقافة ترجو أن يجد القارىء فى هذه السلسلة من الكتب مرجعاً مفيداً ، يعاونهم على التعمق فى كلمة الله ، وإدراك المعانى العظيمة من خلالها ، فيعاونهم فى التعمق فى المعرفة والفهم الروحى .

دار الثقافة

مقدمة عامة

شجعنا الترحاب الذى قوبلت به المجلدات التى تم نشرها فعلا من « تعليقات تنديل على أسفار العهد القديم » . على أن نوكل إلى (القس دريك كدنر) كتابة التعليق على سفر المزامير على جزئين ، وهذا هو الأول منهما .

لقد تميز شعب الله دائما باستخدامهم ترانيم وأغانى من أنواع مختلفة فى عبادتهم ، وهكذا بقى سفر المزامير سفرا محوريًا فى دراسة العهد القديم كما أنه لا يزال مناسبًا حتى يومنا هذا .

وهذا المجلد يواصل تأدية رسالة هذه السلسلة من الكتب ، ألا وهى تزويد دارس الكتاب المقدس ، الذى لم يتخصص فى دراسة اللاهوت الكتابى والتاريخ واللغات ، بتفسير حديث لكل سفر ، والتركيز الأولى على تقديم معانى الكتاب .. أما الأسئلة النقدية الرئيسية فلم نغفل عنها طالما كانت أساسية لفهم النصوص .

وإن طول ونوعية بعض الأسفار – مثل المزامير – تحول دون معاملتها بالتفصيل الدقيق فى نطاق الصفحات المحدودة ومع ذلك فقد أعطينا ما يكفى لإثارة الفكر التعبدى فى كل من الواعظ العام والدارس الخاص لكلمة الله .

وبينما يتفق الجميع فى إيمانهم بالوحى الإلهى ، وصدق الكلمة المقدسة وصلتها الوثيقة بالواقع ، فقد اعطيت الحرية لكل كاتب لكى يساهم برأيه فلم توضع لهم أنماط تفصيلية لكى يسيروا عليها عند تناولهم لأسفار العهد القديم المختلفة فى موضوعاتها وأسلوبها وصياغتها .

ولاختصار التعليقات ، قام القس (كدنر) فى هذا المجلد الإشارة إلى الترجمة الإنجليزية المنقحة (RSV) . وقد اعتمد كثير من المفسرين على النص العبرى الموجود فى الأدب اليوغاريتى وإن كان ليس هناك اتفاق عام على قبوله .. ومن هؤلاء البرفسور م . داهود فى تفسيره للمزامير .. وقد أشار القس (كدنر) – كاتب هذا التعليق – إلى هذه الطريقة الحديثة فى بعض

النقاط لكى لا يحمِّل القارىء العادى عبئًا أكبر بالدخول فى تفاصيل لا داعى لها .

إن الاهتمام بمعانى العهد القديم ورسالته يظل على نفس الدرجة ومن المأمول أن تزيد هذه السلسلة من الدراسة المنتظمة لإعلانات الله ومشيئته وطرقه كما ترى فى هذه السجلات ، وصلاتنا أن تساعد هذه الكتب العديدين فى فهم كلمة الله والتجاوب معها .

محتويات الكتاب

المقدمـــة

١ – الشعر العبرى

كثيرًا ما نجد سطورًا شعرية فى أسفار العهد القديم وحتى فى رواية الأحداث نرى الصفحات تتحلى ببيت أو بيتين أو أكثر من الشعر لتذكرنا بنقطة هامة – كما يكثر الشعر فى النبوات . وبينما تكوّن المزامير الجزء الشعرى الرئيسى فى الكتاب المقدس ، حتى أن الماسوريين* أعطوها (مع أيوب والأمثال) نظامًا خاصًا فى الكتابة لكى يوضح هذه الحقيقة ، فإن هذه الأسفار لها جذورها الشعرية المتأصلة فى تراث شعرى قديم ومعروف .

ونظرًا لمرونة صياغة الشعر العبرى فقد استخدم هذا الاستخدام الواسع ، فى التعبير عن مثل أو أحجية أو صلاة شكر ، وفيما عدا القليل من أشكال الكتابة ، فإن الباقى كله يمكن أن يتحول إلى شعر بأقل مجهود ، لأن ميزان الشعر العبرى ليس محصورًا فى قوافى أو فى ترتيب محدد من التعبيرات القوية والضعيفة بل يعبَّر عنه بالسمع فى أقوال مختصرة من ثلاثة أو أربعة أبيات ، أو فى جمل قصيرة يتبعها سطر على سبيل الجواب بنفس الطول . فقد كان الشعر العبرى متحررًا ليستعمل ألفاظًا ضعيفة مختلطة بألفاظ قوية دون ارتباط بعدد الكلمات ، فكانت كتابة الشعر العبرى تسمح بالكتابة العفوية .

لذلك تستطيع أن تحس بالشعر العبرى حتى بعد ترجمته إلى لغتك ، عندما يحدث أن تتجاوب كلمات لغتك – ولو بالتقريب – مع الكلمات العبرية . وهناك شعر عبرى يتكون من سطرين أو أربعة أو أكثر ولكن معظم ما نجده يتكون من قافية [٣ – ٣] كما فى مز ٢٦ : ٢

(جربنى يا رب وامتحنّى	جـربنـى .. يـا ربِ .. وامتحنى
صفِّى كليتي وقلبى)	صــف .. كليتــى .. وقلبــى

أما مز ٢٧ فيتكون من قافية وزنها [٣ – ٢] الذى ظهر فى الترجمة أيضًا .

---

* هؤلاء كانوا حفظة النصوص الكتابية من اليهود (خلال الفترة من عام ٥٠٠ – ١٠٠٠ م) والنص الماسوريتى هو النص العبرى القياسى للعهد القديم .

الرب نورى وخلاصى
ممن أخاف

وهذا النموذج الأخير [٣ - ٢] يشار إليه عادة بأنه (مرثاة) لأن إيقاعه بطيء ، يوحى بالانتهاء . مما يجعله أفضل وزن للمراثى (كما فى سفر « مراثى إرميا ») ولو أننا نجده يعبر أحيانا عن الفرح والثقة كما فى مز ٢٧ أعلاه . وهذه المرونة الموجودة فى الأبيات المفردة تمتد إلى وحدات أكبر كذلك . وهو ما أطلق عليه (مقطع) ويمكن أن يصل إلى ثلاثية ، كما فى مز ٩٢ : ٩* .

(لأنه هوذا أعداؤك يارب
لأنه هوذا أعداؤك يبيدون
يتبدد كل فاعلى الإثم)

وبالمثل فإنه فى الشعر عامة ، لا توجد مقطوعات متساوية فى الطول أو حتى ذات حد واضح إلا كاستثناء .. وأحيانًا نجد (قرارًا) يشكل رسمًا واضحًا كما فى مز ٤٢ و ٤٣ حيث ينفذ ذلك مع بعض القيود.وأحيانا تبرز صيغة معينة تلقائيًا تعرف بـ Aerostic - (وهى القصيدة التى إذا جمعت الحروف الأولى من أبياتها أو الحروف الأخيرة منها شكلت كلمة أو عبارة) . وأكثر ما يبرز ذلك فى مزمور (١١٩) إلا أن الأغلب أن حركة الفكر تكون متحررة من أى شكل من أشكال الشعر الذى يتبناها .

لكن الميزة الأساسية لهذا الشعر لم تكن أوزانه وأشكاله الخارجية بل طريقته فى التوفيق بين الأفكار أو التضاد بينها ، وقد وصفت هذه بأنها (أوزان الفكر) والاسم الأوسع انتشارًا هو (التوازى أو التطابق) وهو التعبير الذى بدأه الأسقف (روبرت لوث) فى القرن الثانى عشر** .

---

* هناك أمثلة مثيرة من هذا الشعر فى ترانيم النصر لموسى ودبوره (خر ١٥ : ٨ و ١١ - قضاة ٥ : ٢١) كما أنها كانت إحدى سمات الشعر الكنعانى القديم . كم أن النصوص اليوغاريتية لترانيم البعل تحتوى على سطور تكاد تكون مطابقة لما جاء فى مز ٩٢ : ٩ .

** لا يزال تحليل (لوث) يحظى باحترام واسع رغم التحسينات الكثيرة التى ادخلت عليه .. وقد تعزز الميل إلى التكرار البسيط وكذلك إلى (التوازى) فى الشعر القديم باكتشاف آداب (يوغاريت) .. وهناك العديد من الانتقادات والتعديلات التى ادخلت حديثًا على نظرية (لوث) يمكن الرجوع إليها .

وهذا واضح لأول وهلة فى (مز ١٠٣ : ١٠) حيث نجدَ السطرين مترادفان تمامًا :

(لم يصنع معنا حسب خطايانا
ولم يجازنا حسب آثامنا)

ففى هذا الأسلوب المتوازى نجد أن السطر الثانى - أو العدد الثانى أحيانا - يكرر ما جاء بالسطر الأول وينبىء بما جاء فيه لكى يثرى المعنى ويزيد التأثير العام .. وهنا لا يجب التشديد على الفروق الضئيلة بين الألفاظ المترادفة إذ أنها استخدام مزدوج لمعنى واحد أكثر منها معانى متنافسة .. كذلك مثلا (الإنسان) و (ابن الإنسان) فى مز ٨ : ٤ أو (نفسى) و (جسدى) فى مز ٦٣ : ١ فهذه الأطقم المزدوجة لا تتناقض . على أن المترادفات وحدها تبدو متعبة ، والصيغة شديدة الاختلاف ، وذروة التوازى (كما فى مز ٩٣ : ٣ أو مز ٩٢ : ٩ السابق الإشارة إليه ، توضح التأثير القوى لجعل السطر الثانى يبدو كموجة تالية أعلى من الأولى ، وقد يتبعها سطر ثالث كموجة أعلى من الأولى والثانية .

(رفعت الأنهار يا رب
رفَعَت الأنهار صوتها
ترفع الأنهار عجيجها) مز ٩٣ : ٣

وأحيانا يمكن تعديل انتظام السطور بحيث يصبح السطر الثانى مثلا مفسرًا لأحد ملامح الأول كما فى مز ١٤٥ : ١٨

(الرب قريب لكل الذين يدعونه
الذين يدعونه بالحق)

أو يمكن أيضا أن يكون تفسيرًا أو صورة طبق الأصل من السطر الأول كما فى مز ٦٣ : ٨

(التصقت نفسى بك
يمينك تعضدنى)

وهذا المثال فيه تشابه مع مجموعة (لوث) الثانية Lowth المعروفة بـ (التطابق المتعاكس) الذى لا يحتاج إلى تعليق وهو معروف وشائع فى أقوال

الأصحاح العاشر من سفر الأمثال وما بعده كما أنه مميز فى المزامير التعليمية مثل مز ٣٧ : ٢١

« الشرير يقترض ولا يفى
أما الصديق فيترأف ويعطى »

فهناك (مترادفات و متناقضات) ، أضاف إليها (لوث) نوعًا آخر هو (التركيب التأليفى المتوازى) حيث تُرد جملة على جملة أخرى بطريقة بناءة ، وينسب إلى هذه الطريقة كل ما هو خارج الطريقتين السابقتين وتبعه فى ذلك العديد من الشراح المحدثين (وقد تعرضت فى معظم الحالات إلى إضافة فئة أو فئتين فرعيتين) .

ومن أبرز الأمثلة على ذلك مز ١٩ : ٧ - ١٠ ومز ٦٢ : ١١ب،أ - أما باقى الأمثلة فيمكن القول إنها مجرد (ثنائيات) حيث يمضى الفكر فى الشطر الثانى قُدُمًا دون الالتفات إلى الشطر الأول ونذكر فيما يلى ثلاثة أنواع منها :

أ - **التوازى الرمزى** حيث تتزايد المترادفات بتوسع محكم كما فى مز ١٢٩ : ٥ - ٨ .

ب - **التوازى المتدرج** كالسلم الذى يحتوى على تقدم متدرج من كلمة رئيسية أخرى إلى كلمة رئيسية أخرى كما فى مز ٢٥ : ١ - ٧ .

جـ - التوازى المنطوى على ذاته متتبعًا النظام التقاطعى (أ ب - ب أ) متنقلا من الظل إلى الضوء كما فى مز ٣٠ : ٨ - ١٠ حيث تتجاوب الآية (٨) مع الآية (١٠) والجزء الأول من الآية (٩) مع الجزء الأخير منها .

وهناك نقطة أخيرة تستحق الانتباه [وهذه أيضًا إحدى ملاحظات (لوث)] .. وهى حقيقة أن هذا النوع من الشعر لا يفقد إلا القليل جدا من رونقه فى عملية الترجمة .. ففى الآداب المختلفة تكون جاذبية الشعر كامنة فى لباقة التعبير اللغوى وارتباطاته أو فى أوزانه الرقيقة وهذه كلها تفشل فى أن تعطى تأثيراتها حتى فى حالة نقلها إلى لغة قريبة من لغتها الأصلية .. لكن شعر المزامير فيه بساطة رحبة سواء فى (الايقاع) أو التصوير اللفظى مما يساعد على احتفاظه بمقوماته فى حالة ترجمته إلى أى لغة أخرى بالإضافة إلى أن (التوازيات) فيه هى توازيات فى المعنى أكثر منها فى الكلمات مما يجعلها لا تفقد إلا القليل جدًا من قوتها وجمالها عند نقلها .. فمن عناية الله أن يدعو « كل الأرض » لكى « تعلن تسبيحه وتمجيد اسمه » .

٢ - تركيب السفر وبنيانه

اصطلح المفسرون المحدثون على تقسيم سفر المزامير إلى أقسامه الخمسة التى تبدأ على التوالى من مز (١) و(٤٢) و(٧٣) و(٩٠) و(١٠٧) .. وأساس هذا التقسيم موجود فى المزامير نفسها حيث أن كل قسم منها يتوّج بمزمور تمجيدى .. وتشهد الترجمة السبعينية - التى تمت فى القرن الثالث أو الثانى قبل الميلاد - بقدم هذه العلامات المميزة ... وقبل ذلك بوقت طويل نجد كاتب سفرى أخبار الأيام يقتبس المزمور الختامى من القسم الرابع فى أخبار الأيام الأول ١٦ : ٣٥ وما بعده .

وهناك علامات أخرى إلى جانب ذلك لما تحويه المزامير ولمراحل نموها ومن أبرزها الملحوظة الواردة فى نهاية الجزء الثانى والتى تقول « تمت صلوات داود بن يسى » (مز ٧٢ : ٢٠) .. وهنا يبرز على الفور سؤال : [لماذا نجد ثمانية عشر مزمورا لداود بعد هذا القول واثنى عشر مزمورا آخرين لكتّاب مختلفين قبلها ؟] . والجواب المرجح على هذا أن المزامير التى جمعت مرة كان آخرها (مز ٧٢) وأضيف إليها بعد ذلك مجموعة منتخبة أخرى فيما بعد . ولكن فى إطار هذه المجموعة نفسها (من ١ - ٧٢) هناك علامات على أن الجزأين اللذين تتكون منهما قد استخدما أولا ككتابين منفصلين .. فمثلا هناك مزموران من الجزء الثانى هما ٥٣ و ٧٠ كادا أن يكونا صورة طبق الأصل من مواد وردت فى الجزء الأول .. كما أن التعبير (إلوهيم) - الله - فى الجزء الثانى يحل محل (يهوه) - الرب - ويمكن مقارنة هذا بما هو حادث فى الدوائر الدينية فى الوقت الحاضر حيث يدعو البعض إلههم (الله) وبعضهم يدعونه (الرب) كما تختلف كلمات الترانيم حسب الفئات التى تستخدمها .. هكذا يبدو أن كلمات المزامير قد اختلفت ، تاركة آثارًا للمجموعات الصغيرة التى ضُمت معًا أخيرا لتستخدم فى كل جماعة إسرائيل . ويستمر استخدام الأسماء المختلفة للإله فى الأقسام الباقية من المزامير حيث يسود استخدام كلمة (إلوهيم) فى المزامير ٧٣ - ٨٣ لكن استخدام اسم (يهوه) فيما تبقى من الجزء الثالث أى من ٨٤ - ٨٩ .. وبعد ذلك استمر استخدام اسم (يهوه) فى الجزأين (٤) و (٥) بدون تغيير* .. ولاشك أن بعض هذه الاختلافات

* يعطينا (س . ر . درايفر) فى أحد مؤلفاته الاحصائية التالية :
فى الجزء الأول ظهر اسم (يهوه) ٢٧٢ مرة واسم (إلوهيم) بدون أداة التعريف ١٥ مرة =

تعكس شخصية كاتب المزمور إلا أن بعضها الآخر لا يعدو أن يكون سببه تدخل المحرر .. فمثلا المزامير ٨٤ و ٨٥ و ٨٧ و ٨٨ من الجزء الثالث التى تدخل ضمن المجموعة التى حررها مرنمو الهيكل فلم يرددوا اسم (إلوهيم) تماما كما فى مز ٤٢ – ٤٩ من الجزء الثانى . ذكرنا حتى الآن مجموعات من المزامير التى أعطتنا مزيدًا من اللمحات عن تاريخها .. ويفتتح الجزء الثانى بمجموعة من المزامير (٤٢ – ٤٩) منسوبة إلى (بنى قورح) وهم طائفة متوارثة من موظفى الهيكل الرسميين ، ويحتوى الجزء الثالث على أربع مزامير أخرى إلا أنها مسبوقة بمزامير لآساف (٧٣ – ٨٣) [ومجموعة مزامير آساف هذه لها سابقة واحدة فى الجزء الثانى وهو مز (٥٠) – ولعل (إيوالد) هو أول من نبّه إلى أنه ينقل المزامير ٤٢ – ٥٠ لكى تلى مز ٧٢ – سيكون قد تم ترتيب مزامير داود وبنى قورح (المجموعة الأولى) وآساف – ترتيبًا مسلسلاً] . وآساف موسيقىّ مؤسس لطائفة أخرى من موظفى الهيكل . ولكل من هاتين المجموعتين من الموسيقيين مجموعة أعمال (مزامير) .

ولكن فى وسط مجموعة المزامير الخاصة بداود وآساف وبنى قورح (بما فيها ٣ مزامير لداود فى الجزء الخامس) نجد ٥٥ مزمورًا معنونة (لإمام المغنيين) وهذا يوحى بأنه فى مرحلة معينة كان لقائد مرنمى الهيكل مؤلفاته الخاصة سواء كافتتاحية للسفر كله أو كمنتخبات منه .

وفى الجزأين (٤) و(٥) من السفر سلاسل أخرى من المزامير مرتبطة بموضوعاتها أكثر من ارتباطها بكتّابها وهى مز ٩٣ – ١٠٠ عن (ملك الرب على العالم كله) . ومز ١١٣ – ١١٨ عن (التهاليل المصرية) التى يترنمون بها فى ليلة الفصح ومز ١٢٠ – ١٣٤ المعروفة بترانيم المصاعد (للحجاج) التى كانت جزءًا من مزامير الحمد العظيمة (١٢٠ – ١٣٦) ومجموعة التهاليل الختامية التى تبدأ وتنتهى كلها بكلمة (هللويا) . وتوجد كذلك مجموعتان من مزامير داود هى مز ١٠٨ – ١١٠ و ١٣٨ – ١٤٥ .

= فى الجزء الثانى : (إلوهيم) ١٦٤ مرة و(يهوه) ٣٠ مرة
فى الجزء الثالث : مز ٧٣ – ٨٣ : (إلوهيم) ٣٦ مرة و (يهوه) ١٣ مرة – مز ٨٤ – ٨٩ : (يهوه) ٣١ مرة و (إلوهيم) ٧ مرات
فى الجزء الرابع : (يهوه) فقط
فى الجزء الخامس : (يهوه) فقط فيما عدا مز ١٤٤ : ٩ وأيضا مز ١٠٨ – المقتبس من مز ٥٧ و ٦٠

وآخر الكل نقول إن مقدمة السفر وهي مزمور (١) ليس له عنوان ولا اسم كاتب على عكس أغلب مزامير الجزء الأول .

والصورة التي تبرز لنا هي خليط من النظام والترتيب غير الرسمي الذي يدعو إلى – وفي نفس الوقت يقاوم – محاولة تقليل سبب وضعها في صيغتها النهائية .. هناك تقدم في الترتيب الزمني بوضع داود (بوضوح) في النصف الأول .. مع إشارة واضحة إلى الأسْر (أو السبي) قرب نهاية الجزء الخامس (مز ١٣٧) لكن داود يظهر في المزمور التالي (١٣٨) وبالعكس فإن سقوط أورشليم كان موضوع مرثاة في المزمور ٧٤ ..

وترتيب الأفكار اللاهوتية أو الطقسية ليس أكثر وضوحًا .. فبينما لم يكن هناك افتقار إلى النظريات التي تميل إلى ترديد صدى النماذج الفكرية للأجيال المتعاقبة* ، فإن أي خطة تكتشف ضرورة منطقية في وضع أي مزمور يمكن أن تلقى ضوءًا على دقة من يقدم الفكرة أكثر منه على نمط السفر نفسه ، وخير ما يمكن تشبيهه بالمزامير أنها تشبه كاتدرائية بنيت واستكملت عبر قرون طويلة ، وليست كقصر يحمل طابعًا هندسيًا واحدًا .

٣ – بعض الاتجاهات في الدراسات الحديثة للمزامير

قليلا ما حظي سفر من أسفار العهد القديم بمثل الاهتمام الذي حظي به سفر المزامير في السنوات الأخيرة . وقد اتفق البعض – بعد انتقادات لها وزنها – أن المزامير كانت نتاج عصر ما بعد السبي اليهودي – عندما تكاتفت تعاليم الأنبياء مع سقوط الملكية ليعطيا مكانة جديدة بارزة للتقوى الشخصية ..

وقد استطاع (جون سكنر) في عام ١٩٢٢ أن يتكلم عن إرميا باعتباره – بشكل معين – أول من كتب المزامير حيث أن نبوته التي لم يُلتفت إليها قد دفعته لأن يتصارع مع الله ليكتشف في هذا الصراع مجال الشركة الشخصية

* فقد رأى (جريجوري) النيانزي في الأجزاء الخمسة لسفر المزامير خمس خطوات للكمال الأخلاق .. وكما فسر (أثناسيوس) مزامير المصاعد الخمسة عشر .. وجد (دليتش) سلسلة من كلمات الربط التي تربط المزمور بالذي يليه من أول السفر إلى آخره .

معه . وكان مقدرًا لعمل النبى أن يختفى فى القريب ، ومعه المؤسسة التى كان ينقدها وينصحها وسرعان ما يُسمع صوت جديد من يخاطب الله وليس الإنسانِ ، وسيظهر نمط روحى جديد يمثل قديسى العهد القديم من خلال أشعار المزامير .

لكن الدراسات الحديثة للمزامير كان رائدها (هـ . جنكل) منذ عام ١٩٠٤ الذى أعاد التفكير فى أصل المزامير ودلالتها التى يعود بها الدارسون الآخرون إلى أبعد مما فكر فيه كاتبوها .. وقد اعتمد منهج (جنكل) فى البداية على البحث عن القرائن الحية للمزامير بالاطلاع على الأغانى والأشعار التى توجد فى أى مكان آخر من الكتاب المقدس ، والثقافات المعاصرة لها ، ثم ترتيب المادة حسب الشكل وليس بحسب المضمون فيما يشبه ترتيب النباتات الذى اتبعه (لينايوس) .. وهو نفس النظام الذى اتبعه جنكل .. وإحدى النقاط الهامة التى برزت من تلك الدراسة هى التشابه الشديد بين أنماط المزامير الرئيسية (من ترانيم ومراثى وتشكرات وصلوات والمقطوعات الخاصة بالمناسبات الملكية) مع تلك التى وجدت فى مختلف الظروف فى باقى أجزاء العهد القديم . وقد استنتج (جنكل) من ذلك أن « هذا الشعر الخاص بالعبادة قديم قِدَم العبادة نفسها ، وينبع من أقدم عصور الحكماء وقصص البطولة والعدالة والتوراة وكلِ كنوز الحياة القومية .. وإذا عدنا إلى المثل الذى ضربه (سكنر) عن إرميا نقول إنه أبعد ما يكون عن صيغة (واضع أسس مزامير التضرعات الشخصية) لكنه كان يأخذ شكلا كان موجودًا ومشهورًا فعلاً وينميه .

لكل ذلك فقد اعتبر « جنكل » أن معظم المادة الموجودة فى المزامير تنتمى إلى عصر ما بعد السبى لكنها مع ذلك كتبت بتعبيرات وجدت أصلا لطقوس دينية شاخت وصارت لا تناسب العصر - وكان هذا التشبيه المشهور خاصًا بـ (جنكل) قبل (بونهوفر) بجيل كامل . وقد اعتبر أن العادات الدينية المحافظة هى التى تركت طابعها على المحتوى الروحى الأحدث للمزامير حتى أن المرنم استخدم لغة كان مرسومًا لها أن تخدم الملك ، أو تتكلم عن متاعبه والشفاء منها كما لو كانت هجمات من المرض وطقوسًا للتكفير .

وقد سار (موينكل) - فى سلسلة دراساته المتخصصة الست (من ١٩٢١ - ١٩٢٤) - على نفس هذا النهج من الدراسة واقترب به إلى نهايته

الحقيقية برفضه انتزاع المزامير من الطقوس التى يفترض أنها قد شكّلتها وقال إن (جنكل) قد ساير التعصب الذى كان سائدًا ضد العبادة الطقسية فى وقته ولذلك فقد توقف فى منتصف الطريق الذى بدأه من قبل ، وقال إننا يجب أن نقبل ما تتضمنه المزامير لا أن يُنظر إليها على أنها مجرد (أناشيد دينية صيغت لاستخدامها فى العبادة فى الهيكل) .. بل ونحاول أن نكوِّن منها صورة حية متكاملة - قدر الإمكان - عن الطقوس اليهودية والإسرائيلية القديمة فى حالاتها وممارساتها المختلفة حتى تلقى كلاً من الطقوس الدينية والمزامير الضوء على بعضها البعض .

وكانت إحدى النتائج المثيرة لهذه الطريقة هى إعادة تأريخ سفر المزامير ، فقد أضحى معروفا الآن أن عصرها الذهبى يرجع إلى عهد الملكية فى إسرائيل وإن كنا لا نزال عاجزين عن أن ننسب إلا عددا قليلا منها إلى داود نفسه . والأجدر بالملاحظة - على كل حال . بروز صورة جديدة للعبادة الإسرائيلية بُنيت أساسًا لا على المعلومات الموجودة فى الشريعة (التى يعتبرها موينكل ذات جانب واحد وكثيرة التقسيم) بل على التلميحات الواردة فى المزامير نفسها .. مع دلائل مساعدة من عبادات شرقية أخرى .

وباتباع هذا الاتجاه استطاع الدارسون المختلفون أن يروا فى الأعياد المختلفة مصادر رئيسية للمزامير وقد رأى (مونيكل) نفسه أن (عيد الحصاد) و(عيد المظال) فى نهاية العام هى أهمها والتى تحتفل بظهورات الله وتتويجه بطقوس معقدة ومحكمة حتى أنها كانت الأساس لأكثر من أربعين مزمورًا .. حيث يعاد تمثيل دراما عملية الخلق وكأنها معركة دينية ضد البحر والتنانين ورهب (انظر مز ٨٩ : ٩ و ١٠) مثل معارك الأساطير الكنعانية والبابلية .. وبالتالى فإن (يهوه) ومحضره متمثل فى التابوت - يصعد إلى جبل صهيون فى موكب حيث يتحداه البعض ثم يعترفون به (مز ٢٤ : ٧ - ١٠) ويُهلَّل له بالقول (الرب قد ملك) مز ٩٣ : ١ .. وهناك يثبت عهده مع إسرائيل ومع بيت داود ، ويحثهم على حفظ وصاياه وشرائعه (مز ٨١ : ٨ وما بعده ، مز ٩٥ : ٨ وما بعده) وكما يحدد (مردوخ) مصير السنة القادمة يقوم هو (يهوه) ويدين (المسكونة بالعدل) وبكلمات أخرى إنه سيضع الأحداث فى مكانها الصحيح ويختار للشعوب أقدارها .

وكل هذا كان يراه (مونيكل) أنه يختص بالواقع الحالى وليس بالمستقبل البعيد .. فكل عام يُنظر إلى هذا اليوم العظيم – يوم الرب – كزمن رد كل شيء استعدادًا لمجيء العام الجديد .. ولكن تبدأ هذه الآمال تتباعد عاما بعد عام نظرا لعدم تحقيقها – فيخطّط لها على أنها تخص أزمنة مستقبلية .. ومن هنا – من هذا الاحتفال بالذات – ولد الاعتقاد الإسرائيلى بالأخرويات .

وقد اختلفت ردود الأفعال لنظرية (مونيكل) . كما كان متوقعا – ما بين لهفة تؤدى إلى تجاوزه وتخطيه فى نفس الاتجاه . وبين تقييم حذر يتساءل ويعدِّل كثيراً فى موقفه .. لكنه – على العموم – اكتسب موافقة ضخمة فأصبح على كل شارح أن يتعامل معه .. وإذا كان السؤال الأول الذى يُسأل الآن عن مزمور معين يتعلق (كما يقول جنكل) بالمجموعة التى ينتمى إليها فإن السؤال الثانى يحتمل أن يأتى من جهة (مونيكل) وهو : لأى مناسبة دينية – يجب أن تنتمى مجموعة هذا المزمور ؟ وما الذى كانت الجماعة تختبره وتشعر به فى تلك المناسبة ؟

وقد جاء تجاوب مبالغ فيه بعض الشيء لهذه الأنماط الحديثة – من مجموعة من العلماء البريطانيين الذين عرفوا باسم (مدرسة الأسطورة والطقوس) – Myth & Ritual وهذه التسمية جاءت من عنوان ندوة نشرت تفاصيلها بواسطة س . هـ هوك فى (عام ١٩٣٣) – ومن عدد من الاسكندنافيين وخصوصًا (انجنيل) و (ايدنجرين) الذين تتبعوا باجتهاد فكرة (نموذج دينى شائع ومعروف فى الشرق الأوسط) ورغم أنهم لم يستطيعوا أن يكتشفوا فى نصوص المزامير أية ملامح لعيد (اكيتو) البابلى أو (شعائر الخصوبة) الكنعانية إلا نادرًا إلا أنهم لم يكتفوا بنظرية (مونيكل) القائلة إن عبادة يهوه قد ورثت طقوس العبادة اليبوسية القديمة من (إيلون – الإله الأعلى) بل إن بعض الدارسين أقنعوا أنفسهم أنه كان يحتفل سنويا بزواجه من (أناه) Anath وبموته وقيامته – احتفالاً طقسيًا تماما كاحتفالات (تموز) .. وكان الملك يقوم بهذا الدور كل هذه الاحتفالات .. لم يكن هذا رأى مجموعة الاسكندنافيين فقط بل أن (ت . هـ.روبنسون) عبر عنه بالقول : « كان الزواج الإلهى الذى يتم فى كوخ مقدس ، يتبعه موت الإله ، وبعد فترة حداد كان يعود إلى الحياة مرة أخرى ويرجع إلى زوجته فيقودونه إلى بيته فى الهيكل ليحكم ويملك حتى تدور دائرة الأيام ويعود مرة أخرى إلى موسم الاحتفالات فى العام التالى » .

لكن علماء آخرين ، لهم تقدير أعظم ليهوه باعتباره الإله الحى رأوا أن الملك لم يكن يقوم بدور (يهوه) نفسه بل بدور ابنه بالتبنى .. وعلى هذا الأساس أعادوا تركيب الدراما الدينية بجعلها تعاقبا مزدوجًا للصراع والنصر : فتبدأ باخضاع الخالق لأعدائه العالميين ليؤكد مُلكه ويجدد الأرض ، ويلى ذلك صراع الملك من نسل داود مع ملوك الأرض وقوى الموت الذى يُهزم فيه ويكاد يُبتلع (انظر مز ١٨ : ٤) إلا أنه ينجو فى آخر لحظة ، والشيء الجذاب فى هذه النظرية كان تحريرها للمزامير من ارتباطها بالذوق الكنسى . فإن تصوير معارك الدراما الدينية ومواكبها وصيحات الولاء تبعث الحياة فى المزامير بالإثارة التى تتضمنها صور التصفيق والنوح ، الرقص والسجود .. فمثلا عند تصور الاحتفال بالعام الجديد يصور أحد الكتّاب الانطفاء التدريجى للمشاعل وتجريد الملك من ملابسه الملكية عند حلول الظلام الكامل حيث يستلقى عند أقدام أعدائه ويصرخ إلى (يهوه) بكلمات مزمور ٨٩ : ٤٦ – ٥٠ (حتى متى يا رب تختبيء كل الاختباء ... اذكر يا رب عار عبيدك) .

وأخيرا .. عندما يصبح الموقف غير محتمل يأتى (يهوه) لنجدة شعبه وتخليصهم ، وهو يأتى فى الفجر كما تشرق الشمس – المصدر الأعظم للنور والحياة .. وينتصر .

إن هذا الوصف يستحوذ على المشاعر والعقول حتى لو أثار فينا السؤال : « كيف لنا أن نعرف ما إذا كانت الأمور تسير بهذا الشكل فعلاً أم لا ؟ سنعود إلى هذا السؤال فيما بعد . أما الآن فإننا نلاحظ نقطة جذب أخرى فى هذا الخيال المتعلق بالدراما الدينية وهى أنها جمَعَت معًا بعضًا من مواضيع العهد القديم التى تبدو – بدونها – متفرقة أو اعتباطية .. فهى **أولا** ربطت بين الملك والعبد المتألم حيث نرى هنا الطريقة الوحيدة ذات المعنى التى يمكن أن تجتمع فيها الوظيفتان فى شخص واحد .. وهى **ثانيا** بتصويرها للملك كشخص (مقدس) ووسيط فريد بين الله وشعبه الذى كان يمثلهم ويجسّدهم (كما يرون) قد أوجدت مضمونا مناسبا للنبوة المسيانية فإذا كان مسح الملك قد جعله شخصية مميزة لها دور أساسى مع الله ومع الناس فإن بعض ألقاب التمجيد للمسيا قد تبدو غير مناسَبة بالنسبة لأسلاف المسيا رغم أنها لا زالت أرفع من أن تطلق على أى ملك بشرى لشخصه .. بيد أن هذا المفهوم نفسه عن الملك المقدس يبدو مشكوكًا فيه ، وقد تعرض للهجوم من عدة جهات ،

ومن المشكوك فيه أنه قد فرض نفسه على دارسى الكتاب المقدس من وجهة نظر الأسفار المقدسة وحدها دون اللجوء إلى المقارنة مع (علوم الإنسان) التى هى فى أحسن صورها مجرد مصدر غامض كما قال (نورث) عندما انتقد منهج (مونيكل) : « إنه يعمل فى اتجاه الداخل من الدائرة الواسعة للعادات السامية البدائية بدلاً من العمل خارجيًا من مركز الضمير النبوى » . وهنا بالذات تتعارض فكرة وجود نموذج ملكى (شرق أوسطى) أو تعبدى – بالدليل القاطع كما أشار العلماء .

إن مادة الكتاب المقدس وحدها تظهر لنا مظهرين للملك يسود بينهما التوتر ، وهذا ما تحله بسهولة نظرية (الملك المقدس) فمن جهة نجد أن بعض المزامير الملكية [وخصوصا مز (٢) و (٤٥) و(١١٠)] تستخدم لغة تعطى للملك مركزًا شبه إلهى مثل (ابن الله) – مز ٢ : ٧ أو حتى مثل (الله المتجسد) . مز ٤٥ : ٦ .. وفى هذا المجال نجد شخصيته مقدسة كمسيح الرب .. ومرات أخرى يرسم ككاهن (٢ صم ٦ : ١٢ وما بعده .. ، ١ مل ص ٨) وعلى جانب آخر لا يوجد أى وصف للحرب التى تفترض النظرية أن الملك هو الذى يقوم بها ولا وصف للخلاص الذى يظهر فى الاحتفال السنوى والذى يبدو أن معظم مصالح شعبه مقترنة به .

ولابد كما يشير (م . نوث) – أنه من المهم أن ملكية إسرائيل جاءت متأخرة وأثارت خليطًا من المشاعر بين المؤمنين عندئذ . إن أنشطة الملك المعروفة بوصفه كاهنا – والمشار إليها أعلاه – كانت مرتبطة بمناسبات استثنائية بل إنه قد منع من افتراض أن له حقا عاما فى هذا المجال (١ صم ١٣ : ٨ وما بعده و ٢ أى ٢٦ : ١٨) .

وما علينا إلا أن نتبع ما يقوله العهد الجديد فى هذا الصدد فلا نبخس قدر أى جانب من الجانبين (بتعديل النص أو تيسير الترجمات مثلا) بل بتركهما يدفعاننا نحو الحل الفريد الذى فى يسوع المسيح . وهناك العديد من الفقرات التى تعالج الموضوع بهذه الطريقة .. إحداها هى تنبير الرب على التناقض الظاهرى الوارد فى مز ١١٠ بخصوص (رب داود) و (ابن داود) . والأخرى فى استخدام بطرس نفس اللغز والآخر الوارد فى مز ١٦ لكى يفرق بين العرش السماوى وعدم الفساد السماوى الذى تكلم عنه داود وبين القبر

الذى كان عليه هو نفسه أن يثوى فيه . وهناك فقرة ثالثة هى سلسلة الشهادات المأخوذة من المزامير فى (عب - ١) والمعروفة لدى الكثيرين باسم رسالة عيد الميلاد ، حيث أعطى المعنى الكامل لبعض العبارات مثل : (أنت ابنى) و (كرسيّك يا الله إلى دهر الدهور) وهذا بالتأكيد يتضمن نظرة فوق طبيعية لهذه النبوات لكن يصعب معرفة لماذا يعتقد البعض أنه ليس مناسبًا أن يوحى الروح القدس نبوات عن الموضوع المحورى للإعلان . لقد كنا حتى الآن ننظر إلى ما قاله المتطرفون أو فى بعض الأحيان البعيدون - عن (مونيكل) وعلى النقيض من ذلك هناك من يختلفون معه كلية أو فى بعض النقاط الحاسمة ، ومن أمثلة هؤلاء الأخيرين : (ر . دى فو) الذى يجيب بالنفى على السؤال : « هل كانت هناك احتفالات برأس السنة فى العهد القديم ؟ » ، فهو يقول إنه لم يثبت ذلك على الأقل . و : « هل كانت هناك احتفالات بتتويج (يهوه) ؟ » .. يقول (دى فو) رداً مع المعترضين : « ليست هناك أى إشارات واضحة فى الأسفار المقدسة عن أى ارتباط بين (مُلك يهوه) و (عيد المظال) » - والاستثناء الوحيد الذى يشار إليه هو ما جاء فى زكريا ١٤ : ١٦ . وهو ينفى ذلك باعتباره مصادفة ، حيث أن الأصحاح كله يتكلم عن مُلك يهوه المقبل - أما الهتاف القائل : « الرب قد ملك » مز ٩٣ : ١ فهو مجرد تهليل الولاء ، فإن التعبير (الرب قد ملك) ليس تعبيرًا يستخدم عند التتويج . والمزامير التى تحتوى هذه الكلمات هى مزامير تمجيد لحكم (يهوه) وليس إعلانا لارتقائه العرش . أما فيما يتعلق بيوم الرب الذى فهمه (مونيكل) على أنه يوم الاحتفال نفسه ، فإن (دى فو) يتفق مع أولئك الذين يرونه على أنه يوم المعركة حيث أن الحرب ، وليس المُلك الإلهى ، هو القرينة الوحيدة ليوم الرب فى العهد القديم .

ومن بين المعلقين من اتبع مثال (مونيكل) فى التعامل مع أحد الأعياد باعتباره المصدر الأساسى ولو أن كلاً منهم عبَّر عن رأيه بطريقة مختلفة . ويرى (كراوس) أن العيد الأساسى هو احتفال باختيار صهيون وبيت داود . ولم يحتفل بمُلك (يهوه) إلا بعد السبى . ويرى (ويزر) أن الاحتفال بالعهد هو أساس معظم المزامير متفقاً فى ذلك مع (مونيكل) رغم أن (ويزر) نفسه يرى أن التاريخ والشريعة يمثلان عمودين توأمين فى عملية تجديد العهد .. لكن بما أن خطة الخلاص تُمثَّل فى أسبوع العيد .. فهناك إذًا أرضية مشتركة بينه

وبين (ونيكل) . والأهم من هذه الاتفاقات والاختلافات هو مفهوم تحقيق الفعل المرتبط بفهم الشيع الدينية للمزامير ، ويقال إن الدراما الطقسية كانت أكثر جدا من مجرد وسيلة تعليمية فهى تستحضر الأحداث الماضية فى الوقت الحاضر . وفى عقيدة وثنية يسود فيها السحر ، قد يعنى ذلك إطلاق قوى الخير والشر فى تلك المناسبة . أما العبادة فى العهد القديم فهى مواجهة بين المتعبّد والله وأعماله ، وتولّد تجاوبًا فوريًا بالإيمان . فإن إعادة تمثيل قصة الخروج وسيناء طقسيًا لم تعد مدفونة فى أعماق الماضى بل تصبح - بالنسبة للمؤمن - قصة خلاصه الشخصى ورؤيته للتجلى .. « لقد نظرتك فى القدس » . يستطيع الله أن يخاطب جماعة المؤمنين حاليا ليس فقط بالإشارة إلى آبائهم الأولين باعتبارهم (القاطعين عهدى على ذبيحتى) مز ٥٠ : ٥ . وفى طقس اعتلاء العرش تصبح كلمات (الرب قد ملك) محتوية كل الماضى مهما كان بعيدًا وتتضمن تحقيق مملكة الله فى آخر الأيام .

إلا أنه عند السؤال عن كيفية اختبار المتعبد فى العصور الحديثة لخلاص (الخروج) ، تواجهنا الحقيقة المطلقة أن الحدث قد تم مرة وإلى الأبد فى الماضى لكن يمكن استعادة الاختبار بالقياس كأن يرى أحدهم الخروج من مأزق فى الحياة مساويًا لخروج بنى إسرائيل من مصر أو بإحساس الاستمرار حيث يشعر الإنسان أنه وارث للخلاص الذى بدأ عند البحر الأحمر . لكن هذه الترجمة الفكرية تدمر الفورية التى يفترض أنها جوهر الحدث الطقسى . وبهذا المعنى غير المباشر فقط يمكننا أن نتحدث بحق عن تحقيق الفكرة فى الطقس الإسرائيلى ، وفى التشديد على أن الله ليس إلٰه أموات بل إلٰه أحياء وأن أعماله لها فاعلية متميزة وفى رفض اسنادها إلى الزمن الماضى فقط - كما يقول تشايلدز - وهذا معبَّر عنه تعبيرًا عبريًا مباشرًا فى قول موسى للجيل الجديد فى نهاية الأربعين سنة فى البرية : (ليس مع آبائنا قطع الرب هذا العهد بل معنا نحن الذين هنا اليوم جميعنا أحياء) تث ٥ : ٣ .

لكن هذا الوضع فى البرية يجعلنا نحترس من اتخاذ هذه اللغة بحرفية زائدة ، فقد كانت هذه طريقة لمواجهة الجيل الجديد بالعهد المستمر وبالإله الحى وإن لم تكن هى الطريقة الوحيدة ، ونفس الفكرة يمكن التوصل إليها بوسائل أخرى ، ليس بتقريب الماضى إلى الحاضر بل بإبعادهما عن بعضهما بحسم . مثال هذا ما جاء فى مز (٩٥) الذى يتكلم عن نفس الأحداث حيث وضعت

(اليوم) بالتقابل مع (يوم مسة) - و (المنظر الحالى) فى مواجهة (البرية) - والجيل الحالى بالمقابلة مع ذلك الجيل الذى امتحن الرب .

وعلى ذلك فإن الأعياد فى إسرائيل لم تكن وسيلة لإلغاء عنصر الزمن أو لتجديد فاعلية الماضى ، بل وضعت لكى (تذكر خروجك من أرض مصر .. وتذكر أنك كنت عبدًا فى مصر) تث ١٦ : ٣ و ١٢ .. و(لكى تعلم أجيالكم أنى فى مظال أسكنت بنى إسرائيل لما أخرجتهم من أرض مصر) لا ٢٣ : ٤٣ .. هذه هى لغة التجاوب الواقعى الواعى ، وليست لغة الاختبارات السرية .. وفى حالة ما إذا اعتبرنا هذا حدثًا لغويًا عارضًا فإنه يكون قد حدث نتيجة لتغير الشكل الذى يحتفل به بالفصح بعد الحدث الأول الغير قابل للتكرار .. وعليه فإن العيد هو عملية تذكارية بلا أدنى شك .. وليس وسيلة لجعل حدث ماضٍ فعّالا فى الحاضر .. فلا يمكن أن يوضع (الدم) مرة أخرى على العتبة العليا والقائمتين ، فقد كانت تلك هى العلامة المميزة للفصح فى مصر ، وقد تم إلغاؤها بنفس صراحة القول (قد أكمل) .

لقد قيل ما يكفى ليوضح أن شرح العهد القديم لمناسبة طقسية يمكن أن يختلف تمامًا عما تجده فى الاستنتاجات من دراسة الديانات المقارنة ، وهذا ما يؤكد صعوبة التحكم فى تفسير ما فى غياب نص كتابى يعززه .

كيف يستطيع الإنسان أن يميز بين صورة تعبيرية حية وبين فعل طقسى ؟ . بالتأكيد لا يكون ذلك بالاستفسار عما إذا كانت الكلمات فى البابلية أو اليوغاريتية قد مُثّلت على صورة طقوس .. ذلك لأن لهم آلهة كثيرة تتميز كلها بأنها منظورة وجنسية وجشعة تتعامل مع السحر والتفاؤل والتشاؤم .. ويمكن للإنسان أن يستعير لغتهم لكن يجب أن تتغير تغيرًا جذريًا .. فنحن لا نحتاج إلى عيون بشرية لكى نرى وجه الإله - فى لغة الكتاب ... كما أن استشارته لا تعنى العرافة .

ما تأثير العبادة الطقسية على تشكيل العبادات ؟ هناك اختلاف كبير بين إجابة شخص مثل (انجنل) التى تقول انه : « حتى المراثى الشخصية قد كتبت أجزاء منها من طقوس (موت الإله) » ... وإجابة (ويسترمان) مثلا التى تقول : « إن العنصر المحلى فى المزامير لم يكن (انعزالاً عن البيئة الطقسية) ، بل بالحرى هو قلب حياة الشعب المختار عندما تشع فى كل اتجاه » ... ويحسن

أن تدرس هذه الإجابات المتباعدة من زوايا مختلفة .. فيندر أن توجد مجموعة من المقاييس للتمييز بين ما هو طقسي من المزامير وما هو غير طقسي .. مثل تلك القائمة التي وضعها (سزورني Szörenyi) من الدلائل الداخلية والخارجية .. فإنه حتى هذه القائمة المعقولة ترفض الدليل المقدم من عناوين المزامير.

نعود هنا لمواجهة التناقض بين الفكر الحديث وبين شهادة النصوص نفسها – لأن العناوين هي جزء من النص العبرى إذ تظهر فيه (أينما ظهرت) على شكل الآية الأولى من المزمور أو جزء منها .. والكثير من هذه (الكتابات الفوقية) تشهد بصراحة بوظيفة المزمور الخاص بها فى العبادة : « مزمور حمد » – (مز ١٠٠) ، (صلاة لمسكين إذا أعيا وسكب شكواه أمام الله) مز ١٠٢ ، و (مزمور تسبحة ليوم السبت) مز ٩٢ .. وهكذا .. وبعضها يتضمن نسبتها إلى مرنمين من اللاويين وأهمهم آساف وبنى قورح .

لكن نجد ٧٣ مزمورا – تكوِّن حوالى نصف السفر – مقدمة بالكلمة (لداود) و ١٤ آخرين مرتبطة بفترات من تاريخ حياته معظمها من أيام مطاردته .. وعلى ذلك فهى كلها من صميم الحياة وميدان المعركة أو (الكهف) وليس من تمثيليات مقدسة أو دراما دينية ... أما التعليمات الموسيقية والإشارات إلى (إمام المغنين) فتُظهر أنها قد جمعت وتهيأت – عند الضرورة – للاستخدام فى العبادة .. وهذا هو الاتجاه المضاد للتيار الذى يصوره معظم العلماء المحدثين ، أى من الحياة إلى الدين .

وهذه الفكرة ليست أقل احتمالا من عكسها ولكنها مرفوضة بلا سبب قوى . ويرى (جنكل) من دراسته لتاريخ الديانات عموما أن (المزامير التى كتبت للعبادة الطقسية هى أقدم من تلك التى صاغها الشعراء لاستخدامهم الخاص) . ويقيس على ذلك أن الترانيم البروتستانتية الجماعية أقدم من (الأغانى الروحية) – أما (مونيكل) فيعتمد غالبا – مثل (جنكل) – على التعميمات – فيضع مثلاً للتناقضات بين المزامير وزمن داود فيشير إلى الاتجاهات الموافقة على الذبائح الحيوانية فى الأيام الأولى للملكية ويربطها بالثراء والقوة (متناسيًا توبيخ صموئيل لشاول الملك فى ١ صم ١٥ : ٢٢ ، وحقيقة أن داود عرف الفقر والاضطهاد) .

وتبقى الآن حقيقة أن أى مستند يُعرف أنه ينتمى إلى الحياة يعطى تأثيرا مختلفًا لدى القارىء عن ذلك المستند الذى أعد خصيصًا لمقابلة احتياج خاص .. فإذا رغبنا أن نشارك رجلا مثل داود فى مكنونات قلبه – وهو المجرَّب بتجارب رائعة ومروِّعة – فلن نكتسب كثيرا إذا ما أصررنا على التعامل مع أعماله على أساس أن كاتبها مجهول وأنها لا تعبر عن شخص معين أو عن ظروف حياته الشخصية ، فإذا عدنا إلى المثل الذى قدمه (جنكل) .. وأعطينا لأنفسنا الحق فى البحث والتنقيب بين المزامير ، فلن نندهش إذا ما انتهى بنا الأمر إلى مجرد مجموعة من العينات المتفرقة . وربما يكون (مونيكل) نفسه قد عزز هذا الرأى – دون قصد – حين كتب يقول (إن ما يدهشنا فى مزامير الكتاب المقدس هو التماثل فى الشكل والموضوع الذى يجمع بين معظمها لدرجة يصعب معها التمييز بينها) .. وبالرغم من أنه يجعل هذه الخاصية أساسًا لتحليله النمطى إلا أنه يحتمل أن يكون طابع الالتزام بالشكل قد صبغ نظرته للأمور .. وإذا ما درسنا من واقع المعلومات التى تعطيها عناوين المزامير فقط سنجد أن لكل قصيدة شعرية شخصيتها المتميزة القوية وأنه بالانتقال من دراسة دقيقة لأحد المزامير إلى مزمور آخر فإننا نواجه بشخصية جديدة فى صراع يتطلب مجهودا لمقابلته .

وإذا أردنا فى الختام تغيير الاستعارة فيمكننا أن نقول بنزاهة إن المزامير ، إذا أخذت على علاتها ، ليست مكتبة طقسية تختزن أدبًا موحدًا مجهزًا لمتطلبات العبادة بل تشبه بيتًا للضيافة ، حيث يمكن استعارة معظم الأشياء التى تركها سكانه الأوائل والتى تحمل طابع اختياراتهم وشخصياتهم .

٤ – الرجاء فى المسيا

تشترك المسيحية مع اليهودية التقليدية فى الاقتناع بأن كثيرًا من فقرات المزامير هى نبوات (مسيانية) أى نبوات عن المسيح .. وسنتأمل هنا فى محتوى الفقرات التى فسرها كتبة العهد الجديد بهذه الطريقة وبعد ذلك فى مدى المادة المسيانية بخلاف ما تم الاستشهاد به من المزامير .

فمن ناحية المحتوى الخاص بالرجاء المسيانى المحصور فى هذه المزامير وعددها حوالى ١٥ مزمورا التى اقتبس منها العهد الجديد يمكننا أن نتوصل إلى المظاهر التالية – على الأقل – عن (الواحد الذى سيأتى) :

الملك الممسوح : تقدم لنا المزامير – من بدايتها – شخص الملك الذى سيلعب دورًا رئيسيا فيها .. فهى تقدمه لنا – بدءًا من المزمور الثانى – بصورة تبعد به بعيدًا عن الملك المحلى .. ويمكن أن يستخدم هذا المزمور بكفاءة – ولابد أنه استخدم فعلا كذلك – كنشيد لتتويج ملك جديد إذا ما نطقت كلماته فى صيغة لبقة – متعاملا مع امبراطورية داود المتواضعة كما لو كانت العالم كله .. لكن هناك ما هو أكثر من الصيغة هنا .. فإن الشعر يتجاوز المنطق الواضح فى حقيقة أن الملك الذى من نسل داود يحكم نيابة عن الله الساكن فى السماء (مز ٢ : ٤) وعلى ذلك فإن الأرض كلها له وستصير له حقيقة .. وقد سمى باسمه المزدوج (مسيح الرب) و (الابن) – وسنتكلم عن هذا الأخير – فيما بعد – أما الاسم الأول فيعرفنا فورًا بكلمة (ممسوح) التى نقلت من الأرامية إلى اليونانية (مِسيا) أو ترجمت (Christos) ومن هنا جاء الاسم (المسيح Christ) .

كانت المسحة تتضمن التكريس لمنصب رفيع وليس فقط تقليد الشخص الممسوح منصبًا مقدسًا (حتى إذا اعتدى عليه يكون ذلك انتهاكًا لحرمة مقدسة) [انظر (٢ صم ١ : ١٤) – (كيف لم تخف أن تمد يدك لتهلك مسيح الرب) ومز ١٠٥ : ١٥ (لاتمسوا مسحائى)] بل أيضا لكى تقوِّيه ليؤدى عمله (انظر مز ٨٩ : ٢٠ وما بعده) طالما أن الطقس الخارجى قد تحقق فى أحسن صورة بعطية الروح القدس .. وهكذا كان مسح شاول (١ صم ١٠ : ١ و ٦) وداود (١ صم ١٦ : ١٣) وكذلك كان مسح (عبد الرب) كما جاء فى إشعياء ٦١ : ١ وما بعده الذى قال المسيح عنه إنه هو .

كانت المسحة هى الخطوة الأولى فى شعائر تنصيب كل من الملك والكاهن ، وفى حالة واحدة فقط على الأقل تمت مع أحد الأنبياء (١ مل ١٩ : ١٦) – أليشع .

وعليه فقد كان الملك أكثر من مجرد قائد ، ورغم أن بعض المدارس بالغت فى تقديسه كما لو كان وسيط الأمة لدى الله ، فيبقى حقيقيًا أن مقدرات شعبه كانت مرتبطة به ، وكانوا يرون فيه بعض المجد الذى لله . إن بسالة داود – بالإضافة إلى مركزه ، يمكن أن تكون قد أكسبته لقب (سراج إسرائيل) –

٢ صم ٢١ : ١٧ . لكن أحد خلفائه غير المشهورين كان لا يزال « نَفَس أنوفنا مسيح الرب » (مراثى ٤ : ٢٠) وقد رفعت صلاة مرتين فى المزامير باعتباره (مجننا) مز ٨٤ : ٩ و ٨٩ : ١٨ .. وفيما يتعلق بالتكريم الإلهى فيمكن فهمه من لغة النبوة فى مز (٢) ومشاركة الله فى عرشه كما فى مز ١١٠ .. ومز ٤٥ .. الذى نعتبره لغة خاصة لا تحتمل فوق طاقتها إلى أن أصر العهد الجديد على وجوب ذلك . وفى نفس الوقت ساعد عدم استحقاق الملوك على أن يرفع الناس أنظارهم إلى (الواحد) الآتى .. إن اضافة (الترجوم) لما جاء فى مز ٧٢ : ١ هى مثال واحد عندما يصبح الملك هو المسيا الملك .

ب : « ابنى » .. هذه هى لغة مزمور (٢) وهى آية طالما اقتبست فى العهد الجديد ... وبتقريب هذا المعنى إلى بقية العهد القديم نجد – على الطريق – علامتين واضحتين : (إسرائيل ابنى البكر) خروج ٤ : ٢٢ ثم الوعد المعطى لداود فيما يختص بوارث عرشه (أنا أكون له أبًا وهو يكون لى ابنا) ٢ صم ٧ : ١٤ . وهذا الوعد كان يشير أصلا إلى سليمان كما أوضحت الآية التالية .. إلا أنها اقترنت بالوعد بالمُلك اللا نهائى .. وعلى هذا يمكن اعتبار عملية تتويج أى ملك جديد أنها كانت فرصة متاحة لدخوله فى هذا الميراث رسمياً (ويمكن أن يقدم بنفس القول الوارد فى مز ٢ : ٧) لكى يصبح التعبير السامى لبنوية شعبه ومركزه كابن الله البكر فى العالم (قارن مز ٨٩ : ٢٧ مع تث ٢٨ : ١) .

لكن مزمور (٢) يقدم له الأرض كلها ، ويبدو أن اقتران الرب ومسيحه كأب وابن ، هو أكثر من مجرد ارتباط لفظى ، فإن الانطباع أن هذا الابن ليس ابنا عاديا لداود ، وأن هذه اللغة ليست مجرد تحية مهذبة ويؤيد هذا ما جاء فى مز (١١٠) وكما أشار الرب حين قال إن داود نفسه يحيّى مَلكه الجالس عن يمين الله .. وجاءت فى عب ١ : ١٣ مقارنة أبعد بالسؤال (ثم لمن من الملائكة قال قط اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك ؟ .. ويعلق (ف يردس) على هذا بكفاءة بالقول : [إن أعظم الملائكة المحبوبين هم أولئك الواقفون فى محضر الله مثل جبرائيل (لوقا ١ : ١٩) لكن لم يحدث قط أن دُعى واحد منهم للجلوس أمامه وبالتالى لم يدع أحدهم للجلوس فى مركز الشرف – عن يمين الله] .. ومرة أخرى فإن العهد القديم ، بمخاطبة الملك كابن ، قد أورد موضوعًا يناسب القرينة الحالية ويتجاوزها كلية كما يتضح من المضمون .

ويقدم لنا العهد الجديد [ابن الله الوحيد الموجود مع الآب قبل كل الدهور] – أما القول (اليوم) الوارد فى مز ٢٠: ٧ فيشير إلى قيامة الابن المتجسد كملك يوم تتويجه (تعين ابن الله بقوة) رو ١: ٤ – وقارن أع ١٣: ٣٣ .

جـ – **الله** : أضعفت بعض الترجمات الإنجليزية تأثيرات الآية مز (مز ٤٥ : ٦) التى جاءت فى اللغة العربية : « كرسيك يا الله إلى دهر الدهور » وحتى الترجمة السبعينية السابقة للمسيحية لم تحاول أن تحوّل هذه التأثيرات إلى وجهة أخرى ، وقد تعززت معانيها بما لا يدع مجالاً للشك فى الاقتباس الوارد فى (عب ١ : ٨) بمقارنة هذه الطريقة فى مخاطبة (الابن) مع ما قيل للملائكة .. ربما كانت هذه هى أكبر النبوات المسيانية جرأة وإن لم تكن الوحيدة فإن نفس الأصحاح من العبرانيين توجد فيه إشارات للمسيح فى قولين آخرين يتكلمان مباشرة عن الله **الأول** ما جاء فى مز ٩٧ : ٧ « اسجدوا له يا جميع الآلهة » حيث تتكلم القرينة عن حالة (تجلى) أو (ظهور إلهى) .. والتعليق الوارد فى (عب ١ : ٦) على هذه الآية يتضمن أنه عندما يظهر الله نفسه على الأرض فإنه يفعل هذا فى شخص (ابنه) .. والإشارة **الثانية** هى إلى ما جاء فى (مز ١٠٢ : ٢٥ – ٢٧) المقتبسة فى عب ١ : ١٠ – ١٢ عندما يخاطب (الله) من يدعوه (الرب) والذى ينسب إليه خلق العالم كله .. وتعزز كلمات الترجمة السبعينية فى مز ١٠٢ : ٢٣ و ٢٤ ما جاء فى العبرانيين من حيث أن المتكلم هو فعلا (الله نفسه) .. وكم كان سيبدو تفسير هذا المزمور مفزعًا .. لولا أن أحداث – مجىء المسيح – عودت عيون المؤمنين على بهاء مجد الحقيقة الكاملة.

وحتى لا نرى فى رسالة العبرانيين المفسر الوحيد لما جاء فى المزامير ، يمكننا أن نضيف إليها الشرح الذى جاء فى رسالة أفسس ٤ : ٨ – ١١ لما هو وارد فى مز ٦٨ – ١٨ حيث تفسر الرسالة قول المزمور (صعدت إلى العلاء . سبيت سبيًا) أنه قد تحقق فى صعود المسيح إلى السماء .. ومرة أخرى يكشف العهد الجديد أضواء العهد القديم الخافتة الغامضة .

د – **العبد** : هذا اللقب ليس واضحًا فى المزامير رغم أن داود يميل إلى استخدامه عندما يكون فى حالة بؤس وضيق (مثلا فى مز ٦٩ : ١٧ ، ٨٦ : ٢ و ٤ و ١٦) ويتردد التعبير (عبد الرب) فى عنوان مزمورين لداود (١٨ و ٣٦) . ونحن نستخدمه هنا كمؤشر ملائم إلى دور (المتألم البرىء) الذى يظهر فيه المسيح فى سفر المزامير ... فمعظم إشارات الرب إلى المزامير

نجد فيها هذا المعنى بل إنه اقتبس العديد من آيات مز ٦٩ لشرح الصليب والآلام . ففى هذا المزمور وغيره (وبالذات ٢٢ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤١ ، ١٠٩ ، ١١٨) وجدت الأناجيل وسفر الأعمال والرسائل أعظم الكلمات التى تعبر وتوضح بعض أموره مثل - الغيرة للإصلاح - (مز ٦٩ : ٩ / أ) وتقديمه نفسه طواعية (مز ٤٠ : ٦ - ٨) اختبار وحدته (مز ٦٩ : ٨) وتعرضه للخيانة والكراهية والرفض (مز ٤١ : ٩ ، ٦٩ : ٤ ، ٣٥ : ١٩ ، ١١٨ : ٢٢) وآلام تعييره (مز ٦٩ : ٩ ب) والسخرية منه (مز ٢٢ : ٧ - الجزء الأخير ، مز ٦٩ : ٢١) وتعريته (مز ٢٢ : ١٨) .. بل حتى تسميره على الصليب (٢٢ : ١٦) .. وقد تعاملت الأناجيل والعهد الجديد مع الكثير من هذه الآيات باعتبارها نبوات قد تحققت بل إن بطرس يخبرنا أنه فى (مز ١٦) : [إذ كان داود نبيًا وعلم أن الله حلف له .. سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح] (أعمال ٢ : ٣٠ و ٣١) وفى أعمال ١ : ١٦ - ٢٠ وفى رومية ١١ : ٩ و ١٠ يظهر لنا الرسول أيضا نبوات عن مصير يهوذا (مز ١٠٩ : ٨ وقارن مز ٦٩: ٢٥) ومصير غير المؤمنين من إسرائيل (مز ٦٩: ٢٢ و٢٣) والمسيح يسوع نفسه وهو على عود الصليب وجد كلمات فى المزامير قالها فى أحلك ساعات حياته وفى آخر نسمات حياته على الأرض (مز ٢٢: ١ ، ٣١: ٥) .

هـ : **تعبيرات أخرى** : هناك عبارات قليلة أخرى تحققت فى مجىء المسيح منها :

١ - الدعوة العليا للإنسان فى القول المشابه (ابن الإنسان) مز ٨ : ٤ - الذى يقابله ما جاء فى عب ٢ : ٥ وما بعده - لقد فشلت البشرية فى الوصول إلى مستوى هذه الدعوة الأمر الذى تحقق فى المسيح يسوع - الذى هو - الإنسان الكامل . وهذا اللقب يتمم لقب (الله) فى مز ٤٥ السابق الإشارة إليه* .

٢ - يرسم لنا (مز ١١٠ : ٤) صورة الملك المحارب المتوج عن يمين الله (كاهن إلى الأبد) وهذه هى الإشارة الوحيدة لمثل هذا اللقب فى السفر كله لكن تنصيب زكريا لرئيس الكهنة (يهوشع) - الذى خوطب هو أيضًا بنبوة مسيانية (زك ٦ : ١١ وما بعدها) أيد هذا الاتجاه ... ويعود المزمور بنا

* يستخدم مزمور ٨٠ : ١٧ تعبيرات مشابهة لما جاء فى (٨ : ٤) إلا أنها تتحدث عن إسرائيل فهى إذًا (مسيانية) فقط عندما تعنى أن المسيح هو إسرائيل الحقيقى (الكرمة الحقيقية) إلا أن (الترجوم) فسر الآية المشابهة : (١٥ - ب) باعتبارها مسيانية رغم أن العهد الجديد لم يستخدمها .

إلى (ملكى صادق) أول رئيس كهنة ملك - يقابلنا فى تك ١٤ : ١٨ وما بعده .. وفى (عب ص ٧) نجد شرحًا للتطابق التام بين هذه القصة ووضع المسيح كرئيس كهنة .. وهذا نفسه يقودنا إلى الدراسة الأوفى عن الكهنوت والذبائح فى (عب ٨ - ١٠) .. وعليه فإن العبارة الوحيدة الواردة فى مز ١١٠ والمقتبسة فى (عب ٥ : ٦) هى مصدر لواحد من أهم موضوعات هذه الرسالة العظيمة وتكشف لنا أن الكهنوت الأرضى للعهد القديم كان لابد أن ينتهى بظهور وإتمام كهنوت المسيح السماوى ، وكم كان سيصبح مفهومنا للعلاقة بين العهد القديم والجديد ضعيفًا وقاصرًا بدون فهم وشرح هذه العبارة .

٣ - (الحجر الذى رفضه البناؤون) مز ١١٨ : ٢٢ - هو رمز للمسيح نفسه كما أشار هو ، وقد تأكدت كلماته بقبوله هتافات الجماهير (أوصنا .. مبارك الآتى باسم الرب) وهى الكلمات المقتبسة من هذا المزمور . إلا أنه - له المجد - قد كشف لنا عن مجالين جديدين يتعلقان بهذا الحجر المرفوض (لوقا ٢٠ : ١٨) وقال إنهما يتكلمان عنه .. فالحجر المرفوض الذى يترضض كل من يسقط عليه هو (رب الجنود) كما لابد وأن السامعين من اليهود كانوا يدركون المعنى*.. أما الحجر الذى يسحق كل من يقع تحته فهو الحجر المقطوع بغير يدين فى حلم نبوخذ نصر (دانيال ٢ : ٣٤ وما بعده) والذى لا نهاية لملكه .

إذًا فقد اقتبس المسيح من مزمور يتحدث عن إسرائيل المضطهد ، ولم يكتف بأن ينسب الصورة إلى نفسه ، ويقول إن المضطهدين هم غير المؤمنين بل قال إنه هو نفسه الله - صخر إسرائيل - من جهة ، وهو أيضا المملكة (الحجر الذى صار جبلا عظيما) من جهة أخرى .. فهو إذن حجر الزاوية ليس فقط من حيث أنه يربط كنيسته معًا بل من حيث أنه يربط (فى شخصه) بين السماء والأرض .

وبقى لنا أن نتساءل عن مدى العنصر المسيانى فى المزامير وقد رأينا أن العهد الجديد يقتبس مادته من هذا النوع من المزامير الخمسة عشر .. لكن نظرة أعمق

* وبنفس الطريقة استخلمت (١ بط ٢ : ٨) ما جاء فى إش ٨ : ١٣ - ١٥ وعززته بما جاء فى (١ بط ٣ : ١٤ و ١٥) .

إلى طريقة تناولها للموضوع ، توحى بأنها كانت تعتبر مجرد عينة للمزامير كلها .. ولن تكون مبالغة منا إذا استنتجنا من هذه النظرة أنه أينما جاء ذكر داود أو (الملك الداودى) فى المزامير فإن ذلك يعكس بدرجة ما المسيا الآتى (إلا طبعا حيث يكون اعتراف بالفشل فى الحياة التى يتطلبها الله) .. وهذا يبدو أنه متضمن مثلا – فى اقتباس العهد الجديد من مز ١٨ (٢ صم ٢٢) الذى هو اختيار شخصى لداود ، وقد اقتبس مرتين فى الرسائل بالإشارة إلى المسيح ، وفى كل حالة تكون طريقة الاقتباس – وليس الاقتباس نفسه – هو المهم بالنسبة لموضوعنا الحالى .. فإن (عب ٢ : ١٣) تقتبس الآية (٢ صم ٢٢ : ٢) بالقول [وأنا أكون متوكلا عليه] كما أن (رو ١٥ : ٩) يقتبس الآية (٢ صم ٢٢ : ٥٠) – « من أجل ذلك سأحمدك فى الأمم وأرتل لاسمك » . والغريب في الأمر أن هذين القولين لا يحتاجان إلى شخص بمواصفات خاصة ليحققهما ، فالآيتان تنطبقان على داود ولكن كاتب العبرانيين يقول (إنه يشبه إخوته فى كل شىء) عب ٢ : ١٧ – والحق أن هذه الجملة قد اقتبست بهذا الغرض : أن تثبت أن المسيح واحد منا .. وما كان يمكن أن يكون لهذه الكلمات وقعها المنشود لو لم يكن المتلقى يعلم أنها نبوة عن المسيا .. ونفس الشىء نراه فى الآية المستخدمة فى (رو ١٥ : ٩ .. وحقيقة أن أيًا من الكاتبين لم يكلف نفسه عناء تقرير أن المزمور المقتبس منه مزمور مسيانى ، توضح أن العهد الجديد يسلّم بأن المزامير الداودية والملوكية لها هذه المقاييس الإضافية .. ونرى نفس الشىء فى استخدام بطرس للمزامير فى مواعظه وفى الأناجيل أيضا .

ولا نجد ذلك فقط فى تعاليم رجال الدين اليهود (الربيين) بل إن المسيح نفسه قال عندما فتح ذهنهم ليفهموا الكتب (لوقا ٢٤ : ٤٥ – ٤٧) إنه « هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات فى اليوم الثالث وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم » .. ولو أن لوقا ٢٤ لم يعط إلا تفاصيل قليلة عن هذا التعليم إلا أن بقية العهد الجديد يظهر أن الرسل قد فهموه وطبقوه . والدليل على أنهم لم يسيئوا فهمه أنه موجود فى تعليمه ، فإن كلمات الرب وكلمات الرسل تكشف عن افتراض أن ما جاء فى المزامير الداودية كان عن (المسيا) حتى لو لم تكن الإشارات مكشوفة وواضحة كما فى القول (قال الرب لربى) مز ١١٠ : ١ بل حتى

لو كان الكلام أصلا عن تقلبات حياة داود – كما فى (مز ٤١ : ٩) و (مز ٦٩ : ٤) و (٣٥ : ١٩) المقتبس فى يوحنا ١٣ : ١٨ و ١٥ : ٢٥ باعتبارها مقاطع من الكتاب المقدس تنتظر التحقيق وليست مجرد أقوال عادية ...وكان يمكن للمسيح أن يقول ما قاله عن موسى « هذا قاله داود عنى » ... يسوغ لنا أن نقول عن داود ورفقائه من كُتّاب المزامير ، ما قيل عن موسى وجيله : « إن هذه الأشياء حدثت لهم كمثال » فنحن نرى الملك الداودى وجها لوجه أمام الأمم الذين كان سيحطمهم (مز ٢ : ٩) ووجهًا لوجه مع شعبه الذى يقوده (حسب كمال قلبه وبمهارة يديه) مز ٧٨ : ٧٢ – أو مع عروسه (التى يشتهى حسنها) مز ٤٥ : ١١ – أو الله الذى يستخدم نفوذه وسلطانه (مز ١١٠ : ٢) ونرى داود (رجل حسب قلب الله) كما فى مزامير ١٦ و ١٨ و ٤٠) وداود المتألم الذى تتلمذ على الخطر والكراهية والجحود .. الذى خانه أخلص أصدقائه وأحب ابنائه .

ولا يخرج داود من المزامير بريئاً نقيًا بلا عيب بل كما جاء فى سجلات حياته . فهو حين يؤكد براءته (مز ١٨ : ٢٠ وما بعده) فذلك فقط بالنسبة إلى أنه رجل (غُفر إثمه) – مز ٣٢ : ١ – وهو الذى أخطأ خطية عظيمة (مز ٥١) ولكن ، كما أن المملكة المثالية يُعلن عن قدومها بصورة مملكة محدودة وناقصة ، كذلك فإن الشخص المثالى يرمز إليه برجل خاطىء ، ويتفوق عليه بمراحل من حيث آلامه وإيمانه وسلطانه وبنوّته .

إذًا فالقيمة الخاصة لنبوات المزامير المسيانية هى أنها (حياة مُعاشة) و (كلمات مكتوبة) .. وهناك نبوة واحدة أو اثنتين صريحتين كما فى ٢ : ٧ ، ١١٠ : ١ وكثيرًا ما استخدمتا فى العهد الجديد ، ومع ذلك فإن الكثير من الصلوات والتسبيحات التى جاءت كتعبير مباشر عن حياة ومواقف سوف يختبرها المسيح نفسه بشكل أوسع وأعمق كالمثال الكامل لإسرائيل وللمَلك والإنسان والذبيحة وتجسد الله .

٥ – صرخات الانتقام

يواجه المسيحى مشكلة عندما يفاجأ بانتقال المرنم من الحديث التَقَوى المتواضع إلى طلب اللعنة والانتقام من أعدائه ، خصوصا وهو متأكد أن كل الكتاب موحى به من الله ونافع ، وهو مطلوب منه أن يبارك لاعنيه ، لذلك

سوف ندرس أولا محتوى طلب الانتقام قبل أن نتأمل فى نبرته ونغمته واستخدامات العهد الجديد لهذه الطلبات ثم أخيرًا نتأمل فى مدى مناسبة هذه الطلبات لنا .

أ – محتوى طلب الانتقام :

يمكن تلخيص ذلك باعتباره طلب تحقيق العدالة وتزكية الحق ، وهذا ما يتمسك به العهد الجديد بحرارة ، فإن مثل القاضى الظالم يكرر كلمة (ينصف) بإصرار جدير بالأرملة نفسها .. وهو لا يفعل ذلك فى القصة فقط بل فى شرح معناها وتطبيقها (أفلا ينصف الله مختاريه ؟) لوقا ١٨ : ١ – ٨ .. وكلمة (ينصف) تحمل معنى أقوى من تبرئة ساحة المتهم إذ أنها ترتبط بالمجازاة .

والإنجيل يغير إتجاه اهتماماتنا .. لكنه يفعل ذلك جزئيا عن طريق تعريفنا بالوضع الجديد الذى أوجده الصليب وجزئيا عن طريق إيضاح ما كان غير منظور فى مراحل سابقة .. أى الحياة الآتية .. ولكى نتمكن من التفهم الكامل لكُتاب المزامير بهذا الخصوص علينا أن نتناسى أن عندنا الإنجيل الذى يفصح عن الموضوعات (لأن ذلك يؤثر على اتجاهاتنا نحو إخوتنا الخطاة) كما نتناسى ثقتنا فى تصحيح الأوضاع الخاطئة (وهو ما يؤثر على مواقفنا تجاه المواقف الشاذة الحالية) ... لأنه بدون هذه التأكيدات لا يستطيع أحد أن يكبح تلهفه إلى رؤية العدل منتصرًا والأشرار مهزومين .. ويستحسن فى الحقيقة أن نتكلم عن كُتَّاب المزامير باعتبار أنهم جهزوا أسماعنا للإنجيل أكثر من وضع أنفسنا مكانهم ، لأننا لن نستطيع أن نسمع ردود الإنجيل قبل أن ندرك قوة أسئلتهم .

وقد قلت مرة إن تاريخ داود – المتكلم الرئيسى باسم الشعب – يُعطى دليلاً كافيًا على أنه كان يطلب العدالة بحق وليس كمجرد غطاء للتبرئة .. فلم يكن هناك الكثيرون الذين يستطيعون أن يكونوا كرماء أثناء اضطهادهم الشخصى ، كما أثبت هو فى مواقفه تجاه شاول وأبشالوم ، فضلا عن (شمعى)* ولم يكن

---

* انظر ٢ صم ١٦ : ١١ و ١٩ : ١٦ – ٢٣ .. وقد غير داود رأيه فيما بعد بأن احتفظ بكلمات وعده فقط (١ مل ٢ : ٨ و ٩) ولعل داود قد رأى فى شمعى تهديدا للملك سليمان المهدد فعلا من غيره ، وقد عزز ذلك أن سليمان قام بالتحفظ على شمعى كما جاء فى (١ مل ٢ : ٣٦) لكن لو أن داود انحرف حقًا عن شهامته السابقة ، فإن هذا يكون مجرد انحراف وليس عادة ولا هو من سماته الشخصية مثلما لم تكن خيانته لـ (أوريا) من خصاله كذلك .

هناك حاكم منفعل بغضب عميق للأفعال الهوجاء مثله – حتى عندما كان يبدو أنها لصالحه .. إن كل ما طلبه من الله لم يكن أكثر ولا أقل من تدخله وإنصافه .. الأمر الذى يمكن أن يتوقعه أى شخص وقع ضحية الظلم من داود كملك على إسرائيل وكلما تمادى فى التمثل بالله كملك مثالى أو كما يقول هو فى ٢ صم ٢٣ : ١ – ٣ : إذا تسلط على الناس بار يتسلط بخوف الله أصبح من المتعذر التفكير أنه يمكن أن يفترى عليه بالتقليل من شأن كراهيته للشر .

ب – نبرة طلب الانتقام :

تتراوح نبرة وروح طلب الانتقام قوة وضعفًا .. فأحيانا يقابل الكراهية بالكراهية والقسوة بالقسوة [لا يكن له باسط رحمة ولا يكن مترأف على يتاماه] مز ١٠٩ : ١٢ [يا بنت بابل المخربة طوبى لمن يجازيك جزاءك الذى جازيتنا ، طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة] ١٣٧ : ٨ و ٩ .

ومن العدل أن نقول إن هذه الكلمات المنتزعة من أولئك المتألمين عندما يرفعون شكواهم هى معيار لمقدار ما عانوا من جراء أعمال مضايقيهم – هذه الأعمال التى كانت الرد الوحشى على المحبة (بدل محبتى يخاصموننى) مز ١٠٩ : ٤ – والمقابل المشين للضعف الذى يستحق الشفقة : (مز ١٣٧) والقول إنهم بلا عذر قول غير كاف كما أنه صحيح .

وهنا يجدر بنا أن نلاحظ أن للهجاء مفرداته اللغوية الخاصة حيث تتكاثر ألفاظ الرعب لكى تعبِّر بالأكثر عن مشاعر الغضب فى صدر المتكلم أكثر مما تعبِّر حرفيًا عن العقوبات المطلوبة – وهذا ما يمكن رؤيته فى كلمات اللعنة التى صبها إرميا بشدة على الرجل الذى زف لأبيه نبأ ميلاده بدلا من أن ينعى إليه نبأ وفاته فى بطن أمه (إرميا ٢٠ : ١٥ – ١٧) .. ومثل هذه الكلمات المتطرفة تحمل طابع عدم المسئولية التى تستوجب الانتقاد ، ومع ذلك فمن الخطأ استبعادها فإن لها فائدة قيمة فى مثل هذه القرينة ، كما للإغراق فى الوصف من وظيفة هى إضفاء حيوية الاتصال الذى لا يمكن الوصول إليه فى حالة المفردات اللغوية الحذرة .

وهذا يأتى بنا إلى قلب الموضوع ألا وهو الدور الفريد للمزامير بين أسفار الكتاب المقدس ، الذى يلمسنا ويثيرنا بدلا من أن يخاطبنا فقط . فالمقطوعات التى قد تغرينا على انتقادها، لها عفوية وفورية الصرخة لكى تثير فينا بعض

الشعور باليأس الذى سبب هذه الكلمات .. وهذا نوع غير مباشر من الإعلان لكنه أكثر صدقا من معظم الأنواع الأخرى فبغيره لن نشعر بالضيق أقل وفى نفس الوقت سيكون فهمنا أقل للمناطق المظلمة فى الأرض . (لأن مظلمات الأرض امتلأت من مساكن الظلم) مز ٧٤ : ٢٠ .. وهذه قسوة يمكن أن تصل بالناس الأمناء إلى حافة الانهيار .

ويمكن أن نتمادى أكثر فى المقارنة مع إرميا فنقول إن صرخاته ليست مقدمة إلينا عبثا ، فإنها فى سياق حياته تأتى كمرحلة من مراحل نضاله لكى تنسجم مع دعوته .. هذا النضال الذى أعطاه عمقًا ومنحنا نحن استنارة ، وبتفصيل أكثر فإن إجابات الله عليه يمتزج فيها التوبيخ بالتشجيع (مثلا إرميا ١٢ : ٥ ، ١٥ : ١٩) ونفس الأمر حدث مع أيوب : أنه « يظلم القضاء بكلام بلا معرفة » — أيوب ٣٨ : ٢ ، ٤٢ : ٧ .

وبالاختصار فإن الله يقرأ الرسالة كلها ولا يكتفى بما يقوله الإنسان بل يقرأ الإنسان نفسه وحالته — كما لم يستطع معزو أيوب أن يفعلوا — إنه أقل تأثرا بالصدمات منا — أو على الأصح إنه يتأثر بأشياء مختلفة حيث أنه ينظر إلى القلب ، كما أنه (فى كل ضيقنا تضايق) .

ويعلمنا كل من إرميا وأيوب أن نتناول السؤال وإجابته معًا — السطح والأعماق كإعلانات موحى بها غير قابلة للانفصال عن بعضها . لكن علينا أن نراعى عدم الإصرار على إجاباتنا الشخصية .. فإن الله وبخ إرميا فى (١٢ : ٥) عندما طالب بالعقاب إلا أن العقاب حل فعلا .. فى (إرميا ١١ : ٢٠ — ٢٣ ، ١٢ : ٧ وما بعده) وإن كنا قد لا نوافق عليه .. وبالمثل فإن بعض الطلبات التى جاءت فى المزامير استجيبت أحيانا بكيفية تدعو إلى دهشتنا وهذا يقودنا إلى :

جـ — استخدام العهد الجديد لطلب الانتقام :

عندما قرأ مخلصنا — فى بداية خدمته — ما جاء فى إش ٦١ : ١ و ٢ — لم يقرأ الجملة الأخيرة التى تقول (وبيوم انتقام لإلهنا) لو ٤ : ١٨ — ٢٠ — والربط بين هذا وبين تعليمه القائل (مجازاة الشر بالخير) يمكن أن يوحى بنبذه لمفهوم الدينونة كلية ، لكن سرعان ما يتضح أن الأمر ليس بمثل هذه البساطة ..

لقد جاء بالخلاص ، إلا أن مجرد اقتراب هذا الخلاص يقرب الدينونة أيضًا .. فالكرامون الأردياء – فى المثل – قد أوقفوا عند حدهم ، وانتهى الأمر بقرار رهيب عندما واجهوا رب البيت .. كذلك فإن سكان مدن الجليل الصغيرة الذين رفضوا المسيح سيكون مصيرهم أردأ من مصير سدوم .

والتناقض الظاهرى هنا له سنده فى مزامير اللعنات حيث يصرخ كُتَّاب المزامير – فى لهفتهم على تحقيق العدالة ، إلى الله طالبين سرعة تنفيذها ، بينما يظهر الإنجيل بالعكس التلهف على الخلاص إلا أنه يكشف لنا أعماقًا جديدة وأبعادًا سحيقة للدينونة التى تقترن به (لا عذر لك أيها الإنسان) .

وفى اقتباسات العهد الجديد من المزامير فى هذا الموضوع تأتى الأصداء أحيانا أقل حدة من مصدرها الأصلى وأحيانا أكثر حدة ولكنها لم تأت قط من مجرد حقد شخصى .. وكأمثلة لذلك : فإن عقاب الله وقضيب الحديد المسيانى الواضح جدًا فى (مز ٢) واضح أيضا فى سفر الرؤيا [رؤ ٦ : ١٦ – غضب الخروف – و رؤ ٢ : ٢٧ و ١٢ : ٥ و ١٩ : ١٥ عن قضيب من حديد] وإن (يوم رجزه) مز ١١٠ : ٥ تجد صداه فى رو ٢ : ٥ .. والغضب على الذين لا يعرفون الله (مز ٧٩ : ٦) يتأكد فى ٢ تس ١ : ٨ حيث يتم تفسير الإساءة بأنها – رفض الاعتراف به وليس مجرد الجهل .

وكثيرا ما يتوقف الاقتباس فى العهد الجديد قبل إعلان العقاب الوارد فى المزامير المقتبس منها ، لكن ذلك يكون عادة بسبب المناسبة وليس لأى تحفظ فى التعليم .. مثلا فى يوحنا ١٠ : ٣٤ نجد أن موضوع الحديث انتهى بالكلمات : (أنا قلت إنكم آلهة) ولا فائدة ترجى من تكملة الاقتباس : لكنكم (مثل الناس تموتون) مز ٨٢ : ٧ وهذا ينطبق أيضا على ما جاء فى ١ بط ٣ : ١٢ المقتبس من المزامير حيث ذكر نصف الآية الواردة فى مز ٣٤ : ١٦ فقط . ومرة أخرى فى (رو ٣ : ١٩) تجيء عبارة (لكى يستد كل فم) فى نهاية الموضوع الذى تم مناقشته خلال الأصحاحات السابقة،لذلك فقد توقف ولم يستكمل باقى الآية المقتبسة من مز ٦٣ : ١١ .. ومن جهة أخرى فإن الصمت ذو دلالة فى يوحنا ١٣ : ١٨ حيث يقتبس الرب له المجد من مزمور ٤١ : ٩ عن (آكل خبزى رفع على عقبه) (يو ١٣ : ١٨) لكنه لا يصلى كما صلى سلفه داود بل طلب أن تُعطَى له الفرصة للخلاص لأن عنده شيء أفضل ليقدمه له .

على أنه فى نفس الوقت هناك عقوبة فى العهد الجديد أقسى من تلك الظاهرة فى المزامير ، لأن مصير الإنسان كله قد أصبح معلنًا وواضحًا ، وهذا يتبين من مقارنة ما جاء فى (مز ٦ : ٨) بما جاء فى (متى ٧ : ٢٣) حيث جاءت كلمات داود « ابعدوا عنى يا جميع فاعلى الإثم » كصيحة ليستريح من أعدائه أما المسيح فقد قالها كحكم بالموت على أعدائه .. والمبدأ فى الحالتين واحد (إن الكذب والحق لا يعيشان معًا) فإنه « خارجا .. كل من يحب ويصنع كذبًا » رؤ ٢٢ : ١٥ – وقارن أيضا (مز ٥ : ٦) فعندما يطرد داود أعداءه ويبعدهم عنه شيء ، وعندما يطردهم المسيح إلى الظلمة الخارجية التى هى العذاب الأبدى – شيء آخر مختلف تمامًا .

إذًا فإن العهد الجديد لا يقلل قط من دور الدينونة بل يزيد من خطورته فى نفس الوقت الذى يحوله فيه من أمر شخصى إلى نتيجة طبيعية لحياة الإنسان الظالم .. وهذا واضح تماماً من استخدام العهد الجديد لاثنين من أكثر المزامير طلبا للانتقام (مز ٦٩ ومز ١٠٩) الذى اعتبر كل منهما كنبوة عن حكم الله على الخطية .. ويقتبس بطرس الرسول (فى أعمال ١ : ٢٠) ما جاء فى مز (٦٩ : ٢٥) و (١٠٩ : ٨) عن يهوذا – كما اقتبس المسيح ذلك فى (متى ٢٣ : ٣٧ و ٣٨) فى مرثاته على أورشليم التى لم تكن تحمل غير معنى الحزن عليها .. وهذا ما نلاحظه فى شفقة بولس على شعبه حسب الجسد (رو ١١ : ٩) وكما يقول أيضا فى (رو ٩ : ٢ و ٣) عندما يراهم كورثة للدينونة والمصير الوارد فى (مز ٦٩ : ٢٢) إلا أنه يرى أن دينونتهم يمكن أن تتحول إذا هم تابوا ورجعوا ، كما يتمنى لهم .. وهنا نكتسب نظرة جديدة لتلك اللعنة أنه رغم مظهرها الذى يوحى بالحقد والكراهية ، فيمكن أخذها على أنها (شرطية) كما توحى بذلك أيضًا رسالات الأنبياء فى العهد القديم (انظر إرميا ١٨ : ٧ – ١٠ ويونان ٣ : ٤ و ١٠) فإن ثقل الدينونة كان على الأثيم القاسى القلب ، ولكن إذا تاب وندم تصبح (لعنة بلا سبب) كما يقول الحكيم فى أمثال ٢٦ : ٢ – (لا تأتى) .

د – مناسبة (طلب الانتقام) لنا اليوم :

كتمهيد لهذا السؤال هناك عاملان آخران فى العهد الجديد يجب أخذهما فى الاعتبار باختصار .. **الأول** هو صرخة المختارين فى طلب الإنصاف .. وهذا

الطلب يقبله الرب فى (لوقا ١٨ : ٧ و ٨) والذى نجد صداه فى صرخة الشهداء فى رؤ ٦ : ١٠ (حتى متى أيها القدوس والحق لا تقضى وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض ؟) .. ويبدو أن المقصود فى كلتا الحالتين أنه طلب انتقام للدم البرىء الذى يصرخ كدم هابيل (من الأرض) – تك ٤ : ١٠ – وقارن أيضا متى ٢٣ : ٢٥ وعب ١٢ : ٢٤ وسفر العدد ٣٥ : ٣٣ – ولسنا نظن أن الشهداء يطلبون الانتقام لأنفسهم بل الحقيقة أن مثال اسطفانوس جُعل قدوة لخلفائه من الشهداء – كما فعل سيده لأجله – منهيًا بذلك تقليد (الاحتجاج الساخط) (انظر ٢ أى ٢٤ : ٢٢ وإرميا ١٨ : ٢٣) .. لكن صلاة اسطفانوس من أجل أعدائه لن تستجاب إلا إذا تابوا – كما حدث مع شاول الطرسوسى – وبدون ذلك سيظل هذا الدم مطلوبًا من أيديهم وعلى رؤوسهم ، بل إن دم المسيح الكفارى نفسه (رغم أنه يتكلم أفضل من دم هابيل) يصبح دينونة على أولئك الذين يرفضونه (عب ١٠ : ٢٦ – ٣١ و ١٢ : ٢٤ ومتى ٢٣ : ٣٧) .

والعامل الثانى هو (المساوى للعنة) كما يبدو أحيانا فى العهد الجديد ، وقد فتح الرب هذا الطريق بأعماله وأقواله النبوية بالحكم على غير المثمرين من بنى إسرائيل (مر ١١ : ١٤ و ١٢ : ٩) وعلى الكنيسة غير الأمينة (رؤ ٢ : ٣) وفى زمن الرسل لو أن موت حنانيا وسفيرة لم يكن عقابا طلب بطرس توقيعه عليهما ، لكن الحكم بالعمى المؤقت ضد (عليم الساحر) كان عقابا وكذلك كان مصير الزانى الكورنثى الذى سُلِّم للشيطان .. (١ كو ٥ : ٥) والجزاء الذى سيحل على (اسكندر النحاس) ٢ تى ٤ : ١٤ يشابه ما جاء فى مز ٦٢ : ١٢ – (فيما عدا الصلاة الواردة فى عدد ١٦) .. والعامل المشترك فى كل هذه الحالات هو الاهتمام بمصلحة الملكوت أو مصلحة المسىء نفسه (بما فيهم اسكندر النحاس نفسه طالما وجدت فرصة أو رجاء فى التوبة . (تى ١ : ٢٠) .

إن الاهتمامات الشخصية لطالبى الدينونة تخلو من الشدة التى تبدو فى سفر المزامير ، كما أن قلة الصلوات أو النبوات التى تستمطر اللعنة وخلوها من المرارة هى برهان كافٍ على الروح الجديد الذى دخل ، لكن وجود بعض هذه الصلوات فى نفس الوقت فى العهد الجديد يعزز تواصله مع العهد القديم .

ونختتم كلامنا بالقول إنه ليس من حقنا أن نرفض تعاليم المزامير أو نتجاهلها حيث كان جزءًا من وظيفتها فى خطة الله أن تظهر بوضوح الصيحة القائلة (كل دم زكى سفك على الأرض) كما قال رب المجد فى متى ٢٣ : ٣٥ – كما أنه ليس مصرحًا لنا أن نسير على نهج من كتبوا تلك المزامير فالصليب يقف فاصلا بين زمانهم وزماننا .. ونحن رسل مصالحة .. واليوم هو يوم البشارة .. والرد الموجز على السؤال : « هل يستطيع المسيحى أن يستخدم صرخات طلب الانتقام لنفسه ؟ هو : لا .. طالما أنه لا يستطيع أن يردد صدى لعنات إرميا أو احتجاجات أيوب .. نعم يمكنه أن يترجم هذه الصرخات إلى توكيد قضاء الله وعدالته وإلى شجب (أجناد الشر الروحية) أفسس ٦ : ١٢ الذين هم أعداؤنا الحقيقيون . أما فيما يتعلق بالبشر من دم ولحم الذين يعيشون كأعداء لصليب المسيح أو الذين يعادوننا فإن التعليمات بشأنهم هى أن نصلى من أجلهم وليس ضدهم ، وأن نخوهم من سلطان إبليس إلى الله وأن نقابل شرهم بالإحسان ، ولا نسير فى طريقهم . وقد قال أحدهم (إنهم كأناس يحتاجون للخلاص ويجب أن نحبهم ونبحث عنهم ، وكأشخاص أساؤوا إلينا يجب أن نسامحهم ، أما كأشخاص نتبعهم أو نشجعهم ، فيجب أن نمتنع عن ذلك كلية ، تمامًا كما نرفض رئاساتهم والقوات التى تتخفى خلفهم « فى هذا تتكلم المزامير والعهد الجديد بنفس المعنى » .

فلو أن هذه الفقرات فى المزامير فتحت أعيننا على أعماق وصحارى الشر الحقيقية وإلى مخاطر استخدام أسلحتها ، فإنها بذلك تكون قد أدت مهمتها .. وليس عيبا أن نقول إن كلمتهم ليست هى الفيصل والختام وأن هناك الكثير مما يجب عمله أولا .. وهذا العمل وتلك الكلمة الأخيرة هى للمسيح ، ونحن ورثتها .

٦ – عناوين المزامير وتعبيراتها الفنية

أ – أصالتها وقدمها :

إن الملاحظات المطبوعة فى بعض الترجمات بأحرف صغيرة . (وبعض الترجمات تتجاهلها) فى أغلب عناوين المزامير هى جزء من النص القانونى العبرى للكتاب المقدس (وهى بخلاف الملاحظات الهامشية فى النص الماسوريتى)

وتدخل فى ترقيم آيات المزامير نفسها . وعليه فقد اختلف ترقيم آيات المزامير فى الترجمات المتعددة عن ترقيمها فى النص العبرى ولا يتعامل كتّاب العهد الجديد مع هذه العناوين باعتبارها جزءًا من الوحى فحسب بل إنهم - متمثلين بربنا يسوع - يبدون استعدادهم لأن يبنوا على بعضها - حججهم لإثبات أصالتها (انظر مر ١٢ : ٣٥ - ٣٧ وأعمال ٢ : ٢٩ وما بعده و ١٣ : ٣٥ - ٣٧) ولا حاجة بنا لأن نتوغل أكثر من ذلك للبحث عن أصالتها إلا أن هناك بعض الانتقادات التى وجهت إليها سنتناولها فى الجزء (ب) فيما بعد .

أما فيما يتعلق بقدم هذه العناوين فهناك حقيقتان أساسيتان تبرزان من العبارات التى تستخدمها :

١ - أنها إضافات قام بها المحرر مستخدما ضمير الغائب فى كل تعليق (مثلا - « حين هرب من وجه أبشالوم ابنه » (مز ٣) ومن ثم تعتبر أحدث من المزامير نفسها .

٢ - ربما كانت هذه العناوين قديمة جدًا لدرجة أنها فقدت معانيها بالنسبة ليهود القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد وهم الذين قاموا بترجمة المزامير إلى اللغة اليونانية (الترجمة السبعينية) وهذا يعطى فسحة من الزمن تمتد إلى عدة قرون ، وهى نفس الفترة التى استغرقها إعداد باقى أسفار العهد القديم ..

وهناك ملاحظات مشابهة على مزامير أخرى خارج سفر المزامير (مثلا ٢ صم ٢٢ : ١) مقارنا بما فى عنوان مزمور ١٨ - وإش ٣٨ : ٩ و ٢١ و ٢٢ وحبقوق ٣ : ١ و ١٩ ب . وهذان المثالان الأخيران يثيران السؤال عما إذا كان بعض ما جاء فى عناوين مزامير معينة يمكن فى الحقيقة ألا يكون عناوين بل ملاحظات ختامية .. وسنناقش هذا فيما بعد تحت عنوان (ملاحظات على العبادة) .

ب - ملاحظات عن كُتَّاب السفر :

- **داود** : تحمل ٧٣ مزمورا (حوالى نصف السفر) عنوانا يقول (لداود) ومن هنا أصبح اسم السفر كله ببساطة (مزامير داود) عب ٤ : ٧ . وبينما يعنى حرف الجر (ل) فى العبرية معانى عديدة (قارن الملحوظة التى تقول - لإمام المغنين أو عنوان المزمورين ٧٢ و١٢٧ - مزمور لسليمان).

فليس من شك أنها فى هذه القرينة وشبيهتها – لها معنى (المضاف إليه) بالنسبة لاسم المؤلف أو الكاتب .. ويتضح هذا بصفة خاصة فى عنوان مزمور ١٨ الذى يستطرد فيقول (... الذى كلم الرب بكلام هذا النشيد .. إلخ .. فقال :) .. ويتضح هذا أيضًا من العهد الجديد الذى يرى فى هذه العبارة (داود التاريخى) الذى قال عنه بطرس فى (أعمال ٢ : ٢٩) (وقبره عندنا حتى هذا اليوم) .. وكمقياس صحيح يحتفظ العهد القديم بقصائد شعرية أخرى لداود (انظر مرثاته لشاول ويوناثان فى ٢ صم ١ : ١ – ١٧ – وكلماته الأخيرة فى ٢ صم ٢٣ : ١ – ٧) وقد عرف باسم [مرنم إسرائيل الحلو] ٢ صم ٢٣ : ١ وعرف كمخترع لبعض الأدوات الموسيقية (عاموس ٦ : ٥) .

وقد تحدى الكثيرون فكرة أن داود هو كاتب هذه المزامير التى تحمل اسمه مستندين إلى معاذير كثيرة أشهرها الفكرة التى تقول إنه بينما يمكن القول أن داود كان شاعرًا فعلا إلا أننا لا نستطيع أن نحدد أى المزامير قد كتب. وقد حاول بعض قدامى النقاد أن يحسموا هذا الأمر على أساس (فنى جمالى) بالحكم على بعض المزامير المعينة بأنها لا تتناسب مع موهبته الشعرية مثل [مزمور مرثاة شاول (الوارد فى مز ١٨ و ٢ صم ٢٢)] إذا كان هو كاتبه .. وابتدع آخرون مقياسًا (لاهوتيا) بالقول (هل كان يمكن تخيل ما جاء فى مز ١٣٩ فى زمن داود ؟) أو مقياسًا (روحيا) بالقول : (هل كان فى استطاعة المحارب الخشن أن يكون مؤمنا ومحبًا بهذا الشكل) أو مقياسًا (تاريخيا) بالقول : (حتى داود ، هل كانت له مثل هذه الخبرة الواسعة المتعددة الجوانب ؟) .. وماذا عن الإشارات إلى الهيكل الذى لم يكن قد تم بناؤه بعد (انظر مز ٥ : ٧) أو مقياسًا (لغويا) بالقول (ألا يحتوى مز ١٣٩ على الكثير من التعبيرات الأرامية بالنسبة لرجل من يهوذا ؟) بل إنهم ابتكروا مقياسًا من نصوص الكتاب نفسه قائلين : (ألا تشير نسبة المزامير من ٩٣ – ٩٩ وسبعة أخرى إلى داود فى الترجمة السبعينية بالإضافة إلى ما نسبته النسخة الماسوريتية ، ألا تشير كل هذه إلى تصرف المحرر بكثير من الحرية ؟) .

ونحن نرى أن بعض هذه الاعتراضات والانتقادات ضعيفة وبسيطة ولا تستطيع

أن تنفى كتابة داود للمزامير وإن كان لا يزال هناك بعض الأسئلة بدون إجابة :*

إلا أن الدراسات الحديثة للمزامير على نهج (جنكل - مونيكل) قد تجاوزت هذه التفاصيل بإصرارها على النظر إلى المزامير من الوجهة الطقسية بدلا من الوجهة الشخصية أو التاريخية .. وفى معرض الإجابة عن السؤال : ما هو الموقف المتكرر الذى صيغ المزمور لمواجهته - تميل تلك المدرسة النقدية إلى الرد - مع مونيكل - بالقول إن المزامير المعنونة (لداود) كانت قد صيغت لاستخدام الملك الداودى بوصفه الممثل والمجسِّد لشعب إسرائيل الذى يتكلم عنه بالقول (أنا) غالبا فى المزامير - ولذلك فإن هذا الرأى يقول إن محررى السفر قد اعتقدوا أن داود هو الكاتب وبالتالى أضافوا الملاحظات الخاصة بسيرته والتى تقدم بعض المزامير .. وسيجىء بحث هذا الموضوع فى القسم السابع .

سليمان : كتب مزمورى ٧٢ و ١٢٧ - انظر التعليق .

بنو قورح : نسب إليهم (١٢) مزمور (٤٢ - ٤٩ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٧ و ٨٨) .. وهم من سبط لاوى من نسل القائد الذى ثار على موسى فمات هو لكن أولاده نجوا - (عدد ٢٦ : ١٠ و ١١) وقد صار جزء من هذه العشيرة حراسًا وبوابين للهيكل (١ أى ٩ : ١٧ وما بعده - قارن مز ٨٤ : ١٠) وأصبح جزء آخر منهم عازفين ومرنمين فى جوقة ترنيم الهيكل التى أسسها داود بواسطة (هيمان) الذى قاد زملاءه من اللاويين : آساف ويدوتون - أو ايتان - الفرق المكونة من العشيرتين الأخرتين فى ذلك السبط (١أى ٦ : ٣١ و ٣٣ و ٣٩ و٤٤) .

آساف : يُعزى إليه ١٢ مزمورًا وهى : (٥٠ ، ٧٣ - ٨٣) .. وعلاقة

---

* وقد يشكِّل مز ١٣٩ أصعب هذه المشكلات ليس بسبب أفكاره اللاهوتية التى لا يمكن تحديد تاريخها بل بلمساته المختلفة ذات اللغة الإقليمية التى تتفق مع لغة أهل الشمال أكثر من لغة أهل الجنوب الذين منهم داود - ويمكن أن يرجع ذلك إلى تواجده أولا فى مشارف الحدود الإسرائيلية (فهل كتبها داود أثناء الحروب ؟) وتم إدماجه فى المجموعة الأساسية متأخرا أثناء عملية جمع المزامير - كما يوحى وجوده فى الجزء الخامس من السفر - وفى دراستنا عن بنيان السفر تبين أن هناك اختلافات فى لغات المتعبدين وقد ترك ذلك أثره على لغة المزامير .

آساف بزملائه موضحة أعلاه .. كما يمكن الرجوع إلى (١ أى ١٦ : ٥ و٢ أى ٢٩ : ٣٠) .. وفى عناوين المزامير نجد اسمه يعبر عن فريق الترنيم الخاص به فى بعض الحالات على الأقل مثل المراثى الواردة فى مز ٧٤ و ٧٩ والتى تحكى عن المآسى التى لم يشهدها أى معاصر لداود .

هيمان الأزراحي : كتب مزمور ٨٨ – وهو مؤسس جوقة الترنيم المعروفة باسم (بنى قورح) كما سبق الإشارة .. وكان مشهورًا بحكمته (١ مل ٤ : ٣١) – والأزراحى هى المرادف لكلمة (الزراحى) وينتمى إلى عشيرة من سبط يهوذا (١ أى ٢ : ٦) ورغم أن هيمان كان أيضا لاويا ذا صلات بسبط أفرايم (١ أى ٦ : ٣٣ مقارنا مع ١ صم ١ : ١) فإن هذه الروابط ، التى يحتمل أن تكون عن طريق التبنى – بين لاوى والأسباط الأخرى – إذا كان هيمان المذكور فى (١ أى ٢ : ٦) هو نفسه المؤسس القورحى ، كما نجد مثيل لذلك فى (القضاة ١٧ : ٧) .

إيثان الأزراحي : مزمور ٨٩ – والأغلب أن إيثان هو نفسه (يدوثون) الذى أسس واحدة من الجوقات الثلاث (قارن أى ١٥ : ١٩ و ٢ أى ٥ : ١٢) وقد اشترك إيثان مع هيمان فى الاشتهار بالحكمة وعضوية نفس العشيرة من يهوذا – والمزامير ٣٩ و ٦٢ و ٧٧ تحمل فى عناوينها اسم يدوثون .. انظر التعليق على الأول منها .

موسى : كتب مزمور ٩٠ – وإن كان قليل من المعلقين من يقبل هذا الرأى على علاته إلا أن هناك أقلية تنكر الصفات الملكية غير العادية التى يمكن إبرازها لتأييد هذا الرأى .. ويحتج (مونيكل) ضد نسبة المزمور إلى موسى على أساس المنظر العام للمزمور حيث يجده إنعزاليا جدا وبلا طموح بحيث لا يمكن أن يخرج من وسط شعب بدائى فتى خرج للغزو .. ويعزو آخرون ذلك إلى طول آيته الافتتاحية التى تدل على تاريخ وطنى طويل ، ويشعرون بإتجاه (إشعياء ٤٠) فى مقارنته الحياة البشرية بالعشب .. وفى الدعوى بأن وقت العقاب قد طال بما فيه الكفاية ... وهذه الحجج سلاح ذو حدين إذ أن المزمور يمكن أن يكون قد أثر فى النبوة تماما كما يحتمل أن تكون النبوة قد أثرت فى المزمور .. كما أن الذاكرة الطويلة ليست ذاكرة بنى إسرائيل بل ذاكرة الإنسان (الكاتب) نفسه .. لأن المزمور يتحدث أساسًا عن الإنسانية فى حوارها مع الله .. ويرى بعض المعلقين – كعلامات إيجابية – أن المزمور

يحمل فى طياته أصداء واضحة للجزء الأول من سفر التكوين ، فى الخليقة والسقوط ، وفى الإشارة الواضحة إلى معمرى عصر ما قبل الطوفان (وهى إشارات غير شائعة فى أسفار العهد القديم) وأيضا لأن للمزمور صلات لغوية مع انشودة البركة الموسوية (تثنية ٣٢ و ٣٣) واكتئاب المزاج الذى يتناسب تماما مع ظروف جيل محكوم عليه فى البرية ... وحتى الانعزالية الواضحة فى المزمور لها نظائرها فى سفر التثنية حيث نجد فى دخول الشعب لأرض الموعد بدون موسى تعزية قليلة له « تثنية ٣ : ٢٣ وما بعدها) .

ج : تعبيرات فنية :

أثبتت الشروحات والتعليقات المتعددة لهذه التعبيرات أننا لا نستطيع أن نعرف معناها على وجه اليقين .

(١) **تعجب واعتراض** : (سلاه) : تتكرر هذه الكلمة ٧١ مرة فى المزامير [وثلاث مرات أخرى فى سفر (حبقوق ص ٣)] وأغلبها فى الأجزاء ١ - ٣ من سفر المزامير. ويحتمل أن تكون علامة تعنى لحنًا إضافيًا يعزف بين أجزاء مقطوعة موسيقية أو قد تعنى طلب تغيير الآلات الموسيقية المستخدمة ، ويظن عادة أنها مشتقة من أصل يعنى (رفع) أى رفع الأصوات (قارن مز ٦٨ : ٤) أو الآلات .. لكن الكلمة الأخرى التى يعتقد أنها مشتقة منها تعنى بالآرامية (انحنى) .. وهناك احتمالات أخرى* وهى أن الحروف تتضمن معنى (إلى الأبد) لتوضع فى مكان ما من المزمور (وأحيانا لا تكون لها مناسبة) أو أن الحروف المكونة لكلمة (سلاه) اختصار لقصيدة شعرية تشير إما إلى (تغيير الأصوات) أو (ابتدىء من الأول) .. ويظل المعنى الأول هو الأرجح .

ضرب الأوتار : تجىء هذه العبارة فى مز ٩ : ١٦ قبل كلمة (سلاه) كملحوظة منفصلة .. إلا أنها موجودة فى مز ٩٢ : ٣ فى وسط الجُمل .. والمقصود التفكير أو التأمل .. انظر مز ٢ : ١ وبالتالى فهى تعنى - فى حالة استخدامها كتوجيه موسيقى - (الآلات الأهدأ) إلا أن (إيردمانس) يتمسك بأنها لم تكن تعنى آلة موسيقية على الإطلاق بل كانت تشير إلى إعادة

* يقتبس (ب . د . ايرد مانس) فى أحد مؤلفاته من الوصف الوارد فى (المشنا) لنظام الذبيحة اليومية حيث ينفخ النفير بين كل فقرة وأخرى من المزمور ، فينبطح الجمهور عند سماعه على الأرض .

تسميع النص الكتابي مصحوبًا بموسيقى أو بدونها ... ومن المستحسن اعتبار التعبير يعنى (التفكير الهادىء) أو (الموسيقى الهادئة) .

(٢) **تصنيف المزامير :**

مزمور وأغنية : ويمكن التمييز بينهما بسهولة لكن الأغلب أن المزمور يستلزم أن يكون الترنيم بمصاحبة موسيقى . وقد يكون المزمور قطعة موسيقية مخصصة لمناسبة معينة .. بينما تطلق كلمة (أغنية) على قصيدة عامة قد تكون غير دينية ولا تصاحبها الموسيقى بالضرورة .. فإذا جاءت الكلمتان معا فى مقدمة مزمور ما فإنهما تعنيان قصيدة لداود أو آساف ، صارت شائعة لكثرة استعمالها .

شجوية : مزمور ٧ و (حبقوق ٣ : ١) – على الشجوية – تبدو أنها مشتقة من فعل يعنى (يخطىء) أو (يضل) لكن أيًا من الموضعين لا يعبر عن التوبة .. ولذلك فإن (كيركباتريك) نسبها إلى الشكل الشعرى باعتباره شعرًا صوفيًا . ويلفت (ايردمانس) النظر إلى الأفعال فى اللغة العربية والأشورية التى تعطى معنى (إثارة الشجن) .

مذهبة : (مزامير ١٦ ، ٥٦ – ٦٠ وكلها لداود) وهذا العنوان غامض ، وترجمتها بعض النسخ (مزمور ذهبى) لأن الكلمة العبرية ترتبط بمعنى – الذهب – وهناك اشتقاق أقوى وهو من فعل أصله مشترك مع فعل أكادى يعنى (يغطى) . ويستنتج (مونيكل) من هذه الكلمة معنى (الكفارة) .. لكن هذه المزامير تتعلق بالشعور بعدم الأمن أكثر مما تتعلق بالخطية والتكفير عنها .. ويقترح (إيردمأنس) اقتراحا جذابا وهو أنه فى ضوء المواقف الخطرة المذكورة فى عناوين المزامير فإن التغطية هنا هى للشفاه بمعنى الحديث سرًا ، وعلى ذلك يمكن ترجمة العنوان (صلاة سرية) لأن داود لم يكن يستطيع أن ينطق بصلاته فى أى من تلك المناسبات كالمعتاد .

قصيدة : عنوان لثلاثة عشر مزمورًا يقع أغلبها فى الجزأين الثانى والثالث من السفر ، وهى مزامير ٣٢ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٤٢ . والكلمة العبرية تصريف لفعل يعنى (يعطى الحكمة أو التعقل) أو (يمتلك المهارة والمقدرة على النجاح) . وتترجمها السبعينية (مزمور فهم) حيث توجد إشارات واضحة للحكمة الموهوبة (مثلا مز ٣٢ : ٨ ، ٧٨ : ١) وبعض هذه المزامير تعليمية .. ومن الجهة

الأخرى هناك مزامير أخرى مرشحة لمثل هذا العنوان لم تذكر [مثلا مز (١) ، (٣٧) .. إلخ ..] ومن المعانى الأخرى للفعل معنى (مزمور مؤثر) أو (مزمور بارع) والأول من هذين المعنيين يتضمن أنه كان جزءًا من طقس لطلب المعونة فى مشروع معين ، والثانى منهما يعنى أن المزمور كان نموذجا للكتابة الرفيعة أو أنه مصاحب لموسيقى متقنة .. ومرة أخرى نقول إننا حتى الآن لا نعرف الإجابة .

صلاة : (خمسة مزامير) **تسبحة** : (مز ١٤٥) ويمكن استخدام صيغة الجمع (صلوات وتسابيح) كعناوين لمجموعات كبيرة من المزامير (انظر التعليق على مز ٧٢ : ٢٠) .

(٣) ملاحظات خاصة بطقوس العبادة : هناك نموذج مستقل لمثل هذه الملاحظات والتوجيهات خارج سفر المزامير – كما فى (حبقوق ٣ : ١٩ ب) وحيث أن الملحوظة فى هذه الحالة جاءت بعد كتابة المزمور ، فقد احتج البعض أن سفر المزامير ومحتواه يمكن أن يكون أصلا بهذه الصورة (أى أنه بخلاف اسم كاتب المزمور وبيان نوعيته إن كان تسبحة أو مزمور أو .. إلخ) فإن الملاحظات الطقسية الواردة بالعنوان يمكن أن ترجع الإشارة إلى المزمور السابق مباشرة .. وكأمثلة مؤيدة لهذا انظر ما يأتى بعد تحت عنوان : (على السوسن) أو (على الحمامة البكماء) وكذلك مقدمات مزامير ٣٠ ، ٨٨ ، وفى المقابل انظر المكتوب تحت عنوان (على ايلة الصبح) ومز ١٤٨ : ١٤ .

وعموما فإن الدليل على اختلاف الأوضاع أثناء التحرير أمر غير حاسم على الإطلاق وهو لذلك لا يؤدى إلى تغيير الأوضاع القائمة للمقدمات حاليًا ، لكن إذا حدث – فى حالات استثنائية – أن كتب مزمور فى الأصل بطريقة (حبقوق ٣ : ١٩) فيمكن افتراض أن خاتمته قد أضيفت إلى مقدمة المزمور التالى له بحكم العادة .

وإذا التفتنا إلى معنى العبارات فإن النظرة العامة المرجحة هى أن بعض العبارات الغامضة تكون عبارة عن أسماء النغمات أو الأنماط الموسيقية الواجب استخدامها ممثلة فى الكلمات الافتتاحية أو الكلمات المميزة لأغنية معروفة وقد يبدو هذا نمطًا حديثًا غريبًا لدرجة تبعث على الشك .. ويمكن أن تكون مجرد فكرة عارضة .. ومع ذلك فإننا نجد ملاحظات لحنية بذاتها ومختلفة جدا عن

بعضها موغلة فى القدم حتى عصر أفلاطون (القرن الرابع قبل الميلاد) ويمكن تمييز بعضها ليس فقط فى الموسيقى التعبدية المسيحية بل فى طرق الصلاة اليهودية فى القرون الوسطى مما يعتبر تطورًا مستقلا عما كان شائعا فى موسيقى الشرق الأدنى القديمة .

كذلك نجد فى المزامير أسماء بعض الآلات الموسيقية مثل الناى والمزمار كما أن هناك إشارات فى العهد القديم إلى أغانى كانت شائعة مثل أغانى قطف العنب .. (وفى مقدمة مز ٤٣ .. على لا تهلك) .. وهناك مقارنة ذات شأن عقدها (كليمنت السكندرى) عام ٢٠٠ م بين طريقة غناء المزامير العبرية وبين غناء المآدب الأغريقية – على أنه يمكن أحيانا اعتبار هذه العبارات كمؤشرات لبعض عناصر موضوع المزمور أو لطريقة استخدامه ، ويجب النظر إلى كل عبارة حسب دليلها الخاص بها .

لإمام المغنين : وردت فى ٥٥ مزمورًا وفى حبقوق ٣ : ١٩ وهى فى أصلها العبرى تعنى (يتفوق) ومن ثم (يشرف على) وتقترح الترجمة العادية – وهى معقولة كغيرها – أن عددا من المزامير جُمع – لرئيس الجوقة – من مصادر منفصلة وجوقات متعددة ، وقد يكون ذلك لاستخدامها فى مناسبات خاصة وربما كان ذلك كمرحلة من مراحل تجميع سفر المزامير كله بالكامل .

على أن الترجمات القديمة المتعددة اختلفت فى الترجمة فربطتها الترجمة السبعينية بالكلمة العبرية التى تعنى (دائما) – فقالت (إلى الأبد) أو (انتصار) (مثل جيروم) أو « تمجيد » (الترجوم) ولا نهاية للمقترحات الحديثة .. وانتهى (مونيكل) إلى فكرة أن مزمورًا ما (يتعرض للرحمة الإلهية) كما أن (ديليكات) يقترح أنها قد تكون أصلا استجابة (آمين) تحدد نهاية المزمور .. إلا أنها فسرت فيما بعد خطأ على أنها إشارة إلى (الشخص العظيم الذى كتب المزمور) وبالتالى إلى داود أو آساف .. إلخ ..

أما (ايردمانس) فيقول إن الكلمة تشير إلى (ملاحظ فرق العمال) الذى كان يوجه العمل على نغمات موسيقى ذات ايقاع والذى كانت براعته مسجلة لكى يحافظ على انتظام خطوات حاملى التابوت .. واختصارًا لجميع هذه النظريات والافتراضات نقول إن الترجمة العادية ليس فيها ما نخشاه .

على القرار : (مزامير ٦ ، ١٢) وهذا التعبير نفسه جاء فى (١ أى ١٥ : ٢١) ويقابله التعبير (على الجواب) كما فى (مز ٤٦ و ١ أى ١٥ : ٢٠) والفقرة الواردة فى أخبار الأيام فى وصف إحضار التابوت إلى أورشليم تحكى عن [ثمانية لاويين يعزفون على الرباب على (الجواب) وستة بالقيثارات على (القرار) للإمامة] .. والكلمة العبرية (a lamôt) المترجمة (على الجواب) تعنى (بنات) والأخرى (S^e minît) المترجمة (على القرار) تعنى (الثامن) وهذه الكلمة غامضة جدا بالنسبة لنا .. هل تعنى الوتر الثامن ؟ أو الجزء الثامن المتوج للعمل الطقسى ؟ .. لكن المفهوم الغالب هو أن القرار يعنى المرتفع الصوت (الصوت السوبرانو) . أما الجواب فيعنى الصوت (التنور أو الباس) لكن ليس لدينا دليل على أن درجات الصوت هذه كانت معروفة فى (السلم الموسيقى) . من المعروف أن هذه التقسيمات تنسب تقليديا إلى (فيثاغورس) الذى عاش فى زمن لاحق .

على الجتّية : (مزامير ٨ ، ٨١ ، ٨٤) وهذه الصفة المؤنثة مشتقة من كلمة (جت) وتعنى (معصرة الخمر) وهى أيضا اسم مدينة فلسطينية .. ومن ثم فإن التخمينات الثلاثة الرئيسية هى أن هذا التعبير يرتبط بعملية قطف العنب (الذى يوافق عيد المظال) أو يرتبط برحلة التابوت من بيت الجتّى إلى أورشليم (٢ صم ٦ : ١١) أو بآلة موسيقية أو لحن استمد اسمه من مدينة (جت) .

على موت الابن : (مز ٩) والتعبير العبرى يعنى تماما هذا المعنى .. لكن النص الوارد فى (بن أشير) وغيره من النصوص القديمة تقرأ التعبير على أنه كلمة واحدة ذات شقين (مثل الكلمتين الأخيرتين من مز ٨٤ – نرجو الرجوع إلى التعليق عليها (فيما بعد) .. وقد أخذت الترجمة السبعينية هذه الكلمة المزدوجة على أنها تعنى (أسرار الابن) .. أما (أكيلا) فقد جعلها (شباب الابن) وقد اقترح الكثيرون أنها ينبغى أن تقرأ (حسب الجواب) أى أنها [تعنى بأصوات ثلاثة أولاد] أما (ديليكات) فقد حوّر المعنى بحيث تقرأ الجملة (بثلاثية مستديمة) .. وهناك مقترحات كثيرة لكن لم يتأكد شىء منها .

ويقول البعض إنه اسم لحن معروف أو إشارة إلى طقس الموت والقيامة .. أو كما يقول (ثيرتل) : أغنية قيلت عند موت جليات (الذى سُمى فى ١ صم

١٧ : ٤ - جليات من جت) والأرجح أن المعنى الأول هو الصحيح .

على أيلة الصبح : (مز ٢٢) قد يكون هذا التعبير هو اسم لحن .. لكن التفسير الأفضل هو المبنى على أنه (لمحة عن الموضوع) ويترجم (عند اقبال الصباح) كما يقول « ايردمانس » .. وبذلك يشير عنوان المزمور إلى الخلاص الذى سيضيء ختام المزمور (يأتون ويخبرون ببره شعبا سيولد بأنه قد فعل) .

على السوسن (مز ٤٥ ، ٦٩)
على السوسن شهادة مذهبة للتعليم (مز ٦٠)
على السوسن شهادة (مز ٨٠)

الاسمين (سوسن) و (شهادة) تربط عناوين هذه المزامير معًا .. باعتبار أنها اسم لحن يشير إلى زهر السوسن يربط (مز ٤٥) (مزمور الزفاف) مع نشيد الأنشاد (٢ : ١) لكنِ باقى هذه المزامير أعلاه لها نغمة كئيبة .. وقد غيرت الترجمة السبعينية من منطوق الكلمة العبرية لتصبح (الذين يتغيرون) بدلا من (السوسن) ويتفق (ديليكات) مع هذا اتفاقا مبدئيًا إلا أنه يفسرها بالقول (أولئك الذين تتغير ظروفهم للأسوأ) وبالنسبة لمزمور ٤٥ فإنه يقول إن العنوان يشير إلى المزمور ٤٤ - ويمكن أن تسمح الحروف العبرية المتحركة بهذا المعنى فى ثلاث من الحالات الأربع بعاليه - لكن مز (٦٠) وحده هو الذى يبعث على الشك فى هذا المعنى . وبالرغم من ذلك فإن اقتراح (ديليكات) يمضى قدما نحو ربط عناوين المزامير بمحتواها والترجمة السبعينية تؤيد الوضع بطريقة غير مباشرة .

أما كلمة (شهادة) فيمكن أن تشير فى (مز ٦٠) إلى وحى استجابة الرب فى الأعداد ٦ - ٨ ولكن هذا لا ينطبق على (مز ٨٠) وعلى أى حال فإن (البرايت) أشار إلى هذه الكلمة كمرادف لكلمة (العهد) وكلا المزمورين يجعل لهذه العلاقة الوثيقة ما يؤكدها وما ينكرها .

على العود : (مز ٥٣ ، ٨٨) يمكن أن يكون هذا اسم لحن أو آلة موسيقية ، وتأتى مرتين كاسم مؤنث تام (تك ٢٨ : ٩ و ٢ أى ١١ : ١٨) (محلة) وهى أيضا تكاد تتطابق مع كلمة تحمل معنى المرض ، مما يجعلها مناسبة لمزمور ٨٨ وإن كانت لا تناسب مز ٥٣ إلا إذا كانت المناسبة هى

(وبأ) أرسل كدينونة على المرتدين .. ويضيف مز ٨٨ معنى (يُذل) أو (يُحزن) .

على الحمامة البكماء : (مز ٥٦) ترجمت مرة على أساس أنها اسم لحن .. لكن الإشارة فى المزمور السابق إلى حمامة (مز ٥٥ : ٦ و ٧) والهروب بعيدًا – يصعُب أن تؤخذ على أنها مصادفة ، كما تثير سؤالا عما إذا كانت مثل هذه العبارات فى عناوين المزامير يجب أن تقرأ على أنها تذييل للمزامير السابقة – ما لم تكن هذه فى الحقيقة طريقة لوصف اسم لحن بجملة مأخوذة من ترنيمة أو أغنية معروفة .. وعندها تصبح توجيهًا لترنيم (مزمور ٥٦) على نغمة (مز ٥٥) .

ولزيادة التعقيد فسرت الترجمة السبعينية الكلمة العبرية (’êlêm) على أنها (آلهة) فى حين أن الترجمة الماسوريتية قرأتها على أنها (سكوت) (’èlem) .. وقد قبل (مونيكل) قراءة الترجمة السبعينية إلا أنه يخمن (تقديم الحمامة كذبيحة فى طقس يمكن أن يرتبط بكبش الفداء وطقوس تطهير الأبرص) .. لكن ليس هناك أساس آمن للتسليم بهذا المعنى .

على لا تهلك : (مزامير ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٧٥)

من المرجح أن يكون هذا اسم لحن (قارن إش ٦٥ : ٨) حيث ترد العبارة على أنها (قول شائع) [ربما أخذ من إحدى أغنيات قطف العنب] . واستعيرت لتصبح كلمة تأكيد من الرب .. ومع ذلك لاحظ أيضا تعليمات داود بخصوص شاول فى (١ صم ٢٦ : ٩) – لا تهلكه – وكذلك صلاة موسى فى (تثنية ٩ : ٢٦) لا تهلك شعبك – وهذه الكلمات يمكن أن تتناغم مع الفكر الوارد فى إشعياء ٦٥ : ٨ ومع نغمة الثقة المطلقة الموجودة فى هذه المزامير .

ترنيمة المصاعد : (المزامير من ١٢٠ إلى ١٣٤) تقول (المشنا) إن خمس عشرة درجة تقود صاعدة من ساحة النساء إلى الدار الخارجية توازى ترانيم المصاعد الخمس عشرة وقد اعتاد اللاويون أن يرنموا هذه المزامير لكن كما يشير (س . س . كيت) فإنه ليس هناك سجل ما يفيد أنهم كانوا يرنمون نفس هذه المزامير وإن كان الكثيرون قد عزوا ذلك .. والأرجح أن يكون العنوان يشير إلى (الحج إلى أورشليم) أو إلى مواكب الصعود إلى جبل الرب (إش ٣٠ : ٢٩) .

٧ – أحداث حياة داود فى عناوين المزامير

هناك أربعة عشر مزمورا ترتبط عناوينها بأحداث فى حياة داود وهى (٣ ، ٧ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ١٤٢) والتعليق يستكشف بعض المعانى المتضمنة فى القرينة المرتبطة بكل مزمور ، لكننا هنا نبدأ بالسؤال الأساسى وهو ما إذا كانت هذه الارتباطات أصلية أو مصطنعة .

والمصاعب التى واجهت المفسرين بخصوص هذه الإشارات المتعلقة بسيرة حياة داود منها ما هو عام ومنها ما هو خاص .. وعموما فإننا قد نجد من الصعب أن نفهم كيف يمكن أن يكتب داود رائعته ، (مز ٣٤) وهو فى حالة (بين الحياة والموت) كما يمكن أحيانا أن نلاحظ أن الأفكار الواردة فى المزامير كثيرا ما تسبق المواقف المحددة بالعنوان – وللرد على هذين التساؤلين يمكن أن نكتفى بالقول إننا لسنا بإزاء موهبة عادية كما لا ننسى الوحى الإلهى .. وهما عاملان وثيقا الصلة بالموضوع . لكن بما أن الله لا يعطى المعجزات اعتباطًا ، فقد تظل الحقيقة أن نواة هذا المزمور – فى صورة عبارة خلاَّقة صغيرة أو سلسلة من اللقطات قد ثبتت فى ذهن داود أثناء الأزمة نفسها ، وظلت إلى أن نمت عندما استعاد الحوادث وعاشها مرة أخرى فيما بعد .. كما أن هناك نقط أخرى من التدرج فى الآيتين الأخيرتين من (مز ٥١) .. عندما تطابق اختبار داود مع اختبار إسرائيل نفسه ، وأصبحت صلاته وتمجيده مطعّمة فى صلاتهم وهو تجاوب يمنح لمستخدمى هذا المزمور درسًا موضوعيا .

وبالعودة إلى الاعتراضات الخاصة نجد أنها مرتبطة غالبا بفكرة رفض نسبة كتابة المزامير إلى داود التى سبق أن درسناها إلا أن هناك أيضا انتقادات قديمة بخصوص الملاحظات المتعلقة بسيرته الشخصية نفسها .. ومثال ذلك انتقاد (س . ر . درايفر) فى كتابه (مقدمة فى آداب العهد القديم) – وتعليقات هذا المؤلف موضوعية إلى حد كبير .. فهو يعتقد مثلا أن مز ٣٤ غير مناسب – بصورة واضحة – للموقف الخاص بهروب داود من ملك جت . إلا أن هذا الانتقاد فيه نقطة ضعف وهى أنه يكتفى بالقول : « إن هذا المزمور ليس هو المزمور الذى أكتبه أنا لو كنت فى مكانه » .. وللرد على هذا يمكن

للقارىء أن يقول : « هذا صحيح .. لكن أليس هذا هو سبب بقاء هذا المزمور حيًا حتى الآن ؟ » .

ولا يقل عن هذا تحكُّمًا – النقد الموجّه إلى عنوان (مز ٥٢) حيث يرفض درايفر الاعتراف بأن دواغ كان (رجلاً قويًا وغنياً ومضطهداً للصديقين) كما يصوره المزمور – كما يرفض التسليم باخلاص وتقوى داود الواضحة فى ختام المزمور.وهنا أيضا يمكن للتعليق أن يجلو بعض التفاصيل الغامضة ويشرح إيمان داود .. لكننا هنا يمكن أن نشير إلى أن دواغ – الذى كان رئيس رعاة الملك شاول – وقد نال رضاه عندما قتل الكهنة .. وقد أحسن المزمور تصويره .. وأكثر من ذلك فإن المزمور يتخطى الأشخاص بالنظر إلى أنماط الحياة التى يمثلونها .

وباقى أمثلة انتقادات (درايفر) كلها غير حاسمة .. وهو لم يخدم قضيته عندما أراد أن يثبت عدم وجود أى رابطة بين (مز ١١) و (ثورة أبشالوم) – وهو الأمر الذى يستطيع أى قارىء مدقق أن يجد أنه لم يذكر فى المزمور أو حتى يشار إليه فى عنوانه .

ومن بين العلماء الأحدث نرى (مونيكل) يستبعد الملاحظات التاريخية لكن الأمثلة التى يوردها لتعزيز رأيه غير مناسبة بطريقة عجيبة إذ تتكون معظمها من مجرد تأكيدات وشروحات موضع شك .. فمثلا يؤكد أن (مز ١٨) مرتبط عمليا بمعركة عظيمة محددة وليس بكل معارك حياته كما جاء فى عنوان المزمور ، لكنه لا يقدم أى دليل على ذلك .

ومرة أخرى يقرأ (مونيكل) ما جاء فى مز ١٨ : ٥٠ (ب) [الصانع رحمة لمسيحه لداود ونسله إلى الأبد] على أنه (بصراحة) لا يتكلم عن الملك داود نفسه بل عن واحد من خلفائه ، وهو تفسير لا يتفق مع الوعد المحورى لداود بسلالة حاكمه تدوم إلى الأبد (٢ صم ٧ : ١٦) كما لا يتفق مع الحقيقة النحوية التى تقول إن الأفعال الواردة فى (مز ١٨ : ٥٠) كلها مصادر لا تشير إلى تاريخ محدد .

أما عن (دواغ) فيجد (مونيكل) خطأً فى عنوان (مز ٥٢) الذى يقول [عندما جاء دواغ الأدومى وأخبر شاول] فى حين كان ينبغى أن يقول (عندما سمع داود أن دواغ جاء إلى شاول) .. كما أنه يرى تناقضًا بين شكوى

كاتب المزمور من (لسان دواغ المتكلم بالكذب) وبين الصدق الموضوعى الذى تكلم به دواغ - متجاهلاً القرينة المهلكة ، حين تطوع دواغ بمعلوماته ، وهى بالذات إتهام شاول لداود أنه خائن يحتمى بسكوت الشعب (١ صم ٢٢ : ٨ و ٩) .. والصعوبة الوحيدة ذات القيمة التى يقيمها مونيكل على مزمور (٥٢) هى الإشارة إلى (بيت الله) .. وهذا مردود عليه فى التعليق على (مز ٥ : ٧) .

وهناك طريقة أخرى أجدر بالاهتمام تبناها (ب . س . تشايلدز) تظهر أن الروابط بين العناوين والمزامير ذات قيمة تتجاوز ما يمكن أن يسمح به (مونيكل) رغم أنه يعطى أسبابًا لاعتبار* هذه الإضافات التحريرية « ظاهرة تنتمى إلى فترة متأخرة جدا بعد السبى » وأنها نتاج دراسة علمية وخشوعية للأسفار المقدسة أكثر منها نتاجًا لتقاليد تاريخية .. فإذا كان الأمر كذلك فإنها تعتبر (مدراش) أى بحثا إلا أنه ليس من نوع المناورات الخيالية فى الأسفار المقدسة التى أصبحت تلك الكلمة (مدراش) تعنى فى اليهودية المتأخرة .. بل هى « جزء من تقليد الكتاب المقدس نفسه ويجب أن ينظر إليها بجدية على هذا الأساس » .

ولا يدّعى (تشايلدز) أن لاستنتاجاته أكثر من درجة عالية من الاحتمال .. وعليه فهو يعاملها كمجرد فرضية .. ويشير إلى أنها تترك مشاكل معينة بدون حل - إلا أن مقالته - بإظهارها بالتفصيل أن الملاحظات السردية فى العناوين لها علاقة منطقية بمحتويات المزامير - أعطت أثرًا جانبيًا يتمثل فى هدم الاعتراض الأساسى على النظر إليها كتقليد تاريخى أصيل .

ويرى كاتب هذا التعليق أن هذه الفرضية تعتبر أبسط الفروض* خاصة وأنه لا يمكن استنزال كل بند من بنود المعلومات من النصوص ، فليس هناك من سبب ظاهر يدعو - مثلا - إلى التعريف بشخص مجهول مثل (كوش البنيامينى) فى عنوان المزمور (٧) ما لم يكن قد حدث حادث معين جاء ذكره فى المزمور .

* إن الدليل المأخوذ من المزمور ١٥١ المضاف للترجمة السبعينية ، والترجوم والبشيتا - على أن الملاحظات الخاصة بسيرة الكاتب استمرت اضافتها إلى المزامير فى الأزمنة المتأخرة . لا تثبت أى شىء بخصوص العناوين القانونية التى يمكن أن تكون نماذج محترمة من هذه المحاكاة خاصة إذا كانت ذات تاريخ قديم معروف .

ولكن ، طالما أنه ليس لدينا معرفة مباشرة بالطريقة التى وجدت بها تلك التعليقات ، فيمكن أن يترك أمرها معلقا ، وما إذا كان بعضها نتاج مقارنة الأسفار المقدسة ببعضها ، والبعض الآخر من نتاج سجلات تاريخية ، فإن المهم هو صدقها الذى لا يوجد سبب للشك فيه ، والذى يجد تعزيزًا من الضوء الذى تلقيه على المزامير التى تحمل هذه العناوين .

تفســـير
الكتــاب الأول
(مــز ١ - ٤١)

المزمــور الأول

(الطـريقـان)

ربما كتب هذا المزمور خصيصًا ليكون تقديمًا لسفر المزامير ككل .. نعم إنه يقف هنا كحارس أمين للباب لمواجهة أولئك الذين يفترض وجودهم (فى جماعة الأبرار) – عدد (٥) – بالاختيار الأساسى الوحيد الذى يجعل العبادة حقيقية ، وبالحق الإلهى الذى يجب أن يصوغ العبارة (عدد ٢) وبالحكم النهائى الذى يكمن وراءه .

وتعيد نبرة المزمور وموضوعاته إلى الأذهان كتابات الحكمة ، وخاصة سفر الأمثال ، باهتمامه بالأصدقاء الذين يصادقهم الإنسان والطريقين اللذين يضعهما أمامه (قارن أمثال ٢ : ١٢ وما بعده و ٢٠ وما بعده) .

والنماذج الأخلاقية خصوصا جماعة (المستهزئين) – ولاحظ أيضا التصوير المستمد من الطبيعة والاهتمام بالنهاية المنطقية للعملية .. لكن الحكمة التى يوصى بها متأصلة فى الناموس (عدد ٢) – وأقرب شبيه للمزمور موجود فى أحد أسفار الأنبياء (إرميا ١٧ : ٥ – ٨) وهذا هو الانسجام التام بين مختلف الأصوات التى جاءت فى العهد القديم .

الأعداد ١ – ٣ : طريق الحياة :

وكلمة طوبى تعنى سعيد أو مبارك – وهكذا كانت صيحة ملكة سبأ فى (١ مل ١٠ : ٨) وتسمع هذه الصيحة ٢٦ مرة فى سفر المزامير – ويمضى هذا المزمور ليوضح أن الأساس هو الاختيار الواعى ، وقد استخدم المسيح فى الموعظة على الجبل المقابل اليونانى لهذه الكلمة ، ويمضى قدما فى شرحها بأكثر توسع (مشورة) و (طريق) و (مجلس) تجذب الانتباه إلى مجالات التفكير ، والسلوك ، والانتماء التى يجب أن يختار منها الإنسان اختياره الأساسى للجهة التى يعطيها ولاءه ... وهذا يتعزز بطريقة حاسمة فى صيغة الأفعال فى اللغة العبرية . (الفعل التام) .. ويكون من التجاوز أن نقرأ فى هذه الأفعال إحتمالاً معينًا من عملية البطء الظاهرى المتدرج من (السير) إلى (الجلوس)

طالما أن الرحلة من بدايتها تسير فى الاتجاه الخاطىء .. إلا أنه من المؤكد أن الجُمل الثلاث تُظهر ثلاثة وجوه بل وثلاث درجات للبعد عن الله وذلك بتصويرها نقطة الالتقاء بهذا العالم على ثلاث مستويات مختلفة : قبول مشورته ، المشى فى طريقه ، واختيار أخطر اتجاهاته – لأنه حتى إذا لم يكن (المستهزئون) هم أشر الخطاة فإنهم بالتأكيد أبعدهم عن التوبة والندم (أم ٣ : ٣٤) .

العدد (٢) : أفسحت السلبيات الثلاث الطريق لما هو إيجابى .. وهذا هو عملها الأصلى وقيمتها الكامنة فى تحديد الاختيار .. (وحتى فى جنة عدن أعطى الله شيئا سلبيا لكى يعطى للإنسان ميزة الاختيار الحاسم) وكان العقل هو أول معقل للدفاع فى العدد الأول ، وقد اعتبر المفتاح لشخصية الرجل .. و (ناموس الرب) وضع فى مقابل (مشورة الأشرار) الذى يعتبر الرد النهائى المطلق .. وقد اكتفى المزمور بأن توسع فى هذا الموضوع متضمنا أن أى شىء يشكّل فكر الإنسان إنما هو فى الحقيقة يشكل حياته كلها . وهذا يتضح بشكل ملائم فى المزمور التالى حيث تأتى كلمة (تفكر) (٢ : ١) والمقصود بها تآمر لكنها نفس الكلمة للتأمل .. وشتان الفرق بين التآمر والتأمل وما ينتج عن كل منهما .. وفى آيتنا هذه نجد الصدى المتعمد للتكليف الموجّه إلى يشوع الذى يذكرنا بأن الدعوة للتفكير الجاد فى مشيئة الله ليست للناسك المتعبد فقد بل إنه سر التوصل إلى أى شىء ذى قيمة (قارن « ينجح » هنا بما جاء فى يشوع ١ : ٨) .

و (الناموس) يعنى أساسًا التوجيه أو التعليم ، ويمكن أن ينسب إلى وصية واحدة ، كما يمكن أن يمتد معناه ليشمل – كما هو الحال هنا – الأسفار المقدسة كلها .

العدد (٣) : بهذه الصورة الجذابة التى تكوّن مع (عدد ٤) مركز المزمور – وأشهر مقاطعه – قارن إرميا ١٧ : ٥ – ٨ ... وعبارة (تعطى ثمرها فى أوانه) تعزز (التميز) و (النمو الهادىء) للمحصول ، لأن الشجرة ليست مجرد قناة تنقل الماء بدون أى تغيير من مكان إلى آخر بل هى كيان

عضوى حى يمتص الماء لتنتج منه – فى الوقت المناسب – شيئًا جديدًا ومبهجًا يتناسب مع نوع الشجرة وموسمها . والاستثناء الموعود به (ورقها لا يذبل) لا يتأتى عن طريق الاستقلال عن تواتر فصول السنة (انظر مز ٣١ : ١٥) بل عن طريق التحرر من عوامل الفساد والجفاف (إرميا ١٧ : ٨ ب) .

الأعداد ٤ و ٥ : طريقة الإدانة :

يذهب التشبيه الوارد فى العدد (٤) إلى أبعد مما جاء فى المفارقة الواردة فى إرميا (١٧ : ٦) بين شجرة مثمرة وبين عرعر البادية .. تماما كما تتجاوز الإدانة الكوارث العادية إلى ما هو أفظع فهى تؤكد بكل وضوح ما هو الإنسان أكثر من توضيح ما يراه أو يشعر به (قارن إرميا ١٧ : ٦ / أ و ٨ ب) ومن ثم تأتى النهاية التى لا مفر منها .. و (العصافة) هى .. فى هذا الموضع . كل ما ينتهى إلى أن يصبح بلا جذور وبلا وزن (قارن قضاة ٩ : ٤ فى الشخص البطال الطائش) وبلا فائدة.والمنظر يشير إلى عملية تذرية القمح حيث يقذف إلى فوق لكى يطير التبن بعيدًا تاركًا الحبوب وحدها .

تشير مزامير أخرى إلى أن الأشرار – وليس الأبرار – هم الذين يظهر أنهم ذوى حيثية (مثلا خر ٣٧ : ٣٥ و ٣٦) لكن اليوم سوف يكشف الرجل (القش) تماما كما سيبين ويستعلن الأعمال التى كالقش (قارن ١ كو ٣ : ١٢ و ١٣) وتتطلع الآية (٥) إلى هذا .

العدد (٥) : ليس فى « النهاية » شىء اعتباطى .. ولاحظ المتناقضات التى لا يمكن تغييرها أو اختزالها فى هذا العدد ، الذى يبدأ بالقول (لذلك) ثم يستطرد ليستنبط مما جاء فى عدد (٤) اختيارهم العنيد . فهم أمام الديان لن يكون لهم موضع وبين الشعب ليس لهم مكان .. وهذين العنصرين من عناصر الإدانة – الانهيار والطرد – مصوران مرة أخرى بقوة فى إش ٢ : ١٠ – ٢١ .

العدد ٦ : افتراق الطرق :

(يعلم) تعنى أكثر من مجرد (أن عنده معلومات) كما فى مز ١٣٩ : ١ – ٦ . وهى تتضمن العناية كما فى مز ٣٣ : ٧ و (الملكية أو التوحد مع)

كما فى أمثال ٣ : ٦ ، وهو معنى الكلمة اعرفه .

و (يهلك) مستخدمة بمعانى كثيرة وهى هنا - مثلا - تمثل طريقًا أو مسلكًا لا يفضى إلى شيء سوى الدمار .. ومرات أخرى تشير إلى (آمال أو خطط تخيب وتفشل) (مثلا مز ١١٢ : ١٠ و أمثال ١١ : ٧) أو إلى (مخلوقات تُفقد) (مز ١١٩ : ١٧٦) أو إلى أشخاص أو منجزات تنتهى بالحزن (مز ٢ : ١٢ ، ٩ : ٦) ويلقى العهد الجديد الضوء على المضامين الأبدية التى يحتوى عليها هذا الحكم (يوحنا ٣ : ١٦) .

وعليه فإن الطريقين - اللذين لا ثالث لهما - يفترقان إلى الأبد .

المزمور الثانى

الرب ومسيحه

رغم عدم وجود عنوان لهذا المزمور فإنه ينُسب إلى داود كما جاء فى (أعمال ٤ : ٢٥) وقد وصف بأنه المزمور الثانى فى أعمال ١٣ : ٣٣ [وهناك قراءة بديلة تقول إنه المزمور الأول مما يعكس حقيقة أن بعض النسخ والمخطوطات العبرية تعامل المزمور الثانى على اعتبار أنه امتداد للمزمور الأول] وهناك الكثير من الاقتباسات من هذا المزمور فى العهد الجديد لدعاواه القوية لشخصية (مسيح الله) أو لرؤيته عن ملكوته العالى ... إذ لا يفوقه شيء فى مظاهر ابتهاجه الشديد بسلطان الله ووعده لملكه ... وفى حين يعتبر هذا المزمور مزمور تتويج فإنه يبدو – عند الدراسة المدققة – (أعداد ٧ – ٩) أنه يستعيد مناسبة أزمة سابقة فى زمن لاحق (مثل تلك الواردة فى ٢ صم ١٠) .. فإنه عند ارتقاء داود العرش لم تتمرد الرعية (عدد ٣) أما بالنسبة لسليمان فقد كان هناك الكثير من المتمردين بينما لم يواجه أى من خلفائه سوى القليل على أن الأمر كان يتطلب شخصا أعظم من داود أو سليمان يستحق كل غضب أولئك وتهديداتهم وكذلك نجد هذه الوعود .

اعداد ١ – ٣ : الملوك ضد الملك :

يقتحم المزمور الموضوع مباشرة .. والكلمة الافتتاحية (لماذا) تحمل نغمته التى تعبر عن الدهشة للرفض الذى لا معنى له لحكم الله ، وحاكمه ، وتقول بعض الترجمات (يتآمر) وهذه الكلمة تفقد معنى الثورة (ارتجت) الذى تظهره الترجمات الأخرى ، وفى الجزء الثانى من العدد نلاحظ أن كلمة (تآمر) ترجمت إلى (تفكر) فى العربية مثلا . وتفكر فى العدد (٢) – وهى تحمل معنى [تذمر الشخص فيما بينه وبين نفسه – أو بمعنى أسوأ – دمدمة] . وسرعان ما ينجلى عدم الرضى عن تصميم وقرار فى عدد (٣) فيما هو رد فعل أعمى بالنسبة لنير الله الخفيف و (ربط المحبة) – هوشع ١١ : ٤ – وفى أعمال ٤ : ٢٥ يرى الكاتب أن الجلجثة ممثلة هنا .. ودور الملوك والحكام يتحقق على التوالى بـ (هيرودس) و (بيلاطس) .. والأمم والشعوب (بصيغة الجمع كما فى المزمور) تمثلت فى (أمم وشعوب إسرائيل) متحدة كلها

ضد الرب و (مسيحه) .. وهذه الفقرة توضح حكم وسلطان الله التام (أعمال ٤ : ٢٨) وفى ١ كو ٢ : ٨ وما بعدها - يظهر بلادة ذهن الإنسان - ولابد أن يُظهر أى تآمر ضد السماء - فى وقته - هذا النموذج المزدوج .

الأعداد ٤ - ٦ الاستهزاء الإلهى :

يُظهر العهد الجديد غيظ الإنسان مرتبطًا بالفداء (كما هو موضح بعاليه) إلا أنه فى نفس الوقت (مدان) كما هو الحال هنا .. ويعود (استهزاء الرب) عدد ٤ - للظهور أساسًا فى تجهيل الحكماء (١ كو ١ : ٢٠) وفى انتصار السماء على المتكبرين (كولوسى ٢ : ١٥ ، رؤيا ١١ : ١٨ ، ١٨ : ٢٠) لكن يصبح واضحًا جدًا أن موضوع الضحك هو الاستهزاء نفسه وليس المعاناة التى ستسببها قبل أن تنتهى .

العدد ٦ : هذا العدد مع العدد (٧) يكونان معًا مركز المزمور والرد المنتظر للأعداد ١ - ٥ والمفسر فى الأعداد ٨ - ١٢ . وكلمة (إنى) توكيدية ، وككلمة إفتتاحية يستحسن ترجمتها (أما من جهتى) .. وبعد الأقوال الطنانة فى عدد (٣) نجد هذا الصوت الذى أهمله الناس والذى له الكلمة الأخيرة .. وكلمة (مسحت) أو (نصّبت) ترتبط بصفة خاصة بالقادة وتقليدهم مناصبهم .. فجاءت فى بعض الترجمات : (توجت) أو (عيّنت) .. (صهيون جبل قدسى) جاءت متأخرة فى المشهد الإسرائيلى تماما كالقول (ملكى) وكلاهما قد تأصّل بوعد الرب (٢ صم ٧ : ١٣ وما بعده) وستبين الآية التالية مدى اتساع نطاق هذا الوعد .

الأعداد ٧ - ٩ : القضاء الإلهى

الآن يتكلم (مسيح الرب) .. ويتوسع الحكم بضمان عهد التبنى المعطى لورثة داود فى ٢ صم ٧ : ١٤ (أنا أكون له أبا وهو يكون لى ابنا) وقد تكون هذه الكلمات قد قيلت كنبوة من أحد الأنبياء أو قرأها الملك فى طقس التتويج هكذا* (أنا سأخبر) .. كما أن كلمة (اليوم) فتحدد اللحظة

* لاحظ أهمية كلمة الرب التى قيلت فى المناسبات التالية : تث ١٧ : ١٨ ، ١ صم ١٠ : ٢٥ و ٢ ملوك ١١ : ١٢ .

التى يتولى فيها الملك الجديد رسميا ميراثه وألقابه .. وربط هذا الإعلان بالقيامة فى (أعمال ١٣ : ٣٣ ورومية ١ : ٤) يحمل معنيين ضد مثل هذه الخلفية . فإنه بالنسبة لأى ملك أرضى لا يمكن أن تحمل هذه الصيغة فى الخطاب أى تفسير .. لكن العهد الجديد يضعنا أمام قيمتها الكاملة التى تستبعد حتى الملائكة ، ولا تترك سوى مرشح واحد فى الموقع (عب ١ : ٥) .. وعند معمودية المسيح وعند التجلى أعلنه الآب (ابنا) و (عبدا) فى كلمات مأخوذة من هذه الآية ومن إش ٤٢ : ١ (انظر متى ٣ : ١٧ و ١٧ : ٥ و ٢ بط ١ : ١٧) .

العدد ٨ : إن إرسالية الرب التى أعطاها لتلاميذه بعد القيامة ركزت على (الأمم) و (إلى أقصى الأرض) مستمدة منطوقها من هذا الوعد الذى أُعطى للملك الجديد .. وقد استمرت قوة دفعها لمغامرات الإرساليات المسيحية فى كل زمان .. وقد تعزز نصيبها من هذه القوة باستخدام العهد الجديد لكلمات العدد التالى .

العدد ٩ : يقتبس سفر الرؤيا هذه الكلمات ثلاث مرات ، مرة فيما يتعلق بالمسيحى المنتصر (رؤ ٢ : ٢٧) ومرتين فيما يتعلق بربه (رؤيا ١٢ : ٥ ، ١٩ : ٥) .. وهذه الكلمات مأخوذة من الترجمة السبعينية للحروف العبرية الساكنة فتقرأ الفعل الأول (ترعى) . بدلا من (تحطم) وهذا يعنى مجالاً أوسع للوعد .. مصوّرًا أولاً نظامًا حديديًا . وثانيًا : الهزيمة النهائية للمفسد (قارن إرميا ١٩ : ١٠ و ١١) . إن الدور الحالى للمسيحيين فى إخضاع الأمم للمسيح يعبرٌ عنه على نحو رائع فى (٢ كو ١٠ : ٣ وما بعده) .. والقضيب له عمل (عصا) الراعى ى تصنيف القطيع (لاويين ٢٧ : ٣٢ وحزقيال ٢٠ : ٣٧) وعمل السلاح الذى يوجه ضد الناهبين (قارن مز ٢٣ : ٤) وعلى ذلك فقد أصبح رمزًا للحكومة (وترجمت : صولجان) فى تك ٤٩ : ١٠ .. ويبدو هذا المعنى أنسب بالنسبة لهذا الدور البنّاء .. فى قرينة مَلكَية أكثر من مناسبة معنى التحطيم الواضح فى الآية (الجزء الثانى منها) .

الأعداد ١٠ - ١٢ : استدعاء الملوك :

فى ضوء ما سبق ، أُعطيت للأمم المتمردة - الواردة فى مقدمة المزمور -

فرصتهم الأخيرة ورجاءهم الوحيد ألا وهو الخضوع .. إلا أن هذا مقدم فى صيغة دعوة وليس فى صيغة إنذار فإن النعمة تتخطى كل الحواجز فى النهاية .

العدد ١٠ : (تعقلوا) و (تأدبوا) هى كلمات مفضلة فى كتابات الحكمة .. وتواجدهما فى هذا المزمور الملوكى العظيم يجب أن يذكّرنا ألا نتمسك بهذه الأنماط الأدبية تمسكا صارمًا .. وبما أن (طرق الرب مستقيمة) - هوشع ١٤ : ٩ - فإن الكتاب المقدس لا يضع إسفينا يفصل بين السلطة والحقيقة أو بين الحكمة والطاعة .

العددين ١١ و ١٢ :

كانت الكلمات العبرية الأربع التى تربط بين الأعداد سبب مشاكل دائمة بالنسبة للمفسرين منذ القِدم ، إلا أن المعنى العام بسيط وواضح أنه نداء للخضوع ليهوه ومسيحه بقبلة الولاء .. (اهتفوا برعدة) يستحضر إلى الذهن مزيجًا مروعا - وإن يكن مناسبًا - من العواطف إزاء خدمة ملك عظيم كهذا (قارن مثلا حبقوق ٣ : ١٦ و ١٨) .. إلا أن اقتراح (داهود) بترجمته الكلمة العبرية (gîl) لتعنى (يعيش) بدلا من (يهتف) يمكن أن تقدم لنا ترجمة أسهل (عيشوا برعدة) بدون تغيير النص .. وبالعكس فإن القول (قبِّلوا قدميه) فى بعض الترجمات مبنى على التخمين المشكوك فيه أن التعبيرات العبرية هنا عن (الهتاف) و (الابن) هى نفسها الأجزاء المتناثرة من كلمة (على قدميه) بالعبرية .. وظهرت فى ترجمة أخرى (قبلوا القدير) وذلك على افتراض أن الكلمة العبرية (rab) بمعنى (قدير) قد كتبت خطأً (bar) بمعنى ابن - ولا تضيف الترجمة السبعينية أو الفولجاتا أى جديد بترجمتها (تمسك بالنظام) التى لا يمكن استخراج مقابلها من النص العبرى .

الابن .. هذه الكلمة أيضا تعتبر ترجمة مشكوك فيها حيث أن أداة التعريف ناقصة ولا يمكن كتابتها (قبلوا ابن) سواء فى العبرية أو العربية ... كما أن كلمة (bar) تعنى ابن فى اللغة الأرامية أما فى العبرية فهى تعنى (نقى) ويمكن أن تؤخذ هذه الكلمة أو مصدرها (نقاء) بصيغتها (حال أو ظرف) يمكن أن تحول الجملة إلى (قبلوا بإخلاص) أو (قدموا ولاءً صادقًا) . ويبدو أن هذا هو أحسن الحلول رغم أن كلمة (الابن) لا تبدو أنها ذكرت فى

الآية ، فإن الآيات ٧ وما بعدها قد استخدمت العنوان فعلا و لم تدع مجالا للشك فى المضمون .

وتقول إحدى الترجمات الإنجليزية (فى منتصف الطريق) و (فى لحظة يتقد غضبه) لتظهر خطورة التحذير .. والمقارنة الحقيقية هى مع المسيح الذى يتقد غضبه (وعاطفته الحنونة كذلك) ضد الأخطاء مما ترك معاصريه فى فصول .. والصورة النارية مطلوبة جنبا إلى جنب مع تلك التى تصف الواحد الذى قيل عنه (بطيء الغضب) تماما كما تتوازن صورة الضحك فى عدد (٤) مع الدموع فى إش ١٦ : ٩ مثلا أو ٦٣ : ٩ .. فإن طول أناة الرب ليست (برود أعصاب) كما أن غضبه المتقد ليس انفلات أعصاب .. ولا (ضحكه) قسوة أو (رحمته) نزعة عاطفية .. فعندما تأتى لحظة دينونته فى أى حالة من الحالات فلن تقبل التهدئة أو التأجيل .

والتطويبة الختامية (قارن مز ١ : ١) لا تدع مجالاً للشك فى النعمة التى توحى بالنداء الوارد فى الأعداد ١٠ و ١١ و ١٢ .. إن ما ينجم عن الخوف والكبرياء من قيود (عدد ٣) هى في حقيقة أمرها بركة .. فليس هناك مخبأ منه فملجأنا فيه فقط .

المزمور الثالث
ساعة الظلمة

هذا هو أول مزمور يحمل عنوانا – وهو واحد من ١٤ مزمور ترتبط جميعها بمواقف تاريخية فى حياة داود (المزامير ٣ ، ٧ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ١٤٢) وقد جاءت قصة هروب داود من أبشالوم فى ٢ صم ١٥ : ١٣م وما بعدها .

وبينما يذكرنا العنوان بحزن الملك الشخصى – (ابنه – قارن ٢ صم ١٨ : ٣٣) نجد أن المزمور نفسه يكشف الأسئلة الأكبر والأهم التى كانت تراوده وتشغله مثل تزايد موجة الغدر والخيانة (الأعداد ١ و ٦ وقارن ٢ صم ١٥ : ١٣) والشائعات التى تقول إن الرب قد فارقه (عدد ٢ و ٢ صم ١٥ : ٢٦) وموقف شعبه المشكوك فيه (عدد ٨) .. إلا أن هذا أيضا مزمور مسانٍ بالنسبة للمؤمن العادى ، الذى يستطيع أن يفكر مليًا فى أن متاعبه لا تساوى شيئا بالنسبة لمتاعب داود وأن توقعات داود لا تساوى شيئا إلى جانب توقعاته .

العدد ١ و ٢ : العداوة الإنسانية :

أن تكون فردًا فى أقلية هو فى ذاته اختبار للأعصاب ، ويزداد ذلك إذا كانت الأقلية تتناقص (انظر ٢ صم ١٥ : ١٢ و ١٣) والمعارضة تتزايد وتنشط (قائمون علىّ) وتتهم . فإن التركيز فى الجزء الثانى من العدد الأول موجه إلى داود أساسا وليس إلى الله .. إنها كالسهم الذى أصاب هدفه لكنه مفيد إذ أصاب ضمير داود فألقى بنفسه على رحمة الله (٢ صم ١٦ : ١١ و ١٢) بل وعلى أمانة الرب كما توضح الأعداد التالية من المزمور .. وبخصوص كلمة (سلاه) نرجو الرجوع إلى مقدمة السفر .

الأعداد ٣ و ٤ : الحماية الإلهية :

تتحول تعبيرات العدد ٣ إلى الإيجابية شيئا فشيئا . فتقدم من استعادة الثقة إلى الثقة المبتهجة . وهو يستخدم (حرف جر) قوى مع صيغة المتكلم.والقول (مجدى) تعبير يستحق التأمل ، فهو يشير إلى شرف خدمة مثل هذا السيد ،

وقد يكون إشارة أيضا إلى البهاء الذى يضفيه (قارن مز ٧٤ : ٥ و ٢كو ٣ : ١٣ و ١٨) . ومن المؤكد أن عدم الأهمية النسبية للاحترام الأرضى دائما متقلب وزائل .. ومعنى (رافع رأسى) أكثر وضوحاً فى ترجمة أخرى تقول (أنت ترفع رأسى عاليا) فى تقابل مجيد مع صورة الاكتئاب (بل أيضا التضرع والابتهال) فى ٢صم ١٥: ٣٠ (باكيًا ورأسه مغطى ويمشى حافيًا) ..

و (جبل قدس الله) عدد (٤) يتناسب من ناحيتين : كالمكان الذى نصّب فيه الله ملكه وداود نفسه (مع كل المواعيد الواردة فى (مز ٢ : ٦ وما بعده) والتابوت الذى يمثل عرشه الأرضى (٢ صم ٦ : ٢) كما يمثل عهوده .. وليست مراسيم أبشالوم هى التى ستصدر عن جبل صهيون بل مراسيم الله ، والحق أنها قد صدرت من هناك فعلا (وحرفيا : أنا أصرخ .. وهو يجيب) لكى تحدد مصير داود .. ونجد المقابل المسيحى لهذا الإيمان فى صلاة سفر الأعمال ٤ : ٢٣ وما بعده كما نجده فى لغة (عب ١٢ : ٢٢) .

الأعداد ٥ و ٦ : سلام العقل :

(أنا من جانبى) .. بدلا من (أنا) .. لكى تتجاوب مع (أنت) يا رب .. أنا اضطجعت ونمت — استيقظت ... هكذا صار متأكدا أن الله قد سمعه ، وهكذا حدث فعلا ، والعدد (٦) يبنى على أساس هذا التشجيع والكلمة العبرية المترجمة (ربوات) تذكرنا بالقول (كثيرون) فى العدد (١) و (٢) .. ورغم أن (المصطفين) حوله (عد ٦ ب) يزيد من التهديد إلا أنه يستطيع أن يواجه الأسوأ بثقة وإيمان .

الأعداد ٧ و ٨ : النصر والبركة :

إن الملجأ بالنسبة لداود .. المدعو لأن يكون ملكا — كما بالنسبة لنا نحن أيضا (انظر رؤ ٢٢ : ٥) غير كاف ، فإن الاستقرار بدون النصر هو فى الواقع العملى تنازل عن العرش ، ومن هنا جاءت العبارات فى الآية (٧) بلا تنازلات .. أما الآية (٨) فهى تصادق على الاتضاع الذى يكمن خلفها .. ذلك الاتضاع الذى يعلم أنه بدون الرب ليس هناك حل ولا نجاح .. وليس من يستحق هذا النجاح (٨ ب) .. (نحن لا نسأل انتصارات ليست منك) .. لذلك يختم المزمور بالتطلع إلى ما وراء (أنا) التى جاءت فى كل الأعداد السابقة .. (على شعبك) وليس (على شعبى) و (بركتك) التى تتجاوز الانتصار مثل تجاوز

الصحة والنجاح مجرد البقاء والحياة . وبدون ذلك ، حتى الشعب الذى استعاد اتحاده – سيفتقد نسمة الحياة التى بها يستطيع أن يبارك العالم .

المـزمـور الـرابـع

اطمئنوا واهدأوا

المساء هو مناسبة قراءة هذا المزمور ولكنه ليس الموضوع الرئيسى فيه بل هو يتعلق بالسلام الداخلى (عدد ٨) فى حالة محيِّرة ، فإن اقتراب الليل يجعل الإنسان يميل إلى التأمل فى الأخطاء السابقة (عدد ٤) والمهالك الحالية ويجعل داود أمام تحدى إعلان إيمانه ومطالبة الغير باتباعه بإلحاح كنوع من تسليم قضيته ونفسه أيضا إلى خالق أمين (أعداد ٣ و ٨) .

ويمكن أن تكون حادثة تمرد أبشالوم التى كانت السبب فى كتابة المزمور (٣) هى ضمن خلفيات هذا المزمور أيضا لأن داود هنا ذليل (العدد ٢ / أ) ومحاط بالأكاذيب (٢ / ب) والسخط (٤) والاكتئاب (عدد ٦) .. لكن مثل هذه المحن والتجارب يمكن أن تأتى نتيجة أسباب كثيرة ، وكما يستخدم مضمون المزمور فى العبادة الجمهورية يمكن أيضا أن يشير إلى حياة أى شخص فى العالم .

العدد (١) صلاة على أساس متين :

الكلمة العبرية المترجمة (فى الضيق) بما تدل عليه من كون الإنسان محصورا فى ركن ضيق ، أحسن التعبير عنها فى الترجمة العربية (فى الضيق رحبت لى) .. إن هذه الصلاة تستمد قوتها من اختبارات الماضى (مثلا تك ٤٨ : ١٥ و ١٦ وأمثلة أخرى كثيرة) - لكن عبارة (يا إله برى) تدعو أكثر إلى الثبات لأنها تلتجىء إلى شخص الله الذى يمسك بالعدالة والقول (بصيغة المتكلم) **برى** تلتجىء إلى (عهده) الذى بموجبه يرى الله على أنه المحامى عن اتباعه له .. ويمكن أن نرى ذلك فى (مز ٥ : ٤ - ٦) .. إذًا فعندما تكون الصيغة التى تخاطب بها الله ، أكثر من مجرد (رسميات) فهذا يزيد ثراء نفس المصلى ، ويزيد من توقعات نتائجها .

العددين ٢ و ٣ : رد على المتقلب :

يحتكم داود - المحاط بالشكوك - إلى المشاعر الطيبة عند الناس وحسن إدراكهم أولا (العدد ٢) لكنه فى النهاية لا يجد فى يدهم تبرئته التى يطلبها

ويتلهف عليها .. بل يجدها فى يد الله (عد ٣) .

عدد ٢ : يلقى كل من شطرى العدد ضوءًا على الشطر الآخر .. لأن (المذلة) الموجودة فى (٢ / أ) تنبع من ضلال الأكاذيب فى (٢ / ب) أى أن حق داود قد تعرض للهزء والاحتقار عن طريق وعود مضللة وافتراءات من أحد الأعداء (والله نفسه يعلم ما يمكن أن يعنى ذلك - قارن ملاخى ١ : ٦ وكذلك بولس فى غلاطية ٤ : ١٦ وما بعده) .

عدد ٣ : تقول إحدى الترجمات الإنجليزية ما معناه (لقد أرانى الرب محبته العجيبة) ورغم أن هذا يستند إلى الترجمة السبعينية فإنها تتضمن ثلاثة تغييرات ذات معنى فى النص العبرى وتتوافق مع هذا الموقف لأن اختيار الله لإنسان ما ليس فقط لوظيفة أو كتشريف بل لصحبة دائمة وشركة هو الجواب الأخير لمعظم الضغوط والمفشلات .

الأعداد ٤ و ٥ : رد على المتهورين :

إذا كانت مشاعر الولاء لدى البعض كثيرة التأرجح ، كما فى العدد (٢) فإن مشاعر البعض الآخر حادة جدًا وقراراتهم من وحى دوافعهم دائما . [قارن (ابنا الرعد) بوانرجس - فى لوقا ٩ : ٥٤ و ٥٥ - وأيضا مؤيدى داود فى ٢ صم ص ١ - ص ٤ وانظر رسالة يعقوب ١ : ١٩ و ٢٠] ويمكن أن يكون أى قرار منها - على المدى البعيد - مدمرًا (ارتعدوا) وقد ترجمت أيضا (اغضبوا) كما فى أفسس ٤ : ٢٦ ، وكما ترى الترجمة السبعينية فى هذه الآية أيضا حيث توضح أن ذلك لا ينبغى أن يكون غضبا خاطئا .. وإذ يقول داود : « تكلموا فى قلوبكم على مضاجعكم واسكتوا » أى فكروا فى قلوبكم على مضاجعكم معتصمين بالصمت فإن بولس يذهب أبعد من ذلك فيقول : (لا تغرب الشمس على غيظكم) .. والعدد (٥) ينظر إلى الله بكل اتضاع على أنه (الذى يبرئنا) .

الأعداد ٦ و ٧ : رد على المكتئب :

كان لكل مجموعة من أصدقاء داود طريقتها الخاصة فى زيادة مشاكله .. ورغم أن إحدى الترجمات قد زادت من قتامة الصورة بوضعها الصلاة الواردة

فى ٦ / ب فى صيغة تقرير فقالت : « لقد هرب النور »* إلا أن هذا المعنى يشير بحق إلى « الكثيرين » على أنهم دعاة هزيمة أو (انهزاميون) كأولئك المذكورين فى (مز ٣ : ٢) حيث تبدأ الآية بنفس الكلمات (كثيرون يقولون) .. وينبغى أن تنتهى كلماتهم بالفقرة الحزينة فى ٦ / أ - إذا كانت ٦ / ب هى صلاة - والصلاة لداود فبينما يتنهد اصدقاؤه طالبين أوقاتا أحسن يتوق هو إلى الله ويصلى له .. وكلا الاتجاهين موضحين فى الآية (٧) التى تعطى صورة رائعة للمفاضلة بين الفرح الداخلى والفرح الخارجى حيث يفيض الأول ويجرى فى اطراد من الله مباشرة وحتى من خلال المثبطات بينما نادرًا ما يأتى الثانى نتيجة مجموعة من الظروف السارة .

العدد ٨ : سلام على أساس متين :

التعبير « بل » لا يعنى أن الثانى بدل الأول بل يعنى حدوث الاثنين معا. وكما قال (جلينيو) : [وفى الحال يأتى النوم] .. وعن الكلمة الختامية فى المزمور (الطمأنينة) التى تشتق من الأصل (الثقة) نجد أحسن مرادف لها (غير خائف) - قارن أمثال ١ : ٣٣ .. هذه الطمأنينة المبنية على أساس متين هى حالة أفضل من مجرد الإحساس بالأمن .

* الشذوذ فى هجاء الفعل يعطى تأييدا للتغيير .. لكن الأمر يتطلب بعض البراعة للاحتفاظ بهذا التأييد كاملا .. ويبدو المفهوم التقليدى (لهذه العبارة - باشارتها إلى بركة هارون (العدد ٦ : ٢٦) - تبدو أسهل وأوضح .

المـزمـور الخـامــس

الفجـر المعتـم

نشعر بوجود الأعداء (وهو الظل دائم الوجود فى مزامير داود) هنا بصفة أساسية عن طريق تهديداتهم وكلامهم (عدد ٦ و ٩) .. وهذا مزمور صباحى (٣) فى خمس مقاطع شعرية ثلاثة منها موجهة مباشرة إلى الله - بالتبادل مع اثنتين تفضحان الأعداء وتشكوانهم إلى الله .. والمزمور كله يعبر عن روح الصرخة المرفوعة فى عدد (٢) [ملكى وإلهى] .

الأعداد ١ - ٣ مراقب الصبح :

الكلمة المترجمة صراخى جاءت بمعانى مختلفة فى الترجمات الإنجليزية مثل : « تنهدى وتأوهى - ودعائى .. » إنها محادثة للنفس لا تكاد تسمع لكنها تزداد وضوحًا حتى تتفجر فى صرخة لطلب النجدة (عدد ٢) ثم تتحول إلى صلاة ناطقة منظمة ومترقبة (٢ ب و ٣) .

عدد ٢ : يُعبَّر عن علاقة العهد هنا بتكرار ضمير المتكلم (دعائِي يا ملكِي وإلهِي) مما يعطى للصلاة أرضية صلبة . واستخدام كلمة (ملك) يضع (مُلك) داود فى قرينته الصحيحة ، فهو يوافق على أنه رجل تحت سلطان .. وليس رجلا يسعى لأغراضه الشخصية بإمكاناته الذاتية .

عدد ٣ : جاءت هذه الآية فى إحدى الترجمات (أعد لك ذبيحة وانتظر) .. ويقول التعليق إن كلمة (ذبيحة) هنا هى مجرد افتراض من المترجم وإن كان افتراضا صحيحًا .. والكلمة العبرية يعد (يرتب) يمكن استخدامها عند التعبير عن وضع ترتيبات لأى شيء فى وليمة مثلا (مز ٢٣ : ٥) (ترتب قدامى مائدة) أو إعداد قضية لعرضها أمام القضاء (مز ٥٠ : ٢١) (أصف خطاياك) ومن ثم يمكن أن تستخدم للتعبير عن عرض مطلب أمام الله أو الاستعداد الشخصى (اضع نفسى مستعدا أمامك) إلا أنها فى الغالب تعبير كهنوتى عن وضع النار على المذبح وترتيب أجزاء المحرقة (لاويين ١ : ٦ و ٧) والتشديد على (الصباح - أو الغداة) يمكن أن تكون إشارة إلى الذبيحة اليومية على أعتاب الله (عند باب خيمة الاجتماع حيث اجتمع

بكم لأكلمك هناك) خروج ٢٩ : ٤٢ .. ويبدو أن داود يرفع صلاته بهذا المعنى (كما فى مز ١٤١ : ٢) لتعبر عن التأكيد على التكفير والتسليم الكامل الذى يأتى به داود أمام الرب .. لكنه أيضا يأتى (راجيا) .. وقد استعملت كلمة (انتظر) عن أنبياء الله الواقفين فى مواقعهم ليعطوا تقريرًا عن أول علامات استجابته – قارن إش ٢١ : ٦ و ٨ – وميخا ٧ : ٧ و حبقوق ٢ : ١ .. وسيتكلم الله هناك – وليس فقط يستمع – تماما كما كان فى خيمة الاجتماع .

الأعداد ٤ – ٦ : ناصر الحق :

تأخذ الصلاة الآن شكل (طلب العدل) .. لاحظ التصعيد من السلبيات الخفيفة فى عدد (٤) إلى تعبيرات الغضب الإلهى فى (٥ / ب و٦) .. إن نفس كمال القاضى – الذى يمكن أن يحكم على داود لو أنه كان فى موضع الفحص الأخلاق القاسى – هو نفسه ملجأه عندما يتعرض لهجوم ظالم . وهذا يبدو واضحا فى مز ١٤٣ : ٢ حيث يتوقف داود كمدّعى (كما هو الحال فى مزمورنا) ليعترف أنه لو حاول الله أن يختبر صفاته بدلا من حالته فستكون فى ذلك نهايته .. وهذا أمر مسلّم به فى احتجاجات كتّاب المزامير فى طلب التبرئة – إنهم يعلمون أنهم محقون فى مواجهة معارضيهم كما لو كانوا اخصامًا فى محكمة مدنية ، وأنهم فى العلاقة العامة مع الله وشريعته فإن قلبهم سليم ، فولاؤهم كامل لله . أما محاولة التمادى فى الاستنتاجات أكثر من ذلك على ضوء ما جاء فى مز ١٩ : ١٢ ، ٣٢ : ١ – ٥ ، ١٣ : ٣ .. إلخ . سيكون بمثابة اعتصار الفقرة من (١ يوحنا ٣ : ٤ وما بعده) لتتناقض مع (١ يوحنا ١ : ٨ وما بعده) .

الأعداد ٧ و ٨ : اتجاه زائر الأماكن المقدسة :

تكتسب الكلمات « أما أنا ... ادخل بيتك » أهميتها ويزداد وضوحها بمقارنتها بالآية (٤ / ب) التى تقول « لا يساكنك الشرير » ولهذا السبب يجب أن يكون ذلك (بكثرة مراحمك) .. وقد يكون أيضا أن داود كان منفيّاً وأنه كان يصلى قائلا (فإنه يرجعنى ويرينى إياه ومسكنه) ٢ صم ١٥ : ٢٥ كما يمكن أن يوحى التعبير (فى هيكل قدسك) لكن هذه الكلمات نفسها

يمكن أن تستخدم كصلاة تقدم على أعتاب الهيكل نفسها (١ مل ٨ : ٢٩) .

والكلمات (بيتك) و (هيكلك) تثير الدهشة لأن التابوت كان لم يزل موجودا فى خيمة (٢ صم ٧ : ٢) وقد يشير هذا إلى أن القول (مزمور لداود) فى العنوان إنما هو تعبير استخدم بمعنى خاص .. أو أن الأسماء التقليدية للأماكن التى يسكن فيها الله ، استمرت منذ أيام شيلوه (١ صم ١ : ٧ و ٩) كما يقترح (بيرون) أو يحتمل أن تكون قد جرى تعديل لغة داود لتتوافق مع لغة العابدين المتأخرين،والاقتراح الثانى يبدو هو الأرجح (انظر مز ٢٧ : ٤) .

عدد ٨ : الكلمة المختارة للتعبير عن (أعدائى) قد تنم عن حذرهم (انظر مز ٢٧ : ١١)* لكن الرد على صيغة المتكلم هو فى صيغة المخاطب فى القول (برِّك) و (قدامك) .. وهذا قبول صريح لمستوى أعلى وهدف أسمى من هدفه الشخصى – قارن (أمثال ٣ : ٦ ، ٤ : ٢٥ مع إشعياء ٤٢ : ١٦) .

الأعداد ٩ و ١٠ : حَمْلة الأكاذيب :

يتعرض داود الآن « لرجال الدماء والغش » المذكورين فى عدد (٦) ويرفع صلاته ضدهم .. وبالنسبة لأمثال هؤلاء الناس ، تتحد كل مصادر الحديث فيهم (فمهم ، وحلقهم ، ولسانهم) للتوصل إلى تحقيق – وتخبئة – مخططات القلب وهذه هى طريقة (الحية) فى الجنة .. وطريقة أبنائها ونسلها المتملق وناشر الأكاذيب .

(قبر مفتوح) ينتظر من يسكنون فيه . هذه هى الصورة القاتمة التى استخدمها إرميا (إرميا ٥ : ١٦) ليعبّر عن كفاءة القتل فى المعركة .. ويمكن أن تستشف إشارة هنا إلى فساد القبر كما فى رومية ٣ : ١٣ (حيث يمكن للقارىء أن يجد نفسه متهما بنفس التهمة) .

عدد ١٠ : (دنهم يا الله) تعطى معنى رفع الدعوى القضائية .. وهى عكس (التبرئة) – قارن مز ٣٤ : ٢١ و ٢٢ وهذا هو المظهر الأول من

* « يارب أرشدنى لعمل برك عند مواجهة أعدائى لى » كتاب الحياة – (المحرر) .

المظاهر الثلاثة للدينونة التى تحتويها الآية : فضح ، سقوط ، طرد . لأن الشر ضعيف أمام الحق ، سواء فى عدم ثباته أو فى العمل الإلهى المباشر ضده .. وبخصوص المظهر الثانى (ليسقطوا فى مؤامراتهم) انظر صلاة داود ضد أخيتوفل (٢ صم ١٥ : ٣١) ونتيجتها الرائعة .. ولاحظ أخيرا أن الباعث على هذا الطلب للمحاكمة ليس شخصيا فإن المتمردين حتما ليسوا (ضدى) بل (ضدك) انظر عدد (٢) .

الأعداد ١١ و ١٢ : الحماية الأكيدة :

رغم أن المرنم لم ينس الخطر - لاحظ الكلمات الدفاعية - (بترس) .. فإنه يتكلم الآن متحررا من الشعور بالوحدة والوحشة .. فلم يعد هو الرجل الذى يصلى من أجل نفسه ، منطويًا بسبب أعدائه بل هو يعى وجود الرفقة التى يمكن أن تشاركه فى التسبيح ... ومن الجميل أن تكون الكلمات الختامية فى المزمور (تحيطه بالرضا) لم تتكرر إلا مرة واحدة فى ١ صم ٢٣ : ٢٦ حيث تصف قوة معادية تضيق الخناق على داود وفجأة تجد نفسها تزاح جانبا بهدوء بقوة العناية الإلهية التى تدافع عن داود .

المـزمـور الســادس
صلـوات ودمـوع

هذا هو المزمور الأول من مجموعة المزامير التى يقال لها (مزامير التوبة) وهى ٦ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٥١ ، ١٠٢ ، ١٣٠ ، ١٤٣ ... وتشغل النصف الأول من المزمور صلوات إنسان مضطرب جدًا ومنزعج والنصف الثانى (ابتداء من عدد ٦) لا تحوى أى توسلات بل تبدأ أولا بالبكاء وتنتهى بثورة من الإيمان المتحدى ، فلم تكن الصلوات والدموع بلا مقابل . وأيا كانت الظروف الأصلية (التى يقترحها عنوان مز ٣) فإن المزمور يصنع الكلمات فى أفواه أولئك الذين لا يجدون الجرأة على رفع صلاة ، ويأتى بهم إلى حيث يستطيعون معاينة النصر .

الأعداد ١ - ٥ عُد يا رب :

« لا يغضبك .. ولا يغيظك » .. هى الكلمات اللافتة للنظر فى هذا العدد .. وليس هذا مطلبًا عامًا ضد التوبيخ والأدب فهذه هى الموضوعات المفضلة لدى الحكيم (أمثال ٣ : ١١ حيث تعكس الأسماء الواردة فيه نفس الفعلين هنا) وقارن إرميا ١٠ : ٢٣ و ٢٤ .. لكن ضمير داود مثقّل ويجب أن يرفع طلبة لكى تتولى النعمة تخفيف العقاب الذى يستحقه ، سواء برحمة مطلقة أو بمقتضى (عهد المحبة) لأن هذه هى ظلال الكلمات الواردة فى (٢ / أ) و (٤ / ب) وسواء كان السبب هو شعوره بعدم رضا الله عنه (قارن مز ٣٢ : ٣) أو كان ذلك من تأثير مرضه ، فهو مرتجف إلى الأعماق (رجفت .. ارتاعت) وهى الكلمة التى استخدمت فى (تك ٤٥ : ٣ وقضاة ٢٠ : ٤١) فهو يخشى حتى على حياته نفسها . (عظامى .. ونفسى) ، قد لا يكون المقصود بها المقارنة بين المادية وغير المادية بل كتعبير بديل عن الإنسان كله . انظر التعبير المشابه ولكنه أكثر تفاؤلا فى مز ٣٥ : ٩ و ١٠ .. وفى العبرية يمكن أن يكون لكلمة (عظام) معنى (شخصه) كما فى خروج ٢٤ : ١٠ وحزقيال ٢٤ : ٢ (بعينه) .

والسؤال المؤثر (حتى متى) يتردد كثيرا فى سفر المزامير (مز ١٣: ١ و٧٤ : ٩ و١٠) حيث نتعلم نحن أيضا أن كل « تأخيرات الله إنما هى لأسباب .. سواء

بالنسبة للوقت كما فى مز ٣٧ أو بالنسبة للإنسان كما فى مز ١١٩: ٦٧ .

عدد (٥) : (التذكر) هنا مرادف للتمجيد ، وهو أكثر من مجرد استعادة ذهنية بل هى تعداد لأعمال الله العظيمة فى صورة (عبادة) قارن مز ٧١ : ١٥ و ١٦ وإش ٦٣ : ٧ .

أما كلمة (الهاوية) فيمكن تصويرها بعدد من الطرق أهمها أنها : كهف كبير للدفن (خر ٣٢ : ١٨ - ٣٢) أو حصن (مز ٩ : ١٣ ، ١٠٧ : ١٨ ، متى ١٦ : ١٨) بل أيضا كأرض مهجورة مظلمة (أيوب ١٠ : ٢٢) أو على الأقل كوحش مفترس (مثلا إش ٥ : ١٤ ويونان ٢ : ٢ وحبقوق ٢ : ٥) وهذه اللغة ليست حاسمة بل هى لغة الشعر والإثارة . وهى تتساوى مع العديد من العبارات التى تركز على مأساة الموت على أنها تسكت وتخرس عبادة الإنسان (كما هو الحال هنا وفى مز ٣٠ : ٩ ، ٨٨ : ١٠ و ١١ ، ١١٥ : ١٧ ، إشعياء ٣٨ : ١٨ و ١٩) حيث تهلك أفكاره (مز ١٤٦ : ٤) وتقطعه عن الله والناس (مز ٨٨ : ٥ وتثنية ٢ : ١٦) وتضع حدًا لحياته (مز ٣٩ : ١٣) . وهذه صيحات من القلب تقول إن الحياة جد قصيرة وأن الموت لا بديل عنه ومؤكد (مز ٣٩ : ١٢ و ١٣ ، ٤٩ : ٧ وما بعده ، وقارن يوحنا ٩ : ٤ وعب ٩ : ٢٧) وهى ليست إنكارًا لسلطان الله على ما بعد القبر .. إذ الحقيقة أن « الهاوية والهلاك أمام الرب » أم ١٥ : ١١ .. فهو هناك (مز ١٣٩ : ٨) .. وإذا كان هو لا يعود يذكر الأموات (مز ٨٨ : ٥) فليس معنى ذلك أنه ينساهم كما ينسى الناس بل هذا يعنى أنه ينهى فترة أو فرصة خلاصهم [مز ٨٨ : ١٢ لأن القول إن الرب يذكر يعنى أنه (يفعل) قارن مثلا تك ٨ : ١ ، ٣٠ : ٢٢] .

وغالبا ما يقع التوكيد على الموت فى العهد القديم باعتباره الموقف الذى يسوى بين كل الناس - أيوب ٣ : ١٣ - ١٩ رغم أنه فى بعض الأحيان يمكن اكتشاف أعماق خلف أعماق حيث يلقى الطغاة مصيرهم على وجه الخصوص (كما فى إش ١٤ : ١٣ - ١٥ وحزقيال ٣٢ : ١٨ وما بعده) .

لكن - فى لحظات نادرة - نجد فى المزامير لمحات عن الخلاص من الهاوية فى تعبيرات تدل على القيامة أو ما شابهها عن أخنوخ وإيليا (مز ١٦ : ١٠ ،

١٧ : ١٥ ، ٤٩ : ١٥ ، ٧٣ : ٢٤) وقد وضحت هذه الآمال تماما مرتين على الأقل فى العهد القديم (إش ٢٦ : ١٩ ، ودانيال ١٢ : ١ - ٣) .

الأعداد ٦ و ٧ : بكائى :

إن كآبة وحزنا مطبقين بهذا المقدار لا تنفع فيهما المساعدة الشخصية أو النصيحة الطيبة . بل حتى الصلاة لم تجد .. فالاعداء الذين كانوا عادة لا يقدرون إلا على إثارة داود قد سحقوا روحه الآن (عدد ٧) فإذا كان لأى شيء أن ينقذه فلن يكون ذلك بفضل مجهوداته الشخصية .. وهذه هى أقصى درجات اليأس التى سيتولى الله تغييرها .

الأعداد ٨ - ١٠ : لقد سمع الرب :

تتضمن القرينة التى اقتبس فيها الرب يسوع القول (ابعدوا عنى) فى متى ٧ : ٣ حكمة بأن داود يتكلم هنا كملك . فليس الأمر مجرد كلمات نابعة من عصارة قلب إنسان متألم لم يتلفت إلى مضطهديه بل هى كلمات حاكم تؤكد قدرته على تطهير مملكته من (فعلة الإثم)* .. كما يتطلب قسمه الملكى - قارن مز ١٠١ .. وهو يتكلم فى إيمان - إن النصر آت عن قريب (عدد ١٠) لكنه يعلم من الآن أن صلاته قد استجيبت .

والتوصل لهذه الثقة المفاجئة ، والموجودة فى أغلب مزامير التضرعات يدل بكل وضوح على لمسة استجابة من الله ، كما لو أننا نلمح وجه المرنم وقد استنار بنور الشكر .. وفى طقوس عبادية تالية (كما يقول البعض تم التعبير عن الإحساس بالثقة فى الله بواسطة طقس أو قول وضع بين التوسل والتسبيح ، لكن هذا مجرد تخمين وليس له أى دليل فى كتابات هذه المزامير التى تظهر نفس الخواص سواء كانت عناوينها تعزز استخداماتها فى العبادة الطقسية (كما فى مزامير ٤ و ٥ و ٦) أو كانت من الأزمات التى نشأت عنها (مثلا مزامير ٣ ، ٧ ، .. إلخ) وانظر أيضا مز ١٢ : ٥ و ٦ .

---

* كان (مونيكل) فى البداية يصر على أنه خلال سفر المزامير كله كان المقصود (بفعلة الإثم) هم السحرة الذين يتسببون فى الألم حيث أن الكلمة المستخدمة فى وصف (الإثم) مرادفة لكلمة تعنى (القوة) . إلا أنه عاد فيما بعد وأذعن وسلّم بأن التعبير يمكن أن يكون له معنى عام..

المزمور السابع

صرخة تطلب العدل

إن العدل يمكن أن يعنى الخلاص لأنهما يتزامنان مع اختبار الله لحالة المضطهد .. ويتحرك المزمور من الطلب الشخصى المنفعل لرجل قد خانه الناس وأصبح طريدا ، إلى القناعة بأن الله هو قاضى كل الأرض ، وأن الشر يهزم نفسه بنفسه ، ومن ثم ينتهى بالثقة والتسبيح .

العنوان : عن (الشجوية) انظر المقدمة ..

ولا نعرف شيئا عن كوش إلا أنه قد تبين وقت تمرد أبشالوم ، أن كثيرًا من البنيامينيين – وهم سبط الملك شاول – كانوا يحملون أحقادًا مريرة ضد داود (٢ صم ١٦ : ٥ وما بعده ، ٢٠ : ١ وما بعده) .. ويمكن الرجوع إلى التعليق على مقدمة المزمور الثالث فيما يتعلق ببيان المزامير التى تحمل عناوين تشير إلى تقلبات حياة داود .

الأعداد ١ و ٢ : الرجل المطارَد :

بينما كان أمر حماية داود وإنقاذه من أعدائه موضوع صلاته (١ – ب) فإن ملجأه الخفى كان أيضا بالنسبة له حقيقة (كما تظهر صيغة الأفعال فى اللغة العبرية) (١ / أ) – فقد وضع نفسه بين يدى الله ومن ثم فهو طوع مشيئة الله حيث السلام (مز ١١٩ : ١٦٥) مهما كانت النتائج .

الأعداد ٣ – ٥ : قَسَم البراءة :

الجمل الشرطية الثلاث التى تتوَّج بالتحدى المطروح فى العدد (٥) تكشف بالأكثر عن شعور عميق بالألم نتيجة الافتراء أكثر منه شعور بالاضطهاد .. وهذا يشبه احتجاجات أيوب التى صرخ بها فى أصحاح ٣١ (والذى يعتبر واحدًا من القمم الأدبية فى العهد القديم) ويجىء رد داود ليكشف بعضا من مبادىء الشرف التى يؤمن بها ، وفى نفس الوقت يدفع عن نفسه هذه الاتهامات (إن كنت قد فعلت هذا) – عدد ٣ – أى التعامل بالرشوة والخيانة – وقد أثبت أبشالوم بنعومته ومكره – مدى ضرر حملة التشويه التى

وجهها ضد داود (قارن ٢ صم ١٥ : ١ - ٦) .

عدد ٤ : كلمة (مسالمى) كما جاءت فى بعض الترجمات تعنى (حليفى) .. وهو الأمر الذى لا يتعارض مع أمر العهد القديم الخاص بالكرم مع الأعداء الشخصيين ولا مع قناعات داود المعروفة (انظر مثلا خروج ٢٣ : ٤ و٥ ولاويين ١٩: ١٧ و١٨ و١ صم ٢٤: ١٠ و١١ وأمثال ٢٥: ٢١) .

أعداد ٦ - ١١ : القاضى العادل :

نجد هنا نظرة عظيمة الاتساع تكشف عن الاهتمام بالعدالة العالمية التى كانت دائما الدافع لمطالبات داود بالتبرئة .. ولم يكن هذا مجرد اهتمام بل قناعة بأن المحاكمة قد انعقدت فعلا (عدد ٦) أعمال ١٧ : ٣١ (لأنه أقام يومًا) .. واللغة العبرية والعربية للعدد (٧) تنادى الله بأن يعود ويرتفع .. ولكن بما أن هذه هى مقدمة للمحاكمة فإن الأفضل أن يقال (خذ مكانك) وهذه إحدى الفقرات العديدة التى تظهر تمجيد الله كقاضٍ منتصر (قارن مز ٦٨ : ١٨) المشرّع (إش ٢ : ٢ - ٤) .. لكن العهد الجديد أضاف بعدًا جديدًا ومثيرًا للصورة - فجعل الارتفاع تعبيرا عن الصليب والعرش معًا - وعاكسًا - إن جاز التعبير - نظام وغرض الآية ٧ / أ و ٧ / ب - قارن يوحنا ١٢ : ٣٢ - إلى أن يعود المسيح إلى العالم كديّان (متى ٢٥ : ٣١ وما بعده) .

(كما لى) - عدد ٨ - لا ينظر إليه ككمال مطلق .. إنما هو مجرد رد على الاتهامات الواردة فى (عدد ٣ و ٤) - قارن مز ٥ : ٤ - ٦ .. لكن داود يجوع ويعطش لنصرة الحق الأوسع ، ويسود هذا الفكر على الأعداد ٩ - ١١ وينبع تأكيده من حقيقة أن الله أبعد من أن يبدو فاترا بخصوص هذا الموضوع - وسخط الله كل يوم (عدد ١١) مستمر أكثر من أى غيرة بشرية دون أن يهدأ نتيجة محاولة إيجاد حل وسط أو نتيجة اليأس .

الأعداد ١٢ - ١٦ : الخطية فى نهايتها : .

إن العبارة الواردة فى ١٢ / أ (إن لم يرجع) والمقصود الإنسان ، تكشف عما كان ينتظره الله عندما بدا أنه يتباطأ (عدد ٦) . بل إن الحاجة الملحة إلى التوبة والندم نجدها فى السطور الثلاثة المجمّعة للثواب والعقاب الإلهى (عدد

١٢ و ١٣) والنتائج الملازمة للإثم (١٤) وعدم جدوى الشر (١٥ و ١٦) . وعن أول هذه الأمور يؤكد الكتاب المقدس على العامل الشخصى في الدينونة . فإن على الخاطىء أن يواجه الله الحى بنفسه المصور هنا كمحارب جبار ليس بطريقة طبيعية محض (قارن مثلا عبرانيين ١٠ : ٣١ ورؤيا ٦ : ١٦)* .

والصورة الثانية عن الخاطىء الممتلىء بالشر (عدد ١٤) لها نفس المنطق القوى الذى لأقوال رب المجد عن الشجرة الرديئة أو الكنز الشرير (لوقا ٦ : ٤٣ - ٤٥) ونفس هذا التشبيه استخدمه يعقوب فى رسالته ١ : ١٥ عن دورة حياة ونمو الشهوة - الخطية - الموت ..

والشكل الثالث للدينونة هو (عودة الشر على رأس صاحبه) - انظر عددى ١٥ و ١٦** - وهذا قد لا يتطابق فى عالم الماديات لكنه أمر لا مفر منه فى المجال الروحى - وعن الأثر المشئوم للاتجاه الخطر على من يسير فيه قارن (١ يو ٢ : ١١) إذ أنه أكثر شؤما عليه من أى آلام يسببها للآخرين .

عدد ١٧ : تسبحة شكر :

وبخصوص هذه النقلة فى الموضوع انظر التعليق النهائى على مزمور (٦) .. (العلى) هو لقب نادرًا ما يوجد خارج سفر المزامير .. وأول ما يقابلنا فى قصة ملكى صادق وأبرام (تك ١٤ : ١٨ وما بعده) . وقد أطلقت العبادة الكنعانية نفس هذا اللقب على (بعل) - لكن أبرام قصر هذا اللقب بكل وضوح على الرب وحده - تمامًا كما يفعل داود هنا . وهذه الكلمة تجىء فى مكانها المناسب تماما فى ختام المزمور معلنة بكل يقين - كحقيقة ثابتة إلى الأبد - رفعة الحق الذى تتوق الآيتين ٦ و ١٧ أن ترياه معلنا بكل قوة .

---

* قد تكون الترجمة الأورشليمية [JB] على حق عندما ترجمت الأعداد ١٢ و ١٣ كما يلى : [قد يحدد العدو سيفه .. لكن اسلحته التى يعدها ستقتله هو] حيث أن النص العبرى فيه (هو) الفاعل لكل الأفعال مع إضافة (لأجله) فى أول العدد ١٣ . وإذا كان الأمر كذلك يكون الفكر مطابقًا لذلك الوارد فى عددى ١٥ و ١٦ . وفى كتاب الحياة « هوذا العدو يتمخض بالإثم ، يحبل بالأذى ، ويلد كذبا . حفر بئرا وعمقها فسقط فيها . شره يرتد على رأسه وظلمه يهبط على هامته .

** قارن مثلا (العدد ٣٢ : ٢٣ - ومز ٩ : ١٥ - وأمثال ٢٦ : ٢٧ - ومتى ٢٦ : ٥٢ .

المـزمـور الثامـــن

تـاج الخليقـة

هذا المزمور هو مثال لا يدانيه آخر لما يجب أن يكون عليه التسبيح – احتفالاً بمجد ونعمة الله ، وترديدًا لاسم الرب وأعماله ، رابطًا بيننا كبشر وعالمنا كله وبين الله .. كل هذا مع تحكّم فى الكلمات وبروح يقترن فيه الفرح بالرهبة ، مظهرا طرق الله غير المتوقعة فى الأدوار التى رسمها لكل من القوى والضعيف . (عدد ٢) – المنظور وغير المنظور (٣ – ٥) الكثير جدا والقليل (٦ – ٨) لكنها تبدأ وتنتهى بالله نفسه وموضوعها السائد هو (ما أمجد اسمك) .

ولا يتجه مدى تفكيرنا إلى ما (فوق السماوات) عدد (١) فقط – ولا إلى الوراء إلى البداية (٣ و ٦ – ٨) بل يصل بنا قدما إلى النهاية كما يشير العهد الجديد .. والسؤال (من هو الإنسان ؟) يمكن أن نجده فى ثلاث مواضع أخرى فى العهد القديم وجواب المزمور مشروح فى العهد الجديد إذ نجد أنه لا يكفى لشرحه إلا تجسد وموت المسيح وحكمه الأبدى .

الأعداد ١ و ٢ : التسبيح بمجده :

هذه العبادة حارة وحميمة مع كل الوقار .. فإن الإله – الذى مجده ملء كل الأرض – هو سيدنا ، ونحن دخلنا فى عهد معه وتسبيحه معلن فى السماوات ، ومع ذلك فإن صداه يتردد بالقبول من المهد والحضانة (الأطفال والرضع) هذا هو ملخص موضوع المزمور كله .. (كما اقتبس الرب هذه الكلمات فى متى ٢١ : ١٦) .

ولو أن العدد الأول انتهى بالقول (حيث جعلت جلالك مسبحًا فوق السماوات) . [كما فى النسخة العربية] . ولاحظ النقطة (.) فتكون الآية كلها عندئذ مشابهة لأقوال السيرافيم (إش ٦ : ٣) الذى بسببه اهتزت أساسات الهيكل ويظهر التناقض المذهل للعدد ٢ الذى يحدث التأثير المطلوب . ومع إعلان كل الأرض والسماء لله فى عدد (١) فإن الزمرة

المتصاعدة (أضداد ، عدو ، منتقم) تضع أمامنا تحديًا يواجه الله بما هو ضعيف فى العالم – الشيء غير المادى (أفواه) وغير الناضج ، لكن كما يبدو لنا من الدخول الانتصارى فى متى ٢١ : ١٥ و ١٦ فإن الاعتراف الحر بالحب والثقة هو الجواب الذى يخرس المشتكى وترسانة شكوكه وافتراءاته .

أعداد ٣ – ٨ من هو الإنسان ؟

عددى ٣ و ٤ : من كل هذه المنظومة – من النجوم إلى المخلوقات البحرية – نجد الإنسان وحده هو الذى يستطيع أن ينظر إلى هذا المنظر بفراسة حتى يسأل مثل هذا السؤال ، ولو بصيغة الشك ، لذلك فإن إجابة السؤال متضمنة فيه .. وأكثر من ذلك فقد تعلم الإنسان مخاطبة الله بصيغة التبجيل هنا ، ليس فقط اعترافًا به كخالق بل حتى عند مخاطبته أيضًا . ويظهر الله – من جانبه – فى (إشعياء ٤٠ : ٢٦ وما بعده) . وهذا النظام الكونى البديع لا يعنى ابتعاده عنا بل اهتمامه بكل التفاصيل . ويضيف إش ٤٥ : ١٨ ، ٥١ : ١٦ أنه لم يخطط لخلق عالم فارغ وبلا معنى بل صنع بيتا لعائلته .

ويمكن أن نردد سؤال داود بأكثر من معنى متقارب – ففى مز ١٤٤ : ٣ و ٤ نجد السؤال يسخر من الجاهل والمتمرد.وفى أيوب ٧ : ١٧ نسمعه كصرخة متألم يرجو تأجيل تنفيذ الحكم وفى أيوب ٢٥ : ٦ نجده ارتجافًا من خطية الإنسان .. ولكن لا توجد أى مسحة من التشاؤم إنما دهشة فقط من الله لأنك (تذكره) و (تعتنى به).وهاتان الصرختان المتعجبتان تلقيان الضوء على النعمة الإلهية المتضمنة فى الأمور الأربعة التالية (عدد ٥ و ٦) لأنها كلها عطايا الله (انظر أيضا مز ٩ : ١٩ و ٢٠) .

(تذكره) لها رنين رحوم هادف ، فإن (تذكر الله يتضمن دائما تحركه صوب موضوع الذكرى) وعنايته (انظر أيوب ١٠ : ٢٠ ب) تتضمن كذلك عمله واهتمامه ، (يتعهدها) نجدها فى إرميا ٢٣ : ٢ فى معنيين متضادين .

العددين ٥ و ٦ : المعنى الواضح جداً للعدد (٥) فى الأصل العبرى يبدو أنه يشير إلى (صورة الله) المذكورة فى تك ١ : ٢٦ التى تكمن خلف الأعداد ٦ – ٨ من هذا المزمور .. إلا أن الترجمة السبعينية تأخذ الكلمة

(إلوهيم) بمعناها النادر والشامل الذى يعنى (كائنات فوق طبيعية) أو (ملائكة) [كما فى الترجمة العربية] انظر ١ صم ٢٨ : ١٣ ومز ٨٢ : ١ و ٦ و ٧ وتتبع رسالة العبرانيين ٢ : ٧ و ٩ نفس الترجمة .. والقول (قليلا) قد يعنى أحيانا (لفترة قصيرة) . وقد يكون هذا هو المعنى المتضمن فى العبرانيين ، والعهد الجديد يفتح مجالات جديدة أمام هذه المقطوعة .

ورسالة يعقوب ٣ : ٧ و ٨ توضح أن الإنسان يستطيع أن يستأنس كل شيء إلا نفسه ، بينما تذكرنا (عب ٢ : ٨) فى تعقيبين على مزمورنا أنه بينما لم يخضع كل شيء بعد للإنسان إلا أن « المبشر الرائد » (أى يسوع) قد تُوّج بالمجد والكرامة .. لكن بولس ينظر إلى ما هو أبعد من ذلك فى ١ كو ١٥ : ٢٧ و ٢٨ . أى إلى آخر عدو يبطل وتسليم كل قوة وسلطان إلى الآب ... وكالمعتاد دائما فإن مجيء المسيح كشف المساحة كلها التى كان يشير إليها العهد القديم فقد كان لدى كتَّاب العهد الجديد من الثقة ما يكفيهم - فى هذا الموضوع - لكسب أعمق المعانى منها (كما فعل الرب فى مز ١١٠ : ١ وخروج ٣ : ٦) .

العدد ٩ : التسبيح بمجده :

بإعادة ترديد المزمور نجد أن كلمات القرار سوف يترنم بها بمفهوم جديد كما أنه سيعيد التأكيد الأساسى على الله ونعمته لأن سيادة الإنسان على الطبيعة - رغم كونها رائعة - أصبحت تحتل المكانة الثانية* - لدعوته كخادم ومتعبد مما أعلن لأبنائه اسم الرب (أى مجده وصلاحه) خروج ٣٣ : ١٨ و ١٩ .

* قارن الأولويات الواردة فى لوقا ١٠ : ٢٠ .

المزمور التاسع

الله القاضى والملك

من هذه النقطة - فى المزامير - وحتى مز ١٤٨ - تختلف الترجمات حول ترقيم المزامير حيث تبعت الترجمة السبعينية والفولجاتا الكنيسة الرومانية، فحسبت مزمورى ٩، ١٠ مزمورا واحدًا - بينما تبعت الكنائس البروتستانتية النظام العبرى* .. وعدم وجود عنوان للمزمور (١٠) يؤيد وجهة النظر القائلة إنه امتداد لمزمور (٩) ويؤيد ذلك وجود صيغة شعرية معينة بدأت فى مز ٩ وانتهت فى مزمور ١٠. [يوجد فى مز (٩) الأحد عشر حرفا الأولى من حروف هجاء اللغة العبرية (الـ ٢٢) كبدايات للآيات المتعاقبة إلا أن مزمور ١٠ بعد أن بدأ بالحرف رقم (١٢) اسقط نظام الأبجديات حتى وصل إلى الآيات ١٢ - ١٨ حيث تظهر الحروف الأربع الأخيرة، من الأبجدية] .. إلا أن المزاج العام يختلف فى (مز ١٠) .. مما يترك الانطباع بأن هذين المزمورين منفصلين، كتبا كمقطوعتين متكاملتين لكى يتمم كل منهما الآخر، وهما يصفان نفس الحقائق عن العالم الساقط ونصر الله الأكيد، والنصر الحالى، القصير العمر - للشرير.

الأعداد ١ - ١٢ : رؤية ما بعد النصر :

يبلغ المزمور الذروة مرتين بالوصول إلى الثقة بحكم الله الكامل - الجزء الأول من ١ - ١٢ فى صيغة الإثبات كنتيجة للتفكير فى الخلاص العظيم والجزء الثانى (من ١٣ - ٢٠) سيكون صلاة مرفوعة بنتيجة المعاناة.

الأعداد ١ و ٢ : تسبحة شكر :

يردد هذا المطلع صدى ختام (مز ٧) مع اطالته ليذكر أهم ينبوعين للتسبيح : أعمال الرب وشخصه (١ - ب ، ٢ - أ) .. عجائبك (أعمالك العجيبة أو أمورك العجيبة) وتدل عليهما كلمة عبرية واحدة وهى تتردد كثيرا بصفة خاصة فى المزامير وتستخدم عن المعجزات الخلاصية العظيمة بصفة

* بعض الترجمات تضع تسمية لهما (مز ٩ ، ١٠) لكنها تطبعهما معًا بدون فواصل.

خاصة (مز ١٠٦ : ٧ و ٢٢) وأيضا عن الأعمال اليومية الأقل ظهورا ووضوحًا (قارن مز ٧١ : ١٧) وعن الأمجاد المتضمنة فى الأسفار المقدسة (مز ١١٩ : ١٨) .

الأعداد ٣ - ٨ : (المُلك لك) :

حيث يفتخر من هم أقل شأنا من داود بالنجاح ويتكلمون عن القوة ، يرى داود الله كمخلص له (عدد ٣) ويترنم بعدله (عدد ٤) وأكثر من ذلك فإن أفكاره تقفز من قصته الشخصية - (اعدائى - حقى ودعواى) فى عددى ٣ و ٤ إلى ما تمثله .. نصر الله الكلى (٥ و ٦) وحكم العدل فى العالم كله وإلى الأبد (٧ و ٨) .. وصيغة الماضى فى أفعال العددين ٥ و ٦ هى تأكيدات نبوية وهى أحد ملامح كتابات العهد القديم حيث توصف الأحداث القادمة كما لو كانت قد حدثت فعلا ، فإن تحقيقها أكيد ورؤيتها واضحة .. لكن صيغة الأفعال فى عددى ٧ و ٨ يمكن أن تشير إلى شكل الحاضر .. وكلاهما مناسب .

الأعداد ٩ - ١٢ : نصير الضعفاء :

العددين ٩ و ١٠ هما طريقتان مختلفتان للتعبير عن نفس الشىء أولا تصويريا ثم حرفيا .. والاثنتان معبر عنهما فى صيغة نصيحة .. [ليكن الرب ملجأ .. ولندع أولئك الذين يعرفون ..] - أزمنة الضيق* : هى عبارة غير عادية لا توجد إلا فى العدد (٩) وفى مز ١٠ : ١ مما يقوى الرابطة بين المزمورين . وفى عدد ١٢ هناك رابطة أخرى فى الأصل العبرى - (لأنه مطالب بالدماء) أى (منتقم) أو (يبحث) حيث أن هذا هو نفس الشىء الذى ينكره الطاغية فى مز ١٠ : ١٣ ب مستخدما نفس الكلمة .. وأول تعبير عن هذه الفكرة جاء فى تك ٩ : ٥ - وقارن أيضا تثنية ١٨ : ١٩ و ٢ أى ٢٤ : ٢٢ وحزقيال ٣٣ : ٦ .

* يقول (القاموس الإنجليزى العبرى للعهد القديم) إنها صيغة المفرد للكلمة المترجمة القحط فى إرميا ١٤ : ١ - ولكن لما كان الحصن ليس ملجأ من القحط فإن الاسم الأرجح (كما يقول داهدر) هو (ضيق) ، أو (حزن) - انظر إش ٩ : ٢ .

الأعداد ١٣ - ٢٠ رؤية فى المحنة :

يتصاعد المزمور الآن فى الصلاة تجاه الذروة الثانية الأهدأ .. متقدمًا من الاستعطاف الشخصى إلى النبوة الواقعة وأخيرا إلى نداء جرىء للعمل .

الأعداد ١٣ و ١٤ : ورطة رجل واحد :

هذه هى أول لمحة عن الحزن ، لذلك فيبدو أن داود كان من البداية مثبتًا تفكيره فى الله وفى أمجاد الماضى وأن الحاضر والمستقبل ليس فقط ترياقًا عظيمًا لآلامه بل تبدو كما لو كانت أصلا أهم من مصالحه الشخصية وبالتالى يستمر التسبيح ليندمج مع الصلاة .. (أبواب الموت) لا يمكن أن تقف بينه وبين (أبواب صهيون) .

الأعداد ١٥ - ١٨ : العدالة للعالم :

قد تشير صيغة الماضى فى الأفعال الواردة فى عددى ١٥ و ١٦ إلى الانتصارات التى سبق أن رآها (عدد ٣ و ٤) والتى تنظر إليها الأعداد ١٧ و ١٨ على أنها مقدمات (عربون) للهزيمة الأخيرة - لكن الأرجح أنها حقائق نبوية . (انظر عددى ٥ و ٦) تنظر إلى النهاية كأنها وقائع تحققت .. وعن الدمج بين عوامل الدينونة الشخصية وغير الشخصية انظر التعليق على مز ٧ : ١٢ - ١٦ .. وعن (ضرب الأوتار ، وسلاه) انظر المقدمة . وهناك ظل من الفرق فى الجملة المنطوقة عن الأشرار وهو أنهم سوف (يرجعون إلى الهاوية) بدلا من القول (يرحلون إلى)* .. لأن الموت هو (موطنهم الأصلى) . وعن كلمة (ينسى) فى عدد ١٨ انظر التعليق الأخير على مز ٨ : ٤ .

العددين ١٩ و ٢٠ : ضع الرجل فى مكانه :

عن كلمة (إنسان) و (بشر) فى كلا العددين فهى كلمة تشير إلى تفاهته .. وأن اعتزار الإنسان (ويستخدم مز ٨ : ٤ / أ نفس الكلمة عنه وكذلك دانيال ٧ : ١٣ يستخدم المقابل لها فى اللغة الأرامية) .. مشتقة من صفات (الله) - العزة - كما أن الأفعال الواردة فى مز ٨ : ٤ - ٦ تظهر

* انظر كتاب الحياة : « مآل الأشرار إلى الهاوية » - المحرر .

ذلك بجلاء .. والإنسان شخصيا هو تراب (تك ٣ : ١٩) ومجرد نفخة (مزامير ٣٩ : ١١ ، ١٤٤ : ٤) ناهيك عن حالته الأخلاقية الموضحة فى المزمور العاشر .

المزمور العاشر

الإنسان المفترس والفريسة

كان مركز الثقل فى المزمور السابق هو (الدينونة القادمة) وهنا نجد التركيز على العصر الحاضر حيث يستحكم الظلم والجور .

الأعداد ١ - ١١ : افتخار الطاغية المستبد :

إن عجرفة هذا الرجل التى تدفعه إلى التجديف على الله بالإضافة إلى الإساءة للإنسان هى الصفة السائدة هنا ربما كان كثير الاحتجاج ، فإن تجديفه (عدد ٣ ب)* وتأكيد أنه المتكررة لنفسه عن حصافته (أعداد ٤ و ٦ و ١١ و ١٣) تنم عن انزعاجه الداخلى .. والكلمات الوقحة (أنه لا إله) فى عدد (٤) هى مجرد تظاهر بالشجاعة لأن كلامه الداخلى مع نفسه يناقضها (العددين ١١ و ١٣) إلا أنها لغة اختياراته وأفعاله حيث أن كلمة (أفكاره) فى العدد (٤) تعنى (مؤامراته) كما فى عدد (٢) .. أنه ملحد عملى وإن كان لا يكاد يكون مدركا وواعيا لهذا .

فمن جهة الناس هو لا يعترف إلا بنفسه بل هو فى الواقع يعبد شهواته (قارن عدد ٣ / أ مع مز ٤٤ : ٨ / أ) ومن ثم فهو يعامل المسكين على أنه فريسته الطبيعية (٢ / أ و ٨ - ١٠) .. ولسانه هو أحد أسلحته الرئيسية حيث نرى فى عدد (٧) أساليبه المتعددة فى الإرهاب والتشويش .. وتظهر حالة ضحاياه المحزنة فى كلمة (المسكين) التى لا ترد فى أصلها العبرى إلا هنا (أعداد ٨ و ١٠ و ١٤)** .

ويقف الله بعيدًا فى غضون ذلك (عدد ١) بينما تثبت سبل الشرير (الطاغية) كما يقول فى (عدد ٥) - إن مهمة المزمور هى أن يلمس عصب المشكلة حتى يظل الألم مستمرا فى مقابل الراحة الناشئة عن اعتياد الحياة فى مجتمع فاسد . وهناك إشارة خفية عن رد فى عدد (٥) فى صورة الإنسان

* يجدف أو يلعن فى الأصل العبرى تعنى حرفيا (يبارك) سواء كلفظ ملطف أو كأنه يقول (يودّع) .. وهى مستخدمة بنفس المعنى فى ١ مل ٢١ : ١٠ وايوب ١ : ٥ .

** ربما تكون الكلمة مشتقة من أصل مصرى يحمل معنى (المنسحق) أو (صريع الفوضى) .

المرتبط بالأرض والمستغرق فى مستواه الأرضى حتى أنه لا يستطيع أن ينظر إلى ما هو معلق فوق رأسه (عالية أحكامك فوقه) .. و (أحكامك) هنا تحمل معنى مزدوجًا .. فهى تمثل قوانين ومقاييس الله من جهة ، وعمله الذى يعمله لتنفيذ هذه القوانين .

الأعداد من ١١ - ١٨ : صلاة الضحية :

تتميز هذه الصلاة بالإيمان الذى ينبعث منها :

أعداد ١٢ - ١٤ : كلمة (لماذا) فى عدد ١٣ التى تردد صدى الآية (١) - مازالت بدون إجابة .. وهكذا الحال بالنسبة للنداء الموجه إلى الله (قم يا رب) عدد ١٢ ومز ٩ : ١٩ - لكن المشكلة يمكن مواجهتها لأنه لن يواجهها بمفرده (قد رأيت - لأنك تبصر) - عدد ١٤ - وهذا العدد فى الحقيقة يتحدث بطريقة بارزة بالإيمان وعن الإيمان .. فهو يتحدث بالإيمان فى المتتالية المتصاعدة (رأيت ، تبصر ، تجازى بيدك)وآخر الكل فى « إليك يسلم المسكين أمره » التى تعبر عن الثقة المتزايدة لأنها أكثر خصوصية (شخصية) من التعبير المشابه (سلّم للرب طريقك) مز ٣٧ : ٥ .

الأعداد (١٥ - ١٨) : « احطم ذراع » قد يبدو هذا التعبير وحشيًا إلا أنه تعبير عن تحطيم قوة الفاجر(قارن مز ٤٤ : ٣) - والالتماس القائل (الشرير تطلب شره ولا تجده) .. أى حتى آخر أثر - ونجد هنا كلمة مميزة جاءت فى مز ٩ : ١٢ أيضا حيث أن الفعل المترجم فى الإنجليزية (تبحث عن) يمكن ترجمته (ينتقم) أو (يطالب) و (يطالب بالحساب) كما فى ١٠ : ١٣ . وكما فى عدد (٤) (أنه لا يطالب) .

وإذ تتجه الصلاة مرة أخرى إلى (الإثبات) - أعداد ١٦ - ١٨ نراها تجمع موضوعات أخرى سبق ذكرها فالعدد (١٦) يتطلع إلى (الأمم) فى كل اتجاه - كما فعل مز (٩) - ويختتم المزمور بالمذكرة عن الرجل الضعيف (المنسحق) .. عدد ١٨ كما اختتم سابقه ، وفى هذه الأثناء - ومهما بَعُد الزمن بيوم العدل . يبقى وعدٌ واحدٌ لا يتأخر (أنت تثبت قلوبهم) وهو من نوع الإجابة التى حصل عليها بولس وتعلم أن يقدّرها فى ٢كو ١٢: ٨ - ١٠.

المزمور الحادى عشر
رعب وثبات

هذا مزمور ينبع من صميم الأزمة ، ويفتتح برد سريع وحاسم على نصيحة مثبِّطة ، ويمضى ليظهر المجال الحقيقى للأحداث ، وما يمكن أن يكون غنيمة أثمن من الأمن .

الأعداد ١ - ٣ : أصوات اليأس :

إن الدعوة للهروب إلى المخابىء لا تزال ترن فى أذنى داود وهو يبدأ رده ، ووفقًا لكلام ناصحيه يقول فى البداية : (اهربوا إلى جبالكم) لكن الجبال ملجأ مزيف والرب هو الملجأ الحقيقى [قارن نفس التناقض بين (الجبال) و (الرب) فى مز ١٢١ : ١ و ٢] .. ويبدو أن النصيحة كانت بنيّة حسنة كتلك التى قالها بطرس للرب فى متى ١٦ : ٢٢ - (قارن أعمال ٢١ : ١٢) وإن كان يمكن أن تكون فى الحقيقة غير مخلصة - [قارن نحميا ٦ : ١٠ - ١٣ ، لوقا ١٣ : ٣١ و ٣٢] . وهى بالتأكيد مقنعة لأن وسائل الدفاع ضد القاتل (أو المفترى) فى عدد ٢ - قليلة وضعيفة ، بينما تبدو الحجة الواردة فى عدد (٣) مثبطة للهمة .. وعلى أى صورة تُفهم : سواء إن كانت تعنى أنه لاشىء يستحق المحاولة فى أوقات الفوضى أو الاحتمال الأضعف أنها تعنى أن داود - باعتباره العماد الرئيسى لشعبه (قارن إش ١٩ : ١٠ و ١٣) يجب أن ينجى نفسه بأى ثمن ، ومن الصعب التمييز بين كلام داود وكلام ناصحيه بعد العدد الأول) .

[فبعض الترجمات تنهى الجملة بعد العدد (٢) وبعضها بعد العدد (٣)] - وعلى أى الحالتين فإن الكلمات تغوص فى الأعماق ، وللإجابة على التساؤلات سينظر داود إلى أعلى ليرى الحقائق العظيمة المختفية خلف هذه الأحداث .

الأعداد ٤ - ٧ : البُعد المنسى :

تضاءل المنظر المحموم الوارد فى الآيات ١ - ٣ بذكر اسم الرب (واسم الرب هنا رائع ومتكرر) - والملك هنا فى محل إقامته وليس هاربا ، ومدينته

لها أساسات (قارن عبرانيين ١١ : ١٠ .. ومن ثم فإن السؤال الوارد فى عدد (٣) يمكن أن يُسأل بدون يأس - انظر أيضا التعليق على عدد (٧) .. قد يكون انهيار المبنى المؤسس على الرمل محزنا إلا أنه يمكن أن يكون أيضا بداية (عب ١٢ : ٢٧) .

الأعداد ٤ و٥: الهيكل - (أو القصر) ليس بناءً أرضيا كما قد يفهم من الجزء الثانى من عدد ٤ (قارن مز ١٨ : ٦ و ٩) .. حتى لو كان هيكل سليمان قد بُنى فعلا ، وباقتباس كلمات الجزء الأول من عدد (٤) فى وقت أزمة لاحقة - فإن حبقوق (٢: ٢) يؤكد على مغناها الرهيب والمحذّر (فاسكتى قدامه يا كل الأرض) وتكرار كلمة (يمتحن) فى ٤/ ب و٥/ أ ينم عن أن المبادرة من جانب الله حتى قبل اللحظة الحاسمة فى عدد (٦) .. أن سكونه ليس جمودا بل تركيزًا*.. كما أن (صبره) يعطى الفرصة لكل من الأبرار والأشرار لكى يتبين معدنهما .

العدد ٦ : (نار** وكبريت) هى إشارة ضمنية إلى تك ١٩ : ٢٤ حيث كان هذان هما وسيلة إهلاك (سدوم) وعليه فإن العبارة هامة ومحددة ، لأن (سدوم) فى الكتاب المقدس هى تذكار دائم للدينونة المفاجئة والنهائية . (قارن التعليم الوارد فى لوقا ١٧ : ٢٨ - ٣٢ و ٢ بط ٢ : ٦ - ٩) .

العدد ٧ : ينتهى المزمور كما ابتدأ باسم الرب (العادل) حتى يجيب على كل المخاوف الواردة فى عدد (٣ / أ) والاحباطات فى (٣ ب) .. وأن أساس صلاح الله ليس إلا طبيعته ومشيئته : أى : من هو ، وماذا يحب . (عدد ٧) وإذا كان السطر الأول من المزمور قد أظهر المكان الذى يوجد فيه الأمن للمؤمن فإن السطر الأخير يظهر أين يجب أن يكون قلبه . ويمكن البحث عن الله كملجأ نتيجة دوافع شخصية أما طلب رؤية وجهه فهو الهدف الذى ليس وراءه دافع إلا (الحب) ، وقد اختبر كتّاب المزامير رؤية الله بالعين الداخلية أثناء العبادة (مز ٢٧ : ٤ و مز ٦٢ : ٢) لكن هناك بعض الشك

* تقول الترجمة الإنجليزية (هوذا الرب فى هيكل قدسه) والكلمة هوذا تنم عن (التحديق) ، كما أن كلمة (أجفانه) يمكن أن تتضمن فكرة (فتح العين نصف فتحة) لتفحص شيئا عن قرب .. إلا أنها يمكن أن تكون مجرد تشابه شعرى مع كلمة (عيناه) الواردة فى العبارة السابقة . جاء فى كتاب الحياة : « تبصر عيناه بنى آدم وتتقصاهم أجفانه » .

** فى النص العبرى توجد كلمة (أفاعى) قبل كلمة (نار) .. وقد اعتبرت أغلب الترجمات هذه الكلمة هفوة من الناسخين .

فى أنهم اقتيدوا للنظر إلى ما وراء هذا - إلى رؤية بلا وساطة عندما يفتدون ويقومون من الأموات . (المستقيم ينظر وجهه) .. قارن مز ١٦ : ٨ - ١١ ، ١٧ : ١٥ ، ٢٣ : ٦ ، ٤٩ : ١٥ ، ٧٣ : ٢٣ وما بعده ، ١٣٩ : ١٨ .

المزمور الثانى عشر
أحاديث ليّنة تريح الناس القساة*

يمكن أن يكون هذا المزمور امتدادًا للصيحة الواردة فى مز ١١ : ٣ لأن الموقف يهدد بالخطر .. والنموذج هو لتعاقب الصلاة والوعد ثم الصلاة ، وهو يحتوى تأكيدًا للراحة لكنه ينتهى والأحوال لا زالت ظاهريا لم تتغير .

الأعداد ١ – ٤ : قوة الدعاية :

عندما يفتتح المزمور يبدو كأن فكر رجل الله قد تطلع إلى أعلى ليجد نفسه محاطا بالأعداء وقد تركه حلفاؤه جميعا . وبينما كان شخص آخر غير المرنم – يمكن أن يلجأ إلى إعادة التفكير فى موقفه ، خاصة وأنه واحد ضمن أقلية – نجد أن داود يشير طالبا النجدة .. ولا يتراجع .

العدد ٢ : تجد هنا كلامًا بلا مضمون ويليه فى عدد (٣) وما بعده المفتخرون الذين تتركز سياستهم هم ورفاقهم فى التأثير فى المستمع أكثر من التواصل معه – « الكذب » يمكن أن يترجم هنا بصيغة أدق بلا مضمون أو بالباطل وهذا التعبير الذى يشتمل (الزيف) ومن ثم (عدم الاخلاص) [مثلا مز ٤١ : ٦ وهوشع ١٠ : ٤] وعدم تحمل المسئولية (مثلا خروج ٢٠ : ٧) مما يقلل من قيمة التعاملات البشرية .. انظر أيضا التعليق على العدد (٨) (شفاه ملقة) تعنى حرفيا (كلام ناعم) وهو خطير لأن الكلام الناعم يسر سامعه ويجعله لا يستغنى عنه فيصبح نوعا من الادمان كما سيظهر من تاريخ إسرائيل اللاحق (إش ٣٠ : ١٠ – ويوحنا ٥ : ٤٤) .

(بقلب فقلب) أو (بقلب منافق) يتبع إثر الكلام المزدوج إلى منبعه وهو (الفكر المتقلب) .. لأن المُخادع يُصبح فريسة لنفسه ، بلا وجود للحقيقة التى توحد شخصيته .

العددين ٣ و ٤ : لا يقلل الكتاب المقدس من قوة (كلام العظائم) ، والرب هو نفسه الذى يجب أن يسكته .. ربما كان فى فكر يعقوب عندما

* يطلق (تشترتون) على هذا المزمور عنوان (أيها الرب إله الأرض والمذبح) .

كتب (يع ٣ : ٥) الجزء الثانى من الآية (٣) هنا .. والعهد القديم يصور قوة سلاح الكلام من البداية إلى النهاية – ابتداء من الحية فى جنة عدن إلى المضطهد الذى تنبأ عنه دانيال ٧ : ٢٠ بالقول (فم متكلم بعظائم) .. ويتبع العهد الجديد نفس الموضوع فى (٢ بطرس ص ٢) و (الرؤيا ص ١٣) وليس عبثا ما قيل عن حليف الوحش الرؤوى أنه النبى الكذاب (رؤ ٢٠ : ١٠) .

الأعداد ٥ و ٦ : الهجوم المعتاد للحقيقة :

هذا هو أول مزمور يحتوى على (قول إلهى) وهناك أمثلة أخرى لهذا فى المزامير ٦٠ و ٨١ و ٩٥ ولا يسعنا إلا أن نخمن الطريقة التى جاءت بها .. وعادة ما يستنتج أن الأنبياء كانوا فى محضر الله فى المقادس لكى ينقلوا رد الله على الصلوات التى ترفع إليه ، لكن من الأيسر تخيل أن مثل هذا الرد قد جاء مباشرة إلى كاتب المزمور .٠. وبالتأكيد فإن (كلمات داود الأخيرة) تتكون من : وحى أوحى به إليه وتحليلاته الشخصية له – بطريقة تشبه ما هو وارد فى هذا المزمور (٢ صم : ٢٣ : ١ – ٤ ، ٥ – ٧) .

فى وسع الذى ينفث فيه : وقد جاءت فى بعض الترجمات الأخرى (الأمان الذى يتوق إليه) وفى ترجمة كتاب الحياة : « لكن الرب يقول إنقاذا للمساكين واستجابة لتنهدات المظلومين أهب الآن لأفرج كربة المتضايقين » . ويمكن أن يكون لها معنى عدائى كما فى (حز ٢١ : ٣١) . (كلام الرب) وهو تعبير شائع يجمع بين معنى الكلام الوارد فى عدد (٥) والأقوال المختلفة التى يقولها الناس فى الأعداد (١ – ٤) .. وهنا نجد (كلام نقى) مقابل (يتكلمون بالكذب) فى عدد ٢ / أ .. والحقيقة الصافية مقابل (الشفاه الملقة واللسان المتكلم بالعظائم) عدد ٢ / ب – ٤ .

(بوطة فى الأرض) – أو (تنور على الأرض) لحرق الخزف مثلا .

الأعداد ٧ و ٨ : الحرب تستمر :

تقول بعض الترجمات (احفظنا يا رب) لكن النص العبرى هو (أنت يا رب تحفظهم)* وإذا كان الأمر كذلك فلابد أن الإشارة هنا إلى

* انظر كتاب الحياة « أنت يا رب تحفظ الأبرار » – المحرر .

(المواعيد) أو (كلام الرب) (عدد ٦) تحفظهم .. والتوسل التالى مباشرة (احرسنا) - أو (تحرسهم) فى الأصل العبرى - قد تعنى (تربيهم) أو (تحيطهم) - قارن مز ١٤ : ٥ و ٢٤ : ٦ وأمثال ٣٠ : ١١ - ١٤ .

ويسير العدد الأخير من المزمور فى نفس اتجاه الموضوع العام له [تحقير الكلام الملق] وإن كان أيضا يحمل إشارات أوسع فإن كلمة (الأشرار) تحمل معنيين : الحقارة (قارن إرميا ١٥ : ١٩ - المرذول - كنقيض للثمين) والإسراف المخجل (الشرَه أو النهم كما فى أم ٢٣ : ٢٠ وتثنية ٢١ : ٢٠) .. وبينما تتألق قيم الأشخاص (البطالين) (قضاة ٩ : ٤) فإن الأشرار لن يدعوا الفرصة تفلت منهم « فيستعرضون أنفسهم » - أو « يتمشون » كما فى العربية .. إن معركة الكلام ليست موضوعا بسيطا . فما أن يعترى الإنسان أى ضعف حتى يدخل العدو .

المزمـور الثالـث عشـر

من الوحشة إلى البهجة

ترتقى الجمل الثنائية الثلاث من الأعماق إلى نقطة أفضل مليئة بالثقة والرجاء .. وإذا كان الطريق إلى ذلك هو (الصلاة) - عدد ٣ و ٤ فإن النشاط المدعم له هو الثقة والإيمان المعبّر عنه فى الآية (٥) والمنظر من القمة مبهج (عدد / ٥) واستعادة الأحداث (عدد ٦) تغمر الأحاسيس بالفرح .

الأعداد ١ و ٢ الوحشة :

إن تكرار كلمات داود (إلى متى) ٤ مرات مؤثرة فى حد ذاتها ، لكن الجمل المرتبطة بها تحلل الحزن على ضوء علاقته بالله وبنفسه وبأعدائه .

عدد (١) : فأولا ، لا شك أن نسيان الله ، وحجب وجهه ، كانت تعنى الامتناع عن تقديم المعونة العملية [حيث أن (تذكر الله) أو (نظره) فى العهد القديم كانت مقدمات للعمل وليست حالات شعور معينة] [وكمثال كلاسيكى لهذا انظر خروج ٢ : ٢٤ و ٢٥ حيث يقدّم لأحداث الخروج العظيمة - وانظر أيضا التعليق على مز ٨ : ٤] لكن الألم الناجم عنها كان شخصيا - إذا كان لنا أن نحكم بهذا من استمرار تلهف داود على رؤية وجه الله (مز ١١ : ٧ ، ١٧ : ١٥ وقارن أيضا مز ٢٧ : ٤ و ٨ ، ٣٤ : ٥) ونفس مفهوم الصداقة الذى يسود هنا يعبر عنه فى أى ٢٩ : ١ وما بعده ، وقارن أيضا مز ٢٧ : ٤ و ٨ ، ٣٤ : ٥) .

عدد ٢ : ثانيا ، كان داود يشعر بالقلق فى نفسه . إذ أن النص العبرى للعدد (٢ / أ) فيه معنى التعزية وليس الهموم .. فهناك دوامة من الفكر (قارن مز ٧٧: ٣- ٦) أكثر من مجرد ألم الرفض المحض- والعامل الثالث وهو (ارتفاع) عدد ٥ - يرعبه لأكثر من سبب : ليس فقط لكونه السبب فى إذلاله شخصّيا بل أيضا لكونه تهديدًا لمُلكه (٤ - ب) ومؤثرا فى إيمانه بعدل إلهه ، إن سلوك داود أثناء تمرد أبشالوم سلوك فيه قدوة ، وإن يكن أقل من الكمال ،

على جميع المستويات : شهامته الشخصية ومسئوليته الملوكية وإيمانه الواثق (٢ صم ١٥ - ١٩) .

أعداد ٣ و ٤ : تضرع :

سواء كان ما جاء بعدد (٣) يعنى أن المرض كان سبب هبوط روح داود المعنوية ، فإن الآيتين ٣ و ٤ تظهر أن العمودين اللذين يقوم عليهما عالمه : الله - الذى بدونه تصبح الحياة مستحيلة الاحتمال - والعدو الذى يجعل أى تزعزع بعيدًا عن تفكيره .. وإن وعى داود بوجود الله والعدو هو العلامة المميزة لجميع مزاميره .. فهذان هما الدافعان الإيجابى والسلبى اللذان نتجت عنهما القوة المحركة مدة حياته .

اعداد ٥ و ٦ : يقين :

(أنا) - أو (أما أنا) هى توكيدية .. وبنفس المعنى وإن يكن بدرجة أقل (على رحمتك) .. ومهما كانت الضغوط شديدة ، فلا زال هناك الخيار الواحد - فعهد الله قائم - وعليه فإن الكاتب يودع نفسه لدى هذا الحب الأكيد ويلتفت لا إلى نوع إيمانه بل إلى موضوع إيمانه ونتيجته التى يعتزم التمتع بها .

والفكرة الأساسية للقول (أحسنَ إلى) هى (الاكتمال) - وتترجم أيضًا (أعطانى كل ما أرغب) ومرة أخرى تترجم (تعامل معى بسخاء) وهذا أقرب إلى المعنى لأنه يعطى مجالاً لله أن يعطى (أكثر مما نطلب أو نفتكر) وصيغة الماضى فى الفعل (أحسَن) تنبع من ثقة داود وتأكده أنه ستكون لديه هذه الترنيمة ليرنمها عندما يستعيد الطريق الطويل الذى اقتاده فيه الرب .

المزمور الرابع عشر

أولاد الافاعى

تكشف روح الكفر والإلحاد عن نفسها بطريقتين : الاستهانة بشريعة الله (١ - ٣) واضطهاد شعبه (٤ - ٦) أى بإظهار الاحتقار للسماء بطريق مباشر وغير مباشر - المنظر الذى يراه الله عندما يشرف من السماء على الأرض هو الجهل الطائش (١ / أ و ٢ / ب و ٤ / أ) والشر الناتج عنه الذى يبرز من ثنايا المزمور - لكن نقطة الارتكاز تتغير فى العدد الأخير من المزمور وتصبح فى الميدان الأرضى حيث ينتظر إسرائيل المضطَهَد فى لهفة الإصلاح الذى لابد سيأتى .

وقد تكررت كلمات المزمور بالكامل تقريبا فى مز (٥٣) حيث جاءت كلمة (الله) محل كلمة (الرب) - انظر التعليق على الأعداد ٥ / ب و ٦ فيما بعد .

العدد (١) : استبعاد الله :

الكلمة الأخيرة عن الإلحاد جاءت فى روميه ١ : ٢٢ (وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء) وهو حكم قد تثبت فى سياق المزمور - (إذ معرفة الله ظاهرة فيهم ، لكنهم لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم) رو ١ : ١٩ و ٢٨ والكلمة العبرية المستخدمة للدلالة على الأحمق هنا هى (نابال) التى تتضمن معنى الانحراف والضلال المطبق الممثلين فى نابال المذكور فى ١ صم ٢٥ : ٢٥ .. والتأكيد على أنه (لا يوجد إلهٰ) لا يُعامل فى الأسفار المقدسة كقناعة مخلصة - إذ كانت نتيجة تضليل - بل كعلامة تحدٍ غير مسئولة .. وفى قرينة مز ١٠ : ٤ يأتى تفسيرها على أنها مقامرة ضد المسموح به أخلاقيا - وفى أيوب ٢١ : ٧ - ١٥ تعامل (كضيق وتبرم بالسلطة) وفى رو ١ : ١٨ وما بعده كانتحار فكرى وأخلاقى .. وهناك عناصر من كل هذه المعانى فى الفقرة موضوع تعليقنا ، فإن العدد ١ / ب يظهر فعلا نتيجة هذا الاتجاه فيما يتعلق بالشخص نفسه (فسدوا) - قارن تك ٦ : ١٢ - وبالنسبة لله (رجسوا) تشير مبدئيا وأساسًا إلى الإساءات الموجهة لله

وللناس أيضا .

(ليس من يعمل صلاحًا) .. وهذا ما توسعت فيه (رومية ص ١) و (أيوب ص ٢١) و (مز ١٠) المشار إليه بعاليه .

الأعداد ٢ و ٣ : خضوع الإنسان :

الفكرة فى هذين العددين أن الإنسان المادى المتعجرف فى عدد (١) ما هو إلا مثال للإنسان عمومًا – وإن كان مثالاً متطرفًا . وتعود الآن للظهور – سواء مباشرة أو بطريق غير مباشر – كل المصطلحات الرئيسية لهذا العدد ، وليس كل واحد من نوع نابال – الأحمق العدوانى – (انظر العدد ١ / أ) ولكن مع ذلك (ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد) وتستخدم هنا كلمة جديدة للدلالة على الفساد وإن كانت ليست أخف وقعًا .. وقد تعززت فكرة (ليس من يعمل صلاحًا) بالقول (ليس ولا واحد) وهذه ليست مبالغة طالما أن كل خطية ، تتضمن وقاحة الافتراض أننا نعرف أحسن من الله وفساد ومحبة الشر أكثر من الخير ، وهنا تذكير بالطوفان فى القول (أشرف الرب من السماء على بنى البشر فرأى أن الكل قد زاغوا معًا فسدوا) (تك ٦ : ١٢) لكن (رومية ٣ : ١٠ – ١٢) يبيِّن بجلاء أن هذه الحالة دائمة وخالدة كما هى عامة وسائدة على العالم كله .

الأعداد ٤ – ٦ : خطأ عظيم فى التقدير :

تُرى الآن حماقة الشر – الموضح فى العددين (١) و (٢) – على أنها فشل فى التمييز (٤) وفى التنبؤ بما سيحدث (عدد ٥ و ٦) .. وهناك حالة بلادة حيوانية ورضا عن الذات تبدو فى اللامبالاة التى يعيش فيها المستغلون والدنيويون المذكورون فى عدد ٤ ، والتى لا يدانيها سوى حالة تلك الفاجرة الجبيرة المذكورة فى أمثال ٣٠ : ٢٠ فهى تبدو أصعب من اختراق بلادتها من ذلك المتبجح الوارد فى العدد (١) وقد يكون هذا هو حال إنسان القرن العشرين .

وعن (الخوف) أو الرعب الآتى (الذى يسميه مز ٥٣ : ٥ « هناك خافوا خوفا و لم يكن خوف ») انظر أيضا (إشعياء ٢ : ١٩ وما بعده ، رؤيا ٦ :

١٥ وما بعده) .. ويقول (س . لويس) « وفى النهاية .. فإن وجه الله الذى هو بهجة للعالم ورعب له فى نفس الوقت سيتجه فى اتجاه كل منا .. إما ليُمنح مجدًا لا يعبَّر عنه أو ليسبب الخزى والعار الذى لا شفاء منه ولا يمكن إخفاؤه ».

العددين ٥ / ب و ٦

عن كلمة (الجيل) انظر التعليق على مز ١٢ : ٧ – وعن هذه النقطة يتباعد (مزمور ٥٣) عن (مز ١٤) تباعدًا كبيرا حتى نهاية العدد (٦) – ويمكن تفصيل النصين كما يلى :

مز ١٤ : ٥ / ب و ٦	مز ٥٣ : ٥ / ب وج
لأن الله / فى الجيل البار	لأن الله قد بدد عظام محاصريك
رأى المسكين ناقضتم	أخزيتهم
لأن الرب ملجأه	لأن الله قد رفضهم

ودرجة التشابه والاختلاف بينهما توحى بتوفيق متعمد فى نص (مز ٥٣) فى مواجهة أزمة قومية كالتهديد بالغزو أو الحصار مثلا . وهذان النصان باختلافهما فى هذه النقطة ، يؤديان غرضين مختلفين .

العدد ٧ : اليوم العظيم الآتى :

تكلمت الترجمات القديمة عن (رد سبى إسرائيل) – كما فى العربية – وهو أمر يجعل هذا العدد يبدو كما لو كان ملحقًا تاليًا لمزمور داود .. لكن هناك اتفاقا عاما الآن على ترجمة العبارة إلى تجديد ثروات إسرائيل – أو رفاهيته ، وهو الأمر الأكثر شمولا .. ويتعلم المسيحى من (رومية ٨ : ١٩ – ٢٥) أن يصلى مثل هذه الصلاة فيما يتعلق (بانتظار الخليقة كلها للعتق من عبودية الفساد) .. ويمكن أن نجد عينة من هذا الفرح فى (العدد الأول من مز ١٢٦) .

المزمور الخامس عشر
رجل حسب قلب الله

طريقة (السؤال والجواب) هنا يمكن أن تكون على مثال ما كان سائدًا فى بعض المقادس فى العالم القديم ، حيث يسأل المتعبد عن شروط القبول ويجيبه الكاهن .. ولكن بينما كان المتوقع أن يكون الجواب عبارة عن مجموعة من المطالب الطقسية (قارن خروج ١٩ : ١٠ - ١٥ و ١ صم ٢١ : ٤ و ٥) نجد هنا لدهشتنا أن جواب الرب يفحص الضمير ، ويحدث هذا مرة أخرى فى (مز ٢٤ : ٣ - ٦ وإش ٣٣ : ١٤ - ١٧ حيث ترتفع الذروة - كما يحدث فى هذا المزمور كله - إلى تطويب القلب النقى .

العدد ١ - الرب مضيف البشر :

كلمة « مسكنك » أو « خيمتك » تستحضر فى الأذهان عالمين مختلفين : أحدهما عالم العبادة الرسمية والذبيحة (خروج ٢٩ : ٤٢) يعززه القول (جبل قدسك) - والعالم الآخر هو : الضيافة العادية البسيطة ، ويظهره القول (من ينزل .. من يسكن) وكثيرا ما تمزج المزامير بين الفكرتين حيث يُرى المتعبد كأنه ضيف متلهف وزيارته للمعبد كأنها (عودة إلى المنزل) - مثلا مز ٢٣ : ٦ ، ٢٧ : ٤ و ٥ ، ٨٤ : ١ وما بعده) .. لكن هذا يجعل السؤال (من ينزل ؟) أكثر دقة ونفاذًا حيث أن المواجهة هنا شخصية : (لأن الشرير لا يساكنك) (مز ٥ : ٤) انظر التعليق على عدد ٥ / ج فيما بعد .

الأعداد ٢ - ٥ : الإنسان كضيف على الله :

الصورة ليست نموذجا شاملاً كاملاً فإن هناك ملامح أخرى تظهر فى إجابات مثل مز ٢٤ وإش ٣٣ الموضحين أعلاه فضلا عن ما جاء فى التطويبات أو فى (١ كو ١٣) .. إن هذا الرجل - فوق كل شيء - (رجل متكامل) .

عدد ٢ : شخصيته : حق

القول (بالكمال) يعتبر سلبية نوعًا ما بالنسبة للكلمة العبرية **(tàmîm)** مثل تمام فى العربية التى تتضمن (ما هو كل) أو (بكل قلبه) - والتعبير

الثانى (الحق) أساسى فى أخلاقيات العهد القديم ، وهذا ليس أمرًا تافهًا حيث أن هناك نظما أخلاقية لا تبنى على الحق بل على كل ما يؤدى للسعادة وتحقيق الذات . وكلمة (الصدق) فى العبارة الأخيرة من العدد تعنى ، ما هو مؤكد ومحل ثقة وليس مجرد ما هو صحيح .. فإن ما يقوله هذا الرجل ينطبق عليه فعلا (قارن بين هذا وما جاء فى مز ١٢ : ٢ وإش ٢٩ : ١٣) .

عدد ٣ : كلماته : مُحكمة

كلمة (يش) لها خلفية (من يتجول لكى يتجسس على أشياء ونشرها لآخرين) (مثلا تك ٤٢ : ٩ وما بعده – وقارن فى تعبير آخر لاويين ١٩ : ١٦) .. والوشاية أقرب إلى الفضيحة منها إلى الافتراء . (صاحبه) فى الأصل العبرى كلمة يختلف معناها باختلاف مواضع استخدامها .. وهى هنا لا تشير إلى أكثر من القول شخص آخر . وهذا التعميم أكثر مناسبة للصورة من معنى يحمل ولاء الصداقة الضيق .. وفى العبارة الأخيرة (لا يحمل تعييرا) يمكن أن تعنى إما توجيه الإهانة كما يقول (جيلينيو) أو (إبراز معلومة مخزية) وإعادتها إلى الأذهان دون داعٍ . والآية كلها تتوسع فى موضوع جاء فى (أمثال ١٠ : ١٢) – (البغضة تهيج الخصومات والمحبة تستر كل الذنوب) .

عدد ٤ : ولاؤه : واضح المعالم

إن ما يبدو لأول وهلة أنه (فرِّيسيّة) فى عدد ٤ / أ – لا يعدو فى الحقيقة أن يكون (ولاءً) .. فهذا الرجل لا يقارن نفسه بالآخرين لكنه يقول رأيه – يعلن ما يعجب به – وأين يقف .. ويوضح هذه النقطة موقف (أبرام) من الملكية فى تك ١٤ : ١٧ – ٢٤ كما يوضح (التكلفة المتوقعة) أو المحتملة .

العدد ٤ – ج ، ٥ : معاملاته : جديرة بالاحترام

العبارتين الأوليين (٤ – ج) و(٥ – أ) تحتاجان إلى تفسير من الأسفار المقدسة – أما العبارة الثالثة (٥ – ب) فهى واضحة .. والسطر الأخير (٥ – ج) يلخصّ المزمور كله .

وحول الحلف المتسرع فى (٤ / ج) فإن النقطة هنا هى (الضرر) الواقع

على الشخص نفسه وليس على الآخر (على عكس ورطة يفتاح أو هيردوس) إلا أنه بالرغم من هذا فإن (أمثال ٦ : ١ - ٥) يعلِّمنا أنه إذا أدرك الإنسان خطأه يستطيع أن يطلب السماح ويلح عليه ، فطالما كان الحلف أو (الوعد) قائما ، فيمكن للمستفيد أن يصر على تنفيذه ، هذا أفضل تصرف يمكن التوصل إليه بين طرفى النزاع أى بين من يريد أن يتراجع عن وعده والشخص غير العملى .

ويتوسع بولس الرسول فى هذه الفكرة فى (٢ كو ١ : ١٥ - ٢٣) بالتمييز ليس فقط بين التردد وإعادة التفكير المسئول بل أيضا بين الحفاظ على منطوق التعهد وبين التوصل إلى تحقيق الغرض الحقيقى منه فى بعض الظروف . (فضته .. بالربا) - ٥ /أ - هذا أمر مدان فى الكتاب المقدس - إنما فى بعض الحالات فقط (قارن : تثنية ٢٣ : ٢٠ ومتى ٢٥ : ٢٧ [ويلاحظ فى هذه الحالة الأخيرة أنه لو أن جواب السيد - فى المثل - قد أدانه ، فإن ذلك يكون ضعفًا فى المثل] لكن فى سياق استغلال سوء حال الأخ نجد فى (تثنية ٢٣ : ١٩ ولاويين ٢٥ : ٢٥ - ٣٨) توضيحا كافيا .. بل إن الفقرة الأخيرة تحظر بيع الطعام له بالربح .. وفى الأسرة يقوم أحد أفرادها بإعانة الضعيف أما خارجها فقد أباحت الشريعة حرية التصرف .. بينما حرّم الابتزاز وشجع الكرم والسماحة (قارن خروج ٢٢ : ٩ ولاويين ١٩ : ٣٣ وما بعده) ولم يميز هذا المزمور بين أخ أو غريب محتاج .

العدد ٥ / ج : مكانه محفوظ

يتجاوز الفكر هنا مجرد دخول الأعتاب والترحيب .. بل إن السؤال فى عدد (١) تكلم عن (السكن) وليس مجرد الحصول على إذن بالدخول .. لأن الصفات والسجايا التى يعنيها المزمور هى تلك التى يخلقها الله فى الرجل وليست تلك التى يجدها فيه .. وإزاء التهديد بعدم الأمن الذى يعبر عنه غالبا فى المزامير بالقول (يتزعزع) مثلا : (مز ١٠ : ٦ ، ١٣ : ٤ - حرفيا) لا يكون الحل هو الوقوف بجانب القوى بل بتثبيت الثقة فى الرب والإيمان به (كما فى مز ١٦ : ٨ ، ٤٦ : ٥ ، ٦٢ : ٢ و ٦) وبهذا المعنى فقط يتعزز ويتأكد المعنى الكامل للكلمات الأخيرة من المزمور (لا يتزعزع إلى الدهر) .

المـزمـور الســـادس عشـــر

« كـــل بهجتـــى »

إن موضوع تركيز العواطف فى الرب يعطى هذا المزمور وحدته وحرارته .. ويمكن تقسيم المزمور إلى : الترنم بالولاء الاختيارى (أعداد ١ – ٦) والبركات المقابلة لهذا (أعداد ٧ – ١١) .

العنوان : انظر المقدمة .

الأعداد ١ – ٦ : العبد المخلص

تكاد كل آية فى هذا النصف الأول من المزمور تتكلم عن بعض مظاهر الإخلاص ، بإلقاء قرعة الإنسان مع الله فى مجالات : الأمان (عدد ١) – الخير والرخاء (عدد ٢) – الرفقاء (عدد ٣) العبادة (عدد ٤) الطموحات (عدد ٥ و ٦) .

عدد ١ : عن موضوع الملجأ .. انظر مزمور (١١) كله .

عدد ٢ : الجزء الثانى منه غامض المعنى جدا كما توحى الاختلافات فى الترجمة .. وأبسط وأدق ترجمة بالنسبة للنص العبرى تقول (إن خيرى – أو رفاهيتى – ليست بعيدة عنك – أو ليست بالإضافة إليك – أو ليست بمعزل عنك) وهذه الفكرة معبر عنها بوضوح أكثر فى (مز ٧٣ : ٢٥) .

عدد ٣ : النص العبرى هنا أيضا صعب الفهم لكن بعض الترجمات الإنجليزية استطاعت أن تصل إلى مفهومه باتباع ما جاء فى بعض المخطوطات التى حذفت حرف (و) بينْ (القديسون) و (الأفاضل) . وهناك حلول أخرى تتضمن تعديلات أكبر ويفترض معظمها أن القديسين والأفاضل تعنى (الآلهة الوثنية) ويمكن أن يكون هذا فى الأسفار الوثنية ولكن ليس فى مثل هذه القرينة .. وهناك ترجمة تعطى عبارة تفسيرية لكنها ترتبط بتخمينات أخرى فى النص .. والقديسون كما فى العهد الجديد هم الأشخاص المقدسون .. وعادة ما تستخدم هذه الكلمة فى العهد القديم عن السمائيين وليس عن القديسين الذين فى الأرض (قارن مثلا مز ٨٩: ٥ – ٧ ولكن انظر مز ٣٤: ٩ و١٠٦ :

١٦ حيث نجد استخداما لكلمة مقدس كما هى هنا) . ومن هنا جاءت العبارة التوضيحية (الذين فى الأرض) والتعبير الذى يترجم عادة (قديسون) فى المزامير هو الكلمة العبرية hasidim بمعنى أشخاص أتقياء وذوى ولاء كما فى (عدد ١٠) .

العدد ٤ : هناك صدى واضح لقصة السقوط فى عبارة (تكثر أوجاعهم) حيث أن الأصل العبرى لتكوين ٣ : ١٦ يحتوى على كلمات مشابهة لها فى ما قيل لحواء .. ولا نكاد نجد إشارة أكثر شؤما من هذه لنتائج الارتداد عن الإيمان .

وقد جاءت الآية فى بعض الترجمات « تكثر أوجاعهم الذين اختاروا آخر » وطبيعة الاختيار واضحة جدا مما جاء فى بقية الآية إلا أن كلمة (إلهٰ) ناقصة والفعل اختار غير مؤكد حيث أن معظم المترجمين يقولون (يسرع) ولكن بعضهم يقولون (يتبادل) كما فى مز ١٠٦ : ٢٠ ، إر ٢ : ١١ .

الأعداد ٥ و ٦

الفكر أن الله نفسه هو ميراث داود – والذى جاء هنا مباشرة بعد الإسراع وراء (إلهٰ آخر) – عدد ٤ – يوحى بتوجيه التأنيب لشاول فى ١ صم ٢٦ : ١٩ (لأنهم قد طردونى اليوم من الانضمام إلى نصيب الرب قائلين : (اذهب اعبد آلهة أخرى) .. إنه هنا قد تجاوز أفكار أعدائه ، وشكوكه الشخصية مدفوعًا بشدة .

وهو يتذكر أن الحرمان من الميراث يمكن أن يكون شرفًا وإشارة إلى الضمان الحقيقى الوحيد ، حيث أن الله (بالمثل) لم يعط للكهنة مساحات من الأرض ليقولوا إنها ملك لهم بل أعطاهم التأكيد « أنا قِسمك ونصيبك فى وسط بنى إسرائيل) – العدد ١٨ : ٢٠ – كذلك فإن داود – وكل من يتغنى بمزموره يمكنه الآن أن يرى أن هذا ليس ميزة خاصة للكهنوت بل هى إشارة إلى الأمجاد الحقيقية المذخرة لكل واحد من شعب (إسرائيل الله) – فنحن (مملكة كهنة) قارن خروج ١٩ : ٦ (نصيب قرعتى) تدل على مركزية الله . وهى ليست تقوى متطرفة بل مجرد (طاعة بسيطة) كما أن هذه الثروة ليست معرضة للخطر لأنها غير منظورة (٥ / ب) كما أنها أيضا ليست خيالية غير حقيقية*

---

* يمكن أن تفهم الآية (٦) على أنها إشارة إلى بركات إضافية (مادية) لكن حركة المزمور نفسه الأساسية واستمرارية مثال (الوراثة) من الآية (٥) تنادى بعكس ذلك .

لأنها غير ملموسة (عدد ٦) .. إن أكثر الأسباط تميزًا فى قرعة التخوم لا يمكن أن تتفاخر بشيء أحسن من هذا .. (حبال) – قارن يشوع ١٩ : ٥١ .. هنا نجد مجال القيم التى نتعرف عليها مرة أخرى فى فيلبى ١ : ٢١ ، ٣ : ٨ .

الأعداد ٧ – ١١ : الرب الأمين

إن بعض البركات الخاصة للميراث السماوى – الذى هو الله نفسه – سلطت عليها الأضواء .. فكون الإنسان يأخذ الله يعنى أنه يتمتع ليس فقط بالإرشاد (عدد ٧) والتثبت (عدد ٨) بل أيضا بالقيامة (٩ / أ) والسعادة التى لا تنتهى (عدد ١١) .

عدد ٧ : « الإرشاد الإلهى » المصور هنا ليس فيه شيء سطحى أو هيّن ، فمن جانب الله : هو نصيحة أو استشارة أكثر منه إجبار أو إكراه ، ومن جانب الإنسان : هو نوع من (فحص القلب)* الذى يمكن أن يسلب من العين النوم .. وفى مز ١٢٧ : ٢ يرثى المرنم هذا القلق إذا كان مجرد (حمل الهموم) .. لكن الكلمة (نصحنى) فى هذا العدد لها نفحة حزم مقصودة .. [مثل كلمة (يؤدب) فى مز ٦ : ١ وفى مز ٩٤ : ١٢] كمن يعلّم شخصًا كيف يواجه الحقائق الصعبة .. انظر أيضا (مز ١٧ : ٣) .

العدد ٨ : الكلمات الجسورة (فلا أتزعزع) التى يمكن أن تكون مجرد تفاخر أو تظاهر بالشجاعة (قارن مز ٣٠ : ٦) يحق أن تُغَنَّى كذروة لمثل هذه الآية الواقعية المتزنة .. انظر أيضا مز ١٥ : ٥ جـ .. والقول (عن يمينى) تصور لنا شخصًا يقف إلى جوار آخر وتكون مساعدته بصفة خاصة فى ساحة القضاء أو فى ميدان القتال (قارن مز ١٠٩ : ٣١ ، ١١٠ : ٥) . هناك معانٍ أخرى (لليد اليمين) فى العدد ١١ وأيضا فى مز ١١٠ : ١ .

وقد اقتبس بطرس فى يوم الخمسين هذه الفقرة الختامية من المزمور من الترجمة السبعينية (أعمال ٢ : ٢٥ – ٢٧) كنبوءة عن المسيا الذى عليه وحده فقط يمكن أن ينطبق هذا الكلام حرفيا – (قارن القول « فى كل حين »

* كلمة القلب فى الأصل العبرى هنا تعنى (كليتاى) كما فى الترجمة العربية .. وهى تصوير لهما على أنهما موضع الحزم والاختيار (كما يقال عن القلب أو الطحال أو الأحشاء إلخ) كما يمكن ترجمتها أيضا (الضمير) .. وكلمة (روحى) فى عدد (٩) ترجمت أيضا (كبدى) .

فى هذه الآية) .

العددين ٩ و ١٠ : فى كثير من الأحيان نجد فى المزامير أن الشعور بالتواجد الدائم أمام الرب ينمو إلى أن يصل إلى اليقين بالتمتع الفعلى بهذه الصداقة الحميمة إلى الأبد (انظر مز ١١ : ٧) .. لأن الله لا يتخلى عن أصدقائه أبدًا .. ولا يمكن أن ننكر أن بعض المعلقين لا يرون هنا أكثر من حالة (شفاء من مرض) قارن إشعياء ٣٨ : ٩ - ٢٢ .. لكن المقابلة الواردة فى مز ٤٩ ، ٧٣ بين نهاية الشرير ونهاية البار تساند وجهة نظر أقوى تبدو فى أقوى معانيها - كما يصير كل من بطرس فى أعمال ٢ : ٢٩ وما بعده وبولس فى أعمال ١٣ : ٣٤ - ٣٧ - حيث أن لغتها أقوى من أن تمثل حتى رجاء داود فى قيامته الشخصية ، (أما الذى أقامه الله فلم ير فساداً) أعمال ١٣ : ٣٧ [والترجمة السبعينية اقتبست فى الأعمال الكلمة بمعنى (فسادًا) بينما هى فى العبرية هنا تعنى (الحفرة) - والحروف المتحركة فى كل من الكلمتين العبريتين (الحفرة) و (الفساد) لا تختلفان] .

العدد ١١ : هذه الآية لا تفوقها أخرى فى جمال المشهد الذى تكشفه للعيان بأبسط الكلمات .. (سبيل الحياة) تسمى هكذا أليس فقط بسبب هدفها بل لأن السير فيها يعنى (الحياة) بمعناها الحقيقى (قارن مز ٢٥ : ١٠ وأمثال ٤ : ١٨) فهى تقود - بدون انقطاع إلى محضر الرب وإلى الأبدية - والسرور (المسرات) تقدَّم على أنها (مشبعة تمامًا) وهذا هو معنى الامتلاء - الذى هو من نفس أصل كلمة أشبع كما فى مز ١٧ : ١٥ - وهذه المسرات دائمة التغير بلا نهاية لأنها توجد فى (ذات الله) كما فى عطاياه - مسرات وجهه (أو محضره) ويده اليمنى*.. وهنا يجد الملتجىء إلى الله فى عدد (١) نفسه وارثا .. وميراثه (لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل) .

* التعبير الوارد فى الآية (٨) هو (فى يدك اليمنى) - وليس (عن يمينى) أى أن يد الله اليمنى توزع البركات والعطايا (قارن تك ٤٨ : ١٤ وما بعده ، أمثال ٣ : ١٦) .

المـزمـور السـابـع عشـر

صرخة لطلب العدالة

أول هدف لداود هنا هو أن يطلب براءته ، كاشفًا نفسه لكى يفحصه الله وهذه هى مقدمة لطلب الحماية الذى يسود فى النصف الثانى من المزمور .. وأول ذكر لهذا الخطر يرد فى عدد (٧) الذى يقود إلى سرد حى للأعداء المحيطين وإلى الإلتماس القوى لتخليصه منهم .. والآية الأخيرة تتجاوز هذه الهموم الأرضية وتلقيها خلفها لأن الليل لا بد أن يخلفه صباح مشمس .

العنوان : انظر المقدمة بند (٦) / ج ٢ .

الأعداد ١ – ٥ الالتجاء إلى الحق :

إذا بدت هذه الإدعاءات مبالغًا فيها فإن الله نفسه استطاع أن يستخدم مثلها عن أيوب (أيوب ١ : ٨ ، ٤٢ : ٨) بدون أن يتضمن ذلك – ولو لوهلة واحدة – معنى عصمته من الخطأ – أنظر أيضا مز ٥ : ٤ – ٦ والتعليق عليه إن داود غير راضٍ عن نفسه بل هو مهتم بالتكامل بين حقيقة الإنسان وحقيقة الله . وهو يفحص قلبه ويجد تأكيدًا أن تقواه ليست إدعاءً أو تظاهرًا (قارن ١ يو ٣ : ١٨ – ٢١) ومن ثم فهو يلتمس من الله أن يقضى له على هذا الأساس لأنه يريد أن يبرىء اسمه (عدد ٢) ويستطيع الله بكل تأكيد أن يفعل ذلك ، وليس عند داود ما يخفيه .

العدد ٣ : لاحظ الإشارة إلى فحص الأفكار التى تنفى النوم من العيون – كما فى ١٦ : ٧ ، وهى قد تكون افتقادًا من الله كما يمكن أن تكون التأمل الباطنى للإنسان (قارن مز ٧٧ : ٢ – ٦) وبصورة أكثر بهجة وإشراقًا . اقرأ مز ٦٣ : ٥ و ٦ ومز ١١٩ : ٦٢ .

العدد ٤ : الكلمة المترجمة (تحفظت) تعنى عادة (حفظت) أو (راقبت) لكن هذه الأخيرة قد تحمل معنى عدوانيا كما فى مز ٥٦ : ٦ كما أن هناك معنى آخر للفعل (يحترس / يحذر) .. ربما كان داود يحمل فى ذهنه ما حدث فى ١ صم ٢٥ : ٣٢ وما بعده حيث تعرَّف على صوت الرب من خلال كلمات (أبيجايل) التى حفظته من استخدام العنف .

العدد ٥ : عن كلمة (زلّت) التى تعنى حرفيا (تحركت) أنظر التعليق

على مز ١٥ : ٥ جـ .

الأعداد ٦ - ٩ : الالتجاء إلى الحب :

هنا نجد اللجوء المباشر إلى صديق ومُدافع ، وليست قضية مقدمة إلى قاضٍ .

العدد ٧ : (ميز مراحمك) تعنى فى الأصل العبرى - (أظهر عجائبك) وهذا يستدعى إلى الذهن عجائب تدخلات الله (انظر مز ٩ : ١) وتوبيخه لسارة فى تك ١٨ : ١٤ (هل يستحيل على الرب شيء ؟) .. المتكلين عليك - أو الذين يحبونك حبًا ثابتا - أو حقيقيًا وهو يتمثل فى الولاء للعهد على قياس الوفاء الزوجى .. وقد ترجم القدماء هذه الكلمة بالقول (مراحم المحبة) - قبل أن يقدر ارتباط الكلمة بالعهد وعامل الوفاء به حق قدره - قارن مز ٦٢ : ١٢ .. (يا مخلص) والخلاص فى العهد القديم يهتم أساسًا بالشرور المادية ، لكن يمكن أن يدخل إلى المجال الروحى ببساطة كما فى مز ٥١ : ١٢ و ١٤ .

(المتكلين عليك) أو (الذين يحتون عن ملجأ فيك) هو موضوع مكرر فى المزامير وخاصة تلك التى كتبها داود حيث تبدو السمة المميزه تماما مثل كلمة (الأعداء) ..] وهى حقيقة تتجاوب مع أحداث ومهالك حياة داود المبكرة (مز ١٨ : ٢) .. والقول « بيمينك » تربط بين الخلاص والمخلص نفسه .

العدد ٨ : (حدقة العين) .. هذا الأسلوب البلاغى يتبعه تصوير بلاغى آخر (الجناحين الواقيين) كما فى أغنية موسى (تثنية ٣٢ : ١٠ و ١١) .. وعلى أى حال فهذا أسلوب متعارف عليه فى الكلام (راعوث ٢ : ١٢ - مزامير ٣٦ : ٧ ، ٥٧ : ١ ، ٦٣ : ٧ ، ٩١ : ٤) .

الأعداد ١٠ - ١٢ شهوة القتل :

هذا درس فى (قساوة القلب) عن المفترس الضارى .. سواء كان إنسانا أو حيوانًا ، ويظهر المنظر الدميم للتطويق والحصار يتكرر فى (مز ٢٢ : ١٢ -

١٨) بطريقة تظهر إلى أين تقود فى النهاية : إلى الجلجثة .

العدد ١٠ : السطر الأول من الأصل العبرى هنا غامض خفى المعنى ، فهو يحتوى على كلمتين معناهما (اغلقوا السمين) أو فى صيغة حال (فى حالة سمنتهم) ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى مظهرهم الواقعى الذى يحكى عن أنانيتهم أو حبهم للنفس . قارن مز ٧٣ : ٧ ومعبرًا تعبيرًا صادقًا عن حالتهم الداخلية (مز ١١٩ : ٧٠ سمن مثل الشحم قلبهم) .. والقول (أغلقوا) قد يكون غير متعدٍ .. كما نقول عن شخص غير متجاوب أنه (مقفول) ومن هنا قالت إحدى الترجمات (محصنين فى سمنتهم) لكن بعض الترجمات اعتبره قولا متعديًا كما فى ١ يو ٣ : ١٧ - وكلمة (قلبهم السمين) كأنها تعنى (كل قلبهم) وكلا من المعنيين محتمل .

العدد ١١ : لم يغب رفقاء داود عن أفكاره قط . وكذلك يذكرهم فى صيغة الجمع مرة وفى صيغة المفرد مرة أخرى [صيغة المفرد فى عدد (١٢) يمكن أن تصوِّر العدو إما جماعيًا أو إنفراديًا (أى أن كل واحد منهم يشبه الأسد) ويقترح كيركباتريك أن الإشارة هنا إلى شخص بارز منهم شديد الضراوة كشاول مثلا] .

الأعداد ١٣ و ١٤ : مكافآت الشهوة :

تم هنا وضع صورتين عقليتين لما هو مذخر للأشرار جنبا إلى جنب : الأولى المواجهة مع الله (عدد ١٣) وهو نموذج عادى مألوف للمحاكمة ، يصوِّر بكل قوة على أنه (إيقافهم عند حدهم) - أو (واجههم) أو (تقدمهم - أو تقدمه) .. أما الصورة الثانية (عدد ١٤) فهى العكس الواضح .. الإغداق عليهم بكل الأشياء التى يحبونها .. إنهم (من أهل الدنيا) أعطهم منها ملء بطونهم .. فأن يكون للإنسان كل شىء فيما عدا الله .. هذا فى حد ذاته حُكم كاف . ويظهر معناه بوضوح بالنقيض المطلق الوارد فى العدد الأخير .

القول (بسيفك .. بيدك) .. أى « نج بيدك » و« بسيفك » .. وإلا

فيمكن أن تكون الكلمات مضافة إلى « الشرير » و « الناس » كما فى بعض الترجمات : « من الشرير الذى هو سيفك ، والناس الذين هم يدك » .. وهذه طريقة لتعزيز استخدام الله للناس الأشرار كأدوات للإدانة (انظر إش ١٠ : ٥ وما بعده) لكن هذا يبدو موضوعا أكبر من أن يشار إليه إشارة جانبية لذلك فإن الترجمة الحالية (العربية) مفضلة .

العدد ١٥ : مكافأة الحب :

تنبت هذه الآية الرائعة من الخصب الذى فى الآية (١٤) حيث كل شىء مرتبط بالأرض ، ويبرز التناقض بوضوح من الكلمات الأولى فى آية (١٥) [أما أنا] وقارن مثلا يشوع ٢٤ : ١٥ ب أو مز ١٣ : ٥ . والكلمة (أشبع) أو أكتفى تعنى (آخذ أكثر مما يكفينى) كما فى الآية السابقة .. انظر أيضا التعليق على مز ١٦ : ١١ .. وبذلك نجد هدفى الإنسان جنبا إلى جنب ، كما فى فيلبى ٣ : ١٩ و ٢٠ وأهمية (البر) وضرورته لكى تبصر الرب وجهًا لوجه ليس أمرًا شرعيًا صرفًا ، بل إن البار يستطيع التعامل مع شبيهه (قارن تيطس ١ : ١٥ مع متى ٥ : ٨ .. والوعد بأننا (سنراه كما هو) لا يؤكد لنا فقط أننا (سنكون مثله) (١ يو ٣ : ٢ ، ٢ كو ٣ : ١٨) بل إننا فعلا - بصورة ما - نصبح مثله - إن معرفة الله وجهًا لوجه ورؤية شبهه كانت هى الميزة العظمى لموسى (تثنية ٣٤ : ١٠ والعدد ١٢ : ٨) . وحيث أنه رآه لا فى الأحلام بل فى اليقظة (العدد ١٢ : ٦ و ٧) فقد فسر بعضهم قول داود (إذا استيقظت) أنه لا يعنى أكثر من ذلك . لكن مجموعة مختلفة من التعبيرات القوية فى المزامير تؤيد وجهة النظر التى تقول إن كلمة (استيقظت) تستخدم هنا على أنها تدل على (القيامة) كما هو معناها المؤكد فى إش ٢٦ : ١٩ ودانيال ١٢ : ٢ (انظر التعليق على مز ١٦ : ٩ وما بعده والإشارات الموضحة فى مز ١١ : ٧) وهى الذروة فى استجابة الصلاة الواردة فى عدد (٧) « ميز مراحمك » . وفى ترجمة أخرى « أظهر روعة مراحمك »* .

* انظر كتاب الحياة مز ١٧ : ٧ . المحرر

المـزمـور الثـامـن عشـر

نظرة للوراء من ملك محارب

توجد نفس هذه التشكرات الجياشة ـ باختلافات بسيطة – فى (٢ صم ٢٢) مقدمة بنبذة تاريخية مشابهة . ورغم طول هذا المزمور إلا أن تركيبه مترابط وواضح .. وحيويته تامة .. ورغم أن البعض قد افترض – من الآية الختامية – أن الملك موضوع المزمور ليس هو داود بل واحد من خلفائه ، فإن هذه الآية لا تتطلب هذا ، فضلا عن أن نكهة المزمور وحيوية الكتابة تشير إلى اختبارات شخصية كالتى سبق لداود أن اختبرها .. وهناك إشارة عارضة لداود هى الكلام عن حرب المشاة (عدد ٢٩ و ٣٣) حيث أن الملوك الذين جاؤوا بعده سرعان ما استخدموا المركبات (١ مل ٢٢ : ٣٤ ، ٢ مل ٩ : ٢١) التى استخدمها سليمان على نطاق واسع لكن « هناك الكثير فى هذا المزمور مما ينطبق على المسيح أكثر من انطباقه على داود » كما قال كالفن .. وفى رومية ١٥ : ٩ لم تكن هناك حاجة لبولس أن يجادل لكى يعزز هذا الرأى باستخدامه الآية ٤٩ كجزء من نبوة عن المسيا .

العنوان : عن القول (لإمام المغنين) انظر المقدمة بند ٦ / ج ٣ .. ونفس النبذة التاريخية الواردة هنا جاءت فى ٢ صم ٢٢ : ١ وأضيف إليها هنا (عبد الرب) كما فى عنوان المزمور ٣٦ .. وقد جاءت الآية الأخيرة من المزمور كأنما لتتمشى مع هذا المعنى فتكلمت عن (مسيحه) وهو تعبير آخر يضخم هذا المعنى كلما اقترب تحقيق نبوات العهد القديم بمجيء العهد الجديد .. ويحدد المزمور هذه النقطة بفترة مبكرة من حكم داود حين كان فى أوج قوته (قارن ٢ صم ٨ : ١٤ ب) وذلك قبل أن تترك خطيته الكبرى آثارها عليه ، وتلقى بظلالها على مملكته كلها (٢ صم ١٢ : ١٠ وما بعده) .

الأعداد ١ – ٣ : الملجأ

عدد ١ : لم تذكر الآية الأولى فى (٢ صم ٢٢) .. وكلمة (أحبك) كلمة غير عادية .. فهى كلمة عاطفية انفعالية لا توجد فى أى مكان آخر

إلا فى صيغها المؤكدة . وهى عادةً تعبر عن الحب العاطفى من الأقوى إلى الأضعف .

عدد ٢ : يسترجع داود بخياله – فى هذا الفيض من التشبيهات – حوادث نجاته وانتصاراته ، كما يبدو فى عنوان المزمور ويتأمل فى معانيها (الصخرة) حيث تمت نجاته من شاول بطريقة غير متوقعة (١ صم ٢٣ : ٢٥ – ٢٨) .. و (الحصن) [أو كهف عدلام حيث كوّن داود أولا مجموعة الخارجين على القانون – والذى كان ملاذا له فى العديد من الأزمات وأصبح مكانًا زاخرًا بالذكريات – ١ صم ٢٢ : ٤ ، ٢٤ : ٢٢ ، ٢ صم ٥ : ١٧ ، ٢٣ : ١٣ وما بعده)] .. (صخور الوعول) (انظر ١ صم ٢٤ : ٢) هذه كلها كانت رمزًا لذاك الذى كان هو الملجأ الحقيقى .

الأعداد ٤ – ١٩ : النجاة

إن حجم هذا المنظر الجبار هو نقيض عجيب مع حجم جسم الإنسان الصغير الذى كتبه ، والذى يحارب الله بنفسه متسلحا بأرحب أسلحته دفاعًا عنه لتخليصه من الموت والهلاك (عددى ٤ و ٥) .. هذه هى قيمة الفرد – كما يقول المزمور – وهذا هو دين الفرد لله ، ورغم كون داود ملكًا فإن المزمور كله يتحدث بصيغة المتكلم المفرد وله نضارة التجربة الشخصية .. إن داود مبارك لأن الرب (سُرّ به) – عدد ١٩ – وليس لأنه مجرد ممثل لشعبه بل إن شعبه سيبارَك بسببه (كما تتبارك الكنيسة لأجل خاطر المسيح) وليس العكس (قارن ٢ مل ٨ : ١٩ ، إش ٥٥ : ٣) .

العدد ٦ : الأفعال العبرية تعطى معنى (ليته يسمع ، وليت صراخى يصل إلى أذنيه) فى النصف الأخير من الآية . ويجيء الرد فورا فى العدد التالى .

الأعداد ٧ – ٩ :

والتجلى الذى يعلنه الله يجعلنا نستعيد ذكرى الخلاص عند البحر الأحمر – بالنار والسحاب وانغلاق ماء البحر (قارن عدد ١٥) وأيضا ظواهر جبل سيناء الذى ارتعش وارتج بشدة ، وصعد الدخان فغلف الجبل (خروج ١٩ : ١٨) عندما نزل الرب عليه . ولا يوجد وصف لهيئة الله ، فإننا لا نلمح

إلا ما يصفه أيوب (بأطراف طرقه) أيوب ٢٦ : ١٤ .. ويرى بعض الشراح هذه الفقرة باعتبارها إحياء لاختبار الخروج والعهد فى سيناء وتشخيصه للعابدين فى صورة طقس يلعب فيه الملك دورًا قياديا [انظر المقدمة بند ٣] – ولما كان افتراض وجود مثل هذا الطقس لا يزيد عن كونه استدلالاً من مثل هذه الفقرات فلا داعى لحشره بين الأحداث الرئيسية وبين وعى داود وإدراكه .. ويكفى أنه يرى ما تعرض له من مخاطر على أنها لا تقل حرجاً ، وخلاصه منها لا يقل إعجازًا عما كان فى أيام موسى مما دعاه إلى صياغتها فى نفس الصيغة الرهيبة ، خاصة وأن الله (أرسل من العلى) عدد ١٦ – لينقذه . وهناك أصداء مشابهة لما جاء فى الخروج فى (قضاة ٥ : ٤ و٥ وحبقوق ص ٣) .

العدد ٨ : كل شيء فى هذا الوصف يتكلم عن الدينونة لكن بما أن هذه موجهة ضد قوى الشر فهى تعنى الخلاص لمن تهاجمهم تلك القوى .. (دخان) كما فى إشعياء ٦ : ٤ يصور رد فعل القداسة تجاه الخطية و (الأنف) فى العبرية هى أداة الغضب .. والنار الآكلة مرادفة لما جاء فى تثنية ٤ : ٢٤ عندما يتحدث عن (غيرة الرب) أو (حساسيته المفرطة) تجاهها .. (جمر) .. لقد تناثر الجمر من مركبة عرش الله على المدينة المحكوم عليها فى حزقيال ١٠ : ٢ .. وهكذا تستمر القائمة..وإذ تقرب العاصفة ، ويزداد الظلام ، تنفجر أخيرا .

العدد ٩ : التعبير (طأطأ السماوات) أى (انحنت السماوات تحته) تعبير مناسب ، كمقدمة لنزوله العظيم فى مركبته .

العدد ١٠ وما بعده : (الكروب .. الظلمة .. الغمام .. الشعاع ..) عاصفة رعدية وكائنات فوق طبيعية تتداخل بنفس هذه الطريقة فى (حزقيال ١ : ٤ وما بعده) حيث ينكشف السحاب عن كائنات حية أى الكروبيم فى محضر الله .. وهذه الكائنات موجودة فى القرائن التى تؤكد قداسة الله التى لا يدنى منها كحراس لشجرة الحياة (تك ٣ : ٢٤) ولقدس الأقداس (خروج ٢٦ : ٣١ و ٣٣) ولكرسى الرحمة (خروج ٢٥ : ١٨ – ٢٢) وكحاملى مركبة عرش الله التى يركبها للدينونة (حزقيال ١ : ٢٢ وما بعده ، ١٠ : ١ وما بعده) .

الأعداد ١٦ - ١٩ :

وبعد كل هذا الكم من الظهورات نجد أن الاهتمام الشخصى الخاص لهذه القمة يبدو مذهلاً .. فإن مظاهر القوة العظيمة لا تنتهى بحركة كاسحة جارفة بل بعمل على قدر الاحتياج .. والقول (أرسل .. فأخذنى) يفضل ترجمته (مد يده فأخذنى) . وينجلى غموض العبارة بما جاء فى مز ١٤٤ : ٧ - حيث يتضح أن (يد الله) هى التى امتدت أو أرسلت وليس يد (رسوله) فى قرينة مماثلة .. وإذا كانت الآية ١٦ تتمشى مع (السيول) الواردة فى عدد (٤) فإن (الرحب) فى الآية (١٩) يتجاوب مع (الضيق) فى الآية (٦) وفى (يد الله) السلطان المطلق (قارن ما جاء فى الظهورات) الذى يستخدمه ليصل بالإنسان إلى (الحرية الكاملة) .

الأعداد ٢٠ - ٣٠ : الله طريقه كامل :

عن (البر الذاتى) الواضح فى الأعداد ٢٠ - ٢٤ انظر التعليق على مز ١٧ : ١ - ٥ وعلى مز ٥ : ٤ - ٦ .. لكنه ، بينما نرى أن داود يستطيع أن يستخدم هذه الكلمات فى إطار محدود - كما نرى فى الفقرات السابقة - فإن المسيا يستطيع أن يستخدمها على إطلاقها (بدون حدود) .. والمزمور مسيانى فى النهاية (كما ترى فى الجملة الأخيرة من تعليقنا على الفقرة السابقة) وكل موضوع فى المزمور كان ليكسب المزمور عمقا جديدًا عن المسيح . والاهتمام الرئيسى لهذه الفقرة فى الحقيقة هو تمجيد الله كمحامى عن أولئك الذين (يستودعون أنفسهم كما لخالق أمين) - ١ بط ٤ : ١٩ - ويمكن مقارنة (داود عبد الرب) - كما فى العنوان - بالعبد الذى تكلم عنه (إشعياء ٥٠ : ٧ وما بعده) أو قول بولس فى ٢ تى ٤ : ٦ - ٨ .

العدد ٢٢ : كثيرا ما ترتبط الكلمتان (احكامه) و (فرائضه) معًا فى التثنية - وهما تلخيص محبب لناموس الرب خصوصا فيما يختص بعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان من جهة وعلاقته بالله من جهة أخرى - انظر مثلا خروج ٢١ : ١ وما بعده ، لاويين ٣ : ١٧ .. وهذه اللغة الغنية نوعًا ما توحى بأن داود كان على علاقة حميمة بالناموس المكتوب (انظر أيضا العدد ٣١) وهذا الانطباع يعززه أيضا ما جاء فى مز ١٩ : ٧ وما بعده .. ويوضح (ويزر)

أن خلف الناموس كان (العهد) .. وعليه فإن هذه التضرعات كانت طلبة مرفوعة إلى (أمانة الله للعهد) أكثر منها مجرد تقيد حرفي بالناموس .

العدد ٢٥ : كلمة الرحيم وردت بمعنى المخلص أو الأمين hasid وهي برهان آخر على الرأي الموضح بعاليه وهي مرتبطة (بالرحمة) أو الحب الثابت hesed وهو الحب بين طرفي العهد (انظر التعليق على مز ١٧ : ٧) وهو تعبير نمطي في المزامير عن (عبيد الله) .. وهناك ترجمات تقول (مع التقي) - مز ١٦ : ١٠ - أو (مع القديسين) مثلا كما في ٣٠ : ٤ - لكن انظر التعليق على مز ١٦ : ٣ .. وأتقيائي كما في مز ٥٠ : ٥ .. ومعززة بالعبارة التالية لها - القاطعين عهدي على ذبيحة تستخدم عن الله نفسه في مز ١٤٥ : ١٧ ، إرميا ٣ : ١٢ - ويمكن في كلا الموضعين أن تترجم (بار) أو (أمين) كما هو الحال هنا .

العدد ٢٦ : « مع الطاهر تكون طاهرًا ومع الأعوج تكون ملتويًا » وما يثير التساؤل هو معنى الالتواء . وهو من نفس كلمة مصارعة كقول راحيل : « مصارعات الله قد صارعت أختي وغلبت » تكوين ٣٠ : ٨ وحاشا لله أن يكون ملتويا ، لكنه بحسب عدله ، يوقع الأعوج في يد من هو أكثر منه التواء ، كما حدث مع يعقوب الذي خدع أخاه وأباه فأوقعه في يد خاله لابان الذي خدعه مرارًا .

الأعداد ٢٧ - ٣٠ :

كل هذه الآيات تبدأ بالتأكيد على الله .. (لأنك أنت ..) لأن المزمور كله عبارة عن تمجيد وليس مجرد افتخار مستتر .

العدد ٢٧ : (الشعب البائس) يتحدث داود مبدئيا عن الظروف أكثر مما يتحدث عن الفضيلة نفسها - هؤلاء هم (الضحايا) أو المرذولين الذين كثيرًا ما نقابلهم في المزامير ، ليس فقط كمتواضعين أو مساكين (مثلا مز ١٠ : ٢) - أو أهل البلايا كما في مز ٢٢ : ٢٤ أو الضعفاء (مز ٣٥ : ١٠) أو (المحتاجون) (مز ٦٨ : ١٠) [وجاءت هذه الكلمة في كل الشواهد السابقة في اللغة العربية « المساكين »] وهذا يتجاوب مع ما جاء في التطويبة الأولى (طوبى للمساكين) كمن هم في حاجة إلى شيء ويعرفون ذلك ..

وهناك كلمة أخرى فى العبرية تترجم بنفس المعانى anaw ، لكن حيث أن لها معنى مستقل وهى الواردة فى التطويبة الثالثة (طوبى للودعاء) - انظر التعليق على مز ٢٥ : ٩ وقارن مز ٣٧ : ١١ - وهم أولئك الذين يرفضون إثبات الذات وقد استخدمت عن موسى بنفس هذا المعنى فى سفر العدد ١٢ : ٣ .

العدد ٢٩ : قارن هذه المغامرات و (عدد ٣٤) مع (الأبطال) فى ٢ صم ٢٣ : ٨ وما بعدها .. أما الكلمات اقتحمت جيشا فيمكن ترجمتها (جريت على منحدر) . وعن ما تحمله هذه الكلمة ودلالتها بشأن قيام داود بكتابة هذا المزمور . انظر إلى التعليق التمهيدى على المزمور .

العدد ٣٠ : هذه البداية الغريبة (الله) يتردد صداها فى العدد (٣٢) .. وحيث نجد فى هذا العدد القول (طريقه كامل) نجد فى عدد (٣٢) التكملة بالقول (يصير طريقى كاملا) .. وواضح أن (الكمال) فى وصف طرق (الله) أعظم وأغنى منه فى وصف طرق البشر .. لكن حكمته الخارقة وحبه وقوته تنعكس كلها على سلامة الفكر والدوافع والانجازات (وهى هنا الانجازات بصفة خاصة) التى يسبغها على عبيده - لكن ترى هل فقد داود - بعد أيام شبابه والذروة التى بلغها مبكرا - الدافع إلى هذا الكمال ؟ (قارن فيلبى ٣ : ١٢ وما بعده) كما لو كان قد استقر عند المعنى الآخر للكمال أى (الأمن) ؟

الأعداد ١٨ : ٣١ - ٤٥ : نصر وهزيمة :

تستحوذ سرعة إيقاع الشعر ومرحه على الإثارة الناجمة عن الهجوم والمطاردة ، فكل شيء هنا سريع ورشيق تماما كما كان مفاجئا وعنيفًا فى منظر الخلاص فى الأعداد (٤ - ١٩) لكن الكل فى الحالين هو من الله ، وفى (٢ صم ص ٨) يعطى النثر ملخصًا لحروب مثل هذه بحيث يبدو المزمور كأنه استعادة للأحداث (انظر التعليق على العدد ٣٧ وما بعده) .

العدد ٣١ : الثقة بالإله الواحد . وتكرار استخدام كلمة صخرة فى عدد (٢) و (٤٦) يشير إلى أغنية (موسى) كجزء من الوحى والإلهام الذى أعطى لداود فى هذا المزمور - وقارن ما جاء فى العدد (٣٠) مع قول موسى (الصخر الكامل صنيعه) أو عدد (٣١) مع القول (ليس كصخرنا صخرهم) (العدد

٣٢ : ٤ و ٣١) – انظر أيضا التعليق على العدد (٤٧) .

العدد ٣٢ : هذا العدد يطابق العدد (٣٠) أعلاه – انظر التعليق .

العددين ٣٣ و ٣٤ : قارن البسالة والقوة الجسدية فى عدد ٢٩ و (القوس من نحاس) كان فيما يبدو قوسا من خشب مقوّى بالنحاس .

العدد ٣٥ : هناك الكثير من البدائل الشائعة اقترحت منذ القدم بدلا من العبارة العظيمة فى النص العبرى [لطفك (جعلنى) أو سيجعلنى عظيما] أو (لطفك يعظمنى) ولكن الحقيقة التى تعبر عنها هذه الكلمات أساسية ، والسؤال الوحيد هو ما إذا كان داود قد أدركها .. وفى مثل هذه الأمور الموضوعية يتعين أن تستفيد من الشك والكلمة العبرية هى صنو للصفة (متواضع أو مسكين أو وديع) وهى الكلمة الثانية فى عدد ٢٧ البائس التى سبق دراستها اعلاه ، وبينما كان لطف الله مع داود هو الذى أدى لنجاحه فإن لطفه الذى علمه لداود كان سبب عظمته الحقيقية .

الأعداد ٣٧ – ٤٥ :

الأفعال الواردة فى هذه الفقرة – فى اللغة العبرية – يمكن أن تدل إما على المستقبل أو على أفعال مستمرة ، بينما وضعت بعض الترجمات هذه الأفعال فى صيغة الماضى ، وهذا يمكن أن يكون صوابًا ، إلا أن الأرجح أنها أفعال تنظر إلى الأمام (مستقبلية) مدركة أن الانتصارات التى حدثت إنما هى وعود لأشياء أعظم .. والشكل التصاعدى لمزمور ٢ : ٧ – ٩ يقدم (أقاصى الأرض للرب ولمسيحه) وبينما نجد الأفعال لها وقع الصرامة* .. فهناك آيات أخرى تنتظر هداية الأمم (قارن مز ٢٢ : ٢٧ وإش ٥٥ : ٥ مع العدد ٤٣) . والعهد الجديد يؤكد على كلا الرأيين (مثلا رؤيا ٢ : ٢٦ و ٢٧ ، رؤيا ٧ : ٩ وما بعده) .

الأعداد ٤٦ – ٥٠ تسبحة شكر

العدد ٤٦ : إن بساطة ترجمة (جلينيو) و (التوراة الأورشليمى) ف

* (يتذلل) فى عدد ٤٤ – يحتمل أن تكون ترجمة مستمدة من فكرة (عدم الاخلاص) .. لكن (ج ايتون) يلفت النظر إلى المعنى الثانى لهذا الفعل (هزل لحمى) فى مز ١٠٩ : ٢٤ ويرى أن (المغلوب على أمره) كأنه (مقطوع) أو أن كبرياءه قد ضاعت (صغروا فى نظرى) .

القول (يحيا الرب إلى الأبد) هى خطأ . لأن القول (حى هو الرب) هى صيغة توكيدية وليست مثل صيحة المبايعة الواردة فى ١ مل ١ : ٢٥ و ٣٩ (ليحى الملك) .. وهذه الحقيقة نظر إليها كالمفارقة الصارخة بين (يهوه) — الذى (كل ما شاء صنع) والأصنام التى (لها أفواه ولا تتكلم) مز ١١٥ : ٣ و ٥ وكذلك المفارقة بين (حياته التى لا تنتهى) وبين التقلبات المستمرة للبعل .. فإن الصيحة (ليحى البعل) يقابلها القول (مات البعل) ويستكمل المرنم وصف العمل الدائم للإله الحى بالقول إنه صخرتى الثابتة الدائمة .. (انظر التعليق على العددين ٢ و ٣١) .

العدد ٤٧ : الكلمة الافتتاحية فى هذا العدد (الإله) تتجاوب مع القول (الله) فى عدد (٣٠) وأيضا عدد (٣٢) . ولو أن (ترنيمة موسى) كانت فى ذهن الكاتب (انظر التعليق على عدد ٣١) فإننا نرى الله يريد من عبده أن ينفذ العقاب ، حيث أنه يؤكد ذلك بالقول (لى النقمة والجزاء) تث ٣٢ : ٣٥ .. ففى يد الرب وحده أو بأمر منه يكون التأديب صحيحا (رومية ١٢ : ١٩ ، ١٣ : ٤) .

العددين ٤٩ و ٥٠ : يقتبس بولس العدد ٤٩ — كالنبوة الأولى من أربع نبوات تظهر أن المسيح جاء للأمم كما لليهود وذلك فى (رومية ١٥ : ٨ — ١٢) .. وبينما يمكن أن يكون داود قد فكر فقط فى إذاعة اسم (يهوه) خارج إسرائيل إلا أن كلماته فى معناها الكامل تصور (مسيح الرب) — عدد ٥٠ — إنه المسيا أساسًا وتمجيده بين — أو مع — مجموعة الأمم المتعبدة .. ورغم أن كل ملك داودى يمكن أن يستخدم هذا المزمور لنفسه فإنه ينتمى بصفة خاصة إلى داود الذى كانت هذه شهادته وإلى المسيح الذى هو من نسله .. تماما كما أنه فى نفس الوقت (غلاطية ٣ : ١٦) ابن إبراهيم .

المزمور التاسع عشر
السماوات .. والأسفار المقدسة

إن الجزئين اللذين يتكون منهما المزمور يدلان على اهتماماتهما المختلفة :

(أ) الإعلان الشامل لرسالة الله الصامتة فى الكون ، معبرًا عنها فى الأسطر المليئة بالحيوية للآيات ١ - ٦ .

(ب) وضوح كلمته المكتوبة الذى يعكسه الإيجاز الهادىء للآيات ٧ - ١٠ التى يتجاوب معها المتعبد عند فحص القلب ويتمثل هذا التجاوب فى الآيات ١١ - ١٤ .

ليس مهما أن نقرر ما إذا كان المزمور أصلا مزمورين ادمجا معًا أو ما إذا كان الموضوعان المذكوران يتمم أحدهما الآخر منذ البداية فى قصيدة شعرية واحدة (وإن كانت النهاية المفاجئة للأعداد ١ - ٦ تشهد بعكس الرأى السابق) فإن المسلَّم لنا فعلا هو مزمور واحد ، يلقى كل من جزئيه ضوءا على الجزء الآخر ، وأيضًا لا يهم إن كان داود قد كتب شعره هذا فى وصف الشمس ، فإن همه الأول كان تمجيد خالقها ، وأكثر ما يحدد ذلك ، ما إذا كان يطوع لغته - لأول مرة - للغرض الصحيح الذى يريده .

وقد اقتُبس المزمور فى رومية ١٠ : ١٨ كما أن أفكاره يمكن أن تكون كامنة خلف ما جاء فى رومية ١ : ١٨ وما بعده - أن (قدرته السرمدية ولاهوته مدركة بالمصنوعات) ولاهوت المزمور قوى كلغته الشعرية .

الأعداد ١ - ٦ : فصاحة الطبيعة

تحتاج مختلف الأجيال لهذا النوع من التذكير - فالموجود فى روميه ١ : ١٩ موجود بأشكال أخرى متنوعة .. كان القدماء معرضين لاغراء (تقبيل أيديهم) للشمس والقمر وجند السماوات* (قارن أيوب ٣١ : ٢٦ و ٢٧ ، ٢ مل ٢٣ : ٥) والناس عادة إما أن ينظروا لها لمعرفة الحظ أو للتنجيم لكن المسيحى وحده هو الذى يفيض قلبه بالفرح والدهشة بمجرد التفكير فى

* كما يفعل بعض الناس الآن تعبيرا عن الشكر أو النجاح - المحرر .

صانعهما .

العدد ٢ : القول الذى يتعذر السيطرة عليه وكلمة يذيع تعطى معنى التدفق وبالتالى تدل على البراهين المتنوعة التى تظهرها الأيام لتبين فكر الخالق ويتوسع سفر أيوب فى هذا الموضوع وخاصة فيما يتعلق بالسماوات ومناظرها فى الأصحاحين ٣٧ و ٣٨ .. (علما) أو (معرفة) تتفق تماما مع (الليل) حيث أنه بدون (سماوات الليل) ما كان للإنسان أن يتعرف - إلى عهد قريب - على شيء إلا الكون الفارغ .

العددان ٣ و ٤ : تظهر الترجمات الحديثة التناقض الوهمى بين (الحديث / بلا صوت) فى مقابل الترجمات الأخرى التى كررت كلمة (صوت) ولا تساندها الترجمة السبعينية المقتبسة فى رومية ١٠ : ١٨ التى تستخدم كلمة (صوتهم) بدلا من ندائهم أو صراخهم والمترجمة فى العربية منطقهم فى عدد (٤) وعلى ذلك يمكن ترجمة الآية (وصل نداؤهم إلى كل الأرض) وهذا معنى الكلمات العبرية فى الأصل .. والاسم المرادف (كلماتهم) فى عدد (٤ ب) يؤيد (الصوت) .

الأعداد ٤ جـ - ٦ : تقدم لنا الشمس فجأة وبشكل رائع فى (عدد ٤ جـ) وتسيطر على المنظر الآن (مجيدة) و (رائعة) ومع ذلك فهى (مطبقة) .. لقد عين الله لها مكانها الذى تشغله ومسارها الذى تجرى فيه فالسماء كلها (مسكنها) .. وهكذا كل عبيد الله ومؤسساته المنظورة (أطراف طرقه) - أيوب ٢٦ : ١٤ .

العدد ٥ و ٦ : يرى بعض المعلقين فى هذه الكلمات إشارة شعرية إلى قصص إله الشمس الذى يعود كل ليلة إلى عروسه فى المحيط ، ويعود للظهور مرة أخرى فى الصباح .. والتشبيه الأكثر احتمالاً هو إلى الزفاف الإنسانى عندما يتقدم العريس مكسوًا بالبهاء - إلى مسكن العروس ويطالب بها .. والكل متفقون على أن المزمور - وإن كان يلمح إلى الأساطير - إلا أنه يتبرأ منها .. قد تكون الشمس مثل العريس أو جبار يتسابق ولكنها فى الحقيقة لا تعدو أن تكون جزءًا مجيدًا من أعمال يدى الله (عدد / ١) لكنها فى نفس الوقت تظهر مدى سيطرة أحكامه (٦ / أ) وقوتها (٦ / ب) .

الأعداد ٧ - ١٤ : نقاء كلمة الله

يقول (كانت) (هناك شيئان يملان الفكر بالرهبة والاعجاب المتجدد والمتزايد دائما .. السماء ذات النجوم من فوق والقانون الأخلاقى فى القلب) والمزمور يسمو فوق القانون الأخلاقى بنظرته إلى الناموس الإلهى الموحى به ، ويستدعى ، ليس فقط الإعجاب والرهبة ، بل الاستجابة الشخصية للأعداد ١١ - ١٤ .. واسم الله الموحى به فى هذا المزمور (يهوه) (الرب) يتكرر سبع مرات ، مع أنه فى الجزء الأول منه كان يتحدث عن الإعلان العام فلم يستخدم اسم الله (إيل عدد ١) إلا مرة واحدة فقط .

الأعداد ٧ - ١٠ : لا يمكن التمييز تماما بين هذه الأوجه الستة للإعلان تماما كما فى مز ١١٩ .. ومع ذلك فإن لكل وجه منها صفة خاصة .. وسندرسها هنا بواسطة (الأسماء) و (الصفات) و (الأفعال) كل بدوره .

أ - **الأسماء** : (ناموس) أو التوراة هو التعبير الشامل لإرادة الله الموحى بها .. و(الشهادات) هى مظهرها باعتبارها حقيقة مصدقًا عليها من الله نفسه وهى أيضا تعبير عن (إعلان عهده) قارن خروج ٢٥ : ١٦ مع تثنية ٩ : ٩ - (وصايا) و(أمر) تشير إلى الدقة والسلطان اللذين يخاطبنا بهما الله بينما (خوف) أو (إجلال) تؤكد تجاوب الإنسان الذى تربيه فيه كلمة الله .. (أحكامه) هى القرارات القانونية الصادرة من المحكمة .. لقد سجل الكاتب جميع حالات الإنسان المختلفة (قارن مز ١٨ : ٢٢) .

وهذه التعبيرات معًا تبين الغرض العملى من الإعلان .. أن يوصل للسامع مشيئة الله ويُنتج توقيرًا واعيا وثقة مبنية على أساس متين وطاعة لكل التفاصيل .

ب - **الصفات** : عن (كامل) انظر التعليق على مز ١٨ : ٣٠ وقارن الوصف لمشيئة الله فى رومية ١٢ : ٢ (صادقة) لا تعنى فقط ما هو موثوق به بل ما هو مؤمن عليه .. قارن (يتحقق) فى تك ٤٢ : ٢٠ (مستقيمة) يعنى صحيحة أخلاقيا أو (صريحة) .. وعن (طاهر) و (نقى) نجد تعليق داود نفسه فى (مز ١٢ : ١ - ٤) (حق) أو حقيقة فى كونها (جديرة بالثقة) وعلى العموم فإن هذه الأوصاف كلها عكس معانى(الحل الوسط ،

وعدم الإخلاص ، وأنصاف الحقائق) التى يتعامل بها الإنسان فى الحياة .

جـ - **الأفعال** : الأفعال الأربعة الأولى (ترد النفس) (تصير الجاهل حكيما) (تفرح القلب) (ينير العينين) - العددين ٧ و ٨ تركز بالتفصيل على ما تفعله الأسفار المقدسة فى الإنسان - والاثنان الباقيان (حيث تترجم كلمة حق عادلة على أنها فعل) تتكلم عما هى فعلا فى نفسها .. وعن الفعل (ترد النفس) انظر التعليق على مز ٢٣ : ٣ - وفى القول (كلها) تعنى (معًا) كلها على قدم المساواة ..

الأعداد ١١ - ١٤ :

هذا هو الجزء الروحى المقابل للعدد ٦ جـ (لا شىء يختفى) .. وهذه الحقيقة ليست مدونة فقط بل متمثلة فى اهتمام داود نتيجة بركات الله (عدد ١٠ و ١١ ب) كما بالإنذارات (عدد ١١ / أ) الواردة فى الأسفار المقدسة .. هذا هو السيف (ذو الحدين) الذى نشبه به كلمة الله .

العددين ١٢ و ١٣ : كانت الشريعة الموسوية هى التى حددت الحدود الداخلية بين الخطايا - وقد نجحت - كما تشير هذه الأعداد - فى عدم التغاضى عن أى خطية.وتعترف الآية ١٢ / أ أن خطأ ما يمكن أن يختفى ليس لأنه أصغر من أن يُرى ولكن لأنه شخصى جدا بحيث لا يمكن تسجيله .. وعن الآيتين انظر (العدد ١٥ : ٢٧ - ٣٦) حيث التفاهة الخارجية للحدث تضع خطا تحت النظرة الخطيرة التى ينظر بها الله إلى الدافع إليها : وهناك نصيحة يهودية تقول (لا تقل : « قد اخطأت فماذا حدث لى » - لا تكن كثير الثقة فى التكفير بحيث تضيف إلى خطاياك خطايا جديدة) - الجامعة ٥ : ٤ - ٧ .

العدد ١٤ : لا يختتم المزمور بنغمة تجنب الخطية بل بنغمة تقديم أفكار القلب لله كإجابة مناسبة لكلماته هو نفسه . قارن (هوشع ١٤ : ٢) .. وقد تكون هذه هى المعانى الصحيحة التى يتضمنها القول (مرضية) وهى تعبير يقال عادة فى قرينة تقديم الذبيحة للرب .. والله هنا لا يخاطب على أنه قاض أو ممثل اتهام بالنسبة للخاطىء بل كملجأ وملاذ له (صخرتى : انظر مز ١٨ : ٢ والتعليق عليه) وكبطل (يفدى - لاويين ٢٥ : ٢٥ وأيوب ١٩ : ٢٥ - ولىّ) .. مثل هذا الخاطىء يستطيع أن يسمى نفسه (عبدك)

عدد ١١ و ١٣ – إنه ينتمى إليه بواسطة العهد المفروض فى الناموس نفسه .

المــزمــور العشــــرون

يــوم الضيــق

« يوم الضيق » هنا هو يوم اقتراب المعركة كما يتبين من (المركبات) فى عدد (٧) .. وشكل المزمور يستحضر أمامنا صورة الملك وهو يتأهب للسير وقد قدم صلواته وذبائحه وأعد خططه ، وتجمع رجاله بكل مستوياتهم .. هناك أولا دعوات وتمنيات الجماعة له بالتوفيق (١ - ٥) والتضرعات المتحدة والمشتركة طالبة له البركة .. ويرد عليهم صوت منفرد - ربما كان صوتَ الملك نفسه يتكلم عن تأكيد استجابة الرب (الآن عرفت أن الرب .. إلخ - عدد ٦- ٨) ثم يتجاوب الشعب بصلاة أخيرة من أجله .. صلاة قصيرة وعاجلة (عدد ٩) .

هذا المزمور واحد من أكثر المزامير إثارة بإدراكه القوى أن قضايا الحياة والموت لا بد أن تحل سريعًا . والمزمور التالى (٢١) شريك معه ، وهو مفعم بالفرح والحيوية .

الأعداد ١ - ٥ : يستجيب لك الرب

ضمير المخاطب المفرد (لك .. برفعك .. تقدماتك .. إلخ) يتحدد فى العدد (٦) على أنه (مسيح الرب) ، فيرى كل الشعب أنفسهم متضمنين فى هذا الرجل الواحد وحياتهم القومية محفوظة فيه فهو (نفس أنوفنا مسيح الرب ، فى ظله نعيش مراثى ٤ : ٢٠) - سراج إسرائيل - (٢ صم ٢١ : ١٧) والحق أن مثل هذه الكلمات أكبر من أى شخص ما عدا المسيا الذى تتنبأ عنه .

ولم يكن اسم الله ينظر إليه فى إسرائيل على أن له قوة سحرية كما فى بعض الأنظمة الوثنية .. بل كعلامة أو رمز لإعلان الله عن نفسه واستعداده لأن يسمع التضرعات (عدد ٧) - مع تنبيه إضافى هنا يذكرنا بوعده ليعقوب بالبركة .. ونجد فى البركة الكهنوتية (العدد ٦ : ٢٤ وما بعده) أن الله يسمح بأن يوضع اسمه على شعب إسرائيل (فيجعلون اسمى على بنى إسرائيل وأنا أباركهم) عدد (٢٧) - كمن يضع عليهم علامة كأحد مقتنياته . ويضافُ إلى هذه الفكرة فكرة أنهم يعملون لحسابه كما يوحىٰ نص العدد (٥) وكما يشير إقرار آسا فى ٢ أى ١٤ : ١١ . (عليك اتكلنا وباسمك قَدُمنا على هذا الجيش) .. وكل هذه المعانى نُقلت إلى العهد الجديد .. مثلا (يوحنا

١٤ : ١٤ ، ١٧ : ٦ ، أعمال ٣ : ٦ ورؤيا ٣ : ١٢) .

العددين ٢ و ٣ : (ليرسل لك عونا من قدسه) أو من مقدسه وهى مرادف هنا لـ (صهيون) حيث يوجد فعلا تابوت عهد الرب وإن كان الهيكل لم يُبن بعد .. إشارة إلى تواجد الرب هناك (٢ صم ٦ : ١٧) .. وروح هذه الصلاة تختلف جدا عن روح الاعتماد على التابوت نفسه – كما فى أيام عالى الكاهن – أو الاعتماد على الذبائح فى أيام الأنبياء ، كوسائل لطلب قوة روح الله ويده – بل إن الله نفسه هو الذى يمنح الذبائح كل قيمة بالنسبة لهم (يستسمن) محرقاتك .

العدد ٤ : رغم أن النص العبرى يعنى (ليعطك الرب سؤل قلبك) يختلف قليلا عن التعبير الوارد فى (مز ٢١ : ٢) إلا أنها تحسن الرَّبط بين المزمورين كصلاة وشكر على جانبى أزمة .. (رأيك) تترجم أحيانا (خططك) أو (مشوراتك) قارن إش ١١ : ٢ ، ٣٦ : ٥ حيث تتعرض حدود التخطيط البشرى – المذكور فى المزمور – من أعلى ومن أسفل .

العدد ٥ : وكلمات النصرة – الواردة فى عددى ٦ و ٩ لها صلة فى الأصل بكلمة خلاص [قارن الاسم (يسوع)] .. وهذا المعنى فى قرينة المعركة يضيف محتوى ايجابيًا لكلمة الخلاص يتجاوز مجرد الانقاذ .. عن كلمة (وباسم) – انظر التعليق على (عدد / ١) .. (نرفع رايتنا) يستدعى أمامنا صورة اصطفاف أسباط بنى إسرائيل : (كلّ عند رايته) (عدد ٢ : ٢) – والصورة الواردة فى (نشيد الأنشاد ٦ : ٤ و ١٠) – « كجيش بألوية » وفى مز ٦٠ : ٤ تستخدم كلمة مختلفة فى الأصل العبرى ..

وآخر ما نلاحظه فى هذا العدد المعانى البعيدة المدى المتضمنة فى (ليكمّل) من حيث علاقتها بالخطط فى عدد (٤) والتضرعات .. قارن افسس ٣ : ٢٠ و ٢ تس ١ : ١١ .

الأعداد ٦ – ٨ .. هو سوف يستجيب

بخصوص التغير المفاجىء إلى صيغة التأكيد – انظر التعليق الختامى على مز (٦) – حتى مقاييس المنظر قد تضخمت . فالمعونة التى كان يبحث عنها فى صهيون (عدد ٢) ترى الآن وهى مرسلة من السماء نفسها .

العدد ٧ : جاء فى بعض الترجمات : يثق البعض فى المركبات أو يفتخر البعض بالخيل ، وهى كلمة مضافة بواسطة المترجم . فالفعل الوحيد فى الجملة الأصلية هو الذى ترجم (نذكر) . وهذا ما جاء فى ترجمتنا العربية ، ويُعتقد أن هذا الفعل يحمل معنى خاصا بالمناداة باسم الرب فى العبادة لاستحضار قوته فى الوسط (انظر التعليق على عدد / ١) تمامًا كما يتضرع المسيحيون باسم المسيح طلبًا للحماية أو النصر .. لكن حرف الجر الباء (بالمركبات وبالخيل) فى هذه الآية يقربها أكثر إلى تعبيرات العهد القديم عن الولاء لله أو تبجيله (مثلا إش ٤٨ : ١ - الاعتراف) - وفى يشوع ٢٣ : ٧ كما يقترن بحرف الباء عند الحلف به وهى باستخدامنا الدارج تقترب جدا من معنى (الاعتماد على) كما نقول باسم يسوع ... كانت المركبات والخيل هى أقوى أسلحة الدمار فى ذلك الزمان .. إلا أنهما أعادتا إلى ذاكرة إسرائيل عددا من الانتصارات المعجزية مثلا أمام البحر الأحمر وعند نهر (قيشون) - [خروج (١٤) - وقضاة (٢٤)] .

عدد ٩ : ليستجب لنا

الكلمات العبرية تعنى حرفيا [يا رب أعط النصر - ودع الملك يرد علينا - (أو) سيرد الملك علينا] فى يوم دعائنا وجاءت فى إحدى الترجمات يارب اعط النصر للملك - وهذا يتمشى مع اللغة العبرية ويجعل الشطر الأول من الآية مساويًا للشطر الثانى* والمعنى واحد فى الحالتين . والعبارة الأخيرة (فى يوم دعائنا) لها صدى يتجاوب مع ما جاء فى الآية (١) .. وحقيقة أن وقت الضيق صار هو (وقت الصلاة) يجعل الروح المبتهجة فى الأعداد ٦ - ٨ ليست مجرد تفاؤل متطلع للمستقبل بل إيمانا واقعيا .

* لكن الشطر الثانى فى المخطوطات المسورية فيه صيغة (المخاطب الغائب) - دعه يستجب لنا - أو - أنه سيستجيب لنا . وهناك ترجمة جيروم التى تقول بصيغة الأمر (استجب لنا) متضمنة اختلافًا فى حرف واحد من الحروف المتحركة فى الأصل العبرى .

المـزمـور الحـادى والعشـرون
يـوم الفـرح

يحمل هذا المزمور التهليلى سمات أناشيد التتويج - أو ترنيمة احتفال ملكى سنوى - أو احتفال بالنصر .. حيث أنه بمقارنة عدد (٢) مع (مز ٢٠ : ٤) يتضح أن مز ٢٠ و ٢١ يمكن اعتبارهما تضرعا واستجابة .. وتركيب المزمورين أيضا متشابه من حيث أن كل منهما من جزأين رئيسيين .. إلا أننا نجد إيمان الملك يسمع هنا أولا (١ - ٧) ثم مخاطبة الجماعة له ثانيا (٨ - ١٢) وفى كلا المزمورين نجد العدد الختامى الموجه إلى الله مباشرة يجمع بين الصلاة والتسبيح .

الأعداد ١ - ٧ : الملك والرب

قد يكون الملك نفسه هو المتكلم فى صيغة طرف ثالث - أو شخص آخر يتكلم باسمه ، وفى كلا الحالين فإن الصورة لا تشمل إلا الله والملك فى هذه الآيات .. وفى الآية ٨ سيتغير المنظر ، وسيُخاطب الملك بوعود بالسيادة .

العددين ١ و ٢ : (قوتك) - وهى نفس الكلمة التى تعنى انتصارك أو خلاصك فى مز ٢٠ : ٥ (انظر التعليق) - وعن عدد (٢) انظر التعليق على مز ٢٠ : ٤ .

العدد ٣ : يكرر المواجهة الودية الظاهرة فى القول (متقدمة ببركات) كمقابلة أو للمواجهة مع (الموت) فى مز ١٨ : ٥ - ولمواجهة الله للشرير فى مز ١٧ : ١٣ التى عبَّر عنها بنفس الكلمة - قارن - فى قرينة الغضب : مز ٧٩ : ٨ ، إش ٢١ : ١٤ .. أما فيما يتعلق بالتاج فإن قيمته تنبع من المعطى أكثر مما تنبع من مادة الذهب الإبريز . وهى الحقيقة التى نسيها داود عندما أخذ الغنيمة فى ٢ صم ١٢ : ٣٠ ، وقد تعززت مرة أخرى فى حزقيال ٢١ : ٢٥ - ٢٧ .

الأعداد ٤ - ٧ : بينما تضمنت عطية الحياة طول الأيام إلى الدهر والأبد بالنسبة لقارىء العهد القديم - إما مبالغة شديدة كما فى دانيال ٢ : ٤ أو إشارة إلى (المُلك الذى لا ينتهى) الذى وُعد به داود فى ٢ صم ٧ : ١٦ .. وقد

أكمل العهد الجديد الصورة تماما بشخص الملك النهائى المسيا الذى تشير إليه كل القصيدة الشعرية حقًا وبدون أى مبالغة . ففيه تتكشف أعماق معانى الكلمات (مجد ، جلال ، بهاء) الواردة فى العدد (٥) – انظر يوحنا ١٣ : ٣١ و ٣٢) ، والكرامة – كما فى رؤيا ٥ : ١٢ – كما (تفرحه ابتهاجا أمامك) – عدد (٦) وعبرانيين ١٢ : ٢ – انظر أيضا التعليق على عدد (٩) .

الأعداد ٨ – ١٢ الملك واعداؤه

إذا كان المزمور يحتفل أصلا بمناسبة خلاص معينة .. فقد رأى فيها وعدًا بالنصر النهائى .. ففيه روح المغامرة لمطاردة كل عدو وعدم السماح له باتخاذ المبادرة .. (تصيب .. تصيب) – عدد ٨ – وتخليص العالم منه ومن صنفه (عدد / ١٠) – وهذا ما يتجاوز أيضا قدرة أى ملك كما تدرك الآية ٩ / ب كما يستدعى حجم الأحداث المسيا مرة أخرى – وفى (٢ تس ١ : ٧ ب – ٩) يمكن أن تضيف شيئا إلى هذه الفقرة بموضوع ظهور المسيح بصحبة نار الدينونة .

(فى زمان حضورك) أو (عندما تظهر) عدد (٩) .. وهى تعنى حرفيا (فى يوم وجهك) أى (محضرك) قارن رؤيا ٦ : ١٦ – (يوم غضبه العظيم) .

العدد ١٣ : الرب وحده

تتجاوب هذه الآية الختامية مع نظيرتها فى (مز ٢٠) إلا أن الإنسان هنا خارج الصورة وإن كان لا يزال يُسمع فإن دوره يقتصر على الوقوف جانبا والإعجاب ورفع التشكرات .

المـزمـور الثانـى والعشـرون

مـزمـور الصليـب

لا يستطيع أى مسيحى أن يقرأ هذا المزمور دون أن يواجه حادثة الصلب بكل تفاصيلها .. فهى ليست مجرد نبوة تحققت حرفيا بل هى شرح لمذلة المتألم .. ولا يحتوى المزمور على مطالبة بالثأر أو الانتقام – كما أن فيه رؤية عريضة تجمع أمم العالم أجمع . وتعطيه ترجمة (جلينو) عنوان : « العبد المتألم يربح خلاص الأمم » .

ليست هناك حادثة فى حياة داود يمكن أن تُفسِّر هذا المزمور .. فهو [كما يقول (بنتزن) ليس وصفا لمرض ما بل وصفا لتنفيذ حكم الموت] . وبينما هدد الشعب برجم داود بالحجارة (فى ١ صم ٣٠ : ٦) إلا أننا نجد المشهد هنا مختلفًا تمامًا . والنظرية التى تقول إن الملك كان عليه أن يجتاز إذلالاً طقسيًا فى احتفال سنوى فى إسرائيل كما فى بابل يمكن أن تمدنا بقاعدة معقولة لمثل هذا المزمور – (انظر المقدمة / ثالثا) .. لكن وجود مثل هذا الطقس الإسرائيلى ما هو إلا تخمين ناتج من مثل هذه الفقرات ولا يستند إلى دليل . وأياً كان الحافز المبدئى ، فإن لغة المزمور تتحدى تفسيرات الطبيعيين . وأفضل تعليل لهذا يكمن فى التعبير الذى استخدمه (بطرس) بخصوص مزمور آخر إذ قال (فإذ كان نبيًا .. تنبأ وتكلم .. عن المسيح) – أعمال ٢ : ٣٠ و٣١ .

ونقطة التحول فى المزمور تأتى فى نهاية العدد (٢١) حيث تفسح الصيحات والصلوات المتناوبة مكانًا للتمجيد ولتوسيع الرؤى عن حكم الله الكامل – وتقتبس عبرانيين ٢ : ١٢ الآية (٢٢) من هذا القسم باعتبارها نبوة مسيانية معترف بها .

العنوان : انظر المقدمة ٦ / جـ / ٣

الأعداد ١ – ٢١ : سلطان الظلمة

يتميز هذا الجزء من المزمور بالانتقال من استخدام ضمير المتكلم فى فقرات تزداد طولا (أعداد ١ و ٢ ثم ٦ – ٨ ثم من ١٢ – ١٨) إلى ضمير المخاطب فى فقرات تزداد أهمية وسرعة (٣ – ٥ ، ٩ – ١١ ، ١٩ – ٢١) وسوف يتغير النموذج اعتبارًا من العدد (٢٢) من هذا التبادل إلى دائرة من التمجيد

والرؤيا تتزايد اتساعًا بكل سرعة .

العدد الأول :

(لماذا ؟) دلت صرخة الهجران التى أطلقها السيد (مقتبسًا هذه الآية بلغته الأرامية) كما يبدو - على حقيقة موضوعية ألا وهى - الابتعاد التأديبى) - فقد قبل المسيح - بدلا عنا - أن (يصير لعنة لأجلنا) غلاطية ٣ : ١٣ . أما الشطر الثانى فهو أقرب انطباقا على داود (بعيداً عن خلاصى) لأن المزامير تستخدم مثل هذه التعبيرات عمليا وليس نظريا (قارن : تذكرّ ، اسمع ، استيقظ) وليس فى هذا انحراف عن الإيمان ولا كسر للعلاقة بل هى صرخة بسبب شعوره بانسحاب محضر الله المعتاد المحامى عنه - من حياته (كما كان الأمر بالنسبة لأيوب البار) واقتراب العدو منه .

الأعداد ٣ - ٥ (وأنت)

يتوقف داود متعثرًا فى أحزانه - التى كان يمكن أن تهوى به إلى الدرك الأسفل - لكى يبحث عن (الصخرة التى هى أعلى منى) وأكثر من ذلك فهو يبحث عن الأرض الأعلى من الكل أى : موضوع الله (القدوس) والكنيسة التى تسبحه* وتمجده وليس أساسًا باعتبار الله الشفوق الرحيم أو باعتبار الإنسان نفسه مستحقًا الشفقة .. وإن كان ذلك سيأتى فيما بعد .. ثم إنه ينظر بعزم إلى الماضى - إلى أوقات أخرى (عددى ٤ و ٥) واختبارات أشخاص آخرين .

الأعداد ٦ - ٨ (أما أنا)

الاحتقار مؤلم خصوصا لمن يشعر بالانتماء لله .. كانت حرارة العاطفة هى السمة المميزة لداود وابنه الأعظم . إلا أن يسوع حوّل الشفقة على نفسه إلى الشفقة على الآخرين . (أبكين على أنفسكن وعلى أولادكن) - ولاحظ المقدمة المنطقية المزيفة التى يحتج بها غير المؤمنين دائما فى عدد (٨).إن الله موجود لتلبية طلباتنا فقط (قارن : قل لهذه الحجارة أن تصير خبزًا .. إلى

*التعبير (الجالس بين تسبيحات إسرائيل) أو (الساكن وسط تسبيحات إسرائيل) - يكشف به العهد القديم المعنى الداخلى لخواصه الظاهرية - أنظر أيضًا التعليق - على مز ٥١ : ١٧ - إن عرش الله فى الأرض أو مسكنه ليس فى الهيكل بل فى قلوب شعبه (إش ٦٦ : ١ و ٢) وعلى شفاههم . إلا أن التشبيه يضع أمام الكنيسة السؤال : هل الترنيم الذى ترفعه هو عرش لله أم هو منبر للبشر .

نفسك إلى أسفل .. انزل عن الصليب) . إن نص العددين ٧ و ٨ هو نفسه الذى قيل فى الجلجثة (متى ٢٧ : ٣٩ و ٤٣) .

الأعداد ٩ - ١١ : إلا أنك

بعد أن ثبت داود تفكيره على مجد الله وشهرته فى الأعداد ٣ - ٥ ، يقوم الآن بالتأمل فى عنايته الشخصية به ، والتى استمرت طوال حياته . فإن معرفة الله ليست معرفة عادية ليقدم مساعدة روتينية .. قارن (مز ١٣٩ : ١٣ - ١٦) و (أيوب ١٠ : ٨ - ١٢) وتقول بعض الترجمات (جعلتنى واثقًا) بدلاً من (جعلتنى مطمئنا) والرابطة بين الترجمتين هى حقيقة أن الثقة المبنية على أساس متين تسير جنبا إلى جنب مع الأمان والاطمئنان - كما أن إرميا قال فى إر ١٢ : ٥ ب (منبطحًا) وهى توحى بأن المعنى الأساسى للكلمة العبرية هنا يمكن أن يكون (مستلقيا على وجهه) (قارن عدد ١٠ - عليك أُلقيت) .

الأعداد ١٢ - ١٨ : مفترس ومزمجر

منظر يحدث دائما فالقوى يطبق على الضعيف - المجموع على الواحد - والجمهور مصور هنا بمنظر وحشى (ثيران وأسود ، كلاب وأقوياء) إلا أنهم جميعا من البشر .. سواء عُمل العمل بدهاء أم بوحشية كما تم فى الجلجثة .. وهناك بعض الدوافع - فى القرينة - تدفع الناس إلى اقتراف هذه الأعمال ضد بعضهم البعض : أو الحقد على أولئك الذين يدعون أشياء كبيرة (عدد ٨) أو تأثير منطق الجماعة على الفرد (كما ى عدد ١٢ ، ١٦ / أ ، وقارن خروج ٢٣ : ٢) - أو الجشع للحصول ولو على مكاسب تافهة (عدد ١٨) والأذواق المنحرفة التى تستمتع بمنظر مروع للتعذيب (عدد ١٧) أو ببساطة لأن الخطية قاتلة ، والخطاة تتأصل فيهم الكراهية (قارن يوحنا ٨ : ٤٤) .

فإذا أخذنا عددى ١٤ و ١٥ - وحدهما نجدهما يصفان مجرد مرض ميئوس منه ، فإن القرينة تدل على عداوة جماعية ، والأعراض يمكن أن تكون جلد المسيح وصلبه بل إن الآيات ١٦ - ١٨ لم يكن ممكنا الكشف عن معانيها الكاملة بوضوح إلا بعد حادثة الصلب .

(ثقبوا) - عدد ١٦ - والثقب هو أقرب تفسير أو ترجمة للكلمة العبرية الصعبة ويعزز هذا التفسير بقوة - أن الترجمة السبعينية - التى تمت قبل الصلب بأكثر من قرنين من الزمان ، وهكذا نجد أن شاهدا محايدا فهمها هكذا .

الاعداد ١٩ - ٢١ : أما أنت

هذه هى قمة الأقسام التى تبدأ بكلمة (أنت) وفى نفس الوقت هى نقطة التحول فى المزمور .. وأول ما قيلت (أنت) كانت مقصودة عمدًا (أعداد ٣ - ٥) وفى المرة الثانية كانت أقل تعمدًا (٩ - ١١) أما فى المرة الثالثة فكانت سلسلة من صرخات الاستغاثة المتعجلة حين بدا أن الأعداء قد بدأوا يتحركون نحوه - قتلة ، نجسون ، نهمون ، لا يمكن مقاومتهم - أما عن الكلمة النادرة الاستخدام (نصرتى) واحتمالات ارتباطها مع ما جاء فى عنوان المزمور - فانظر المقدمة . وحيدتى عدد ٢٠ / ب تعنى نفسى أى كل ما تُرك لى ، وأغلى مقتنياتى . وفى مقابل ذلك نرى (قوة الكلب) أو (من يد الكلب) كعبارة غامضة .

لا يوجد إلا ترجمة إنجليزية واحدة (RV) التى استطاعت أن تقتنص شيئا من (فجائية التحول المسرحى) للآية (٢١) الذى لم يظهر فى الأصل العبرى إلا فى آخر كلمة من العدد - وإذا ترجمت هذه الكلمات ترجمة صحيحة فهى شكر لله الذى ينجى فى آخر لحظة « خلصتنى من فم الأسد ، ومن بين قرون الثيران الوحشية قد استجبت لى » .

الأعداد ٢٢ - ٣١ : انتشار الفرح

الأعداد ٢٢ - ٢٦ : وليمة الوفاء بالنذر :

يعطى العدد (٢٥) الخلفية لهذه الأعداد كلها - لأن الشريعة شجعت أولئك الذين ينذرون أن يقدِّموا خدمة للرب إذا ما استجيبت صلواتهم - أن يوفوا نذورهم بذبيحة تتبعها وليمة (عدد ٢٦) قد تستمر لمدة يومين (لاويين ٧ : ١٦) وعليهم ألا يحصروا سعادتهم فى أشخاصهم وأولادهم بل يجب أن يدعوا عبيدهم والفقراء الآخرين (قارن عدد ٢٦) وخاصة اللاويين - ليأكلوا معهم أمام الرب (تثنية ١٢ : ١٧ - ١٩) ويجب أن يخبروا الجماعة بما عمله الله لهم (عدد ٢٢) - وقارن مز ٤٠ : ٩ و ١٠ ، ١١٦ : ١٤) منادين عليهم ليشاركوهم فى مثل هذا المزمور (قارن مز ٣٤ : ٣ والشهادة المصاحبة له) .

لكن عبرانيين ٢ : ١١ و ١٢ يحيل العدد ٢٢ إلى المسيا باعتباره الشخص الوحيد الذى (لايخجل أن يدعونا إخوة) الذى يقف فى الوسط (عدد ٢٢) ليس فقط بين العظماء وأولئك الذين يرحب بهم فى وليمة الشكر ليأكلوا ويشبعوا وأن يحيوا إلى الأبد (ليس بمجرد الكلمات وإنما فى الحقيقة) .

الأعداد من ٢٧ - ٣١ : المملكة غير المحدودة

تفيض لغة داود هنا لتعبر عن الشكر الواجب للملك يغمر كثيرين بثرائه الشخصى . لقد فاقت نتائج خلاصه كلها الحدود كما نرى فى البركة المذكورة فى عدد ٢٦ « تحيا قلوبكم إلى الأبد » والتى أسبغها على طالبيه . ولقد اتسعت هذه البركة من حيث الزمان والمكان حتى يتقبل الرب سجود الولاء من الأمم (٢٧) والتعبد الذى يقدمه العظماء (٢٩) . ويلمح هذا العدد إلى عدد ٢٦ . ويذكر (أكل وسجد كل سمينى الأرض) والمعنى أن كل الذين يشعرون بالاكتفاء الذاتى حاليا سيلقون بكبريائهم جانبا ويشتركون مع الودعاء فى الوليمة (عدد ٢٦ وما بعده) إن كانوا يحصلون على الحياة التى ليست خاضعة لإرادتهم (٢٦ ج ، ٢٩ ج) .

ويشير قسمى الآية ٢٩ إلى الأحياء والأموات على التوالى فيلبى ٢ : ١٠ وأخيرا تمتد الرؤيا لتشمل الأجيال التى لم تولد بعد (٣٠ و ٣١) بتعبيرات تتوقع المناداة بالصليب لتخبر عن بر الله أو خلاصه الذى يتضح فى العمل الذى قام به . وينتهى المزمور الذى بدأ بصرخة الترك بالقول (بأنه قد فعل) – وهو إعلان لا يبتعد كثيرا عن صرخة السيد العظيمة (قد أكمل) .

المزمور الثالث والعشرون
راعٍ وصديق

خلف بساطة هذا المزمور تكمن القوة والعمق : فإن سلامه ليس هروبًا وقناعته ليست هى الرضى عن الذات بل إن هناك استعدادًا لمواجهة الظلمة الحالكة والهجوم الوشيك ، وتكشف لنا قمته عن حب لا يطلب لنفسه أى هدف مادى بل هدفه الرب نفسه .

الأعداد ١ - ٤ : الراعى :

العدد ١ : يحتل الرب هنا - كما فى أغلب المزامير . مكان الصدارة - ويكشف ضمير الملكية الشخصية (راعىَّ) عن علاقة وطيدة بحيث تقرن بين (الرب) وبين القول (يعوزنى) أنا . وينبع كل المزمور من هذه الفكرة .. وفى القول (راعىّ) يستخدم داود هنا استعارة من أشهر الاستعارات التى تقابلنا فى سفر المزامير وأكثرها خصوصية لأنها عادة تفضل استخدام التشبيهات التى تدل على البعد مثل (الملك) أو (المخلص) أو التشبيه غير الشخصى مثل (الصخرة) أو (الترس) .. إلخ . بينما يعيش الراعى مع قطيعه وهو كل شيء بالنسبة له - الدليل والمرشد - الطبيب - والحامى .

العدد ٢ : (المراعى الخضر) - و (مياه الراحة) - أو مكان الراحة الذى بحث عنه تابوت الرب (ليلتمس لهم منزلا) وأوجده لشعب إسرائيل فى (العدد ١٠ : ٣٣) وتذكر المراعى هنا أولا لأنها توضح كيف أن الراعى - بخلاف الأجير - يفكر فى أحوال قطيعه .. ولو لم يفعل ذلك لكان راعيًا غير صالح وغير جدير بوظيفته - تماما مثل الأب الذى لم يتعلم أن يفكر ويشعر كرب اسرة ، إذا لم يعمل على أن يكون هو وأسرته مرتبطين معًا برباط واحد .

العدد ٣ : بعد رقة العدد الثانى .. يمكن أن نرى تعاملات الله الحازمة والأمينة فى الآية ٣ و ٤ على حقيقتها .

(يرد نفسى) تعبير له أكثر من تفسير .. إذ يمكن أن يصور (الخروف الضال) يعود إلى الحظيرة - كما فى إش ٤٩ : ٥ أو مز ٦٠ : ١ - التى

تستخدم نفس الفعل العبرى – والذى يعنى عادة (يتوب) أو (يتجدد) – انظر مثلا هوشع ١٤ : ١ و ٢ ، يوئيل ٢ : ١٢ – ويشير مز ١٩ : ٧ – بموضوع (الناموس) وتشابهُ الفعل (يصيِّر) إلى تجديد روحى من هذا النوع – أكثر من الإشارة إلى مجرد (الانتعاش) .. ومن جهة أخرى (نفسى) عادة تعنى (حياتى) أو (شخصى) والكلمة (يرد) عادة لها معنى (مادى) أو (نفسانى) كما فى إشعياء ٥٨ : ١٢ .. أو استعمال جزء آخر من الفعل فى مز ٢٥ : ١٣ والمراثى ١ : ١١ و ١٦ و ١٩ .

وفى القرينة هنا يتداخل المعنيان بشكل واضح حيث يمثل (رد) الخروف أو انعاش روحه – التجديد الأعمق فى إنسان الله سواء كان ضالاً أو مريضا روحيا .. وهذا أيضا ينطبق على (سبل البر) التى هى بالنسبة للقطيع لا تتعدى كونها (الطرق الصحيحة) إلا أنها تتضمن محتوىً أخلاقى ملزم بالنسبة للبشر (قارن مز ١١ : ٥) الذين يمكن أن تؤدى سبلهم إلى جلب العار على اسم راعيهم الحسن أو تمجيده .. ويوضح حزقيال هذه المضامين فى (حز ٣٦ : ٢٢ – ٣٢) فى القول (لأجل اسمه) .. بل ويضيف النتيجة الطبيعية وهى أنه لكى يرفع ذلك الاسم فإن الله سيجعل منا رجالا جددًا لنا طرق الله نفسه .

العدد ٤ : (الوادى المظلم) أو (وادى ظل الموت) هو بكل تأكيد واحد من طرق الله تماما مثل المراعى الخضر ، وهى الحقيقة التى إذا فكرنا فيها تخفف كثيرًا من وخزة ألم أى محنة – كما أن (محضره) يمكن أن يغطى أو يتغلب على أسوأ ما يتبقى وهو (الخوف) . (ظل الموت) هو المعنى الحرفى للكلمة العبرية الواحدة (salmáwet) التى ترد فى العهد القديم حوالى عشرين مرة ... وفى العديد من مرات تكرار هذه الكلمة يمكن أن يكون معنى (الموت) نوعًا من المبالغة كما فى القول (مظلم كالموت) – أو القول (الظلمة الحالكة) أو (الوادى الأشد ظلاما) .. وهذا يمكن أن يوسع من إشارة العدد لتتضمن أزمات أخرى إلى جوار الأزمة النهائية (الموت) .. ولكن بينما نجد فكرة (الظلمة) مسيطرة فى معظم قرائن استخدام الكلمة فى العهد القديم فإن فكرة الموت مهيمنة على القليل .. ومنها (فى رأينا) الآية الحالية .. فى أيوب ٣٨ : ١٧ نرى (أبواب الموت) مساوية (لأبواب ظل الموت) فى

نفس الآية .. أما فى إرميا ٢ : ٦ فإن هذا التعبير يصف (مهالك الصحراء) التى هى مكان الموت أكثر منها مكان ظلمة بصفة خاصة . وفى أماكن أخرى فى الترجمة السبعينية نرى معنى (ظل الموت) هو الأكثر استخدامًا .. وفى متى ٤ : ١٦ نرى إضافة حرف (و) - (كورة الموت وظلاله) تستخدم « الموت » كأكثر من مجرد (تعزيز للظل) - انظر أيضا لوقا ١ : ٧٩ حيث يشير الموت إلى ما بعد الظلام .

و (أنت) فى نقطة الخطر هذه تحل محل القول الأبعد (هو) .. فتعنى مخاطبة مباشرة بين شخصية ، لأن الراعى لم يعد فى المقدمة ليقود بل هو إلى جانبنا ليرافق ويحرس ، فإن الرفقة فى أوقات الحاجة نافعة ومفيدة ، وهو مسلَّح بالعصا (وهو « النبوت ») والعكاز (الذى يسير به) والذى يجمع به القطيع . هذا هو سلاح الراعى وتجهيزاته يستخدم الأول منها فى الدفاع (قارن ١ صم ١٧ : ٣٥) والثانى فى الضبط والربط حيث أن النظام يعنى الأمان .. وإذا وضعنا التشبيه جانبًا . فإن الرب وحده هو الذى يستطيع أن يقود الإنسان عبر الموت .. فإن كل القادة الآخرين ينكصون ويصبح على المسافر أن يسيره بمفرده .

الأعداد ٥ و ٦ الصديق

العدد ٥ : استنفد تشبيه الراعى أغراضه ليحل محله تشبيه آخر أعظم ألفة وصداقة ..

فأن تواجه التهديد (كما فى عدد ٤) شيء يختلف تمامًا عن تحول التهديد إلى انتصار وهذا هو مفتاح كل جزء من الأجزاء الباقية من المزمور ابتداء من (المائدة) الجيدة الإعداد والترتيب .. وعن كلمة (ترتب) انظر التعليق على مز ٥ : ٣ .. والدهن - زيت الابتهاج (قارن مز ١٠٤ : ١٥ ولوقا ٧ : ٤٦) .. وإلى (الكأس الريا) .

وقد تكون الصورة عن الثقة الهادئة فى أوقات الضغوط كما جاءت فى العهد القديم هى التى تقابل ما جاء فى رومية ٨ : ٣١ - ٣٩ ، ٢ كو ١٢ : ٩ و ١٠ .. وهى شهادة عن المنابع اللانهائية للثقة فى أسوأ الظروف .. إلا أنه

نجد فى الكتاب المقدس أن العدو لا يعامل باستخفاف إلا فى حالة (بنهدد) أو (بيلشاصر) . لذا فمن المتوقع إقامة احتفال بالنصر فى حضور الأعداء المأسورين المقهورين .

العدد ٦ : لكن المتوقع شيء أفضل من الوليمة ، ففى عالم العهد القديم كان الأكل والشرب على مائدة أحد الناس يوجد رابطة ولاء متبادل ، ويمكن أن يكون علامة على التعاهد بين طرفين كما فى خروج ٢٤ : ٨ – ١٢ عندما رأى أشراف إسرائيل الله وأكلوا وشربوا . وكذلك الأمر فى العشاء الأخير عندما أعلن يسوع قائلا (هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى) ١ كو ١١ : ٢٥ .

وعليه فأن تكون ضيفًا على الله لا يعنى أن تكون مجرد (مرافق) دُعى لقضاء يوم بل يعنى أن تعيش معه وهناك إيحاء برحلة تنتهى إلى بيت الرب لكنها أيضا فى نفس الوقت رحلة إلى المسكن – فلم يكن اللاويون وحدهم هم الذين يعتبرون بيت الرب هو مسكنهم (كما فى مز ٤٢ و ٨٤) بل داود أيضا رجل الأعمال اعتبره كذلك فى قلبه وفكره .

(رحمة) هى كلمة العهد التى تترجم الحب الذى لا يتغير – انظر التعليق على مز ١٧ : ٧ – وهى باجتماعها مع (الخير) توحى بالحنان والكرم الثابت والعماد الذى يمكن للإنسان أن يعتمد عليه فى داخل العائلة أو بين الأصدقاء الحميمين .. وهذه الصفات فى الله ليست ثابتة وقوية فقط بحيث يمكن الاعتماد عليها بل هى كريمة وسخية .. لأن كلمة (يتبعاننى) لا تعنى هنا أنها تأتى فى المؤخرة بل تعنى – تتعقب – أى تلاحقه ، تماما كما تتعقب أحكام الله الأشرار (مز ٨٣ : ١٥) (إلى مدى الأيام) هى المعنى الحرفى للكلمة العبرية التى ترجمتها بعض التراجم (إلى الأبد) .. وهى ليست تعبيرا عن الأبدية .. ولكن بما أن منطق العهد مع الله لا يسمح بنهاية لعهده مع الإنسان – كما قال الرب نفسه فى متى ٢٢ : ٣٢ فإن الفهم المسيحى لها أنه (لا موت ولا حياة ولا .. ولا .. ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا) رومية ٨ : ٣٨ و ٣٩ .

المزمور الرابع والعشرون

ملك المجد

نحن نتحرك مع هذا المزمور الملكى كما لو كنا فى موكب مع ملك المجد من ضواحى مملكته إلى (جبل الرب) ومدينته على القمة ... فلو أن المزمور كتب لمناسبة احتفالية فيمكن أن يحددها البعض على أنها احتفال تتويج .. (انظر المقدمة - ثالثا) - إلا أننا لا نحتاج لأكثر من أن نتطلع إلى حفل إعادة تابوت الرب من قرية يعاريم بواسطة داود (بأغانى وعيدان ورباب ودفوف وصنوج وأبواق) - ١ أى ١٣ : ٨ .. هذا الاحتفال الذى لا بد أن مز ١٣٢ قد أحيا ذكراه ، والذى لأجله أيضا يمكن أن يكون قد كتب مز ٦٨ .

ويُرنّم هذا المزمور تقليديا فى ذكرى عيد الصعود ، وقد ألهم بعضًا من الترانيم العظيمة لتلك المناسبة - وقد أبرز (ديليتش) أن الأمر يرى بصورة أفضل على أنه يمثل (عودة المسيح ثانية) منتصرًا ليمتلك القلعة التى هزمها .. تماما كما حوّل داود والتابوت - قلعة اليبوسيين إلى (جبل ومدينة الرب) .

وتحمل المزامير المقتبسة فى (١ أى ١٦) التى ترنموا بها فى تلك المناسبة سمات مجىء الرب النهائى (انظر مزمور ٩٦ وجزء من مزامير ١٠٥ ، ١٠٦) .

الأعداد ١ و ٢ : خالق الكل

تتميز الأعداد بعاليه بأن أول كلمة فى الأصل العبرى فى عدد (١) هى (للرب) وفى العدد (٢) هى (لأنه) ... وإليه هو - كخالق و حافظ - المصوِّر كمؤسس مدينة ومشيِّدها - تنتمى الأرض وكل ما عليها .. الأرض المثمرة (١ / أ) والمسكونة (١ / ب) - الأرض الثابتة الصلبة (٢) .. (ملؤها) - انظر مز ٩٨ : ٧ حيث يستحضر فى الذهن كل ثروتها وخصوبتها التى يرى أنها ليست مِلكًا للإنسان لكى يستغلها .. بل هى أولا وقبل كل شيء - ملك لله ، لإرضائه وتمجيده .. (ونفس التعبير فى الأصل العبرى لإشعياء ٦ : ٣) وهذه النظرة لا تجرد المنظر من مجده بل بالعكس تزيده - قارن ١ كو٣ : ٢١ ب و ٢٣ ، ١٠ : ٢٥ و ٢٦ و ٣١ - حيث يقتبس هذا العدد . وتطالب المزامير بالأرض المسكونة (١ / ب) كملك للرب كخالق (عدد ٢) وكملك وكقاض (انظر مز ٩ : ٧ و ٨) ويمضى العهد

الجديد إلى أبعد من ذلك (يوحنا ٣ : ١٦ و ١٧) .

عدد ٢ : (على البحار) يمكن أن تترجم (فوق البحار) كما فى مز ٨ : ١ - لكن الصورة الشعرية هى عن اليابسة التى ظهرت وبرزت فوق المياه .. وهى إشارة إلى ما جاء فى تك ١ : ٩ و ١٠ - قارن ٢ بط ٣ : ٥ .. و (على الأنهار) أنسب من القول (على الفيضانات) .. وبالنسبة للعهد القديم (زَبَد البحار المهلكة) تميل إلى السيطرة على مثل هذا المنظر ، جاعلاً الأعماق تذكّرنا بأنه لا صورة لها كما فى (تك ١ : ٢) وبالخطر (مز ٤٦ : ٥) والاضطراب (إش ٥٧ : ٢٠) .. لكن البحار له (بعكس المعتقدات الوثنية) تماما كما أن الأرض له . أنظر أيضا التعليق على مز ٤٦ : ٢ - ٤ ، ٧٤ : ١٣ ، ٩٦ : ١١ .

الأعداد ٣ - ١٦ الكلى القداسة :

قارن هذا المطلع الشعرى بمزمور ١٥ والتعليق عليه .. (يصعد) و(يقوم) تمثل : صورة لطيفة للعبادة . متوازنة مع التعبير الأساسى الآخر (ينحنى) .. ويتطلب الأمر دراسة متروية (قارن مرقس ٩ : ٢) .. أن نصعد إلى موقع ممتاز (قارن تك ١٣ : ١٤ وما بعده ، ١٩ : ٢٧ و ٢٨) ويتجمع فوقها مع الباحثين الآخرين (إش ٢ : ٢ و ٣) وأخيرا أن يتوقف أمام العرش (رؤيا ٧ : ٩) .

العدد ٤ : عن (الطاهر اليدين) انظر إش ١ : ١٥ ، ٣٣ : ١٥ و ١ تى ٢ : ٨ .. وعن (النقى القلب) انظر التعليق على مز ١٧ : ١٥ .. والتعبير (لم يحمل نفسه إلى الباطل) يستضىء بما جاء فى مز ٢٥ : ١ - حيث تكون مساوية (للثقة) .. (الباطل) - أو الفارغ موضوع الثقة يمكن أن يكون (معينا غير كفء) - صنم مثلا أو معونة بشرية (مز ٦٠ : ١١) أو خدعة حربية لا قيمة لها مثل الأكاذيب فى مز ١٢ : ٢ التى استعملت لها نفس الكلمة أيضا وعن (حلف كذبا) انظر التعليق على مز ١٥ : ٤ جـ .

العدد (٥) : (برًا) أو (تبرئة) تتجانس هنا مع (الإبراء) .. أو إعلان القاضى الحكم فى صالح الإنسان وكل ما يستخدم للتبرئة فى المحكمة .. فالرجل السليم الأخلاق - الشريف الأصيل - لابد أن ينجح على المدى البعيد . وقد تكون المعانى الثلاثة موجودة فى هذه القرينة . يتمتع هذا الرجل بابتسامة من

الرب فهو مقبول منه ، كما يساعده لكى يعيش الحياة المستقيمة ، وتسير أعماله ببركة الله كما يجب (انظر أيضا التعليق على ٢٣ : ٣ ب ، ٦٥ : ٥) .

العدد ٦ : وعن كلمة (الجيل) انظر التعليق على مز ١٢ : ٧ – وعن طلب وجه الرب انظر التعليق على مز ١١ : ٧ ، ١٧ : ١٥ وكلمة (يعقوب) تقف وحدها فى النص العبرى ، وبدون الإضافة السابقة لها فى الترجمة السبعينية لا يكون لها معنى .. وهذه الكلمة الإضافية يمكن أن تكون قد سقطت سهوا فى النص العبرى أو أننا يمكن أن نقرأ العبارة كما يلى (يلتمسون وجهك مثل يعقوب) إشارة إلى البركة والمصارعة وجهًا لوجه مع الله فى فنيئيل* (تك ٣٢ : ٢٩ و ٣٠) .

الأعداد ٧ – ١٠ الكلى الانتصار :

هذا التحدى المثير والرد عليه – الذى يمكن أن يمثِّل طقسيا عند وصول داود إلى الأبواب – يقدم لنا فى أقل الكلمات قمة المنزلة الرفيعة للملك غير المرئى – الأبواب الدهريات التى يدخلها ليجعلها ملكا له ، وحلقة الوصل بين هذه القمة وبين التاريخ السابق للفداء والتحرير .. لأن التعبير (الجبار فى القتال) ما هو إلا تعبير أقوى عن اسم الرب (رجل الحرب) الذى سُمع أولا فى ترنيمة الانتصار عند البحر الأحمر (خروج ١٥ : ٣) .. إن هذا الصعود يكمل مسيرة بدأت فى مصر ، والحق أن المزامير والترانيم المقتبسة فى ا أى ١٦ *كأنها أنشدت فى هذه المناسبة ترجع إلى الوراء إلى أيام إبراهيم وتتطلع إلى الأمام إلى مجىء الرب الديان .. فإذا كانت الأرض له* (١ – ٢) وهو قدوس (٣ – ٦) فإن تحدى الأبواب الدهريات ليست من قبيل المهرجانات والمواكب بل هى صيحة حرب للكنيسة (كما فى ٢ كو ١٠ : ٣ – ٥) .

* انظر كتاب الحياة « الطالب وجهك يا إله يعقوب » – المحرر

المـزمـور الخـامـس والعشـــرون

مبـادىء التـوسـل والتضـرع

تكوِّن هذه المبادىء العبرية مع قليل من الخروج على القاعدة – إطار هذا المزمور حيث تتناوب ضغوط الأعداء والحاجة إلى دليل ومرشد وثقل الخطية – لتكون الهم السائد .. وهنا تهدأ النغمة وتخف حدتها وتظهر ثقة المرنم فى انتظار صابر بدلا من الفرح المتفجر الذى يميز قمة مثل هذه المزامير أحيانا .. لكننا نجد العدد الأخير يخرج عن القاعدة ويطلب لإسرائيل ما كان داود نفسه يتضرع بالنسبة له هو شخصيا جاعلا بذلك من المطلب الشخصى ترنيمة ترددها الجماعة كلها .

الأعداء : نادرا ما يخلو مزمور لداود من ذكر الأعداء ، وهم يمثلون معارضى داود الشخصيين والأيدولوجيين (المعارضون لمبادئه) ، وانتصارهم لن يصيبه وحده بالخزى (عدد ٢) بل يصيب كل ما يمثله أيضا ، أى قناعته بأن الإنسان يجب أن يعيش بمعونة الله وليس بذكائه الشخصى (عدد ٣) . وتعود الأعداد ٢٠ و ٢١ إلى هذا الأمر وتوضحه بنظرتها إلى (الكمال والاستقامة) باعتبارها الحافظة له (وهو الأمر الذى يحتقره الأعداء باعتباره سذاجة) ويعترف داود بأنه لولا الله فإن هذه الصفات لن تكون كافية لمواجهة أسلحة الخيانة العالمية [عدد ٣ وقارن عدد ١٥ – الشبكة] والكراهية (عدد ١٩) .. إذًا فقد فشل العدو فى أن يُملى على داود شروط المعركة .. وكل من يرنم هذا المزمور يتخذ نفس هذا الإتجاه .

الإرشـاد والتعليـم :

هذا موضوع رئيسى فى المزمور – وأول طلب للإرشاد هو عن إرادة الله عامة – لاحظ صيغة الجمع (طرقك يا رب) – عدد ٤ – هذا الطلب يخلو من المصالح الشخصية التى قد تكون الدافع لطلب مشورة خاصة .. وهى تضع الأساس للقرارات الصحيحة – وأساس تدريب القدرات (الذى يعطى الحواس المدربة على التمييز بين الخير والشر) عب ٥ : ١٤ . والعلامات الأخرى فى هذه الصلاة هى : **أولا** : الإصرار – والمثابرة – الوعى المدرك لأول أثر من آثار يده الظاهر فى أعداد ٥ / جـ ، ١٥ – قارن مز ١٢٣ :

٢. **وثانيا** : الندم والتوبة – مع العلم بأن الإنسان ليس تلميذًا كفوا أو مستحقاً بل مجرد (خاطىء) – عدد ٨ – له نفس انحرافات الخاطىء وجريمته – **ثالثا** : الطاعة .. وهذا متضمن فى القول (ودعاء) (التى سبق شرحها فى التعليق على مز ١٨ : ٢٧) – **ورابعاً** : المهابة والتوقير – (الخائف الرب) عدد ١٢ و ١٤ وهى التقوى البسيطة التى يشرِّفها الله بصداقته (سُّر الرب) عدد ١٤ – والكلمة العبرية المترجمة (سر) Sod تحمل معنى الاستشارة لمجلس المشيرين .. أى جماعة المشيرين المحيطين بالمستشير وكذلك موضوع المشورة الذى يتناقشون فيه . [وعن كلمة – مجلس – انظر إرميا ٢٣ : ١٨ و ٢٢ ، عاموس ٣ : ٧] .

وهذا الاتجاه إلى المشورة الإلهية أمر شخصى ناضج ، وهو يختلف عن البحث الذى يقوم به الوثنيون عن طريق مؤشرات أو تكهنات غير منطقية وغير معقولة . (قارن إشعياء ٤٧ : ١٣) .

الإثــم والمعصيــة :

الإشارة لهذا الأمر مختصرة وإن كانت جادة ومتكررة – وحلّها ليس فى الوقت بل فى النعمة الإلهية (عدد ٧) المضمونة بالعهد (انظر التعليق على القول – خير ورحمة فى مز ٢٣ : ٦) .. وتذكُّر الرب نشط ومؤكد (انظر التعليق على مز ٨ : ٤) .. والأشكال البديلة التى يمكن أن تأخذها الآية (اذكرنى) أو (اذكر خطاياى) – عدد ٧ – وليس فى طلب الحب الإلهى أى تزلف كما لو كان الأمر مجرد هروب من العقاب .. فالرب (يعلم الخطاة الطريق) ليس فقط من باب الصلاح والرحمة بل لأنه هو نفسه (صالح ومستقيم) – عدد ٨ – ومن ثم فهو مهتم أن يطبع هذه الصفات فى الآخرين ، وداود من جانبه يبكى على خطيته (عدد ١١) شاعرا أنه مهجور (التفت إلى ... عدد ١٦ – اغفر عدد ١٨) وهذا هو أعمق ما يضايق داود فى (الأعداد ١٦ – ١٨) .

الثقــة والتوكــل :

استخدمت كلمة (توكلت) فى مستهل المزمور (عدد ٢) لكن نفس الاتجاه يسرى أيضًا خلال التعبيرات عن الله (مثلا عدد ٥ / ب ، ٨ – ١٠ ،

١٤ و ١٥) وفى التأكيدات على انتظاره (عدد ٣ و ٥ و ٢١ وبطريقة غير مباشرة فى عدد ١٥) وأن تنتظر يعنى أنك تقبل توقيت الله وبالتالى حكمته .. هذه هى العلامة المميزة بين مواقف داود ومواقف شاول من جهة الرب (١ صم ٢٦ : ١٠ و ١١ ، ١٣ : ٨ - ١٤) وبين موقف إشعيا وشعب إسرائيل (إش ٣٠ : ١٥ - ١٨) والكلمة المستخدمة فى المزمور للتعبير عن هذا الأمر توحى بتوتر معين ، فإن الثقة متلهفة - وتنتظر بأمل أكثر منه بتسليم ، ورغم أن هذا الأمل لم يتحقق فى النهاية إلا أن الانتظار يستمر .. وربما لهذا يكون المزمور ملائما بالأكثر لأولئك الذين لم يمنحوا ذلك التأكيد الرائع الذى يتفجر فيه .. مثلا مز ٦ : ٨ - ١٠ ، ٢٠ : ٦ - ٨ .. الخ قارن أيضا تشجيع إشعياء الهادىء فى إش ٣٠ : ١٨ ، ٦٤ : ٤ .

المــزمــور الســـادس والعشـــرون
تكـريـــس خـالـــص

مركز هذا المزمور هو الاستغراق فى البهجة فى محضر الرب وفى بيته (أعداد ٦ - ٨) وهى مشاعر شخصية تجعلنا نخجل من أشواقنا الباهتة . والآيات المحيطة به تشير إلى مصدر هذا الفرح (فى مجال الاختيار وليس فى الحالة المزاجية) . ذلك الاختيار المكلف وهو اختيار الولاء الذى ألقى بداود على أحضان حماية الله وأوضح له أين يكمن قلبه وكنزه ، وفى أى صحبة يشعر تمامًا أنه فى بيته .

وفى كل من المزامير ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ نجد الحديث عن بيت الرب - فى مز ٢٦ : عندما يقترب العابد ، فإنه يتعرض لفحص النفس للتأكد من الإخلاص (مزامير ١٥ و ٢٤) وفى الآية الأخيرة يبتهج المرنم إذ وجد قبولاً . وفى مز ٢٧ هو يرى فى ذلك البيت الملجأ له من أعدائه . كما أنه مكان لقاء الله وجها لوجه . وفى مز ٢٨ يقدم طلبته ، باسطا يديه كمتضرع فى قدس الأقداس ، يتلقى الإجابة .

الأعداد ١ - ٣ : ليس شيء لأخفيه

لا يظهر رفقاء داود من البشر فى هذه الافتتاحية ، وإن كان موقفه الدفاعى يدل على موقفهم منه .. وفى صرخته (اقضى لى يا رب) يرفع طلبته بحكمة فوق رؤوس الأصدقاء والأعداء على السواء وهذا هو سر الاستقلال الحقيقى كما كان على بولس أن يواجه التيارات المتعارضة بين النقد والاهتمام - قارن ١ كو ٤ : ٣ - ٥ وعن الادعاء بأنه على حق والاستعداد للمحاكمة انظر التعليق على مز ٥ : ٤ - ٦ - ولاحظ أيضا أن الرب نفسه استخدم كلمة (سلامة قلب) فى وصف داود فى (١ مل ٩ : ٤) ، ومعناها الأساسى هو (الكمال) بمعنى الإخلاص القلبى أكثر من معنى (أنه بلا عيب) .. وعندما فكر داود فى طرقه بالتفصيل ، وليس فقط فى ولائه الكامل ، لم تعد طلبته (أن يُفحص ويُعرف) تحمل صيغة الأمر كما هى فى (عدد ٢) بل صيغة الخضوع (مز ١٣٩ : ٢٣ و ٢٤) .

والقول (بلا تقلقل) فى عدد (١) تعنى حرفيا (انى لا أنزلق أو لن أنزلق) مشيرًا إما إلى نتيجة ثقته أو على الأرجح إلى نوعيتها . وهناك تعبير آخر يحمل

معنيين محتملين وهو (بحقك) فى (عدد ٣) وتترجم حرفيا (فى حقك) حيث أن الحق فى العهد القديم هو (الأمانة) لكن يمكن أن تؤخذ هذه الكلمة على أنها – لغويا – تتعلق بالله وليس داود وبذلك تتمشى مع القول (رحمتك) وقد نتمكن من أن نرى أثرا ذا معنى فى التشديد على (كمالى) فى عدد (١) و (حقك) فى عدد (٣) .

العددان ٤ و ٥ : لم أشترك معهم فى شيء

إذا أخذنا هذين العددين على أنهما نوع من الكبرياء نكون مخطئين ، فإنه من الممكن أن يصبح هؤلاء الرجال أصدقاء أو أعداء ، وقد اختار داود أن يكره صحبتهم ، وليس ذلك لتفضيل نفسه عنهم اجتماعيا بل كتخطيط روحى .. والصحبة هنا تعنى (جماعة) كما فى الترجمة العربية ، وهى جماعة منافسة لجماعة الرب .. لقد كانت شخصية داود ومملكته نفسها رهن هذا الاختيار للرفقاء .. وفى كلا العددين نجد فعلين : الأول حاسم يتبعه الثانى مفتوح – (لم أجلس .. ولا أدخل – أبغضت .. لا أجلس) . وهو اتجاه محدد وتصميم على اتباعه – انظر التعليق على عدد (١١) .

الأعداد ٦ – ٨ : فى محضره

تتغير لهجة القانون الجاف وتنبض بالحياة بهذه اللمحة من عملية الطواف بالمذبح فى الساحة المكشوفة .. والمنظر يزداد حيوية فى مز ٢٧ : ٦ ، ٤٢ : ٤ ، ٦٨ : ٢٤ وما بعده – فإن المرحضة تقف بين المذبح والخيمة ، هناك يغسل الكهنة أيديهم وأرجلهم قبل الاقتراب من المذبح أو الخيمة (خروج ٤٠ : ٣٠ – ٣٢) ويضع داود هذا الأمر فى قلبه فى روح المزمور ٢٤ : ٤ .

العدد ٧ : كأمثلة على ترنيمة الشكر الشخصية التى تصاحب الذبيحة فى لاويين ٧ : ١٢ وما بعده – انظر مثلا مز ٤٠ ، ١١٦ وعن التذكار المشترك لمعجزات خلاص الرب (عجائبك) انظر مزامير ٧٨ ، ١٠٥ .. الخ وفى هاتين الطريقتين يعيش الماضى لكى يثرى الحاضر ويعطى تحديدًا لتشكرات الإنسان .

العدد ٨ : (أحببت) مثل القول (أبغضت) فى عدد (٥) . هو تعبير عن الاختيار ، هنا يوجد قلبه فى بيت الرب وليس فى الأمور الدنيوية بعد

أن اطمأن القلب للاختيار وللصحبة .. يضيف المرنم لبيتك الوصف (موضع مسكن مجدك) حتى لا ننسى معجزة سكن الله بيننا .. لقد تعامل مجد الرب* فى البرية بطريقة مرئية فوق خيمة الاجتماع (خروج ٤٠ : ٣٤ وما بعده) وكلمة (إقامة أو سكن) فى العبرية صارت كلمة قياسية لهذا المعنى .. لكن يوحنا ١ : ١٤ يعلن الحقيقة التى كانت ترمز لها السحابة والنار (والكلمة حل بيننا) ولاحظ كلمة «بيننا»* - (ورأينا مجده مجدًا كما لوحيد من الآب) .

العددان ٩ و ١٠ رجال لا مستقبل لهم :

الصورة المختفية خلف التعبير (تجمع) هى عن جمع المهملات التى يجب أن تطرح خارجًا - تماما كما فى مثل الزوان والحنطة فى متى ١٣ : ٣٠ .. كان داود مدركًا أنه مهما كانت نيته معقودة وثابتة على رفض طرق الخطاة (عددى ٤ و ٥) فإن حكم الله هو المهم ، ويجب عليه أن يتقدم إليه متضرعًا وقد تُرك أمر تلخيص الموقف إلى المقطع الختامى .

العددان ١١ و ١٢ : حب بلا خوف

تعطى هاتين الآيتين منظرا مكتملا لاعتراف الرجل التقى .. **فأول عناصره** هو (الكمال) ، الإخلاص القلبى . (انظر التعليق على عدد ١) وهنا يظهر داود عزمه على السير فى هذا الطريق بمثابرة وذلك بتغيير صيغة الفعل من (سلكت) - عدد ١ - إلى (أسلك) - (انظر التعليق الأخير على العددين ٤ و ٥ أعلاه) وهذا هو الولاء وليس (البر الذاتى) طالما أن **العنصر الثانى** هو الاتضاع العميق (عدد ١١ / ب) .. الاعتراف **بعدم القدرة** على العمل بدون مساعدة .. فالفعل إفدنى يعطى معنى عدم الجدارة بالمطالبة كحق (ارحمنى) أما **العنصر الثالث** فهو التأكد .. لأنه لا أحد يلتمس (١١ - ب) أو يثق ويتوكل (١ - ب) عبثا .. وعليه فإن المزمور الذى بدأ دفاعيًا مدركا بشدة أعداء الكنيسة (انظر التعليق على عدد ٥) ينتهى بالشكر والتمجيد

* كلمة (حل) أو (تجسد) يمكن أن تحتوى على اشارة مقصودة إلى خيمة الله (خيمة الاجتماع) فى البرية - كما أن التشابه بين كلمة (خيمة) فى اليونانية وفى العبرية يمكن أن تكون قد أثرت على يوحنا عندما اختار هذا الفعل .

والتهليل بأن يضيف صوته إلى صوت مجاميع من رفقاء الإيمان (فى الجماعات) - بصيغة الجمع .

المـزمـور السـابـع والعشـرون

نـــورى وخـــلاصـــى

يتوسع هذا المزمور الفصيح المتوهج فى الموضوعات المشتركة بينه وبين نظرائه الأقل منه توهجًا (مز ٢٦ ، ٢٨) وهذه الموضوعات هى ، حماية الرب ، بهجة الوجود فى بيته ، وثقة وولاء المرنم التى لا تقبل الجدل .

الأعداد ١ - ٣ : ممن أخاف ؟

(النور) هو رمز طبيعى لكل ما هو إيجابى تقريبا .. من الحق والصلاح إلى الفرح والحيوية (اقرأ مز ٤٣ : ٣ ، وإش ٥ : ٢٠ ، مز ٩٧ : ١١ ، ٣٦ : ٩ على الترتيب) .. والنور هنا هو الرد على (الخوف) - عدد ١ و٣ - وقوى الشر - وهذه لا يستخف بها .. فالحصن أو الملجأ يذكرنا أنها يمكن أن تهدد حياتنا نفسها .. ويمكن أن نشعر بهذه التهديدات فى عدد (٣) بتذكرنا موقف داود الميئوس منه فى (١ صم ٢٣ : ٢٦ و ٢٧) أو موقف إليشع فى ٢ مل ٦ : ١٥ - قارن أيضا خروج ١٤ : ١٩ و ٢٠ و ٢٤ حيث كان الرب (نورًا) للسير بهديه وحاجزًا غير منظور بين الشعب وأعدائه فى نفس الوقت .

الأعداد ٤ - ١٦ : بيت الرب

ليس هذا طموحا من داود لأن يصبح كاهنًا أو لاويًا - تماما كما فى مز ٢٣ : ٦ - إذ هو يطلب أن يتمتع بالتواجد الدائم فى حضرة الرب . لاحظ وحدة (أو تفرّد) الغرض : واحدة - وهى أحسن جواب على المخاوف المذهلة (١ - ٣) . والأولويات داخل ذلك الغرض الواحد (سألت) و (ألتمس) - الاستغراق فى شخص الرب ومشيئته .. هذا هو جوهر العبادة بل وجوهر التلمذة .. وسيتم التوسع فيها فى الأعداد ٧ - ١٢ .

تستخدم هذه الآيات مختلف الأساليب فى طرق موضوع (بيت الرب) معبرة عنه بالعديد من المصطلحات التى يمكن استخدامها بالنسبة لمكان الإقامة .. (هيكل) عدد ٤ - هى الكلمة المعروفة عن البيت الإلهى أو الملكى (قارن مز ٤٥ : ١٥ - قصر) ولا تستوجب اعتبار أن هيكل سليمان كان

قد بنى فعلا .. وسواء كانت كلمة (هيكل) أو (خيمة) هى المستخدمة للتعبير عن مكان العبادة (عدد ٦) فالمهم هو إرتباطها بالله وليست بالمادة المستخدمة فى البناء (انظر التعليق على مز ٥ : ٧) - لأنه لا يمكن أن نأخذ حرفية لفظ الهيكل والخيمة فى نفس الوقت .. لاحظ أيضا التعبيرات الحية فى عدد (٥) حيث (المظلة) - أو (الوقاء) يمكن أن يكون (عرين) الأسد كما فى مز ١٠ : ٩ - (وقارن أيضا مز ٧٦ : ٢ / أ - مع عاموس ١ : ٢ ، ٣ : ٨) .. والخيمة فى عدد (٥) تتحدث عن الحماية التى يمكن أن يحصل عليها الضيف من مضيفه ، و (الصخرة) تعيد إلى الأذهان رسوخ داود كالصخر (انظر التعليق على مز ١٨ : ١ - ٣) .. مع خيمة العبادة فى عدد (٦) والشكر المبتهج - قارن ٢ صم ٦ : ١٤ - ١٧ و مز ٢٦ : ٦ - ٨ .

الأعداد ٧ - ١٢ : وجهك - طريقك

سيأتى المنظر المنتصر الموصوف أعلاه فيما بعد .. وفى هذه الأثناء هناك علامة صغيرة لفضل الله أو فضل أى شخص آخر .. فيعود داود إلى « الشيء الواحد » الذى وضع عليه قلبه (عدد ٤) ويتمسك بحقيقة أن الحركة الأولى قد جاءت من قبل الله على أى حال .. فهو لن يطلب محبتنا (٨ / أ) ثم يعود فيمسك عنا محبته (٩ / أ) .. وموضوع العدد (١٠) قد يكون افتراضيا .. إذ أن والدى داود لم يتركاه فعلا بل إنه بعد أن (ينتهى دورهم) سيستمر حب الله . بل الحقيقة أنه يبدأ عندما تتوقف محبة الإنسان (هل تنسى الأم رضيعها ؟) إش ٤٩ : ١٥ .

ولكن داود ليس فقط متعبدًا يطلب وجه الله (عدد ٨ وما بعده) بل هو أيضا سائح ملتزم بطريق الرب (عدد ١١) يتصارع فى كل خطوة منه .. والصلاة من أجل (سبيل مستقيم) وهو فى هذا العالم ليس للحصول على الراحة بل للتقدم الأكيد (وهو كتعبير أخلاقى يتضمن ما هو حق ومستقيم) حيث يمكن استغلال أقل هفوة .. والقول (بسبب أعدائى) - كما فى مز ٥ : ٨ - يمكن أن يحتوى فكرة الحذر - كأحد المشتقات المحتملة - قارن لوقا ١١ : ٥٤ .. (مرام) أو (مشيئة) فى عدد ١٢ يمكن ترجمتها - (مشتهى) . وهى نفس صورة الوحوش المفترسة التى وردت فى عدد (٢) .

أعداد ١٣ و ١٤ : آمن وانتظر

بينما تحتوى بعض المزامير ردًا من الوحى (انظر التعليق على مز ١٢ : ٥ و ٦) أو جيشانًا عاطفيًا من التمجيد الذى هو دليل على مثل هذا الرد ، سواء سمع داخليا أو خارجيا (قارن مز ٢٨ : ٦ و ٧) نجد بعض المزامير تظهر المرنم وهو متمسك بالإيمان .. كما يجب علينا أن نفعل .

يبدأ عدد (١٣) فى الأصل العبرى بكلمة (لولا) وهى أداة شرط ، ولكن لا يذكر جوابها الذى ترك لوجدان القارىء إذ هو واضح من القرينة ، فلولا الإيمان لخار الإنسان واستحالت عليه الحياة .. وفى العدد الختامى يمكن أن يكون المرنم موجها خطابه لأى شخص يجتاز مثل اختباره .. أو يمكن أن يكون متكلمًا مع نفسه كما فى مز ٤٢ : ٥ مثلا لكى يقوى عزمه « قلبك » . والضمير هنا هو ضمير المخاطب المفرد كما فى سائر الأفعال فى المزمور – بخلاف ما جاء فى مز ٣١ : ٢٤ – (انظر التعليق عليه فيما بعد) . أو لعل هذا هو رد الوحى الإلهى .. وأيا كان الأمر فإن المرنم لم يكن أمامه أكثر من التأكد من أن الله جدير بالانتظار .. وهذا يكفى .

المـزمـور الثامـن والعشـرون

المتضـرع يتلقـى الإجابـة

نرى فى هذا المزمور – الذى يبدو أنه الثالث فى مجموعة صغيرة من المزامير (انظر المقدمة) – أن الخوف يستبد بالمرنم من أن يوضع ضمن زمرة الأشرار ويُلقى خارجًا – ربما عن طريق موت قبل الأوان – لكن الإجابة واضحة ويستجمع المرنم شجاعته ليسأل خلاصا مماثلا لشعبه ككل .

العددان ١ و ٢ : المتضرع

ربما كان الموقف هو المرض أو اليأس العميق ، وليس الخوف هنا من الموت نتيجة لذلك بل من الموت باحتقار لا يستحقه . (الجب) أحيانا يكون مجرد مرادف لكلمة الهاوية . انظر التعليق على هذه الكلمة فى مز ٦ : ٥ – ولكن قد توحى أيضا بأعمق مناطقها – مثل أسافل الجب التى يلقى فيها بأعتى المجرمين (قارن إش ١٤ : ١٥ و ١٩ ، حزقيال ٣٢ : ٢٧ و ٢٩ و ٣٠) .

العدد ٢ : الأيدى المرفوعة يمكن أن تعبر عن الصلاة بطرق مختلفة . وهى هنا تنم عن التوسل فى طلب عطية بيدين فارغتين ، أما فى مز ٦٣ : ٤ فهى تنم عن بسط اليدين تجاه الله نفسه ، وفى خروج ١٧ : ٩ وما بعده تنم عن الوساطة – دعوة تطلب القوة من السماء لأجل الآخرين (انظر أيضا ١ تى ٢ : ٨) .. والكلمة العبرية المترجمة (محراب قدسك) هى (dcbîr) تظهر لأول مرة – بخلاف هذه المرة – فى وصف هيكل سليمان .. ولا يستوجب هذا أن يكون المزمور قد كتب بعد أيام داود ، بل يعنى فقط أن الكلمة أصبحت فى أيام سليمان تستخدم لمقر التابوت – مما يوحى بأنها كانت مستخدمة قبل هذا الوقت بفترة طويلة .

الأعدد ٣ – ٥ : العدالة

قد يكون التسليم لأيدى وإرادة الأشرار – الأمر الذى كان يخشاه داود فى مز ٢٧ : ١٢ – أقل ضررًا من التواطؤ معهم والانجذاب إليهم وإلى الاحتقار الذى سببوه لأنفسهم .. كان هذا هو اخفاق العدالة الذى خشيه فى مز ٢٦ : ٩ و ١٠ ، وبينما يمثل الموقف هناك إزالة الأقذار إلا أنه هنا يمثل جر المساجين

لتنفيذ العقوبة .. ولا شيء يلدغ بشدة مثل الظلم ، وعليه فإن هذه الآيات ليست فقط ممتلئة غيظا بل إنها تصوغ احتجاجات الضمائر الحية ضد أخطاء النظام الحاضر فى كلمات . والاقتناع التام بأن يوم الدينونة هو ضرورة أخلاقية . وبهذا المعنى : يصرخ (مختارو الله إليه نهارًا وليلاً وهو متمهل عليهم) لوقا ١٨ : ٧ - انظر أيضا التعليق على مز ١٠ ومز ٧ : ٦ - ١٦ - وانظر المقدمة (رابعا) .

العددان ٦ و ٧ : التضرعات تُسمع

عن تأكيد استجابة الرب انظر التعليق على مز ١٢ : ٥ و ٦ .. وتأتى صور قوة خلاصه سواء فى أفعال (خلّص .. وارعى) عدد (٩) أو فى حماية (عزى وترسى) .. متوافرة هنا (٦ - ٩) .. لكن التشبيه الفريد فى عدد (١) .. (يا صخرتى) ربما تتفوق على الكل باعتبارها صرخة الإيمان المتلهفة وقت التجربة ، وربما كان العدد (٧) يعود فيتطلع إلى هذا المعنى .. [عليه اتكل قلبى وانتصرت (أو سأنتصر) فابتهج قلبى وبأغنيتى أحمده (أو سأحمده)] .

العددان ٨ و٩ : الاشتراك فى البركة

يبنى داود كلامه الآن على حقيقة أنه أكثر من مجرد مواطن عادى ، بل إنه باعتباره (مسيح الرب) فهو يمثل شعبه ، ولابد أن تشمل نعمة الرب الشعب كله أيضا (وهذا مبدأ سيكمّل ويعطى ثماره فى العهد الجديد / افسس ١ : ٣ وما بعده) . وهناك صعوبة صغيرة فى النص فى عدد (٨) فى القول (لهم) بدل من (لشعبه) وذلك بحذف حرف واحد من الأصل العبرى لكن القول (شعبك) فى عدد (٩) يوضح هذا المعنى . وقد أدمجت هذه الصلاة الختامية فى (تسبحة الشكر) حيث يمكن أن يتسبب الاعتياد عليها فى فقد معنى التناقض الظاهرى فى القول (ميراثك) لأنه ما أعظم أن يعتبرنا الله أغلى مقتنياته.. وارعهم واحملهم تحمل معنى الحماية كما فى إشعياء ٦٣ : ٩ .. وقارن أيضا إشعياء ٤٠ : ١١ .. واختلافات موضوع (الحمل) فى ٤٦ : ١ - ٧ .

المـزمـور التاسـع والعشـرون

الملـك فـوق العاصفـة

يسيطر جلال الرب العظيم على هذا المزمور بالمنظر الافتتاحى فى السماء حيث تؤدى الكائنات فوق الطبيعية الثناء والتقدير ، مع اكتساح العاصفة الرعدية القوية القادمة من البحر إلى كل أرض كنعان ثم إلى الصحراء ، ويلى ذلك القمة الصافية التى يظهر فيها الرب – بعد انحسار الزوبعة – جالسًا على عرشه ليدين العالم ولكن ليبارك شعبه .

ويحمل التكرار اللحوح هنا ملامح بعض الأشعار العبرية القديمة مثل اغنية البحر الأحمر (خروج ص ١٥) ووحى بلعام (عدد ٢٣ و ٢٤) وأنشودة دبورة (قضاة ص ٥) .. وقد كان الشعر الكنعانى القديم مشابهًا لهذا .. وسواء كان داود قد بنى مزموره هذا مستخدمًا إطارا من شعر قديم أو أنه يستخدم الأسلوب الكفيل باستعادة مزامير الحرب الخاصة بخلاص الرب ، فإن المفهوم المبدئى للفقرة – بتكرار كلمة (الرب) ١٨ مرة يتمشى بروعة مع الموضوع بينما يتولى تركيب المزمور اللغوى استبعاد خطر الملك بتحركاته من السماء إلى الأرض فى طريق العاصفة والتحول الأخير من الطبيعة المزمجرة إلى شعب الله الساكن فى سلام .

العددان ١ و ٢ : تمجيد فى السماء

الكائنات السماوية هى (أبناء الله)* .. وقد لا يكون هذا تحديا للآلهة المزيفة كما فى مز ٩٧ : ٧ بل (كما يمكن الحكم على الجملة التى تحمل نفس الكلمة فى مز ٨٩ : ٥ – ٧) تكون استدعاء للملائكة – ونفس كلمات هذين العددين مكررة فى مز ٩٦ : ٧ و ٨ إلا أنها هناك موجهة إلى الإنسانية عامة – ونفس نغمات العبادة الحقيقية تسمع هنا فى كلمات (قدموا)

* الكلمة العبرية تعنى (آلهة) ومفردها (إله) أو الله – وفى مز ٨ : ٥ ترجمت (ملائكة) وهى تعنى أيضا (القوة) كما فى تك ٣١ : ٢٩ وتثنية ٢٨ : ٣٢ – ولما كانت بعض المخطوطات بها حرف زائد فقد ترجمتها السبعينية (كبش) أو (تقدمة) لكن الفقرة المقابلة فى ٩٦ : ٧ و ٨ تتضمن معنى (قبائل) وهم المتعبدون وليس التقدمات .

و (اسجدوا) فإن الكلمة الأولى تتضمن (العقل) – بل القلب واليد والصوت – لكى تعلن عظمة الله بينما تتضمن الأخيرة الإرادة لكى تتخذ وضع العبد المتضع .. لاحظ الكلمتين (مجد) وقداسة فى عبادة الملائكة وهى نفس موضوع تمجيد السرافيم فى إش ٦ : ٣ حيث تتحدث كلمة (قدوس) عن الله نفسه و (مجده) تتحدث عن كل ما ينبثق عنه .. فإن مجده بصفته الخالق يملأ كل الأرض – كما يغنى السرافيم – لكن (مجد اسمه) هو الإعلان الظاهر عن من هو . والمعلن لعبيده فى أقواله وأفعاله .. والعبادة الحقيقية تعكس ذلك فى حب وانبهار .. (زينة مقدسة) هى ترجمة أمينة لعبارة عبرية تعنى حرفيا (روعة القداسة)* .. وتوجد هذه العبارة أيضا فى مز ٩٦ : ٩ ، ١١٠ : ٣ ، ١ أى ١٦ : ٢٩ ، ٢ أى ٢٠ : ٢١ ويمكن أن تترجم بأى من المعنيين فى جميع هذه الشواهد ، والأخير منها يميل إلى جانب المعنى الحرفى حيث يُفهم على أنه يتكلم عن قداسة الله – أكثر من قداسة الإنسان .. هنا إذن يمكننا أن نفهم السطر على أنه يعنى (اعبدوا الرب لأجل عظمة قداسته) .

الأعداد ٣ – ٩ : طريق العاصفة

تم تفسير (صوت الرب) فورا على أنه (رعد) – عدد ٣ – ولكن قيل إن (إله المجد ارعد) كناية عن قوة الخالق وليس فقط قوة الطبيعة .. وهناك فى البحر فوق صوت الأمواج ، تحتفل الرعود بالرب الملك والديان .. كما سيأتى فى عدد (١٠) مسيطرة على ما يبدو أنه أصعب العوامل الجوية (قارن ٩٣ : ٣ و ٤) ، وبعد أن تتغلب العاصفة على الأرض تكشف عن مجالها كما تكشف عن قوتها مكتسحة من (لبنان) و (سريون) – (أو جبل حرمون .. تثنية ٣ : ٩) فى أقصى الشمال إلى (قادش) فى أقصى الجنوب حيث هام إسرائيل فى البرية مع موسى . قارن الأعداد ٥ و ٦ مع إش ٢ : ١٢ أو ما بعدها حيث يتنبأ عن يوم الرب حين يخفض الأرز وكل الجبال وكل ما يمكن أن يؤثر فى الإنسان ، وبينما يحمل كل مظهر من مظاهر قوة الله تذكيرًا

* ترجمت أيضا بمعنى (محضره المقدس) لكن هذا لا يتفق مع ما جاء فى ٢ أى ٢٠ : ٢١ حيث تختلف الترجمات .. وتقول إحداها (عندما يظهر فى مقدسه) .. وهى مؤسسة على كلمة (يوجارينيه) تعنى – حلم أو رؤيا أو ظهور وسلسلة لغوية طويلة وإن كان فيها بعض الضعفات .

بهذه الدينونة الأخيرة ، فإن المزاج السائد فى المزمور هو الابتهاج الذى يبدو ناطقا فى الهتاف الوارد فى عدد ٩ / ج .

وهناك بعض المسائل المتعلقة بالترجمة فى هذه الفقرة .. (يقدح اللهب) فى عدد (٧) تعنى حرفيا (يقطع) أو (يقسِّم) والإشارة هنا إلى (البرق) ربما بالقياس إلى الشرر الذى يمكن أن ينتج عن احتكاك حجرين ببعضهما - أو ربما يعطى صورة برق منقطع ... وفى هذا الوصف ربما نحتاج أن نلاحظ الرابطة بين منظر النار والريح الشديدة (وبشكل مختلف تماما) وصوت الرب فى يوم الخمسين (أعمال ٢ : ١ - ٤) .. وهو العيد الذى يقول التلمود أن هذا المزمور يشير إليه .. والكلمات (يزلزل) و (يكشف) فى عددى ٨ و ٩ مرتبطان ببعضهما لكونهما أجزاء من فعل واحد يفصح أساسًا عن (الدوران) (الالتفاف) كالدوامة سواء فى العمل أو فى (الرقص) ويعطى صورة حية لعاصفة ترابية صحراوية .. وغابات تتقصّف .. وتعدل بعض الترجمات الحروف التقليدية (التى لم تكن موجودة فى النص الأصلى) ليصبح المعنى (بلوط) بدلا من (إيل) وبهذا تتجنب القفزة الكبيرة من (الضخم الهائل) إلى الغامض المبهم .. مما يسهّل مهمة من سيترنم بهذا المزمور وهو غير مستعد ومتحير نوعًا ما .. كما أن القول (يولّد الآيل) يمكن أن تفهم على أنها تلد قبل موعدها . وهذا أمر يمكن تخيله إلا أنه ليس المحصلة النهائية لعاصفة بمثل هذه القوة ، والقول البسيط (يكشف الوعور) هو استمرار معقول للتصعيد دون أى تلميح إلى المبالغة .

ويبلغ المنظر قمته فى صرخة (الكل قائل مجد) التى هى رد يدل على الفهم والتواضع والفرح التى تكشف للبعض أن العاصفة ليست مجرد فوران لغوى لا معنى له أو قوى عدوانية .. بل هى صوت الرب الذى يسمع من خلال كل مخلوقاته ويمضى النص العبرى إلى أبعد من ذلك فيقول (الكل) بمعنى أن كل ما فى الهيكل (كما فى الترجمة العربية) وينسب بعض المعلقين هذه الكلمات إلى المقدس السماوى ، لكن لما كان المقدس الأرضى (صورة وظل) للسماوى (عب ٨ : ٥) .. فإنه يفى بالغرض فى التعبير عن قداسة ومجد الله بكل قوانينه وبذات تكوينه بوضوح أكثر من أية استعراضات أخرى

للقوة .. وما يصدق على المقدس الأرضى هو بالأولى ما يطلبه الله من هياكله الحية - كمجموعة أو كأفراد (١ كو ٣ : ١٦ و ١٧ ، ٦ : ١٩) أن يصرخ كل جزء من أجزاء هذا المكان المقدس قائلا (مجدٌ) .

العددان ١٠ و ١١ : الخلاص على الأرض

الكلمة العبرية المترجمة (الطوفان) هامة لأنها لا توجد فى أى مكان آخر إلا فى (التكوين من ٦ - ١١) وبخصوص طوفان نوح فقط .. وهنا كان المثل الأعلى للقوى الطبيعية التى قصد عدم إفلاتها .. وصيغة الأفعال فى عدد (١٠) تؤكد حزمها.. - الرب - بالطوفان جلس (والجلوس هنا للتتويج إلى الأبد) والعبارة الأخيرة يمكن أن تؤخذ كصلاة لكن الأرجح أن تكون فى صيغة مستقبل (الرب سيعطى .. الرب سيبارك) وبذلك سينتهى المزمور بإظهار أن قوة الله ليست عنفا مجردا بل كأداة للدينونة ، وللخلاص . ويضع (ديلتش) العبارة كالتالى : « ان الكلمة الأخيرة (بالسلام) هى بمثابة (قوس قزح) فوق المزمور حيث ترينا بداية المزمور السماء مفتوحة وفى النهاية تظهر لنا شعبه المنتصر على الأرض ، مباركون بالسلام فى وسط النطق الرهيب بالغضب (المجد لله فى الأعالى) فى البداية (وعلى الأرض السلام) فى النهاية .

المـزمـور الثـلاثـون

نوح يتحول إلى رقص

يقول عنوان المزمور (مزمور أغنية تدشين البيت) وقد أخذتها بعض الترجمات على أن البيت هو (بيت الرب) والبعض الآخر على أنه (بيت داود) – انظر ٢ صم ٥ : ١١ .. وأى الاثنين محتمل (قارن الرقص فى عدد ١١ مع ٢ صم ٩ : ٦ و ١٤ – وانظر التعليق على مزمور ٥ : ٧) وعلى أى حال فقد خرج داود أخيرًا من تجاربه الأولى إلى أيام أكثر سعادة ، لكن بدون هذا التعريف فى العنوان كان يمكن أن يكون المزمور ببساطة قد كتب عقب الإبلال من مرض ، وهذا يعطى بعض المعنى للقول إن بعض العبارات الواردة فى العناوين يجب أن تقرأ على أنها حاشية للمزامير السابقة عليها (انظر مثلا مز ٢٩ : ١ و ٢ و ٩ جـ) .

وتركيب المزمور بسيط ، فالانفجاران العاطفيان بالتمجيد يحيطان بالاعتراف الوارد فى الأعداد ٦ – ١٠ عن فرط الثقة ونتائجها الرهيبة ، ويلمع فرح داود غير المتكلف بسبب عودته إلى الملك – فى كل كلمة من كلمات المزمور ، لم يضعف بمرور الوقت .

الأعداد : ١ – ٥ النجاة

إن حيوية التعبير (انتشلتنى) ملائمة تماما ، وهى الكلمة المستخدمة لسحب الماء من البئر ، وقد كان هذا البئر (أو الجب) عميقا كالموت .. (عن الهاوية انظر التعليق على مز ٦ : ٥) وقد جاء التهديد من المرض (٢ / ب) أكثر منه من الحرب .. لكن داود فى مأزقه كان شجاعًا بحيث لم يضطرب بسبب شماتة العدو . (١ / ب) تماما كما كان حزقيًا فيما بعد سيتعذب برؤية آماله ومشروعاته كأنها اجهضت (٢ مل ١٩ : ٣) – قارن اهتمامات بولس الإيجابية فى أعمال ٢٠ : ٢٤ ، وتحقيقها فى ٢ تى ٤ : ٧ .

العدد ٥ : هذه المقارنة التى عبر عنها بروعة هنا قد امتدت فى العهد الجديد إلى مفهوم الألم والحزن الذى ينشىء مجدًا وفرحا (٢ كو ٤ : ١٧ ، يوحنا ١٦ : ٢٠ – ٢٢ – وقارن أيضا مز ١٢٦ : ٥ و ٦) .. فى المقابلة بين

المؤقت والأبدى (وليس فقط لمدى الحياة) وبين « الضيقة الخفيفة » و « ثقل المجد الذى لا يقارن » .. والقول (يبيت) توحى بالزائر الذى يقضى الليل .

الأعداد ٦ - ١٠ : الافتخار الغبى

نادرًا ما تنفصل الظروف السهلة عن نظرة عدم الاهتمام - عند استخدام الأصل العبرى الذى يعنى (النجاح) ، قارن مثلا الإهمال فى إرميا ٢٢ : ٢١ ، والارتداد المهلك فى أمثال ١ : ٣٢ ، لكن الآية التالية فى الأمثال توضح الفرق بين المهمِل وبين من يسكن آمنا حقا ..

العدد ٧ : « يا رب برضاك ثبِّت لجبلى عزا » .. وهذا التشبيه اللافت للنظر لمملكة داود أو لثروته الخاصة طالما كان الرب يسنده يتناقض تماما مع تفاهة إمكاناته الشخصية .. وينسب مز ١٠٤ : ٢٩ ما جاء فى عدد ٧ / ب إلى جميع الكائنات الحية .

الأعداد ٩ و ١٠ : كلمة (الفائدة) هنا كلمة تجارية .. والبحث بمنطق أرضى تماما (إنك لن تستفيد شيئًا بل ستخسر شخصا متعبدًا » انظر مز ٦ : ٥ وقوة هذا التعبير بالنسبة للأفق المحدود بالموت أنه يربط الموقف باهتمام الله . والسؤال : « أى مجد يناله الله من هذا ؟ » .. وهذا سؤال صحيح رغم أنه ليس من حقنا الإجابة عليه - قارن يوحنا ١٢ : ٢٧ و ٢٨ .. ثم انتهت المحاجة فى عدد (١٠) وأصبح داود مجرد إنسان محتاج وليس أمامه سوى النعمة يلتمس منها عونا .

الأعداد ١١ و ١٢ : الاحتفال

تعود بهجة الأعداد ١ - ٥ مرصعة بالذكريات للأعداد ٦ - ١٠ - بأسلوب منطلق نلمح فيه روح داود المرحة ، ذاك الذى (رقص أمام الرب بكل قوته) ، ونفس داود هذا يمكن أن يظهر مدى فرحه وبهجته بسكونه (قارن ٢ صم ٦ : ١٤ مع ٧ : ١٨ ، ٧ : ٥ ، ١٦ : ٩ ، ٥٧ : ٨ و ١٠٨ : ١) حيث تظهر أيضا شدة فرحة داود بالسكون (قارن ٢ صم ٦ : ١٤ مع ٧ : ١٨) .

العدد ١٢ : (روحى) وفى الأصل العبرى : (مجدى) وكذلك فى الترجمة السبعينية - قارن ٧ : ٥ ، ١٦ : ٩ ، ٥٧ : ٨ ، ١٠٨ : ١ حيث

نجد فى بعضها أن كلمة (روحى) تعنى نفسى – وعليه فإن التمجيد الذى يثور فى النفس ويظهر الرقص ، له أيضا عمقه واستمراره ، ربما كان دوامه أكثر مما كان داود يتخيله عندما استخدم كلمة (إلى الأبد) .

المـزمـور الحـادى والثلاثـون

ضغـط وإجهـاد

وضع هذا المزمور طابعه على أكثر من شخصية من شخصيات الكتاب المقدس بعمق جعله يقفز إلى الذاكرة فى لحظات الأزمات العظمى ، فإن يونان استمد صلاته من عدد (٦) .. كما أن عبارة من العدد (١٣) ظلت تتكرر فى نبوة إرميا .. أما السيد المسيح فقد أخذ من كلمات عدد (٥) آخر ما نطق به على عود الصليب .. وفى الأيام القديمة أيضا افتتح كاتب المزمور ٧١ – الذى يحتمل أن يكون داود نفسه – بمضمون ما جاء فى الأعداد ١ – ٣ من هذا المزمور وهو بذلك يصوِّر طريقة مقابلة سفر المزامير لمجموعة مختلفة من الاحتياجات البشرية ، فيما يتجاوز حدود العبادة الرسمية ، والتجارب الشخصية لكتَّاب المزامير أنفسهم .

وهناك واحد من المعالم غير العادية فى هذا المزمور وهى أنه يقطع الرحلة مرتين : من الكرب المبرح إلى الثقة والاطمئنان مرة من ١ – ٨ ثم من ٩ – ٢٤ .. ومن الصعب القول إن كان هذا يشير إلى هجوم متجدد ، عندما ترجع الغيوم بعد المطر (وهو اختبار روحى عادى جدا) أو أن الأزمة الواردة فى الأعداد الأولى قد استعيدت لكى يشرح الموقف مرة أخرى فى عمق أبعد – إن العناوين المقترحة لكل من القسمين تترك السؤال بدون إجابة .

الأعداد ١ – ٨ : الرجل المطارد

١ – ٦ صلاته الواثقة : يجد داود – كما فى مز ١٨* قوته فى تذكر مغامراته السابقة وهروبه ، والحقيقة الكامنة خلف الضيقات فى تلك الأيام ، وهو أيضًا يعلم أن القوة الدفاعية ليست كافية ، فإن المبادرات الصحيحة لها أهميتها بنفس درجة الملجأ الحقيقى .. لاحظ الأرضية الصلبة التى يقدِّم عليها طلبته ، ليس بقدرته هو على الإقناع بل بعدل الله (عدد / ٢) أى اهتمام الله أن يرى العدالة منفذة .. ليس لمجرد الحرص على سمعة المرنم [لا تدعنى أخزى – عدد (١)] بل (من أجل اسمك) عدد ٣ – ب وقارن (مز ٢٣ : ٣) وليس

* انظر الملاحظات على ١٨ : ١ – ٣ حيث نجد الحصن والصخرة ولكن بترتيب مختلف .

فقط لأنه برىء بل لأنه (افتُدى) عدد (٥) وأن ثقته فى الله الواحد الحقيقى (عدد ٦)* .. لاحظ أنه عندما اقتبس المسيح الفادى الآية (٥) فى كلماته الأخيرة على الصليب ، لم يستكمل باقى الآية التى تقول (فديتنى يا رب إلهٰ الحق) إلا أن كلمة (يفدى) نادرة الاستخدام فى العهد القديم بمعنى (يكفّر) بل إنها كانت تستخدم لتعنى (ينقذ) أو يخلّص من الضيق (مثلا مز ٢٥ : ٢٢ ، ٢٦ : ١١ ، ٤٤ : ٢٦ ، ٥٥ : ١٨ ، ٦٩ : ١٨ ، ٧٨ : ٤٢) وفى مرة واحدة استخدمت بطريقة غير حاسمة بمعنى (يدفع ثمن الخطية) فى مز ١٣٠ : ٨ .. لكن انظر أيضا التعليق على (مز ٣٤ : ٢٢ ، ٤٩ : ٧ و ١٥) حيث المعنى المبدئى هو إما أن الخلاص مؤكد كما لو كان قد تم فعلا (ومن ثم فإن الفعل فى صيغة الفعل التام) أو أن مرات الخلاص السابقة قد حملت داود على هذا التسليم الآن .

العددان ٧ و ٨ : تسبيحه وتمجيده

التعبيرات الخاصة بموقف الله وعمله فى هذين العددين تستحق التأمل ، ومعها أيضا السلسلة الأولى من التعبيرات الواردة فى خروج ٣ : ٧ و ٨ (التفتَّ إلى) تعنى حرفيا (عرفت) كما جاءت فى النص العربى - (خلصتنى) أو (لم تحبسنى) لها طعم (مد يده وأخرجنى إلى بر الأمان) .. وهذا نقيض الشدائد والمذلة ... و (الرحب) يمكن مقارنته بما فى مز ١٨ : ١٩ .. ومز ١١٩ : ٣٢ .. وفكرة كون الإنسان (حبيس) الضيق - فى ٩ / أ - موجودة بصفة خاصة فى عدد ٢١ / ب .

الأعداد ٩ - ٢٤ : الرجل المرفوض

الأعداد ٩ - ١٣ عُزلته : يُظهر انخفاض الروح المعنوية المتزايد ، من الاكتئاب إلى اليأس (عدد ١٢) ثم الفزع (عدد ١٣) - كيف يكون تأثير الكراهية مميتًا خاصة عندما تأخذ شكل الرفض .. وفى مز ٦ - الذى يحمل

---

* يردد يونان ٢ : ٨ صدى العدد ٦ / أ فى وصف عابدى الأصنام وسعيهم بلا جدوى - وفى النسخة الماسوريتية تبدأ هذه الآية بعبارة (كرهت أنا) - لكن القول (كرهت أنت) تعززه الترجمات القديمة ، وحقيقة أن العبرية فى ٦ / ب نجد (أما أنا) مؤكدة كما لو كانت تقدم لموضوع جديد وليس فقط فعل جديد .

نفس المعنى النادر فى القول (لأنى ضعيف) ونفس الحزن العاجز نجد أن السبب الجذرى للإكتئاب قد ترك بدون تحديد .. أما هنا فإن السبب هو جزئيا (الشقاوة) كما جاء فى النص العبرى للعدد (١٠) لأن كلمة (شقاوة) يستحسن أن تترجم (إثم) ... لكن الإنسان هو الذى يصمم على الإدانة وليس الله .. كما يظهر جليا من الأعداد ١٤ وما بعده .. وقد اختبر إرميا هذا الحصار القاسى واستعار التعبير (خوف من كل جهة) واستخدمه كشعار (إرميا ٦ : ٢٥ ، ٢٠ : ٣ و ١٠ ، ٤٦ : ٥ ، ٤٩ : ٢٩ وقارن أيضا مراثى ٢ : ٢٢) .

الأعداد ١٤ - ١٨ صلاة الإيمان : كلمتى (أنا) و (أنت) فى عدد ١٤ تعبران عن التأكيد (تماما كما فى عدد ٦ / ب) عندما ينتزع داود المبادرة من اعدائه ويحولها متعمدا إلى اتجاه جديد ، ويزداد تأثير صلاته بسبب وضعه إقراره قبل أن يبدأ فى الاستعطاف لأن تأكيدات الأعداد ١٤ و ١٥ / أ تضع الله فى مكانه الحقيقى كسلطان وداود هو قريبه الذى يجد الأمن (إلهى) والاتكال (فى يدك) .. والتعبير (آجالى) يواجه حقيقة حتمية التغير والزوال سواء فى كيان الإنسان نفسه أو كل ما يحيط به مما يجعل المحنة أسهل تقبّلا بينما تجعل معرفتنا أن التغير ليس عشوائيا بل (فى يدك) يمكن أن يجعل القبول إيجابيا وشخصيا - (فيكون - الله - أمان أوقاتك) إش ٣٣ : ٦ - قارن مز ٣٢ : ٦) وعليه فإن صلاة الاستسلام فى عدد (٥) - (فى يدك) تكشف الآن عن مضمونها العملى - انظر أيضا التعليق على (الأعداد ١٩ - ٢٤) .

العدد ١٦ : يبحث داود هنا لنفسه (كما فعل لأجل أصدقائه فى مز ٤ : ٦) عن البركة المعتادة التى جاءت فى (العدد ٦ : ٢٥) التى تتناسب تماما مع الوجوه العابسة أو المكفهرة (عدد ١١) التى يقابلها من كل جانب - قارن مز ٨٤ : ٩ و ١١ ، ١٢٣ : ١ - ٤ .

العدد ١٧ : (ليغوصوا فى الهاوية) كما جاءت فى بعض الترجمات ، يستحسن أن تترجم (ليسكتوا فى الهاوية) كما فى الترجمة العربية .. إن أهم ما يطلبه داود هو إسكات المفترين كما يتضح من الآية التالية وعن الهاوية انظر التعليق على مز ٦ : ٥ .

الأعداد ١٩ - ٢٤ تسبيحة داود النهائية :

يختلف موضوع كل اثنين من الآيات التالية عن بعضها : فالعددين ١٩ و ٢٠ يتحدثان عن عناية الله بخاصته ، والعددين ٢١ و ٢٢ يتكلمان عن اختبار عملى للعناية .. وأخيرا فى عددى ٢٣ و ٢٤ نجد نداءً عامًا للمحبة الواثقة .. أو الثقة المُحِبة .. وعبر هذه الحدود نجد أن الآيتين ١٩ و ٢٤ تشتركان فى التأكيد على انتظار الرب واتاحة الوقت الكافى ، بالقول (جودك - ذخّرته) - عدد ١٩ - [وهذا رد مقنع على نفاد صبرنا] وبتشجيع أولئك الذين ينتظرون - عدد ٢٤ - (قارن عدد ١٥ / أ وإش ٤٠ : ٣١) .

الأعداد ١٩ و ٢٠ : التعبيرات المختلفة عن (الستر) و (الإخفاء) هى استعارات طبيعية لشريد سابق خارج على القانون - ارجع إلى الأعداد ١ - ٤ وانظر التعليق عليها .

العدد ٢٢ : (فى حيرتى) أو (رعبى) : وهناك صرخة مماثلة - تسبقها نفس العبارة - فى مز ١١٦ : ١١ .. وهو الآن يعبر عن يأسه من الصداقة الإنسانية .. كما ينبه إلى الحاجة إلى الانتظار (عدد ٢٤) كما هو مشار إليه فى صدر هذه الفقرة (١٩ - ٢٤) وكذلك الحاجة إلى الحكم من واقع ما نعرفه يقينًا وليس من واقع ما نشعر به .. وما قلته (فى طمأنينتى) - مز ٣٠ : ٦ يمكن أن يكون بنفس القدر بلا هدف .. وهناك تصريحات أخرى مثمرة يمكن أن توجد فى مز ١٦ : ٢ ، ٣٢ : ٥ ، ٩١ : ٢ .

العدد ٢٣ : (قديسيه) أو (أتقيائه) هم أولئك الذين ارتبطوا مع الله بالعهد ، والذين هم مخلصون له . والكلمة تتمشى مع القول (جعل رحمته لى) فى عدد ٢١ - انظر أيضا التعليق على مز ١٨ : ٢٥ .

العدد ٢٤ : (لتتشدد ولتتشجع قلوبكم) يمكن أيضا أن تترجم (سيشدد ويشجع قلوبكم) وهو ما يبدو ذا معنى أفضل كتأكيد للمعونة التى يقدمها الله لكل من يجسر على أن يعتمد عليه .. إلا أنها على أى حال لا تعد بنهاية المشاكل بل إعطاء القوة لمواجهتها (انظر لوقا ٢٢ : ٤٢ و ٤٣) .

المزمور الثانى والثلاثون

بهجة الغفران

أن تكون فى انسجام مع الله هو السعادة الحقيقية ، وهذا هو الموضوع الدائم فى المزمور ، يعبر عنه مرة إيجابيا فى مطلع العبارة ثم سلبيا بتذكر الصداقة المفقودة – وفى السخرية الرقيقة من المعاندين (الذين يجب أن ينظروا إلى زينة البغال) – وتذكر المهالك (المياه الكثيرة) و (النكبات) عدد ٦ و ١٠ على الترتيب والتى هى من نصيب كل من يسير بمفرده . وهذا هو مزمور التوبة الثانى بعد مزمور (٦) .

العددان ١ و ٢ : خطية غُفرت

طوبى Happy كلمة أكثر بهجة من مبارك blessed وهى الاستهلال المناسب لهذا المزمور ومزمور (١) – انظر التعليق – وهناك استعارتين فى العدد الأول عن الكفارة (١) رفع أو إزاحة الإثم (غفر) ، وإخفاء أو (ستر) الخطية .. والتعبير الأول يصحح أى فكرة عن أن ستر الخطية معناه إخفاء وتغطية ما هو موجود و لم يحل بعد – [هناك لمحة بنفس المعنى يشير إليها الفعل (اكتم) فى عدد ٥ / أ] .

العدد ٢ : إذا وضعنا جانبا أشكال الحديث ، فإننا نتعلم الآن كيف أننا نعتبر أبرارًا . وكيف نمارس الحق . ويقتبس رومية ٤ : ٦ – ٨ هذا لتوضح أن الكلمة الهامة هى (يحسب) أى أنه عندما يعاملنا الله كأبرار فإن هذا عطية منه لنا أكثر مما نستحقه .. ويستمر بقية هذا الأصحاح فى استخدام قرينة هذه الكلمة نفسها التى جاءت فى تك ١٥ : ٦ – لكى يعلمنا أن هذه العطية نحصل عليها بالإيمان فقط .. وأى تفكير فى أننا أحرار فى أن نستمر فى الخطية لكى تسود النعمة – قد استبعد بحزم بالتشديد على الإخلاص فى نهاية الآية .

الأعداد ٣ – ٥ : كسر الجمود

حتى الاغتراب الإنسانى يمكن أن يتسبب فى هذا القلق العميق – فكريا

وجسديا – ومع ذلك يظل محتفظًا به بعناد فلو أن أعراض قلق داود كانت استثنائية فإن عناده عادى جدا ، لكن **الراحة** تنشأ عن **التنازل** ، لما يقابله من نعمة (عدد / ٥) أعظم من هذا التنازل .. وهذه الأعداد يمكن أن تلقى ضوءًا على الضعف والمرض المذكور فى (١ كو ١١ : ٣٠) إذ ربما يكون – كما هنا – نتيجة التوترات التى يخلقها فى المسيحى عصيانه وعدم طاعته .

العددان ٦ و ٧ : الملاذ الوحيد

(فى وقت يجدك فيه) كما فى الترجمة العربية .. قريب الشبه بما جاء فى إش ٥٥ : ٦ حيث نجد العودة من الخطية إلى الله ما دامت الفرصة موجودة .. فهناك تأكيد على يوم النعمة أما هنا فنجد تأكيدا على يوم الخطر .

العدد ٧ : كان أول ما تراءى لداود هو أن يشاركه أحد فى اكتشافه – عدد ٦ – وها هو الآن يحوّل وجهه مرة أخرى تجاه الرب .. ومع ذلك فيبدو أنه مدرك لوجود مجموعة من الزملاء تحيط به فى عبادة مبتهجة بترنم النجاة .

العددان ٨ و ٩ : الدروس المستفادة

هنا نجد رد الرب على داود (انظر التعليق على مز ١٢ : ٥ و ٦) وعلينا جميعا عن طريقه ، إذ أن الأمر الوارد فى عدد (٩) هو فى صيغة الجمع ، وذكر هذه الكلمات هنا والدعوة للاستعداد للتعلم ترتبط بالدرس الوارد فى الأعداد من ١ – ٥ وتجعل له تطبيقا إيجابيا . فإذا كان الغفران شيئا حسنا فالشركة أحسن . وإذا كنا قد اختبرنا ثقل يد الله (عدد ٤) فإننا سنقدر لمسة الله الحنونة ونرتجيها .

(عينى عليك) جاءت فى إحدى الترجمات (أقودك بعينى) لكنها ترجمة غير دقيقة وإن وجد شبيه لها فى مز ١٢٣ : ٢ حيث يراقب العبد إشارة سيده . إلا أن الفكرة ، هنا هى حرص الله علينا وعنايته الفائقة بنا . أما استجابتنا فنجدها فى عدد (٩) .

العدد ٩ : توضح لنا هذه الصورة الحية – بتناقضاتها – التأكيد الذى فى الآية (٨) بالتعاون الذكى الذى وضع الله فى قلبه أن يستنبطه منا (قارن يوحنا ١٥ : ١٥) .. لأنه ماذا يستطيع الإنسان أن يعمله مع حصان [لا يمكن طبعا أن ينصحه (عدد ٨) أو يسيطر عليه دون أن يضغط عليه].. ويستخدم

إرميا ٨ : ٦ نفس التشبيه ليصور ضلالا أكثر من تشبيه الخروف الضال فيقول (كل واحد رجع إلى مسراه كفرس ثائر فى الحرب) .. لكن النقطة الدقيقة التى يشير إليها عدد ٩ / ج محيرة .. فهى حرفيا تعنى (لئلا يقترب إليك) كما أنها يمكن أن تؤخذ على أنها تقول (وإلا) (فإنهم لن يقتربوا إليك) ... أو (حتى لا يدنو إليك) .. والمعنى الأول هو الأقرب إلى العقل وإن كان من المشكوك فيه ما إذا كانت الترجمة التى تقول (وإلا فإنها لن تتجاوب معك) يمكن أن تستخرج من المعنى الأصلى بصورة صحيحة .*

العددان ١٠ و ١١ : السعادة الوحيدة

للعبارة الافتتاحية هنا مشابهات كثيرة فى العهد القديم ولكنها هنا تعتبر نوعا من (الشهادة) بالنسبة لما جاء فى عددى ٣ و ٤ .. وهكذا أيضا باقى العدد (١٠) باستخدامها لكلمة (تحيط به) - المستخدمة فى عدد ٧ (تكتنفنى) وأخيرا فإن العدد (١١) يردد صدى نفس الوعد فى عدد (٧) بصيحتها القائلة (اهتفوا) تعبيرا عن صيحات الخلاص فى العبادة - انظر التعليق على عدد (٧) الذى سبق أن توقعه كاتب المزمور بالإيمان فى وقت الشدة ..

* الصعوبة الحقيقية هى أن أيا من هذه الترجمات لا تبدو مناسبة لموضوع (عدد ٨) أو للاستخدام الرئيسى لـ (لجام) و (زمام) . وقد اعتبرتها بعض الترجمات حشوا زائدا فحذفتها .. ونظرا لتشابهها مع عدد ٦ / ج (اياه لا تصيب) فإنه يبدو معقولا أن تكون العبارة (لا يقترب إليك) هى النصف الباقى من سطر فيه وعد بالحماية من المتاعب ، ونصفه الآخر مفقود . (المؤلف)

انظر كتاب الحياة « لا تكونوا بلا عقل كالحصان والبغل الذى لا يطيع إلا إذا ضبط باللجام وقيد بالرسن . كثيرة هى اوجاع الشرير » . (المحرر)

المزمور الثالث والثلاثون

الصانع والملك

إذا كانت أنقى صيغة لأى ترنيمة هى تمجيد الله من أجل صفاته وما يعمله فإن هذا المزمور مثال طيب لمثل هذه الترنيمة والجزء الرئيسى من المزمور موضوعه الله الخالق والملك والقاضى والمخلّص بينما تعبر كل من البداية والنهاية عن عنصرين من عناصر العبادة هما : تقديم التسبيح لتعظيم هذا الملك العظيم والإعلان عن الثقة فى انتظار متواضع .

الأعداد ١ - ٣ : اهتفوا بالرب

يلتقط النداء الافتتاحى للمزمور ما انتهى به المزمور السابق .. (اهتفوا) هى نفس الكلمة المستخدمة فى الآية الأخيرة من مزمور ٣٢ والهتاف هو هتاف النجاة أو هتاف الفرح (٣٢ : ٧ و ١١) ، وربما كان القول (رنموا بصوت عال) أنسب حتى يكون الهتاف هو هتاف البيعة للملك - (سفر العدد ٢٣ : ٢١) - كما فى الآية ٣ - لاحظ أن الهتاف هنا للانعاش والإجادة كما هو لإثارة الحماس وهذه الصفات الثلاث نادرا ما تجتمع معًا فى الموسيقى الدينية . وفى نفس الوقت فإن الختام الهادىء للمزمور سيوضح أن الابتهاج ليس هو الطابع الوحيد للعبادة .

الأعداد ٤ - ٩ الكلمة الخالقة المبدعة :

(كلمته) و (صنعه) لا يفترقان (عدد ٤) لأن كلمته ليست أبدًا مجرد كلام . وهذا هو سبب صيحة التمجيد اعلاه . وإذ نعلم أن لا شىء قد جاء إلى الوجود بدون أمر الرب (عدد ٦ و ٩) فإننا نجد أنفسنا أمام خليقة نقية وليست خليقة ناشئة عن ضرورة ملحة - لأن الله تصرف فى حرية تامة . كما نواجه عالمًا من صنع عقل واحد منظم وهو أمر يدعو للإنطلاق بالتسبيح (عدد ١ - ٣) كما يدعو للاتضاع (عدد ٨) وهى دعوة إلى البحث (مز ١١١ : ٢) لكن فوق الكل فإن ثراء التعبيرات الأدبية هنا (عدد ٤ و ٥) يجعل من الواضح أن الله بالنسبة لنا أكثر جدا من مجرد خالق أو صانع .. والعبارة اللافتة للنظر فى (٥ / ب) تصل حتى إلى أبعد مما جاء فى رؤيا

اشعياء عن عالم ملىء بمجد الرب .. وهى تجهزنا كما فى خروج ٣٣ : ١٨ و ١٩ لنرى مجده من منظور (الصلاح) .. وصلاحه هذا يطوق كل أعماله . (مز ١٤٥ : ٩) .. وهذا هو سر حماس كتَّاب المزامير للتحدث عن خلق العالم ، هذا الحماس الذى يتزايد ، ولا يتناقص ، بشعورهم بضآلة العالم بالنسبة لله نفسه . هذا الإله الذى صنع كل هذا دون أى جهد فهو السيد القادر (انظر التشبيهات الجريئة الواردة فى عدد (٧) – وقارن مثلا مز ١٠٤ : ١ – ٩ وإش ٤٠ : ١٢) .

الأعداد ١٠ – ١٢ : مشيئته المنتصرة

الكلام عن جلال الطبيعة المطيعة يذكِّرنا بتحدى الإنسان الجعجاع . ولم يهمل المزمور ذكر هذا التحدى أو يقلل من شأنه بل نُظر إليه فى قرينة (إلى الأبد) الواردة فى عدد (١١) .. وقد شرحت وجهة نظر هذه الأعداد بتوسع فى (إش ٤٠) وما بعده التى تعتبر أنسب تعليق عليها .. حيث تصل الأمم ومؤامراتها إلى لا شىء بل قد تخدم أغراض الله وهى لا تدرى (مثلا إش ٤٤ : ٢٥ ، وما بعده ، إش ٤٥ : ٤ و ٥) وحيث يوضح الله لمختاريه – عدد ١٢ – ما تتضمنه دعوتهم (إش ٤١ : ٨ وما بعده ، ٤٢ : ١ .. إلخ) .

الأعداد ١٣ – ١٩ : نظرته المميزة

يبدو فى المنظر الآن : الدينونة والخلاص – بما أن حكم الله – بالرغم من كل قوته الرهيبة ليس طغيانًا بل هو مؤسس على معرفة تامة (١٣ – ١٥) وانضباط كامل (١٦ و ٢٧) وحب كامل (١٨ و ١٩) .

الأعداد ١٣ – ١٥ : إن الإصرار على تكرار كلمة (جميع) فى هذه الآيات مهم لتناقضه الضمنى مع الأساس الضيق لأحكام الإنسان وتحيزاتها المحلية (مقابل الأعداد ١٣ و ١٤) وجهلها بطبيعة الإنسان (عدد ١٥ / أ) وشكوكها الحقيقية .. وكلمة (جميعا) فى عدد ١٥ / أ فى أصلها العبرى تعنى (معًا) أو (على قدم المساواة) تأكيدًا ليس على كونهم متشابهين بل كناية عن نظرة الله الموحدة لهم جميعا .

العددان ١٦ و ١٧ : ومثل تكرار كلمة (جميع) فى الأعداد (١٣ – ١٦) نجد هنا أن سلسلة (كثرة ... عِظَم ، شدة القوة) تعطى أساس هذه

الأعداد وتهيىء للحقيقة المغايرة الواردة فى الأعداد ١٨ و ١٩ .. وهذا تأكيد كتابى مألوف إلا أنه يخالف فكرة دنيوية ملخصة فى تعبير فولتير : « يقولون إن الله يقف دائما مع الجيوش القوية الضخمة » ووضع هذه الأعداد فى هذه الفقرة ليؤكد ليس فقط أن الله كلى المعرفة (١٣ - ١٥) بل أيضا كامل السيطرة والسلطان .. وحتى فى وقتنا الحاضر ، فى هذا العالم الفاسد نجد أن القوة ليست لها الكلمة الأخيرة .. وإذا نجحت القوة فلا يكون ذلك إلا بقرار إلهى - كما يؤكد لنا العهد القديم - وليس بقدراتها الخاصة (إش ١٠ : ١٥ و إرميا ٢٧ : ٥ و ٦) .

العددان ١٨ و ١٩ : حتى الفحص الشديد الوارد فى أعداد ١٣ - ١٥ كان بركة فى عالم المظَالِم فهنا يبدو (الحب اللماح المتيقظ للخطر (١٩ / أ) الحساس للحاجة (١٩ / ب) ونفس هذه العناية اليقظة كانت تُرى فى مز ٣٢ : ٨ .. وهى تشبيه مفصّل ومعبٍّر فى أماكن أخرى (تثنية ١١ : ١٢ ، ١ مل ٨ : ٢٩ ، ٢ أى ١٦ : ٩) .

الأعداد ٢٠ - ٢٢ : رجاؤنا فيك

هذا هو الرجاء فى قمة الثقة : فنجد الرجاء المنتظر ٢٠ / أ والواثق ٢٠ / ب والمبتهج ٢١ / أ والعارف (٢١ / ب حيث أن اسم الله يعنى شخصيته المعلنة - انظر خروج ٣٤ : ٥ - ٧) وهو فوق الكل لا يركز على العطية بل على المعطى (وإن كان هناك مكان للعطايا كما فى رومية ٨ : ١٨ - ٢٥) ومثل هذا الرجاء لا يخزى أبدا . (رومية ٥ : ٥) .

المـزمـور الرابــع والثلاثــون

أبــارك الــرب !

نجد فى مزور ٥٦ المقدمة القاتمة لهذا المزمور البهيج الذى فيه كل علامات الارتياح والامتنان والشكر من أجل خلاص معجزى .. ويحدد العنوان المناسبة - على أنها تلك الواردة - فى ١ صم ٢١ : ١٠ وما بعده - والتى كانت تهدد حياة داود .. [والمزامير الأخرى التى ترتبط بأحداث معينة من حياة داود واردة فى كشف فى أول التعليق على (مز ٣)] .

وهذا المزمور من نوع القصائد الشعرية التى يبدأ أول حرف من كل بيت فيها بحرف من الحروف الهجائية العبرية بحسب ترتيبها ما عدا حرف الواو (إلا إذا كان عدد ٦ ب يسد هذه الثغرة حسب الماسوريتية . ومثل هذا النظام سهل التنفيذ ويسمح بحرية التنقل من موضوع إلى آخر بدون فقد لا داعى له فى الترابط ... فهو لا يمثل قيدًا على عفوية الشاعر - كما يشهد المزمور نفسه بدعوته الحية المقنعة لمشاركة المرنم فى بهجته والتعلم من اختباراته .

وهناك اقتباسات كبيرة من المزمور وأصداء واضحة أخرى له فى رسالة بطرس الأولى (ص ٢، ٣) وبعض الرسائل الأخرى - توضح تأثيره على كل الأجيال .

الأعداد ١ - ١٠ : افرحوا معى :

تتعاقب فى النصف الأول من المزمور الشهادة الشخصية (١ - ٢ / أ و ٤ و ٦) ونداءات متكررة للاشتراك فى التسبيح للتحفيز على الإيمان المتجدد ، دعوة الاشتراك فى مباركة الرب (انظر التعليق على مز ٢٢ : ٢٢ وما بعده .

العدد الأول : عبارة (فى كل حين) تكتسب وضعًا جديدا من محنة داود الحالية وطريقة الخلاص منها (انظر العنوان والتعليقات الأولى) فهى دليل جديد على أن (أوقاتى) مهما كانت بائسة فهى (فى يديك) انظر التعليق على (مز ٣١ : ١٥) .. والعهد الجديد أكثر إيضاحا (اشكروا فى كل شىء) (١ تس ٥ : ١٨ ورومية ٨ : ٢٨ و ٣٧) .

العددان ٢ و ٣ : (الودعاء) ، وفى ترجمات أخرى (المتضعون) أو (الحزانى) والأصح أنها (المتضعون) كما فى أغلب الترجمات .. والجانب

الإيجابى لهذا الاتضاع هو (الفرح للغير) بدون أنانية .. (يفرحون .. يعظمون .. يعلّون اسمه) .. الفرح الخالص من أجل انتصار الآخر ، مهما كانت حالتنا .. ولابد أن يكون الرسول بولس قد تذكر فى مقطوعة الافتخار العظيمة (فى ٢ كو ١١ : ٣٠ ـــ ٣٣) هذا القول وتلك الحادثة ، ومن ثم فقد استعاد حادثة فراره من ملك أجنبى آخر والدروس التى استفادها من هذه الضيقات .

العددان ٤ و ٥ : إذا كان جوهر الترنيمة السابقة (عددى ٢ و ٣) هو (إن لدى أسبابًا لتسبيح الرب ، فاشتركوا معى) فها هو هنا يقول (هذا كان اختبارى الذى يمكن أن يكون اختباركم أيضا)* .

(مخاوف) هنا كلمة قوية تساوى معنى (رعب) فى مز ٣١ : ١٣ وليس خوف الإجلال والتوقير الوارد فى العددين ٧ و ٩ – ويمكن أن يعنى الأحداث المخيفة – (قارن أمثال ١٠ : ٢٤) أو الخوف نفسه ، والأرجح هنا أنه المعنى الأخير حيث أن الخوف الأول (مغطى بالضيقات) المذكورة فى عدد (٦) بينما نجد البركات المشتركة فى عدد (٥) تنبع من عدد (٤) وهى تغيير فى المواقف وليس فقط فى الظروف ، وهناك اقرار مشهور عن التحرر من مثل هذا الخوف رغم الاخطار فى مز ٢٣ : ٤ .

و(استنارة) كلمة موجودة أيضا فى إش ٦٠ : ٥ حيث تصف منظر أم وقد استنار وجهها لمرأى أطفالها الذين كانوا معتبرين مفقودين منذ مدة ، وقد استخدم خروج ٣٤ : ٢٩ تعبيرات أخرى وهو يحكى عن وجه موسى الذى كان (يلمع) عند نزوله من الجبل .. وفى ٢ كو ٣ : ١٨ ينسب ذلك اللمعان إلى تغير صورة المسيحى لتصبح مثل صورة ربه .. وبكلمات أخرى فإن (الاستنارة) هى الفرح كما أنها المجد ، وتحوّل وتغير الشخص بالكامل .

الأعداد ٦ – ١٠ : تبدو الشهادة الشخصية الآن أنها عن خلاص مادى ،

* عدد (٥) فى الترجمة الماسوريتية يقول (نظروا إليه) كما فى العربية وفى ترجمات أخرى جاءت (كل وجه يلتفت إليه يغدو أكثر استضاءة) .. والأولى يعزوها النسخ القديمة وتستخدم الدرس مباشرة – لكنه على أى حال درس واحد .

والدرس المستفاد منها على نفس المستوى (أعداد ٧ - ١٠) « لقد أنقذنى الرب ، وأنتم أيضا محفوظون فى يده » .

العدد ٦ : لكى نفهم قوة كلمات داود ما علينا إلا أن نذكر مأزقه وكيف نجا بحركات الجنون المُذلّة (انظر العنوان) .. وعن كلمة (ضيقات) انظر التعليق على مز ٤ : ١ .

العدد ٧ : (ملاك الرب) هو تعبير دارج عن (الله نفسه) الذى يأتى إلى الأرض (قارن مثلا تك ١٦ : ٧ وما بعده و ١٣ .. الخ) ويقول (كيركباتريك) إنه « ربما كان (رئيس جند الرب) يشوع ٥ : ١٤ - لذا كان الاعتقاد أنه يحيطهم بجيوش الملائكة الواقفين تحت أمره » .. وربما يكون أليشع قد بنى تأكيده بأن (الذين معنا أكثر من الذين معهم) ٢ مل ٦ : ١٥ وما بعده على هذا الوعد نفسه عندما طلب أن يفتح الرب عينى خادمه .

العدد ٨ : وإذا كان خادم اليشع قد نظر وآمن لكن الأفضل أن نصدق الله أولا ثم ندع التأكيد يتبع ذلك (يو ٢٠ : ٢٩) ويستخدم كل من عب ٦ : ٥ و ١ بط ٢ : ٣ نفس التعبير (ذوقوا) ليصف أولى مغامرات الإيمان وليحث المؤمنين على أن التذوق سيكون أكثر من مجرد أخذ عيِّنة عرضية .

العددان ٩ و ١٠ : كانت (الحماية) والإمداد هما أكثر احتياجات داود إلحاحًا فى (١ صم ٢١) ، وهو خلفية المزمور ، وهو هنا يتحول من أولى الحاجتين (عددى ٧ و ٨) إلى ثانيتهما بنفس اليقين الذى يظهره فى مز ٢٣ : ١ مكررًا نفس التعبير (لا يعوزهم شيء) فى عدد ٩ / ب و ١٠ / ب .. وذلك ليس فقط لتعزيز التناقض مع ١٠ / أ (قارن التناقض فى إش ٤٠ : ٣٠ و ٣١) بل ليزيد الأمر وضوحًا بالقول (لا يعوزهم شيء من الخير) قارن مز ٨٤ : ١١ .. وهذا ليس مجرد وعد فارغ بالفيض بل هو تأكيد لعنايته المسئولة ... قارن القول (ليكون لنا خير كل الأيام) تث ٦ : ٢٤ مع القول (أجاعك) فى تث ٨ : ٣ .. وانظر أيضا رسالة رومية ٨ : ٢٨ و ٣٧ .. ويستأنف هذا الموضوع فى الفقرة التالية خصوصا الأعداد ١٢ - ١٤ .

الأعداد ١١ - ٢٢ : تعلموا منى

الدروس الرئيسية فى هذا القسم من المزمور هى أن الخير الحقيقى هو أن تتوافق مع الله .. هذا هو الرد فى مواجهة أقسى الظروف (عددى ١٩ و ٢٠) وعلى معظم الأسئلة الختامية (عددى ٢١ و ٢٢) .

الأعداد ١١ - ١٤ : تكاد تكون كل كلمة فى الآية ١١ فى أسلوب الناصح الحكيم كما فى سفر الأمثال (ص ١ - ص ٩) بنغمته الأبوية وتأكيده على أن مخافة الرب هى بداية الحكمة ويتمشى هذا مع التعليم القائل إن الخير الذى **تتمتع به** (عدد ١٢) يسير جنبًا إلى جنب مع الخير الذى **تعمله** (عدد ١٤) وهذا التأكيد هو الرد **على الشك** (الذى أثير أولاً فى جنة عدن) من أن الغنى والنجاح هما خارج نطاق إرادة الله وليس داخلها .

ولقد عاش داود فى حياته الأولى بموجب المبادىء الواردة فى هذه الآيات وحث الآخرين على اتباعها كما يفعل هنا (عدد ١١ - قارن ١ صم ٢٤ : ٧ ، ٢٦ : ٩ و ٢٣) على الأقل فى مواقفه تجاه شاول - وقد اقتبس ١ بط ٣ : ١٠ - ١٢ - آيات هذا المزمور (من ١٢ - ١٦) فى وضع مشابه وهو وضع التعرض للشر أو الظلم قارن أيضا الآية ١٣ مع ١ بط ٢ : (١) ، (٢٢) .

الأعداد ١٥ - ١٨ : يمضى الكتاب المقدس دائما إلى ما بعد أنصاف الحقائق التى تقول إن (الصلاح يحمل فى ذاته المكافأة) فإن الأعداد ١٢ - ١٤ السابقة تقود إلى القمة الحقيقية فى عدد (١٥) وهى أمر شخصى متعلق بالنعمة ، أن تتحول عينا الرب نحونا وهما تريان ما خفى علينا حتى أنه قبل أن نصرخ إليه يستجيب هو (انظر مز ٣٥ : ٢٢) كما أن اذناه أيضا مفتوحتان لنا ، تستمعان إلى صلواتنا بجدية .. وإن ورطة الشرير موضوعة أيضا بنفس المعيار الشخصى فى تعبيرات (وجه الرب ضد فاعلى الشر) (عدد ١٦) .. وقد قال س . ك . لويس : « يمكن أن نُترك كلية وإلى ما لا نهاية خارجا : مرفوضين ، منفيين ، مغتربين ، مهملين نهائيا وبطريقة لا يمكن التعبير عنها » .

الأعداد ١٩ - ٢٢ : تكرر هذه الآيات المواضيع الرئيسية فى المزمور ، وتعيد التأكيد على الفرق العظيم بين أولئك الذين يرضى عنهم الرب ويقبلهم

وأولئك الذين يرفضهم .. والتأكيد الشامل للعدد ١٩ / ب يحث العقل على النظر إلى ما بعد الموت .. إذا كان لهذا الوعد أن يتحقق .. أما عدد ٢٠ فيحتاج إلى اقترانه بالعدد ١٨ – الذى يعترف بأن متاعب الصدِّيق قد تكون كثيرة لكن الله لا يستخف بها إطلاقًا . (عدد ١٨ / أ) ولا يفلت منه الزمام قط (عدد ٢٠) – قارن المقابلة فى لوقا ٢١ : ١٦ و ١٨ .. وكلام الكتاب الذى تحقق فى يوحنا ١٩ : ٣٦ يشير لهذه الآية مع (خروج ١٢ : ٤٦) .. ويقول (كيركباتريك) : « إن الوعد المقدم للإنسان البار (المستقيم) تحقق بطريقة حرفية غير متوقعة فى آلام الواحد الكامل الصلاح » (يعاقب) و (يعاقبون) – العدد ٢١ و ٢٢ – تنبع من نفس الفعل الذى يعنى (ليسقطوا من مؤامراتهم بكثرة ذنوبهم) فى مز ٥ : ١٠ – انظر التعليق .. وهذا يعنى أن الكلمة تربط ارتباطًا وثيقًا بين الجريمة وعقابها أو كفارتها . (هوشع ٥ : ١٥ ، ١٠ : ٢ .. وبهذا ينتهى المزمور بنغمة يجب أن تقودنا إلى الأسئلة عن الدينونة النهائية (عدد ٢١) أو فى كلمات بولس (لا شىء من الدينونة) – عدد ٢٢ وقارن رومية ٨ : ١ و ٣٣ وما بعده) وأيًا كان المستوى الذى فهم به داود التأكيد الوارد فى ٢٢ / أ (الرب فادى نفوس) فإن الآية كلها تحمل معنى لا يمكن فهمه إلا فى ضوء الإنجيل . ويمكن للمسيحى أن يردد صدى الفرح فى هذا المزمور بامتنان أكبر عالمًا الثمن الذى يفوق الخيال والمدفوع لتحقيق هذا القول الوارد فى العدد ٢٢ / أ والمدى المتسع وغير المحدود للجزء ٢٢ / ب .

المـزمـور الخـامــس والثـلاثـون

حتـى متـى يـا رب ؟!

سواء كان هذا المزمور قد كتب كرفيق للمزمور ٣٤ أم لا فإنه قد أُحسن وضعه فى مكانه الحالى ، وليس ذلك فقط بسبب بعض العلاقات اللفظية والمقابلات ، وخصوصا القول (ملاك الرب) فى ٣٤ : ٧ ، ٣٥ : ٥ و ٦ والذى لم يذكر فى المزامير إلا فى هذين الموضعين ، ولكن أيضا بسبب أنه يتكلم من واقع نوع من الظلام الذى سبق أن ازيح فى المزمور السابق .. فإن الخلاص الذى احتُفل به فى ذلك المزمور يُرى الآن على أنه ليس دائما فورى وغير مؤلم بل إنه عرضة لمعوقات مؤلمة - إذا سمح الله - إلا أن داود لا يشك إطلاقا فى أن يوم خلاصه آت .. وكل صرخة تطلب المساعدة ترنو إلى تلك اللحظة .. وكل تقسيمات المزمور الثلاثة تنتهى بالأمل .

الأعداد ١ - ١٠ : مُدبِّر المكائد

إن التعبيرات الحربية فى الأعداد ١ - ٣ رمزية مجازية والحق أن التشبيه الأول مأخوذ من ساحة القضاء : (خاصم) وبذلك يكون المزمور مناسبًا لأى موقف من مواقف الغيظ والكيد .

العدد ٣ : (رمح) أو أى سلاح مشابه هى الكلمة التى يتوقعها الإنسان ، وقد ظهرت كلمة مشابهة فى أدب قمران تعنى (جراب الرمح) ولكن هذا لا يمكن أن يمثل السلاح كله ، ومعنى اشرع رمحك ، خذ رمحك (من جرابه) ثم قف فى الطريق (بحسب إحدى الترجمات) أو (صُدّ) كما فى الترجمة العربية .

الأعداد ٤ - ٦ : المقابلة بين هذه الآيات وبين مز ٣٤ : ٥ و ٧ هامة - سواء كانت مقصودة بالذات أم لا .. حيث أن (يخجل) أو (يخزى) هى علامة من علامات الإدانة (دانيال ١٢ : ٢) بينما يكون (ملاك الرب) - أنظر التعليق على مز ٣٤ : ٧ - موجودًا إما لخلاصنا أو لحكم القضاء علينا - قارن خروج ٢٣ : ٢٠ - ٢٢ .. والصورة المظلمة فى عدد (٦) تزيد الموقف يأسًا حتى أكثر مما جاء فى الأمثال ٤ : ١٩ - بسبب الأرض الزلقة وبفكرة

المطارد الغريب .. إن الحالة الناتجة عن الشر نفسه قد تزيد على عقاب الله الهادىء ؟!

العددان ٧ و ٨ : (بلا سبب) التى قيلت مرتين هنا ومرة ثالثة فى عدد ١٩ تلمس موضع الألم عند داود وهو ما سيكشف عنه أكثر من ذلك فى منتصف الفقرة (١١ – ١٨) . والمزامير عادة تجعلنا أكثر حساسية للآلام الناشئة عن الظلم بصفة خاصة . لكن هذه الآلام يحولها الإنجيل إلى موقف نتهزه لنتشارك مع المسيح متبعين إثر خطواته (١ بط ٢ : ١٩ وما بعده) .

أما عن العدالة بالأسلوب الشعرى فى عدد ٨ فلا تتعارض مع ما جاء بالإنجيل من الصلاة لأجل الأعداء (مت ٥ : ٤٤) لعلهم يتوبون .

العددان ٩ و ١٠ : هناك صدى لأنشودة موسى فى القول (يا رب من مثلك) – قارن خروج ١٥ : ١١ ربما فى استعادة واعية لأزمة أكبر كثيرًا من أزمة داود ، ولنتيجتها المجيدة . وهكذا أيضا تذكر بولس – فى لحظة اقتراب اليأس – القيامة من الأموات (٢ كو ١ : ٨ – ١٠) واستعاد رجاءه . والكلمات (نفسى) فى عدد (٩) و (عظامى) فى عدد (١٠) هما طريقتان للقول (أنا) أو (شخصى) كما فى مز ٦ : ٢ و ٣ .

الأعداد ١١ – ١٨ : الاحتشاد

ستغوص مزامير أخرى إلى أعماق أبعد بوصف خيانة الأصدقاء الحميمين (مثلا مز ٤١ : ٩ ، ٥٥ : ١٢ – ١٤) والجرح الذى لا يقل إيلامًا هنا هو جرح الحقد والجحود من رجال لم يكونوا أصدقاء حميمين لكنهم عوملوا كما لو كانوا كذلك (عدد ١٤) هكذا كانت عناية داود بهم واهتمامه عميقا تماما كما فى رومية ١٢ : ١٥ أو مثل السامرى الصالح .. وفى المقابل يبدو الآن كما لو أن السامرى نفسه قد وقع بين اللصوص فوجد من كان موضع اهتمامه هو نفسه معذّبه الرئيسى .

العدد ١٣ : (وصلاتى إلى حضنى ترجع) أو [ظلت ترجع – إلى حضنى] التى من المرجح أنها تعنى أن الصلاة ستعود إليه سواء غير مستجابة أو على صورة (بركة) – كما فى متى ١٠ : ١٣ .

العدد ١٥ : (فى ظلعى) أو فى عثرتى يمكن أن توحى لنا بزلة خطية لكن الكلمة المستخدمة هنا صورة لكارثة كما فى (مز ٣٨ : ١٧) و (أيوب ١٨ : ١٢) و (إرميا ٢٠ : ١٠) والعبارة التى ترجمت بالإنجليزية على أنها (ذوى العاهات الذين لم أعرفهم) هى بالعربية (اجتمعوا علىّ شاتمين ولم أعلم)* .. وهى تبدو كما لو كانت غير صحيحة نظرا لغرابتها بالرغم من غضب داود (كما هو مدون فى ٢ صم ٥ : ٦ – ٨ حيث يستخدم كلمة مختلفة – بينما نجد أن هذه الكلمة هنا مطابقة للكلمة المستخدمة عن مفيبوشت الذى صادقه داود) .. ونفس الحروف العبرية للكلمة التى تعنى (ذوى العاهات) يمكن نطقها بحيث تعنى (المؤذين) أو (المتوحشين) . وهذا الاحتشاد ضد من أصبح فجأة عرضة للهجوم ، الذى أخجل صلاحه الناس ، قد تمثل فى محاكمة يسوع ، لكن لابد أن يكون هناك عدد قليل من الناس الذين لم يشتركوا قط فى أى شكل من أشكال هذه (الرياضة) .

العدد ١٦ : القول (لأجل كعكة)** يظهر مدى صعوبة النص العبرى – وقد ترجمت فى النص الإنجليزى : (استهزأوا أكثر فأكثر) مثل الترجمة السبعينية التى من الواضح أنها قرأت المصدر العبرى (là'ôg) الذى يعنى سخرية بدلا من (má'og) بمعنى كعكة .. والجزء الثانى من العدد (حرّقوا ..) قارن مز ٣٧ : ١٢ – يظهر مدى الشراسة التى دفعت إلى هذه السخرية وهى من النوع الذى كان على اسطفانوس أن يعانى منه عند استشهاده (أع ٧ : ٥٤) .

العدد ١٧ : عن القول (وحيدتى) أو (حياتى) انظر التعليق على مز ٢٢ : ٢٠ وهذه الآية الأخيرة تتفق مع الترجمة السليمة لكلمة (الأشبال) فى نهاية الآية أعلاه – وليس (غير المؤمنين) كما جاءت فى إحدى الترجمات – فى كلا الموضعين .

العدد ١٨ : عن تقديم ذبيحة الحمد جهرًا فى مناسبة شخصية – انظر

* انظر كتاب الحياة : (أما هم فشمتوا فرحا عند سقطتى وتجمعوا علىّ شاتمين وشرع غرباء لا أعرفهم يضربوننى) .

** انظر كتاب الحياة : (كفجار ماجنين مجتمعين حول وليمة حرّقوا على أسنانهم .

التعليق على مز ٢٢ : ٢٢ وما بعده .

الأعداد ١٩ - ٢٨ : الشماتة

الكراهية بلا سبب هى الاستجابة الأساسية للشر على الخير (التى أكدت عليها الآية ٧) وقد رأى يسوع أن ما جاء فى عدد ١٩ و (مز ٦٩ : ٤) لا يعبر عن سوء حظ داود الغريب بل إنه نصيبه يسوع نفسه المعين له من قبل . فقال فى يوحنا ١٥ : ٢٥ (لكن لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم إنهم أبغضونى بلا سبب) وهو إعلان رسمى عما يجب أن يكون .. وهذا النموذج الكامل الذى ظهر فى حالة المسيح كان يمكن التعرف عليه بصورة هامشية فى داود كما أنه مجهّز لنا أيضا (يوحنا ١٥ : ١٨ وما بعده) .

العدد ٢٢ : (قد رأيت) هى الرد الأمثل على صرخة الأعداء (قد رأت أعيننا) .. وهذا هو الرد الواقعى على انتصار الأشرار - وليس التكذيبات الكثيرة - قارن سلسلة الأحداث التى تبدأ بالقول (إنى قد رأيت) فى خروج ٣ : ٧ - وقارن ٢ مل ١٩ : ١٤ وما بعدها وأعمال ٤ : ٢٩ .

العدد ٢٤ : (اقض لى حسب عدلك) - انظر التعليق على مز ٥ : ٤ - ٦ .

العدد ٢٥ : (هه شهوة قلوبنا) فى العبرية كلمة واحدة تعبر عن (مصمصة الشفاه) .

العددان ٢٧ و ٢٨ : كما ذكر فى أجزاء سابقة من المزمور تجد التسبيح الذى يلهج به المرنم (عدد ٩ - وعدد ١٨) وأكثر من ذلك فإن داود قد تذكر ما كان سيغفل عنه إيليا فى مثل هذه الأزمة ، فتذكر أن له أصدقاء كما أن له أعداء (جماعة عظيمة) منهم - عدد ١٨ - الذين تتفق رغباتهم مع الرب (المسرور بسلامة عبده) .

المزمور السادس والثلاثون

حيث تكثر الخطية ...

هذا مزمور المقابلات والمتناقضات القوية .. فإنه لمحة من شرور الإنسان فى أقصى درجات حقده ، والصلاح الإلهى فى كماله المتعدد الجوانب ، والمرنم مهدد من الناس وفى نفس الوقت متأكد من نصر الله . وقليل من المزامير ما يغطى مثل هذا المجال الواسع فى مثل هذه الكلمات القليلة .

العنوان : إن وصف داود بأنه (عبد الرب) لا يوجد إلا هنا وفى عنوان المزمور (١٩) انظر التعليق عليه .

الأعداد ١ – ٤ : الشر بلا قيود

الكلمات الافتتاحية تعنى حرفيا (نبوءة فى قلبى عن المعصية*) وهى افتتاحية مذهلة عن هذا الخاطىء المحترف . ويبدو كما لو كانت المعصية نفسها هى إلهه أو نبيّه – قارن هذا المصطلح مع (وحى الرب) أو (وحى داود) .. الخ . (تك ٢٢ : ١٦ و ٢ صم ٢٣ : ١ .. الخ) .. (عميقا فى قلبه) تعطى معنى أفضل من القول (فى داخل قلبى) وهذا معنى معزز بالترجمات القديمة .. فإذا كانت (فى قلبى) صحيحة فذلك يعنى أن داود يجد نفسه مصغيا بانتباه إلى الأفكار التى تحكم مثل هذا الإنسان ويفهم معناها .. (ليس خوف) هنا تعبير قوى ويمكن مقابلة هذا التعبير بالتعبير الوارد فى مز ١٦ : ٨ (جعلت الرب أمامى فى كل حين) .. فبينما يحدد المؤمن مساره فى إتجاه الله نفسه ، نجد أن هذا الشخص لا يضع حتى (خوف الله) فى حسبانه .. وهذه هى قمة أعراض الخطية فى روميه ٣ : ١٨ التى تعلمنا أن ننظر إلى هذه الصورة على أنها الصورة العامة للإنسان (لولا نعمة الله) أكثر منها صورة شخص شرير بدرجة غير عادية .. فكل البشر الساقطين لهم هذه الصفات – سواء أكانت ظاهرة أو مستترة .

العدد ٢ : (لأنه يملق نفسه) أو (لأنه ملق نفسه) أو ربما يقول إن

* نأمة معصية الشرير فى كتاب الحياة « ينبئنى قلبى فى داخلى بمعصية الشرير » (المحرر) .

النبوءة التى استمع إليها فى عدد (١) تجعله يملق نفسه ... (لنفسه) أو (فى عينى نفسه) هاتين العينين اللتين تحولتا عن النظر إلى الله (ومن ثم فقدتا أى نقطة اتصال .. والعبارة التالية يمكن ترجمتها أساسًا : بخصوص اكتشاف إثمه وإدانته .. وقد تعنى أنه مخدوع جدا لدرجة أنه لا يستطيع أن يعرف ما بداخل نفسه أو أن الآخرين سيعرفونه .. أو قد تعنى أن تفاؤله يجعله غير مكترث . والمعنى العام لا يختلف كثيرا لكن المسار الحرج والغامض للجملة يوحى بصعوبة النص الأصلى* .

العددان ٣ و ٤ : يتحول المزمور من موقف الخاطىء تجاه (الخطية) و (النفس) و (الله) فى الأعداد ١ و ٢ إلى أنشطته الاجتماعية المخربة (قارن عدد ٤ / أ مع ميخا ٢ : ١) وهذا طريق هابط .. فهو كمن تحول عن الخير (٣ / ب) وليس كمن لم تتح له فرصة عمل الخير ... وهنا يظهر مرة أخرى ظل وصف بولس الرسول للإنسان فى (رومية ١ : ٢٨ وما بعده) .. إن خطاياه الفكرية والفعلية (٣ أ و ب) هى ما يتدفق من كيانه كله ، هذا الكيان الفاسد فى الفكر (٤ أ) والإرادة (٤ ب) والمشاعر (٤ جـ) والنغمة الأخاذة فى هذا الوصف هى سيادة الشرور السلبية فى وسط الشرور الإيجابية مثل (كف عن التعقل) (لا يعمل الخير) (لا يرفض الشر) .. وهذا ليس هبوطًا مفاجئا لأنه ينم عن انقلاب تام فى القيم .. تاركا الصلاح بلا جاذبية ومفسحا الطريق للشركى يتفشى .. قارن أقوال البابا الكسندر عن سلسلة الخطوات المحتملة فى هذا الاتجاه :

« للشر وحش ذو سحنة مخيفة ، يكفى أن تراها لكى تكرهه ومع ذلك فإن تكرار رؤيته يجعل منظره مألوفًا .. فنبدأ نحتمله ، ثم نتعاطف معه ، ثم نحتضنه » .

الأعداد ٥ - ٩ صلاح وفير :

هنا عالم بجملته للاستكشاف : مكان متسع لكى نستوعبه (قارن مز ١٨ : ١٩) مكان لا يمكن فحصه (السماوات والغمام) مكان منيع حصين (الجبال) .. لا ينتهى (اللجج العظيمة) .. ومع ذلك فهو إله مرحب وكريم

* انظر كتاب الحياة « فإنه يتملق نفسه ليقنعها أن خطيئته الممقوتة لن تكشف وتدان » (المحرر) .

(عدد ٦ جـ - ٩) .. فعالم الإنسان فقط هو المعقّد .. إن التقلب الإنسانى يتناقض فى هبوطه مع هذه القمم من الرحمة والأمانة .. (عدد / ٥) ان المعايير الإنسانية كلها نسبية ، وهى أرض مستنقعات إلى جانب جبال صلاح الله المبهجة (عدد ٦) وتقديرات الإنسان هى الضحالة نفسها بالمقارنة بأحكامه ، وهذا تعبير قضائى ، ومن ثم فهو لا يعنى فقط صدور الحكم (بمعنى الإدانة أو البراءة) لكن المقصود بالأحكام هنا الكلمة المقدسة باعتبارها مشيئة الله المعلنة (انظر أيضا التعليق على مز ١٨ : ٢٢ ، ١٩ : ٧ - ١٠) .

وبعد اتساع المجالات الواردة فى عددى ٥ و ٦ نجد فيضًا من العناية بالتفصيل يغمر المنظر فى الأعداد ٧ - ٩ ويبدأ هذا الفيض من (عدد ٦ - جـ) الذى يشمل موضوعه كلا من الإنسان والحيوان ، وهذا ما يظهر خلال مز ١٠٤ والذى امتد أيضا إلى الإنجيل (مثلا متى ٦ : ٢٥ وما بعده) .

العدد ٧ : (ما أكرم) أو (ما أثمن) كما جاءت فى بعض الترجمات - تضع الأساس الفورى لتغير المجال من الاتساع والضخامة إلى المجال الشخصى الحميم - (رحمتك) انظر التعليق على مز ١٧ : ٧ - تحتاج إلى التعزيز فى جهتين فى وقت واحد : إن ما جاء فى عدد (٥) هو أعظم من أن نحيط به وما جاء فى عدد (٧) هو أعظم من أن نتركه يفلت من أيدينا .. والتصوير الخاص بالقول (تحت ظل جناحيك يحتمون) استخدمه (بوعز) عن راعوث فى (راعوث ٢ : ١٢) واستخدمه يسوع عن أورشليم (متى ٢٣ : ٣٧) وهو يظهر عاملا من عوامل الخلاص يبعث على التواضع كما يبعث على الثقة .

العددان ٨ و ٩ : يلمع فى هذه الصورة اختباران مؤثران من حياة داود كطريد يشارك بيتًا عظيمًا فى ثروته أحدهما وليمة نابال التى لم ينل منها شيئاً (١ صم ٢٥) والثانية العطايا المبهجة التى قدمها برزلاى واصدقاؤه لداود فى (٢ صم ١٧ : ٢٧ وما بعده) .. والتعبير (من نهر نعمك) قد يكون فيه صدى لجنة عدن ، لكن موضوع الماء المعطى الحياة موضح بتوسع فى حزقيال ٤٧ (وقارن أيضا رؤيا ٢٢ : ١ و ٢) - (بنورك نرى نورًا) تعنى هنا سرورًا (قارن مثلا مز ٤ : ٦ و ٧ وأستير ٨ : ١٦ بالمقابلة مع مز ٣٨ : ١٠) وإن كان لا يمكن عزله عن ارتباطاته الأخرى من النقاء والصفاء والحق .

الأعداد ١٠ - ١٢ : صلاة الغلبة والانتصار

يجد المرنم نفسه واقفا على المنطقة التى تقع بين شرور الإنسان (١ - ٤) والنعمة الإلهية (٥ - ٩) لذلك فهو يتجه إلى الصلاة اللحوحة .. فقد سبّح برحمة الرب مرتين (٥ و ٧) وهو الآن يطلب أن تمتد الرحمة لتصل إلى الذين يحتاجون إليها (عدد ١٠) .. وليس هنا شيء من الاستخفاف بالأعداء .. لا يؤيد الأصل العبرى الترجمة التى تقول (اسحق الكبرياء) بدلاً من (لا تأتنى رِجْل الكبرياء)* كما فى أيوب ١٥ : ٢١ ، ٢٠ : ٢٢) .. والآية الأخيرة تظهر النصر الذى طلبه فهى تتكلم كما لو كان المنظر واقعًا ومنظورًا فعلا .

(هناك سقط فاعلو الإثم) .. وهذا هو الإيمان الذى ذكر تعريفه فى عب ١١ : ١ بأنه (الثقة بما يرجى والايقان بامور لا تُرى) .. وعليه فإن بلاغة التعبير السابقة كانت أصيلة .. فإن داود كان على استعداد لمنازلة الشرير الذى صوّره فى الجزء الأول من القصيدة كما طلب النعمة التى تغنى بها فى الجزء الثانى بتضرع وإلحاح ، وما أن طلب ذلك حتى اعتبر أنه استلم العطية وحسم الأمر .

* انظر كتاب الحياة : « لا تدع قدم المتكبر تبلغنى ويد الأشرار تزحزحنى » المحرر .

المـزمـور السـابـع والثلاثـون

انتظـره صـابـرًا

ليس هناك عرض أفضل للتطويبة الثالثة (متى ٥ : ٥) من هذا المزمور الذى أخذت عنه تلك التطويبة (عدد ١١) .. فهذا مزمور حكمة يتكلم إلى الإنسان وليس إلى الله - ونغمته وأسلوبه فيهما بعض الصِلات بسفر الأمثال . الذى يمثل (أمان الإنسان البار) مركز رسالته كما هو الحال هنا .

وإطار المزمور من نوع (القصائد الشعرية التى تكوِّن الحروف الأولى من أبياتها كلمة أو جملة) والمعروف بـ (Acrostic) حيث تبدأ كل آيتين بحرف هجائىٍ عبرى جديد (كما فى الأعداد ١ - ٢ ، ٣ - ٤ ، الخ ..) وكما فى مثل هذا النوع من المزامير وبالذات مز ٢٥ ، ١١٩ . فإن هذا النموذج الخارجى للأسلوب يترك الشاعر حرًا فى الاستغراق فى عدد قليل من المواضيع والعودة إليها عندما يريد دون أن يفقد كل المعنى للشكل والموضوع .. وإلى هذا المزمور ندين ببعض الترانيم الجميلة التى كتبها كل من (جون وسلى) و (بول جيرار) التى تبدأ كل فقرة منها بالقول (سلِّم للرب طريقك) .

الأعداد ١ - ١١ الروح الهادىء :

النصيحة التى تقول (لا تغر) - أو حسب النص العبرى تعنى - لا تقلق هى فى الحقيقة (القرار) المتكرر فى الأعداد ١ و ٧ و ٨ .. كما أن نص العدد الأول بالكامل موجود فى (أمثال ٢٤ : ١٩) عدا حرف واحد فى الأصل العبرى - (انظر أيضا أمثال ٢٣ : ١٧ ـ و ١٨ ، ٢٤ : ١ و ٢ - بالنسبة لعبارة : لا تحسد أو لا تغر) .. وهى كمجرد أمر قائم بذاته بلا فائدة لذلك فإنها تعزز دائما بتشجيعات مسبّبة يمكن تلخيصها فيما يلى :

(١) **انظر إلى الأمام** .. فالعددان ٢ و ١٠ صادقان لدرجة لا تحتاج إلى تعليق فيما يختص بأى شىء مؤسس ومتأصل فى الزمن الحاضر وليس فى الأبدية (قارن إشعياء ٤٠ : ٨ و ١ يوحنا ٢ : ١٧) وإذا كانت النظرة البعيدة هى الإجابة على مخططات البشر فإننا يمكن أن نحتمل انتظار الرب (٧ و ٩) .

(٢) **انظر إلى فوق** - انظر بصفة خاصة الأعداد ٣ - ٧ . إن التشاحن

مع الأعداء والمنافسين لا يمكن أن ينتهى بسهولة لكن يمكن أن تحل محله بؤرة اهتمام جديدة .. لاحظ الاستغراق مع الرب نفسه معبرًا عنه فى أربع عبارات تحوى (اسمه) هنا وتشمل تغيير وتعديل اتجاه العواطف عمدًا (٤ / أ – تلذذ – قارن بولس وسيلا فى السجن وهما يصليان ويسبحان الله) ، ثم تسليم الطريق له (سلم للرب طريقك) عدد / ٥ – و (السمعة) فى (برّك) عدد ٦ – انظر التعليق على عدد (٥) – فيما بعد .

(٣) **كن بنّاءً** .. وهذا ظاهر ايجابيا فى عدد (٣) (افعل الخير) وسلبيا فى التحذير الوارد فى عدد (٨) ضد الغضب والسخط وثماره المرة .. وهذه حكمة لاهوتية ونفسية ليس فقط لأن الشخص المظلوم لم يعد منطويا على نفسه ولكن أيضًا لأن طريق الله الخاص هو أن يغلب الشر بالخير ، وعلى أى حال فإن (غضب الإنسان لا يصنع بر الله) يعقوب ١ : ٢٠ – وقارن أيضا رومية ١٢ : ٢١ .. ويشحذ الإنجيل (بل والعهد القديم أيضًا) هذه النصيحة ويزيدها وضوحًا بتحويلها من عمل الخير للجميع إلى عمل الخير (للذين يكرهونك) (لوقا ٦ : ٢٧ مقارنة مع أمثال ٢٥ : ٢١) .

ملاحظات إضافية على الأعداد ١ – ١١

العدد ٣ : (ارع الأمانة) هى إحدى الترجمات الممكنة لكلمتين عبريتين ، لكل منهما أكثر من معنى .. فالكلمة المترجمة (ارع) يمكن أن تكون (تمتع) أو تغذ على الأمانة كالحمل أو (كن صديقا للأمانة) – أو (ابحث باجتهاد عن) الأمانة . مشتقة من الاسم الوارد فى (الجامعة ١ : ١٤) أما (الأمانة) فيمكن أن تكون (الأمان) أو (الإيمان) (حبقوق ٢ : ٤) – وبصفتها حالة يمكن أن تترجم (بالتأكيد) .. أو (ليكن قلبك مستقيما) – أو حرفيا – (مِل إلى الأمانة) وهذه الأخيرة تماثل القول (افعل الخير) فى النصف الأول من الآية .. كما ترجمت أيضا (ابحث عن المرعى الآمن) أو (ارع فى أمان) .. ويمكن أن تكون (اتبع الأمانة) المشتق من أصل الفعل العبرى الذى يعنى (ابحث) أكثر من الفعل الذى يعنى (تغذَّ على) .

العدد ٥ : الكلمة العبرية المترجمة (سلّم) تعنى حرفيا (دحرج) – كما

لو كان يتخلص من حمل ثقيل .. (قارن يشوع ٥ : ٩) لكنها تستخدم عادة بمعنى (اعهد إلى) - أمثال ٣:١٦ - أو (ثق) (اتكل) قارن مز ٨:٢٢ .

العدد ٧ : (اصبر له) أو (كن ساكِنًا) أو ساكتا كما فى مز ٦٢ : ٥ - إنه سكون الانتظار وليس سكون الراحة والحذر العبرى الكامن خلف (انتظر بصبر) أو انتظر بشوق ولهفة وهذا يوحى بقلق غريب عن النص لكن المقصود (انتظر) كما فى مز ٣١ : ٢٤ .

العدد ١١ : تعطى القرينة هنا أحسن تعريف ممكن لكلمة (الودعاء) : فهم الذين يختارون طريق (الإيمان الصابر) بدلا من توكيد الذات .. وهذا الطريق مفسر بالكامل فى الآيات التالية .. (الأرض) وليس (التربة) أو (الطين) ، وهذا يتمشى مع العدد (٣) الذى يقول ببساطة (اسكن الأرض) أى الأرض التى أعطاها لك الرب . والنقطة الهامة فى عدد ١١ هى أن الأشرار الذين يأخذون أكثر من نصيبهم سوف يهلكون فى النهاية تاركين الأرض للودعاء وحدهم .. وهذه العبارة تكاد تكون (قرارًا) - انظر الأعداد ٣ و ٩ و ١١ و ٢٢ و ٢٩ و ٣٤ .. لكن الرب يسوع وضع هذا الوعد على قاعدة أوسع : فبحكم مماثل سيمتلك الودعاء ليس قطعة من الأرض (land) فقط بل (العالم الأرضى كله) .

الأعداد ١٢ - ٢٦ العون المخفى :

كان ميدان المعركة حتى هذه النقطة هو عقل المؤمن الذى يثار لدرجة السخط على قساوة الشرير .. والآن ينظر إلى الفريقين من البشر (الأبرار والأشرار) من الخارج ، وتتم المقارنة بين حظوظهما وطرقهما . وتكاد تذكر كل آية من الآيات الباقية من المزمور الأشرار أو الأبرار أو صيغة مشابهة لهذا .

الأعداد ١٢ - ١٥ : مضطهدين لكن غير متروكين

طالما تضافرت العقول الخبيثة والكراهية المتعصبة (المعبَّر عنها بصرير الأسنان) - كما فى أعمال ٧ : ٥٤ والقوى الغاشمة ، ضد التقى ، لكنهم لا يدمرون إلا أنفسهم فى النهاية عاجلا أو آجلا .. والصورة فى الأعداد ١٣ - ١٥ هى صورة هزيمة يراها الله آتية عليهم ، ولا يحتاج أن يتدخل ليرسلها . وتاريخ الكنيسة منذ اسطفانوس وحتى يومنا هذا زاخر بمثل هذه المواقف .

الأعداد ١٦ - ٢٠ و ٢٥ : كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء

بينما يمكن أن تقف الآية ١٦ بمفردها كحكم أخلاق ، كما فى أمثال ٢٨ : ٦ .. فإن الصدِّيق مهما كان فقيرًا له منظور أحسن وضمير أفضل من الملحد .. وأقوال الإنجيل (مثل الأعداد ١٧ - ١٩) تأخذ فى الحسبان الاحتياجات الزمنية (مثلا متى ٦ : ٣١ و ما بعده و ١٩ : ٢٩) .. وتجد فى المزمور - كما فى العهد الجديد - أن الضمان الأكيد والغنى الحقيقى ليسا فى (غير يقينية الغنى) بل فى الله الحى ١ تى ٦ : ١٧ - والتأكيد العام الشامل فى القول (عاضد الصديقين الرب) - عدد ١٧ - مشجع كافٍ .. وأكثر من ذلك الدقة الكاملة المعلنة فى القول (الرب عارف أيام) عدد ١٨ - قارن مز ٣١ : ١٥ . وهذا يتضمن كل (أيام الجوع) - عدد ١٩ . وتشهد الآية ٢٥ لهذا التدبير حرفيا .. من واقع اختبارات إنسان .. ولا يشكل معزّو أيوب استثناء من المعنى - لكن بولس وآخرين قبله عرفوا شيئاً عن وفرة مادية أو روحية حسب ما يراه الله مناسبًا (مز ٧٣ : ٢٦ وحبقوق ٣ : ١٧ و ١٨ ومتى ٤ : ٤ و ٢ كو ٦ : ١٠ وفيلبى ٤ : ١٢) . وموضوع الآيتين ١٩ و ٢٠ قريب جدا من مز ١ : ٣ و ٤ .. لكن كانت هناك ترجمات مختلفة للعبارة غير العادية (كبهاء المراعى) حيث أن الكلمة المترجمة (مراعى) يمكن أن تعنى أيضاً (خراف) أو (حملان). وهناك تعديلات طفيفة فى الحروف العبرية يمكن أن تعطى معانى كثيرة .. وقد ترجمتها إحدى الترجمات بالقول (كالأزهار البهجة قصيرة العمر) .. وتشبيه (الدخان) فى عدد (٢٠) لا يتعارض مع هذا المعنى .. والتشبيهات المتنوعة تعطى غنى للمعنى .

الأعداد ٢١ و ٢٢ و ٢٦ : نُغنى كثيرين :

هذه الآيات تتوازن مع قائمة المكاسب ، لأن الرجل المستقيم لن يظل مستقيما إذا صار أنانيًا بل سيلحق بالناس (الذين نصيبهم فى حياتهم) مز ١٧ : ١٤ وقارن مز ٣٩ : ١٣ - ٢٠ .. ويتعامل مز ١١٢ بتوسع أكبر مع موضوع الكرم والسخاء وعلاقته بالاستقامة .. وكذلك ٢ كو ص ٨ و ٩ .. ويتوج عطاء الإنسان وإقراضه (عدد ٢٦ / أ) ببركة دائمة للمجتمع فى الأسرة التى يؤسسها .. ومعنى العدد (٢٦ / ب) باعتراف الجميع هو

أن عائلته ستخرج جيلا جديدا مباركا .. كما فى زكريا ٨ : ١٣ حيث تكون البركة نقيض (اللعنة) .. لكن حتى هذه يمكن أن تكون مثمرة (قارن نتيجة زكريا ٨ : ١٣ فى زكريا ٨ : ٢٣) .. وأحسن مثال لما يمكن أن يعنيه هذا الوعد موجود فى (تك ١٢ : ٢ و ٣) كما هو مفسر فى العهد الجديد .

العددان ٢٣ و ٢٤ مؤدبين ونحن غير مقتولين

القول (من قِبَل الرب) قول لافت للنظر .. ويتداخل الشطر الأول من الآية مع الشطر الثانى فى الأصل العبرى بحيث يصبح : (من قِبَل الرب تتثبت خطوات الإنسان وفى طريقه يُسَر) - انظر أيضًا التعليق على مز ٥١ : ٦ ونوع السقوط المصوَّر فى العدد ٢٤ هو نكبة مادية أكثر منه سقطة أخلاقية . كما يتضح من القرينة سيكون هناك صعود وهبوط لكن يده تظل ثابتة .. والتعبير (الرب مسند يده) يتمشى تماما مع القول (عاضد الصديقين الرب) فى عدد (١٧) .

العددان ٢٥ و ٢٦ : سبق التعليق عليهما مع الفقرات (١٦ - ٢٠) و (٢١ - ٢٢) على الترتيب .

الأعداد ٢٧ - ٤٠ النظرة البعيدة :

رغم أن وجهة النظر هذه ليست مجسمة فى المزمور فإنها هى التى تسود فى هذه الفقرة ، أولا بتكرار القول (إلى الأبد) فى الأعداد ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ ثم بالصورة الأدبية الواردة فى الآيات ٣٥ و ٣٦ وأخيرا بالتشديد على (العقب) أو الذرية فى عدد ٣٧ و ٣٨ .

الأعداد ٢٧ - ٣٤ : النصيحة (افعل الخير) فى عدد ٢٧ - وقارن عدد (٣) - ليست إضافة بلا معنى كما قد يبدو ، فإن الحرب مع الشيطان كثيرا ما تغرى الإنسان أن يحارب عدوه بأسلحته الخاصة ، ثم إن الرب نفسه وكذلك تركيبة الحياة - هما فى جانب العدالة - (٢٨ و ٣٠ و ٣١) .. لأنه لا يوجد شىء متقلب فى معونة الرب (عدد ٣٣) أو شىء سطحى فى ثباتنا (عدد ٣١) ... وعن كلمة (أتقيائه) فى عدد ٢٨ انظر التعليق على مز ١٨ : ٢٥ - وعن القول (يرثون الأرض) عدد ٢٩ ، ٣٤ انظر التعليق

على العدد (١١) .

العددان ٣٥ و ٣٦ : شهادة العيان الحية الموجزة هذه تتشابه مع كثير من الفقرات فى أسفار الحكمة باستخدامها للاختبارات الشخصية – قارن مثلا أيوب ٥ : ٣ ، أمثال ٧ : ٦ وما بعده ، ٢٤ : ٣٠ وما بعده ، الجامعة ٢ : ١ وما بعده (وارفة كأرز لبنان) .. كما تقول الترجمة السبعينية والفولجاتا – التى تقول أيضا (عبرتُ) – عدد ٣٦ .. لكن يبدو أن الترجمة العربية أقرب إلى الأصل العبرى .

الأعداد ٣٧ و ٣٨ : التركيز على (العقب) أو (النتيجة) هنا هى نقطة تشابه أخرى مع كتابات الحكمة باهتمامها بالنظر والتفكير المستقبلى – إلى النهاية – أو ما بعد الأمر الحاضر – قارن أمثال ٥ : ٤ .. وبالنسبة للمسيحى بل وبالنسبة للمرنم نفسه هنا تمتد هذه النظرة إلى ما بعد الموت .

الأعداد ٣٩ و ٤٠ : يختتم المزمور بموضوعية هادئة كرد على نفاد الصبر والاضطراب الذى نواجهه فى البداية ، ولاحظ القول (من قِبل الرب) – عدد ٣٩ – و (احتموا بِه) عدد ٤٠ – هو يعطى المبادرة ونحن نتجاوب بأن نحتمى به – والعون الذى يعطيه والملجأ الذى يقدمه هو نفسه .

المزمور الثامن والثلاثون
الطريد

هذه الصرخة المعذَّبة (وهى الثالثة فى مزامير التوبة التى ذكرت فى مز ٦) تشترك مع مزمور (٧٠) فى عنوانها : للتذكِرة – ولما كان القول (تذكر) بالنسبة لله تعنى إعمل فإن هذه الكلمة تتحدث عن وضع موقف معين أمام الله والتضرع إليه للمساعدة .. وتتضمن العديد من التقدمات جزءا (للتذكِرة) لتؤكد للرب – رمزيا – التقدمة أو وسيلة التكفير ، وفى حالة واحدة كانت وسيلة للاتهام (العدد ٥ : ٢٦) . ويمكن أن يصاحب قراءة هذا المزمور تقديم ذبيحة .. لكن إحدى الترجمات خلطت بين ما هو ثانوى وما هو أولى بترجمتها العنوان (للتقدمة التذكارية) .

والآلام هنا مضاعفة ، فهناك حِمل الذنب الذى زادت ضراوته بمرض خطير أضيف إليه وهذا بدوره أدى إلى اغتراب المتألم عن أصدقائه ، وأعطى اعداءه فرصة للتآمر على إهلاكه ، لذا فإن الاعتراف المقدم للرب مختلط بإحساسه بالظلم . والتائب هنا أيضا يتضرع ليحصل على العدل .

الأعداد ١ – ٨ : الحِمل الكريه :

الحمل هنا داخلى وخارجى ، وهو عذاب للعقل والجسد ، وقد قُبل باعتباره تأديبًا من الرب .

العددان ١ و ٢ : التركيز هنا على (سخطك) و (غيظك) ، والطلب ليس أن يُعفى من تأديب الرب بل أن يخفف فقط هذا التأديب بالرحمة (قارن مز ٦ : ١) وإذا كان هناك تمييز بين (سهامك) و (يدك) فيكون هو الفرق بين دفعات الألم والفظائع التى تعذب المتألم (قارن أيوب ٦ : ٤ ، ١٦ : ١٣) وبين ضغط انتباه الله المباشر المقلق (قارن مز ٣٢ : ٤ وأيوب ١٣ : ٢١) .

الأعداد ٣ – ٨ : الكلمات المتكررة (لأن) فى (٤ و ٧) لا تدع مجالا للشك فى أن هذا المرض كان عقابًا – (ومن الخطأ الاعتقاد أن الأمر ليس

كذلك على الإطلاق ، كما أنه من الخطأ أيضا اعتبار المرض عقابا دائما) – قارن يوحنا ٥ : ١٤ مع يوحنا ٩ : ٣ – وما إذا كانت هذه هي النتيجة الطبيعية للخطية كما هو الحال فى أمراض الشهوة والشراهة أم لا – ليس لدينا طريقة مؤكدة للحكم .. لكن ما هو واضح أن هذا المرض فتح عينى داود على مأزقه الروحى ، ولم يفعل ذلك بمجرد اقتراح وجود تشابه بين الاثنين .. كما فى إش ١ : ٦ بل أيضا بإذلاله .. والجرم الذى كان يمكن لرجل قوى أن يزيحه عن كتفيه أصبح الآن حملا ثقيلا (أثقل مما احتمل) والخطية التى كانت تبدو مجرد قطرة قد انكشفت الآن على أنها كالطوفان (طمت فوق رأسى) (عدد ٤) [قبل أن اذلَّل أنا ضللت] مز ١١٩ : ٦٧ .

الأعداد ٩ – ١٤ الضحية المهجورة :

يوجد تذلل شديد هنا من أول كلمة (يا رب) وهو هنا لا يذكر اسم الرب (يهوه) بل يناديه (كما فى عدد ٢٢ – يا سيد أو يا رب) إلى آخر القول (ليس فى فمى حجة) عدد ١٤ – فى مواجهة هجر الأصدقاء ومكر الأعداء .

العدد ٩ : (معروف لك) أو (ليس بمستور عنك) وتعنى حرفيا – امامك – قارن ٢ مل ١٩ : ١٤ – وانظر التعليقات فى مقدمة الكتاب على عنوان المزمور .. وقد يقول قائل : إن صلاته لا لزوم لها ما دام الله كلى العلم بكل شيء . لكن الرب يسوع يشير إلى أن كلمات غير المؤمن هى فقط اللغو الزائد (متى ٦ : ٧ وما بعده) .

العدد ١٠ : تقول بعض الترجمات (إن قلبى يخفِق) أو (قلبى يُفتَن) وهى كلها فى الأصل العبرى إشارة قوية فى اللغة الأكادية .

العدد ١١ : ربما اختيرت الكلمة (ضربتى) لارتباطها بمرض (البرص) وقد ذكرت فى لاويين ١٣ : ٣ أربع مرات لأنه هكذا كان أصدقاء داود يعاملونه ، أو قد تكون الكلمة تحمل معنى (وصمة) ناتجة عن تنفيذ حكم بالإدانة (كما فى إشعياء ٥٣ : ٤) حيث ترد كلمة (مضروب) بنفس المعنى . ومن السخرية انه بمقدار ما يحتاج الإنسان إلى المعونة بقدر ما يقل ما يقدم إليه منها وقد عمل الإنجيل الكثير ليغير هذا الوضع .

الأعداد ١٢ - ١٤ : هنا نجد تباينا ملحوظا بين (اليوم كله يلهجون) فى عدد (١٢) وبين السكون فى عدد ١٣ و ١٤ مما يستدعى إلى الذهن المثال الأعظم لهذا المنظر ، فإن صمت داود قد نشأ جزئيا من إيمانه (عدد ١٥ - وقارن مز ٣٧ : ٧) وجزئيا عن اعترافه بخطيته (٣ - ٥ ، ٢ صم ١٦ : ١١) أما عن صمت ربنا يسوع وصلته الوثيقة بنا انظر ١ بط ٢ : ١٨ - ٢٥ .

الأعداد ١٥ - ٢٢ الأمل الوحيد :

ينفرد داود بين أى جماعة بمقدرته على انتظار الله (عدد ١٥) .. إن أيام هروبه وأيام حكمه فى حبرون وموقفه تجاه تمرد أبشالوم أثبتت كلها مدى إخلاصه فى صلاته فى عددى ١٥ و ١٦ وفى نصيحته التى قدمها فى مز ٣٧ .

الأعداد ١٧ - ٢٠ : يمتزج عجز داود بثباته بطريقة غريبة فى التعبير (موشك أن أظلع) - أو (قريب من السقوط) وقد لا تشير هذه الكلمات إلى أكثر من الأزمة الراهنة .. ولكنها قد تكون اعترافًا بعدم ثبات الخاطىء المزمن .. والشىء الثابت الوحيد الذى يبديه هو أنه (عرضة للسقوط) .

وبعد الندم الوارد فى عدد ١٨ ، فإن الادعاء بالهجوم الذى لا داعى له (فى عدد ١٩ و ٢٠) قد يبدو مستغربًا .. لكن خطايا داود مهما كانت خطيرة كانت خطايا الرجل الذى يختار أساسًا أن (يتبع الصلاح) .. وهذا الاختيار يثير دائما ضغينة غير المؤمن (قارن يوحنا ١٥ : ١٨ و ١٩) .

العددان ٢١ و ٢٢ : هذا المطلب الأخير بما فيه حاجة عاجلة تثير الشفقة ، يظهر أن مقدرة داود على انتظار يوم الرب والموضح فى أول الفقرة ، ليست راجعة لرباطة جأشه أو لأى موقف مضمون لكنها راجعة كلية لله الذى يعرفه بالاسم (يهوه) - عدد ٢١ / أ - وهو إله العهد (إلهى) بل هو (السيد) و (المخلّص) - ٢٢ / ب .

المزمور التاسع والثلاثون

ليس لنا مدينة باقية

السؤال اللامع فى هذا المزمور هو : لماذا يداوم الله بانتظام على تأديب مخلوق ضعيف زائل مثل الإنسان ؟ إنها صرخة احتجاج كتلك الواردة فى (أيوب ٧) وخاصة القول هناك (كُف عنى لأن أيامى نفخة ، ما هو الإنسان حتى تعتبره ؟ (أيوب ٧ : ١٦ ب ، ١٧ / أ) لكن هذا السؤال فى الحالتين لم يسأل من منطلق غضب أو كبرياء بل بلمسة ولاء مؤثرة (عدد ١) وإيمان مستسلم (عدد ٧) .. ومثل هذه (الأغنية فى الليل) تنم عن بعض الحيرة والارتباك إزاء الإنسان لم تتبدد إلا بعد أن « صار الكلمة جسدًا » وبعد أن أضاء (الحياة والخلود) .

العنوان : عن القول (لإمام المغنين) انظر المقدمة - رابعا / جـ - ٣ - و« يودثون » كان واحدًا من الموسيقيين الرئيسيين الذين عيّنهم داود لقيادة العبادة الجمهورية (١ أى ١٦ : ٤١ ، ٢٥ : ١ - ٣) [ويفسر (مونيكل) يدوثون على أنه ليس اسم شخص بل إنه « مصطلح طقسى » ربما كان يعنى (الاعتراف) استنادًا إلى أن مز ٦٢ و ٧٧ يحملان عنوان (على يدوثون) كما لو كانا قد كُتبا ليرتّما (على طقس معين) لكن حرف الجر (على) له ظلال كثيرة من المعانى بما فيها المعنى البسيط (ينتمى إلى) مثلا - العدد ٣٦ : ١٣ - (عن يد)] .

الأعداد ١ - ٣ : الاحتجاج المكبوت

كلمة الاحتجاج قد تكون أقوى من اللازم إذا كانت تتضمن بعض التحدى ، ومع ذلك فإن مشاعر داود كانت ثائرة بدرجة يمكن أن يفهم منها عدم الولاء سيما لو أنها قيلت وسط مجموعة شريرة (عدد / ١) .. فهو يظهر اهتمامًا مسئولاً عن اسم الله الحسن (انظر مز ٧٣ : ١٥) وذلك عن طريق كبح جماح نفسه أولا ثم - عندما لم يستطع أن يستمر فى الكتمان - عرض مشكلته على اعتبار أنه يريد أن يتعلم - علمنى (٤) ثم

كمتضرع (٧) .

العدد ٢ : (صمتُّ صمتًا سكتّ عن الخير) أى بلا فائدة .. ولا يعنى (حتى عن الخير) كما جاء فى بعض الترجمات لأن اللغة العبرية كانت تستطيع – لو أرادت – أن تفصح عن هذا المعنى بسهولة .

الأعداد ٤ – ٦ الحياة الزائلة :

هنا مجموعة مشاعر مختلطة ، فإن بداية ونهاية المزمور تكشف عن اشمئزاز داود من قِصرَ الحياة – الأمر الذى أدركه نتيجة ما مر به من شدائد (عدد ١٠ و ١١) ومع ذلك فإن أول صلاة رفعها كانت أن يتعلم هذا الدرس جيدا (عدد ٤) .. وهذا يبدو أنه تعمُّد مواجهة الحقائق غير المريحة باعتبارها من الله ، والنظر إليها كما ينظر الله نفسه إليها (قدامك أو فى نظرك) – عدد ٥ – ويمكن إدراك مدى ما يمكن تعلمه من هذا الموضوع المؤلم من كلمة (نفخة) (عدد / ٥) وباطلا – عدد ٦ – ونفس كلمة (نفخة) فى عدد ١١ – ونفس هذه الكلمة (باطل) هى مفتاح سفر الجامعة – لتوضح مدى خطورة عدم كفاية كل ما هو أرضى (تحت الشمس) قارن عدد ٦ مع الجامعة ٢ : ١٨ و ١٩ وأيضا مع لوقا ١٢ : ٢٠ ويعقوب ٤ : ١٤ و ١٥ .. لأن هذا أيضا هو التأكيد الوارد فى العهد الجديد .

الأعداد ٧ – ١١ : هذا التأديب القاسى .

هنا مواضيع معينة تجعل هذا المزمور توأمًا لمزمور ٣٨ – وهى مواضيع معبَّر عنها بكلمات (رجائى) عدد (٧) وهى مرتبطة بكلمة (صبر) أو (انتظار) مز ٣٨ : ١٥ ، وكلمة (صمت) عدد (٩) قارن ٣٨ : ١٣ ، وكلمة (ضربك) عدد (١٠) يقابلها (ضربتى) فى مز ٣٨ : ١١ .

لكن بينما كانت المشكلة فى ذلك المزمور هى قسوة الأصدقاء والأعداء فإن المشكلة هنا هى غضب وتجهم الرب نفسه والمتفرج الوحيد هو (الجاهل) عدد – ٨ – أو الأحمق – وهو من ذلك الصنف من الجهال الذين يحبون التجديف واللعن (قارن مز ١٤ : ١) وما يقلق داود هو القسوة فى معاملة الإنسان الزائل المعرض للسقوط (عدد ١٠ و ١١) .. وهذا هو نفس

التناقض الظاهرى الذى حيَّر أيوب (انظر التعليق الافتتاحى على المزمور) وهوالتناقض الذى يخفى الكثير من المعانى – شأنه شأن معظم التناقضات الظاهرية – ويقول جورج ماكدونالد فى هذا : « إن كل شيء صعب إنما يشير إلى شيء يفوق ما يمكن أن تستوعبه نظرياتنا فى الحياة » .. وهى فى هذه الحالة حقيقة أن الإنسان قد خلق للتبنى والخلود . ويتولى عب ١٢ : ٥ – ١١ إيضاح المعنى الكامل لهذه الحقيقة فى نظام الله الأبوى .. وموضوع الكنوز التى تكنز حيث لا يفسد سوس ولا صدأ – سواء فعليا أو مجازيا (المفسر فى متى ٦ : ١٩ وما بعده ، ١ بط ١ : ٤ وما بعده) وهذه المشكلة كانت تستحق عناء البحث .

العددان ١٢ و ١٣ : هذا المطلب البسيط

تعبيرات (الغريب) أو (النزيل) كانت تستخدم للأجانب المقيمين فى إسرائيل وربما كان الأول للمقيم فترة طويلة والثانى للمقيم فترة قصيرة – وكان يتعين الترحيب بهم لكنهم لا يستطيعون امتلاك أرض هناك . ويرى داود أنه هو نفسه مثل كل إنسان ، ليس له فى العالم جذور مثل الغريب والنزيل – ألم تقل الشريعة نفس هذا الكلام حتى عن إسرائيل ؟ لكن الشريعة (أو الناموس) قال هذا لكى يحمى الميراث لا لكى ينكره (لاويين ٢٥ : ٢٣) .. وقد علّمت الحياة داود نفس الدرس قبل الآن (مز ١٦ : ٩ – ١١ ، ١٧ : ١٣ – ١٥) .. إلا أنه فى اللحظة الراهنة لا يستطيع أن يرى سوى الموت – ولا يسأل أكثر من مهلة قصيرة كما فعل أيوب أو إرميا – والصلاة فى عدد ١٣ / أ لا تعنى أكثر من قول بطرس (اخرج من سفينتى) لكن الله يعلم متى يتعامل مع تلك الطلبة كما فى لوقا ٥ : ٨ وما بعدها وكيف يتعامل معها كما فى (متى ٨ : ٣٣ و ٣٤) . إن مجرد وجود مثل هذه الطلبات فى الأسفار المقدسة هو شاهد على أنه (يفهم الإنسان) ويعرف كيف يتكلم الإنسان عندما يشعر باليأس .

المزمور الأربعون

أخبار سارة عن النجاة

نجد فى مزمورى ٣٨ ، ٣٩ تطبيقا مؤلما لموضوع الانتظار المشروح فى مز ٣٧ لكننا نجد هنا أن نتيجته الانتصار . والنجاة المشروحة بأسلوب تصويرى فى الأعداد الافتتاحية تستدعى احتفالا مناسبا . ويرى داود أن أى طقوس لا تكفى وحدها للتعبير عن هذا الاحتفال وأن التعبير الحقيقى الوحيد عن ذلك هو تقديم نفسه . وهو يمهد لذلك بإعلان لا يستطيع أحد سوى المسيا أن ينجزه كما يتضح من العهد الجديد . ولا شك أن الذروة فى هذا المزمور هى القول : « ها أنا ذا قد جئت » عدد ٧ .

لكن المتاعب تعود ، ويظل الانتظار من نصيب داود .. وينتهى المزمور بصلاة الألم والأسى ، يظهر أغلبها مرة أخرى فى (مز ٧٠) .. ففيه نبرة إلحاح وفى نفس الوقت نغمة فرح كامن إذ يتذكر داود دائرة أوسع وسببا أكبر من أشد احتياجاته إلحاحًا .

الأعداد ١ - ١٠ : مكافأة الانتظار :

ازداد واتسع صدى الترنيمة الجديدة لأنها نابعة عن خلاص يمكن أن يكون من حالة مرضية ، أو من خطية أو أى خطر آخر ، ويمكن أن نظهر امتناننا لأننا لا نعرف تفاصيل أكثر عن (جب الهلاك وطين الحمأة) اللذين ذكرهما داود أكثر مما نعرف عن (شوكة الجسد) التى ذكرها بولس .

الأعداد ١ - ٣ : الإنقاذ

عدد ١ : تقول الترجمة الإنجليزية (انتظرت بصبر) إلا أن هذا تعبير هادىء أكثر من اللازم بالنسبة لحدة الكلمات الافتتاحية ويستحسن القول - كما فى الترجمة العربية (انتظارا انتظرت الرب) .. كما أن التعبير الإنجليزى الذى يعنى (انحنى) يستحسن أن يكون (مال إلى) أو - كما جاءت فى ترجمات أخرى (استدار نحوى وأصغى إلى صرختى) كما يحدث عندما يجذب أحد انتباه شخص .

عدد ٢ : (جب الهلاك) أو (حفرة مهجورة) رغم أن إحدى الترجمات

ربطت الكلمة بالفعل الوارد فى إش ٦ : ١١ « إلى أن تصير المدن خربة » .. والتشبيه الآخر (طين الحمأة) يجعل للكلمتين معًا كل معانى الرعب والعجز والتخبط الممكنة – قارن المأزق المماثل والإنقاذ الذى تم مع إرميا (إرميا ٣٨ : ٦ وما بعده) ولا ينتهى منظر الإنقاذ عند مجرد الخروج من المأزق – كما حدث مع إرميا بل انتهى بأولى خطوات الحرية .

عدد ٣ : والأحسن من ذلك أن أفكار داود لم تكن مشغولة بالتأمل فى مأزقه بل إنها ارتفعت بالشكر إلى الله وفاضت فى اتجاه شعبه .. وهناك تلاعب بلفظى (يرون) و (يخافون) يعطى للأخيرة معنى الراحة .. لأن داود لا يهتم بجذب مجرد الاهتمام بل بإثارة الرهبة المثمرة .. (خوف) و (ثقة) يخافون ويتوكلون .. كما ستؤكد الأعداد التالية – ويُظهر مز ٥١ : ١٣ نفس هذه الروح .

العددان ٤ و ٥ : تأمل :

وكلمة (متكله) مستمدة من عدد (٣) كما يستخرج لنا داود هذا الدرس من اختباره الشخصى أولا برفض إعطاء أى شخص آخر حق الاعتماد عليه – والكلمة التى استخدمها داود عن (المتكبرين) وهى (الغطاريس) هى التى صارت لقبًا لمصر فى إش ٣٠ : ٧ – رهب الجلوس – (الجالسة فى سكون) أو (التنين العاصى) . وبالتوسع فى أعمال الله نجد الماضى مليئا بعجائبه والمستقبل حافلاً بخططه و (أفكاره) قارن أيضا هذين الموضوعين فى مز ١٣٩ : ١٣ – ١٨ .

الأعداد ٦ – ٨ : تكريس

بعد هذا الخلاص ، ترى أى تقدمة يمكن أن يتقدم بها الإنسان غير قلبه وإرادته ؟ .. هذا هو المنطق الذى يتحكم فى مثل هذا الموقف .. ومع ذلك فإن داود يزيد على هذا بالكلام كما لو كان تقديم نفسه سيكون آخر التقدمات ، فلو أن هذا هو مضمون كلماته فلن يكون كلامه عن نفسه بل عن المسيا ويعزز هذا ما جاء فى عب ١٠ : ٥ – ١٠ .

العدد ٦ : سبق أن توبخ الملك شاول السابق لداود بسبب عدم إخلاصه بتعبيرات شبيهة بهذه (١ صم ١٥ : ٢٢) لكن هذه الآية مع التالية لها تطرح

قضية النظام نفسه وتوقع نبوءات (العبد المتألم) والميثاق الجديد .. والكلمات (أذنىّ فتحت) تعنى (ثقبت) – قارن مز ٢٢ : ١٦ – ويمكن أن تشير إلى طقس « تكريس العبد نفسه لخدمة سيده إلى الأبد » انظر خروج ٢١ : ٦ – حيث تستخدم كلمة (يثقب) – لكن كلمة (أذنىَّ) بصيغة المثنى عقبة أمام هذا التفسير لذلك فإن القليلين هم الذين يوافقون على هذا المعنى ، والأرجح أن تكون هذه العبارة تعزيزًا للقول المشابه فى إش ٥٠ : ٤ و ٥ حيث يقول (يوقظ لى أذنا) وقد ترجمتها السبعينية بالقول (فتح الرب أذنى) فى الكلام عن تدريب العبد على الإدراك والتمييز والطاعة ، وقد اقتبستها عب ١٠ : ٥ فى القول « هيأت لى جسدًا » .. وأيًا كان أصل هذه القراءات فهى تنقل إلينا معنى التكريس المتضمن فى النص العبرى – ومما هو جدير بالذكر أنه فى إش ٥٠ : ٥ و ٦ سرعان ما تتضمن طاعة الأذن البذل (بذلت ظهرى للضاربين وخدّىَّ للناتفين) .

العدد ٧ : لا يمكن مقارنة الإعلان الملكى المؤكد (هأنذا جئت) إلا بالقول المتردد (هأنذا أرسلنى) إش ٦ : ٨ وهذا العبد هو فى نفس الوقت رئيس عظيم .. (درج الكتاب) يمكن أن تكون إشارة إلى مرسوم التتويج (انظر التعليق على مز ٢ : ٧ مقارنا مع مز ١١٠ : ١) – أو كما يعتقد معظم المفسرين والمعلقين – إشارة إلى سفر الشريعة الذى يقبل المتكلم أحكامه كالإلتزام موضوع عليه (قارن الجزء الأخير من ٢ مل ٢٢ : ١٣) .. لكن القول (مكتوب عنى) تشير بالطبع إلى القول (هأنذا جئت) ومن ثم تشير كما يبدو إلى قناعته بأن مجيئه نفسه هو تحقيق للنبوة ، وهذا يتفق تماما مع تأكيد الرب فى القول « موسى .. كتب عنى » (يوحنا ٥ : ٤٥ و ٤٦ ولوقا ٢٤ : ٢٧) ومع نظرة العهد الجديد الرفيعة إلى أهمية هذه الفقرة .

العددان ٩ و ١٠ : تصريح وإعلان

إن الواجب الأكيد بالاشتراك فى إذاعة أخبار الخلاص واضح جدًا فى المزامير ، والكثير منها قصد به أن يستخدم فى مثل هذه المناسبات – قارن مثلا مز ١١٦ وانظر التعليقات على مز ٢٢ : ٢٢ – ٢٦ ، والمثال العملى لهذا الشكر النموذجى هو مثال (حِنّة) وتقدمتها الحية لله – صموئيل – شهادتها

المنطوقة وترنيمتها الجديدة (١ صم ١ : ٢٤ - ٢ : ١٠) .

الأعداد ١١ - ١٧ : تجدد الانتظار

هذه هى الإشارة الأولى إلى أن المتاعب لا زالت قائمة .. وما لم يكن هذا المزمور قد كتب لموقف افتراضى صِرف (وكم مرة يمكن أن ينشأ هذا الموقف حتى يستدعى مثل هذا التركيب اللغوى ؟) فهو يعنى أن داود قد عمد إلى استرجاع خلاصه السابق وإعلانه ، ثم يلتفت إلى الله بعبارات مفعمة بالشكر للخلاص الذى يحيط به (عدد ١٠) فيقول [(أما أنت) - عدد (١١) فلا (أو لن) تمنع رأفتك] .. وهو يقرر فى هذا الإطار موقفه الحرج ويعترف به بنفس الصراحة التى اعترف بها بإيمانه .

العددان ١١ و ١٢ شرورى وآثامى :

انظر ما جاء بالفقرة السابقة عن كون العدد (١١) تأكيد .. وأيا كان (طين الحمأة) فى عدد (٢) فإن المتاعب الحالية هى أساسًا من صنع داود وقد امسكت بتلابيه الآن - لاحظ القول - اكتنفتنى ، حاقت بى .

الأعداد ١٣ - ١٥ : أعدائى

إذا كانت خطية داود قد تثبط همته ، فإن أعداءه يثيرونه ، فليس لهم الحق فى استغلال سقطته ويعتبر رد فعله المفعم بالحيوية هذا جزءًا من سر مرونته .. فلا يمكن أن يذله سوى الله - أما فعلة الإثم فلا - قارن ميخا ٧ : ٨ و ٩ .

العددان ١٦ و ١٧ : معونتى

يبدو أن سرور الأعداء (عدد ١٥) قد وضع فى ذهن داود - بالمقارنة - المرح الذى لا يشوبه أى مرار - الفرح الذى ينسى أو ينكر نفسه (يفرح بك) - عدد ١٦ - وينبع مما هو إيجابى (ليس « نفسى » - عدد ١٤ بل « خلاصك » - عدد ١٦) .. وينشأ الاهتمام الطاغى فى صيحة (يتعظم الرب) التى تطغى فى أهميتها على طلبته الشخصية (الرب يهتم بى) - عدد ١٧ - وعلى صيحة الألم الختامية .. والمقارنة بين (أما أنا) - عدد (١٧) - و (أما أنت) - عدد ١١ - تهدىء النفس - لكن أن تصلى ليتمجد الرب فهذا هو « التحرير » ذاته - طريق النصر - طريق المسيح نفسه كما يوضح يوحنا ١٢ : ٢٧ و ٢٨ .

المزمور الحادى والأربعون

عندما يسقط الإنسان

ولو أن الجزء الأكبر من المزمور كئيب وحزين إلا أن الشكران الوارد فى نهايته يُظهر أن المحنة قد عبرت فعلا .. والآيات الوسطى من المزمور تعيش المحنة مرة أخرى بكل قوتها لكى يستخرج القيمة الحقيقية للرحمة التى يتغنى بها فى المقدمة .. ولا يمكن أن يكون رأى الضحية هو نفس رأى المستفيد .. ويستطيع (قلب المزمور) فقط أن يكشف عن مقدار إخلاص التطويبة القلبية التى يفتتحه بها .

الأعداد ١ - ٣ : فرصة المساعدة

سرعان ما يتضح أن كلمة (المسكين) يقصد بها معناها الأوّلى أى (الضعيف) أو (العاجز) - الشخص الذى وصل إلى مرحلة أقرب إلى اليأس .. والكلمة (ينظر) لافتة للانتباه من حيث أنها تصف عادة الحكمة العملية لرجل الأعمال ومن ثم تتضمن التفكير المتأنى فى موقف الشخص أكثر منه مساعدة روتينية .

ويتلو هذه التطويبة إما سلسلة من الوعود - كما فى معظم الترجمات - أو سلسلة من الصلوات على مثال مزمور ٢٠ .. أى (ليت الرب ينجيه ويحفظه ويحميه ..) لكى يتفق مع وجهة نظر الجزء الثانى من العدد (٢) التى هى صلاة مباشرة (حسب الترجمة الإنجليزية - إذ تقول (لا تُسلّمه) - بدلا من (لا يُسلمه) لكن الآية (٣) تساند الانطباع عن الوعود والتصاريح .. ولكل من وجهتى النظر مصاعبها .. وربما كان الميزان يميل إلى جانب (الوعود) طالما أن التطويبات تتبعها الوعود عادة .. وتتطابق الفكرة مع تلك الواردة فى متى ٥ : ٧ (طوبى للرحماء لأنهم يرحمون) . وهناك ترجمة أخرى (الأورشليمية) تفضلها أكثر فتقول (تهتم جدا بتمهيد فراشه عندما يمرض) .

الأعداد ٤ - ١٠ : الفرصة للإيذاء

صار موقف داود ضعيفًا جدًا بسبب ضميره المثقل بالخطية - (عدد -

٤ - وقارن مز ٣٨ : ٣) لكنه سيحصل على رحمة أكبر (عددا ٤ و ١٠) من الله الذى أخطأ فى حقه عن تلك التى يحصل عليها من صديقه الذى سبق أن أعانه (عدد / ٩) وقد لا يحتاج الأمر إلى تعليق على موقف زائريه الذين يسرّون بأذيته فى دهاء - الذين وصفهم فى الأعداد ٥ - ٨ والذين ينتظرون إبادة اسمه بفارغ الصبر - كما تقول إحدى الترجمات (متى يموت وينقرض نسله ؟) وكلمة (تفكروا) فى عدد (٧) هى نفس الكلمة العبرية التى ترجمت فى مز ٤٠ : ١٧ (يهتم) أو القول (يحسب) فى مز ٣٢ : ٢ .. ومن ثم يمكن أن تشير إلى (آمالهم الشريرة) وخططهم ، أو إلى انتقاداتهم .. وتقول ترجمة NEB ما معناه (ويحبون أن يصنعوا الأسوأ من كل شيء)* .

عند هذه النقطة - إن لم يكن قبلها - على القارىء أن يسأل ما إذا كان أمثال هؤلاء يجب أن يصنفوا على أنهم (هم) أو (نحن) .. وهذا على الأقل كان رد فعل التلاميذ على العدد (٩) فى يوحنا ١٣ : ١٨ و ٢٢ - وقارن (متى ٢٦ : ٢١ وما بعده) عندما اقتبسه يسوع على أنه أمر حل ميعاد تنفيذه على مستوً جديد (وهو - يسوع - قد رأى فى اختبارات داود المثال المصغر لدعوته هو الشخصية (انظر المقدمة - رابعا - د) .

العدد ١٠ : تنتمى هذه الآية إلى الأسباب التى من أجلها يقدم داود التماسه والتى بدأت بالآية (٤) ويمكن أن تقرأ كلها باعتبارها الاستغاثة التى وجّهها إلى الله فى تلك المناسبة .. وتعتبر الآيات من ٤ - ١٠ كلها فقرة واحدة ، إذ أن أقوال أعدائه فى الآيات ٥ و ٨ تعتبر ضمن تقريره الذى يرفعه إلى الله .. والقول التأكيدى فى عدد (١٠) - (أما أنت) يتجاوب مع القول (اعدائى) فى عدد - ٥ - ويستأنف الطِلبة الواردة فى عدد (٤) .. والقول (فأجازيهم) غير عادى من حيث أن المزامير عادة تصلى أن يتولى الله نفسه هذا العمل . إلا أن داود لكونه - ملكا - لديه السلطة أن يعمل بعدل .. وهى القوة التى استخدمها فى الحقيقة بحرص شديد . لكن المقابلة بين رد فعله الشخصى ورد فعل الرب تجاه العداوة والخيانة يبقى مستغربا جدًا .. وهى المقابلة بين العدالة

* والآية (٨) مثال لهؤلاء بتشخيصها للمشكلة على أنها - حرفيا - (عمل بليعال) ولهذه الكلمة الأخيرة اشتقاقات عديدة وكلها مرتبطة بالشر والهلاك ومرادفة للهاوية - كما فى مز ١٨ : ٤ و ٥ ، وتبرز كاسم للشيطان فى ٢ كو ٦ : ١٥ - وقد تحورت فى اللغة اليهودية المتأخرة لتقرأ (بليار) .

التأديبية والنعمة الكفارية .

العددان : ١١ و ١٢ : الكلمة الأخيرة

كان داود يعرف عيوبه ونقصاته تماما (عدد ٤) حتى أنه لا يعتقد أنه دائما على حق ، كما يتضح من موقفه المتواضع أمام « شمعى » (٢ صم ١٦ : ١١) لذلك فإن راحته عند تبريره كانت صادرة من أعماق القلب .. والشيء الكاشف بنفس الدرجة والعنصر الأساسى لارتياحه هو شعوره بالرفقة المتجددة فى القول (إنك سررت بى) ويعززها طموحه الذى يتركز ليس فى (نفسه) بل فى (أقمنى قدامك إلى الأبد) .. ولا تعتبر (إلى الأبد) تعبيرًا مطلقا كما قد يتبادر إلى ذهننا ، لكن ، سواء كان داود يتطلع إلى ما بعد هذه الحياة أم لا (قارن مز ١٦ : ١١) فإن الرد لن يخيب أمله .

العدد ١٣ : تسبيحة شكر فى ختام الجزء الأول من المزامير :

يختتم كل جزء من الأجزاء الخمسة لسفر المزامير بفيض من التمجيد يثبّت بكلمة (آمين) مرتين ، كما هو الحال هنا وفى مز ٧٢ : ١٩ ، ٨٩ : ٥٢ – وآمين هللويا فى مز ١٠٦ : ٤٨ أو أخيرا – هللويا هللويا فى مز ١٥٠ : ٦ الذى هو فى حقيقة أمره (تسبحة حمد) ... ويعود كاتب المزامير دائما – رغم تقلبات مزاجه – إلى الفكرة الأصلية المجسدة فى عنوان السفر تسابيح .

تفسير

الكتاب الثانى

(من مز ٤٢ - ٧٢)

تم تجميع المزامير الواردة هنا ، من مصادر مختلفة : بنو قورح الذين كانوا يلعبون الموسيقى فى الهيكل (مز ٤٢ - ٤٩) وآساف - مؤسس وقائد مجموعة أخرى من مرنمى الهيكل (مز ٥٠) ، وداود (مز ٥١ - ٦٥ ، ٦٨ - ٧٠) ثم سليمان (مز ٧٢) كما أن هناك أيضا ثلاثة مزامير مجهولة الكاتب وهى مز ٦٦ و ٦٧ و ٧١ . ولمزيد من المناقشة انظر المقدمة | ثانيا ورابعا | ب .

مــزمــورى ٤٢ و٤٣

بعيـدًا عن الـوطـن

بينما يمكن ترنيم كل من هذين المزمورين على انفراد إلا أنهما معًا يكوّنان جزأين لقصيدة شعرية واحدة مترابطة تعتبر من أجمل القصائد الحزينة فى سفر المزامير .. ولا يقتصر الأمر على استخدام عنوان واحد للمزمورين بل إن مناجاة النفس فى القول (لماذا تئنين فىّ) الذى يتردد فى المزمورين (مز ٤٢ : ٩ ، ٤٣ : ٢) والقرار الذى يختتم به كل من ٤٢ : ٥ ، ٤٢ : ١١ - يتكرر لثالث مرة فى ٤٣ : ٥ لكى يطوق القصيدة كلها . وهى مرثاة يقدمها واحد من مرنمى الهيكل المسبيين إلى الشمال* قرب منابع نهر الأردن والذى يتوق إلى العودة إلى بيت الرب ، ويحول شوقه إلى يقين ثابت ورجاء فى الرب نفسه .

٤٢ : ١ - ٥ : العطش فى القحط

يبدو أن المرنم كان يكتب وفى ذهنه ألم العطش البطىء المضنى (قارن يوئيل ١ : ٢٠) وهو الموقف الذى صوره إرميا ١٤ : ١ - ٦ بشكل مروع بالأراضى الواسعة ذات الزروع الذابلة وحيواناتها القريبة من الموت .. وتبدو محنته فى أجلى صورها فى القول المفجع (متى) فى عدد (٢) كما أن خواء أرضه يكشفها للناظرين تعييرهم له فى القول (أين) عدد ٣ .. فهو أمام الناس ملوم لأنه أعلن إيمانه ، ويمكن أن يهزأوا به عندما تصبح طرق الله غامضة غير واضحة .. وهو داخليا عرضة للسقوط لأن عطشه هو إلى الله ولن يهدأ قبل أن يروى هذا العطش .. لاحظ التكرار فى الآيتين ١ / ب و ٢** . وهذه (الإبل) العطشى ليست جمالا من حيوانات البرارى المكتفية بذاتها .. وقد

* قارن هذا الموقف بما جاء فى ٢ مل ١٤ : ١٤ - ويرى (مونيكل) أن هذا مزمور للملك المتغرب فى الحرب .. وربما كان مز ٦١ هو الأنسب فى حالة السبى .

** تقول الآية ٢ / ب فى الأصل العبرى (وأتراءى قدام الله) كما فى الترجمة العربية.. لكن نفس الحروف المتحركة العبرية يمكن نطقها بحيث تعنى (انظر وجه الله) .. وهو التركيب اللغوى الأسهل (قارن مثلا مز ٢٧ : ٨) .

اختار المرنم بركة أولئك الذين يجوعون ويعطشون إلى البر وليس إلى الراحة الخادعة التى يعيشها الشباعى بالجسد .

العدد ٤ : كان لب الموضوع فى العبادة الجمهورية بالنسبة للمرنم هو الله نفسه (عدد ١ و ٢) لكن الرفقة والإثارة الطقسية فى مناسبة عظيمة كانت مصدر فرح إضافى – قارن : مع الآخرين فى مز ٤٨ ، ٦٤ ، ٨٤ وترنيمات المصاعد (مز ١٢٠ – ١٣٤) أما إذا كان هذا المرنم يقود العابدين فى عبادتهم أو كان مجرد واحد منهم فهذا يعتمد على معنى الكلمة النادرة « **eddaddem** » التى ترجمت بمعانى مختلفة حسب قراءاتها فى النص الماسوريتى .

العدد ٥ : إن مناجاة النفس هى القرار الرئيسى فى المزمورين – انظر عدد ١١ و مز ٤٣ : ٥ .. وهى محاورة هامة بين عنصرى المؤمن الذى هو فى وقت واحد – رجل ذو قناعات وإيمان ، ومخلوق متقلب – وهو مدعو ليعيش فى الأبدية فتركز تفكيره فى الله لكنه فى نفس الوقت كان العقل والجسد تحت ضغوط لم تستطع – ولا يمكن – أن تتركه سلبيا – قارن قول المسيح فى يوحنا ١٢ : ٢٧ (الآن نفسى قد اضطربت) . إن تكرار المرنم يعلمنا أن ننظر إلى كل من عنصرى وجودنا نظرة جدية .. فليس هناك أى تلميح إلى أن حزنه كان يمكن تجنبه – من جهة – لأنه نابع من حبه – أو أنه كان غير محتمل من جهة أخرى – لأنه لم يهز إيمانه .

مز ٤٢ : ٦ – ١١ ـ الأعماق

يختلف الشكل هنا كلية فإن أفكار المرنم دخلت فى دوامة المنظر الجديد الذى وقف فى وسطه حيث نهر الأردن بالقرب من منبعه على منحدرات (حرمون)* حيث يتدفق بين الصخور ومساقط المياه ، ويبدو أن بعضا من صوت هدير وخرير المياه يتردد صداه فى كلمات الأصل العبرى للعدد (٧) .. وكلمة (غمر) لها الخلفية الرهيبة التى لسفر التكوين ٦ : ٢ .. وهنا صورة

* (جبل مصعر) كان كما يبدو جزءًا من سلسلة الجبال التى يسيطر عليها (حرمون) وإن كان حتى الآن لم يتم تحديد موقعه أو يمكن تخيل أن هذه الكلمة كانت إشارة ساخرة إلى جبل حرمون العظيم نفسه فى روح ما جاء فى مز ٦٨ : ١٥ و ١٦ حيث جعلت القمم العظيمة تبدو كما لو كانت صغيرة إلى جانب جبل صهيون – مسكن الله .

لكل ما هو طاغٍ - لقد ضاع موضع قدميه ، وصارت الأمواج تطمو فوقه واحدة بعد الأخرى ، وهذه هى نفس اللغة التى استخدمها يونان وهو فى أعماق البحر [قارن عدد (٧) مع يونان ٢ : ٣] إلا أن إيمانه ما زال ثابتا فهو يقول فى ٦ / أ (اذكرك) وهذه مقدمة لاستعادة ما سبق أن قاله فى عدد (٤) (هذه اذكرها) أشياء لم تعد فى متناول اليد - ثم ينظر أيضًا إلى المياه العميقة على أنها (تياراتك) (ولججك) وفوق الكل فإن العدد (٨) يحمل تعزيزات عميقة بحضور الله كما أن الآيتين ٩ و ١٠ تتضرران من غيابه (قارن التعليق على الآية / ٥) ..

ليس هناك تخفيف للضغط إلا أن العواطف الآن لها خلفيات من القناعات القوية وعليه فهناك تناقض واضح بين عواطف (النهار) و (الليل) فى العدد (٨) وبينها فى عدد (٣) .. وهنا تتقابل ثلاث جمل مكررة ، لتربط كل الموضوع معًا - فالعدد ٩ (ب) يرتبط بمزمور ٤٣ : ٢ ب - وعدد (١٠) ب يرتبط مع مز ٤٢ : ٣ ب و عدد ١١ مع ٤٢ : ٥ ، ٤٣ : ٥ .

مز ٤٣ : ١ - ٥ : التحرر

على مدى مزمور ٤٢ كله كان هناك اعتماد متزايد على الأشياء التى لا يمكن أن تهتز ، رغم أن عاطفة المعاناة لم تبدر منها أى بادرة للانقضاض ، وتستمر العملية هنا فالمزاج المأساوى (٢ ب ، ٥) يتبادل مع الصلاة المتزايدة القوة :

(إقض لى) عدد (١) هى بداية أكثر مرونة من الاعترافات بالجفاف والعطش والارتباك التى جاءت فى مزمور ٤٢ : ١ و ٢ و ٦ و ٧ التى كانت مع ذلك ضرورية .. كما أن ورطة الظلمة وعدم الأمان لازالت واضحة لنا الآن من خلال طلب إيجابى هو التماس (نورك) و (حقك) الكفيلين بتبديدهما (عدد ٣) .. وكلمات هذه الصلاة صيغت بحيث تثير السؤال عما إذا كانت تتطلع إلى رجوع حرفى للبيت أم لا .. وأن يقاد إنسان إلى الوطن بواسطة نور الرب وحقه يمكن أن يعنى رجوعه من السبى بواسطة الله الذى يستخدم هذه الصفات وإن كانت قد قيلت بطريقة غير مباشرة ... وقد يبدو - على الأقل - أنها تعنى أن المرنم يستطيع - بواسطة النور والحق - أن يتمتع ببركات (جبل قدسك) و (مساكنك) حتى وهو فى السبى .. وكثيرا

ما تتحدث المزامير عن هذه المرادفات الروحية لمظاهر العبادة الخارجية مثلا :
(مز ٥٠ : ١٣ و ١٤ ، ٥١ : ١٧ ، ١٤١ : ٢ .

وعليه فإن التكرار الرئيسى (عدد / ٥) بظهوره للمرة الثالثة يمكن أن تأخذ كلمات مز ٤٢ : ٥ و ١١ الشجاعة بنغمة مختلفة نغمة واثقة أكثر منها متحدية معاندة .. وسواء كان الاتجاه إلى العودة مضمونا أم لا فإن الشاعر يستطيع أن يمجد الله ويسبحه باعتباره (بهجة فرحى) وليس فقط (عونى) بل (خلاص وجهى) . إن شيئا لم يتغير فى الظاهر .. إلا أنه انتصر وفاز بالخلاص .

المــزمــور الــرابــع والأربعــون

هـزيمــة قـوميــة

يجتاز المتألم البرىء الكثير من اختبارات فحص القلب فى المزامير ، لكن الوحدة الأكبر وهى الأمة تكون دائما أقل يقينًا من براءتها .. فخطاياها يمكن بسهولة أن تكون السبب لكل متاعبها ... وربما كان هذا المزمور هو أوضح مثال عن البحث عن سبب آخر للأحزان القومية غير الجريمة والعقاب .. وتكاد تقترب من الجواب عند بلوغه أوج الحيرة فى القول (لأننا من أجلك نمات كل النهار) عدد - ٢٢ - وللحظة يمكن أن ترى شعب الله وقد أُمسكوا فى حرب أكبر من أن تكون حربا محلية .. حرب « ملوك الأرض ... ضد الرب ومسيحه » مز ٢ : ٢ .. ويرى العهد الجديد فى الكثير من مثل هذه الحالات - أن الكنيسة المضطهدة تتمثل هنا وإن كانت تشخصها على أنها نصر وليست هزيمة (رومية ٨ : ٣٦ وما بعده) .

والقول (ذرّيتنا بين الأمم) عدد ١١ - وكون الشعب مستريح الضمير فيما يتعلق بالوثنية - عدد ١٧ وما بعده - يبدو لأول وهلة أنه يشير إلى زمن ما بعد السبى حين كتب هذا المزمور - لكن لقد كانت هناك عمليات ترحيل ونفى قبل السبى (قارن مثلا عاموس ١ : ٦ و ٩.. ومثل هذا المزمور - شأنه شأن مز ٦٠ الداودى (الذى يحتوى على تماثلات قوية مع هذا المزمور) إنما هو مذكّر بأن الهزائم كانت معروفة حتى فى أيام حكم الملوك الصالحين .. ووضع هذا المزمور فى الكتاب الثانى (الجزء الثانى) من المزامير يجعل من الأرجح تحديد تاريخ قبل السبى وليس بعده .

الأعداد ١ - ٨ الماضى المجيد :

عندما قرنت (ابتهالات كرامر) العدد الأول من المزمور مع العدد الأخير منه ، باعتبارهما إعلانًا ومناشدة فقد عامل الصلاة كأنها ميراث مسيحى ، وليس مجرد أثر من الآثار الإسرائيلية ، تماما كما فى رومية ٨ : ٣٦ . والمزمور نفسه يبنى قضيته على أساس الاستمرار المتوقع من كل أجيال شعب الله .

الأعداد ١ - ٣ : تزداد الرابطة مع الماضى قوة وذلك لأن اختبارات الآباء لم تكن ملكًا لهم بل لله ، فلا توجد هنا التفاتة إلى الماضى إلى جنس من الأبطال

قد مضى وانقضى .

الأعداد ٤ – ٨ : كذلك فإن سر نجاحهم لم يُفقد ، فإذا كان الملك هو المتكلم فى عدد (٤) فهو يعلن أن إسرائيل ما زال يُحكم بحكومة دينية كما كان دائما .. والصرخة القائلة (انت هو ملكى يا الله) عدد ٤ – هى إعلان الولاء – متبوعة مباشرة بصلاة وكلمات ثقة واتكال .. والتأكيد القوى الوارد فى عدد ٦ – (على قوسى لا أتكل وسيفى لا يخلصنى) هو صدىً واضحًا لما جاء فى عدد ٣ – (لأنه ليس بسيفهم امتلكوا .. ولا ذراعهم خلصتهم) .. لم يتغير شيء فى معاركهم – كما يبدو – إلا نتائجها المشئومة .. وهذا هو موضوع الفقرة التالية .

الأعداد ٩ – ١٦ : الحاضر الملىء بالكوارث

يتطابق العدد ٩ / ب تماما تقريبا مع مز ٦٠ : ١٠ وعلى ذلك فإن الباق ليس بمستغرب .. بل يعتمد بالأكثر على المعنى الذى يتحقق منه .. والذى ستكشف عنه الأعداد ١٧ وما بعدها وفى هذه الأثناء يتعمق أسى شعب الرب فى كل سطر من سطور الأعداد ١٠ – ١٢ مع الهزيمة المنكرة ، والنهب والذبح والتشتت والعبودية .. والأسوأ من كل هذه : هزيمتهم الداخلية الموضحة فى عددى ١٥ و ١٦ .. فقدان تام للثقة .. وذلك لقبولهم تقييم العالم لهم فى عددى ١٣ و ١٤ .. إنهم أكثر من منهزمين .. إنهم فى فوضى ومحبطون إلا أنهم ليسوا محبطين لدرجة أن يكفوا عن محاولة فهم أسباب ما حدث ، وسيقودهم ذلك فى الفقرة التالية – كما يقودنا – إلى حافة إجابة العهد الجديد ..

الأعداد ١٧ – ٢٦ : لماذا يا رب

تبدأ الحقيقة المهمة – فى الأعداد ١٧ – ٢٢ الفاحصة للقلب – فى الظهور وهى أن الأسى شيء يختلف عن العار ، فالهزائم التى بدت أنها تثبت انسحاب الله فى غضبه توحى الآن أنها لم تكن سوى إعلان رفضه لأن يُستحث (أعداد ٢٣ وما بعدها) أو أن يفعل ما كان ينتظره منه الجميع .. والمزمور يستكشف التقلبات المحيِّرة التى لها مثيلاتها فى التاريخ المسيحى .. فترات مباركة وفترات جدباء – تقدم وتأخر .. مما قد لا يتمشى مع تغير ولاءات الإنسان أو وسائله .. ورغم أن صورة (الرب الغافل) قد تبدو لنا ساذجة إلا أنها

استخدمت فى العهد الجديد لتعطينا درسًا لا يزال مناسبًا حتى الآن (قارن عدد ٢٣ مع مرقس ٤ : ٣٨) .

لكن المشكلة المحيرة تكمن فى عدد (٢٢) بالقول (من أجلك) الذى لم يكمله المزمور – إلا أنه يتضمن الفكر الثورى بأن المتاعب والآلام يمكن أن تكون (وسام شرف فى المعركة) أكثر منها عقابًا .. ثمن الولاء فى عالم متحارب مع الله ، وإذا كان الأمر كذلك فإن انتكاسة أو نصرًا يمكن أن يكون علامة على مشاركة معه وليس تحولا عنه لذلك فإن بولس يقتبس الآية (٢٢) ليس بطابع اليأس (أكثر من منهزمين) – (انظر التعليق على الأعداد ٩ – ١٦) بل عن امتناع بأن (فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا رومية ٨ : ٣٧) . إن التعافى الإلهى والاحتجاب وعدم الانتباه الواردة فى عددى ٢٣ و ٢٤ كلها مظاهر خارجية أما الحقيقة الكامنة خلفها فتأتى فى آخر كلمات المزمور (رحمتك) .

المزمور الخامس والأربعون

الزفاف الملكى

إن بركة الزفاف هذه رائعة بنفس روعة المناسبة التى تشرفها .. ففى كل سطر تتبدّى العظمة الظاهرية للحدث نفسه ، وتحت السطح يمكننا أن نشعر بخطورته بالنسبة للشخصيتين الرئيسيتين .. أولاً وأخيرًا .. (أعداد ١٠ و ١١ و ١٦ و ١٧ فهو محورى ليس فقط بالنسبة لهما بل بالنسبة للمملكة التى يرتبط مستقبلها بالأبناء الذين سينجبونهما .. وفوق هذا وخلفه ، فإن المزمور (مسيّانى) .. إذ تزهر التحيات الملكية فجأة وتثمر امتيازات إلهية (عددى ٦ و ٧) وسيعطيها العهد الجديد قيمتها الكاملة .. وهذه النقطة الأخيرة يحتمل أن تكون لها إشارات إلى نموذج آخر من شعر الزفاف (نشيد الأنشاد) حيث يتبين من عنوان المزمور (ترنيمة محبة) ولغته أنه يندرج تحت طائفة (شعر الزفاف) كما هو الحال مع نشيد الأنشاد .. إلا أنه يتكلم هنا – بلا شك – عن المسيح وهو اثبات كافٍ بأن أىّ من المعنيين لا يستبعد الآخر . إلا أن أفسس ٥ : ٣٢ و ٣٣ تحسم الأمر تماما .

العنوان : (على السوسن) – انظر ما يخصها فى المقدمة . سادسا جـ / ٣ – وعن (قصيدة) و (إمام المغنين) انظر المقدمة .

العدد (١) مقدمة أبيات شعر للملك :

هذه واحدة من المناسبات النادرة التى يسمح لنا المرنم فيها أن نلمح شيئاً من عملية الكتابة (قارن ٢ صم ٢٣ : ٢ ، مز ٣٦ : ١ (انظر التعليق) ومز ٣٩ : ٣١ ، ٤٩ : ٣ و ٤ ، ٧٣ : ٢ وما بعده ، ٧٨ : ٢ و ٣ – والآية (١) هنا تحكى عن موضوع صاحب لدرجة أنه لا يُسمع ، وقلب الشاعر مفعم به فتخرج كلماته بطلاقة .. وفى الفقرات الأخرى تبدو مظاهر الوحى المختلفة ... وكذلك أيضا فى الناموس والأنبياء .

الأعداد ٢ – ٥ : المنزلة الملكية الرفيعة

هذا الملك ليس ملكا صوريًا بل هو تجسيد لكل ما يعطى للملكية مجدها الفريد .. بإدعائها الجمع بين الاستمرار إلى الأبد .. عدد ٢ / جـ و ٦ / أ –

والجلال الشخصى الممجد – فى شخص واحد .. وكان يمكن أن تعتبر الصورة اصطلاح تملقى لولا الملك الوحيد الذى يمكن أن تقال عنه هذه الأوصاف بحق . (إنه معْلَمٌ بين ربوة) نش ٥ : ١٠ – قارن عدد ٢ / أ – و (لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان) يوحنا ٧ : ٤٦ . (قارن عدد ٢ – ب) وهو (وديع ومتواضع القلب) متى ١١ : ٢٩ .. ومع ذلك فقد (خرج غالبا ولكى يغلب) رؤيا ٦ : ٢ (ويسمى أمينا صادقًا) – قارن عدد ٤ أ و ب .

العدد ٢ : عبارة (باركك الله إلى الأبد) كان يمكن أن تلى مباشرة الكلمات الأخيرة من رومية ٩ : ٥ ، وإذا كان الأمر كذلك فتكون حقيقة أن المزمور يخاطب الملك فيما بعد باعتباره الله (عددى ٦ و ٧) ذات دلالة فى الرد على السؤال المحير عما يقصده بولس فى هذه النقطة .

العدد ٤ : أوحت هذه الآية إلى الشعراء بالعديد من الترانيم فى الإنجليزية وفى إحداها يقول الشاعر : « أيها المخلص الوديع – تابع طريقك » حيث يستمد فكرة الوداعة من النص العبرى للآية التى تعنى حرفيًا (من أجل الحق ووداعة البر) التى يسّرتها التراجم القديمة بإضافة حرف (و) فأصبحت كما فى الترجمة العربية (من أجل الحق والدعة والبر) كما يسّرتها معظم الترجمات الحديثة بتعديلات أكثر جرأة فى النص العبرى .. وعلى العموم فإن الحل الأبسط لا يزال هو – كما يبدو – ما جاء فى الترجمة العربية .

الأعداد ٦ – ٩ : حالة ملكية

تقدم لنا الكلمات (كرسيك) و (قضيب ملكك) الملابس الرسمية الرائعة ورموز الملك الذى لا يصعب عليه أو على بطانته شيء مهما ندر ولا يتعالى عليه إنسان .. ولكن هذه أشياء ثانوية بجانب الكلمات المذهلة الموجهة إلى الملك فى الآيتين ٦ و ٧ .. وقد تجنبت بعض الترجمات الإنجليزية المعنى البسيط للعدد (٦) (الذى تعززه كل من الترجمات القديمة والعهد الجديد) باختزال عبارة (كرسيك يا الله) إلى شيء أقل روعة لكن النص العبرى هنا لا يسمح بأى اختزال .. والعهد الجديد وليست الترجمات الحديثة هو الذى يعطى المعنى حقه عندما يستخدم الآية ليثبت سمو ابن الله حتى عن الملائكة (عب ١ :

٨ و ٩) .. وبالإضافة إلى ذلك فإن العدد (٧) يميز بين (الله) و (إلهك). وبين الملك الذى خوطب فى عدد (٦) بأنه (الله) وهذا التناقض الظاهرى يتمشى مع التجسد لكنه غير مفهوم بالنسبة لقرائن أخرى .. وهو نموذج للغة العهد القديم التى تتخطى حدودها لتطلب ما لا يستطيع الإنسان تحقيقه (كما فعل مز ١١٠ : ١ بالنسبة للرب يسوع) والغريب حقا هو أمانة الترجمة السبعينية فى ترجمة هذه الآيات قبل ظهور المسيحية .

العدد ٨ : (قصور العاج) سُميّت هكذا لاستخدام العاج فى زخرفتها وكسوتها والإشارة هنا إلى أن محتوياتها تتساوى معها فى فخامتها – وهكذا كان قصر (آخاب) مزينا (١ مل ٢٢ : ٣٩) وكذلك بعض البيوت العظيمة (عاموس ٣ : ١٥ ، ٤ : ٦) .

العدد ٩ : ويصل وضع المنظر إلى ذروته ببلوغ المكان المعد (للملكة) نفسها التى ستكون موضوع الجزء التالى من المزمور .. التى سيكون موضعها إلى جانب الملك ليس فقط فى حفل الزفاف بل فى أمور المملكة نفسها (نحميا ٢ : ٦ ، وبالقياس أيضا فى أفسس ٢ : ٦) .

الأعداد ١٠ – ١٢ : ولاء العروس وإخلاصها

يؤكد الزفاف الملكى بكل وضوح على عملية (الفراق والبداية الجديدة) التى تعتبر أساسية لكل زواج .. ويقع العبء هنا على العروس باعتبارها ابنة ملك (عدد ١٣) التى يجب ألا تتنافس ولاءاتها السابقة مع الجديدة .. وهذه الآية تقف ندًا هامًا أمام (تك ٢ : ٢٤) التى شددت على ضرورة أن ينفصل الرجل أيضا عن بيته السابق ويعطى نفسه لزوجته .. وتبدو لمحة من هذا أيضا هنا ليس فقط فى اشتهائه لعروسه (١١ / أ) بل بتوجّهه الجديد إلى المستقبل ليصبح أبًا أكثر منه ابنا . (عدد ١٦) .

العدد ١٢ : يمضى تسليم العروس نفسها لشريك حياتها كزوج وكملك – عدد ١١ ب وقارن استخدام سارة لكلمة (سيدى) فى تك ١٨ : ١٢ – جنبا إلى جنب مع كرامتها التى تستمدها منه ، فإن اصدقاءه ورعاياه هم لها منذ الآن .. فهى رابحة وليست خاسرة بإعلان ولائها .. (صور) تذكر باعتبارها قمة الثروة (قارن حزقيال ٢٧) وباعتبارها أيضا شريكًا قديما فى التجارة مع داود وسليمان .. والقول (بنت صور) يحتمل

أن يعنى (شعب صور) - قارن إش ٤٧ - وليس شخصية مفردة - وقد أضافت بعض الترجمات الحديثة الجزء الأول من عدد (١٣) إلى عدد (١٢) .. وسواء كان الأصح هذا الوضع أم الوضع القائم حاليا - فهو أمر قليل الأهمية .

الأعداد ١٣ - ١٥ : موكب العروسين

تقول بعض الترجمات « كلها مجد ابنة الملك فى الداخل » لكن الأصح أن يقال « كلها مجد ابنة الملك فى خدرها » - كما فى الترجمة العربية - لأن كلمة (فى الداخل) العبرية تعنى عادة - داخل مبنى - ومن خدرها تبدأ العروس مسيرتها تجاه (قصر الملك) عدد ١٥ - وبدل العبارة - عذارى صاحباتها - يمكن القول ببساطة (اشبينات العروس) وتقديم العروس (تُحضر إلى الملك)- فى أبهى زينتها بينما هو فى انتظارها فى كامل ملابسه الرسمية ، ليست هذه عملية رسمية مبالغًا فيها .. بل هى النظير العملى لقول بولس « لأقدم عذراء عفيفة للمسيح » ٢ كو ١١ : ٢ - وتُبرز أهمية أول زفاف فى البشرية حيث « أحضر » الله المرأة للرجل ، والزفاف الأخير حيث تأتى الكنيسة (مهيأة لرجلها) .. وإغفال مثل هذه العناصر عند عقد الزواج معناه الإقلال من شأنه والانتقاص من قيمة التكريم الواجب بين العريس والعروس ومكانتهما التى يحتلانها فى المجتمع .

الأعداد ١٦ و ١٧ : أبناء لوراثة العرش

يوجّه الخطاب الآن إلى الملك حيث أن الضمير (مذكر) .. وقد جاء دوره ليُوجَّه إلى المستقبل بدلا من الماضى (عدد ١٦ - وقارن عدد ١٠) بالوعد بأمجاد جديدة ، ويمكن أن تكون هذه الكلمات ببساطة هى الأمنيات الرسمية الطيبة اللائقة بملك ، تماما كالقول (عش إلى الأبد) .

لكن الوحى المسيانى للأعداد ٦ و ٧ يعدّنا لكى نفهمها على أنها بشارة وإشارة إلى الله (وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد) عب ٢ : ١٠ و ١٣ - أولئك الذين سيحكمون الأرض مع سيدهم ، ويصير تمجيدهم للرب بلا نهاية كما تعطيهم بركته أن يمجدوه .

المـزمـور الســادس والأربعــون

مـدينـة لا تتـزعـزع

أوحى هذا المزمور إلى (مارتن لوثر) بالترنيمة المشهورة (الله ملجأ لنا ...) التي كانت شعارًا للإصلاح .. والمزمور يظهر سلطان الله في مجالٍ إثر مجال .. سلطانه على الطبيعة (١ - ٣) وعلى المهاجمين لمدينته (٤ - ٧) وعلى عالم الحروب كله (٨ - ١١) .. إن لهجته القوية المتحدية ، توحي بأنه كُتب في زمن أزمة مما يضاعف مفعول الاعتراف بالإيمان ، ولكن طالما أن الأزمنة غير معروفة ، ولما كان المزمور يتخطى أي موقف محلّي ، فلا فائدة تجنى من التخمين التاريخي .. وعن النظرية التي تقول إن أصل المزمور يمكن البحث عنه في دراما طقسية .. انظر المقدمة (ثالثا) .

العنوان : انظر المقدمة - سادسًا .

الأعداد ١ - ٣ : الله وسط الضيقات

حتى وقت قريب كان لدى الإنسان بضعة أفكار يختزنها عن إمكانة حدوث كارثة عالمية ، لكن هذا المزمور يمكن أن يواجهها بلا خوف لأن جملته الافتتاحية تعني بالضبط ما تقول : إن أمننا الحقيقي هو في الله .. الله وحده وليس معه أي شيء آخر ، وتتضح هذه الثقة بنفس الوضوح الذي يظهر به التهديد الذي نتعرض له .

العدد الأول : (ملجأ) تعطينا الجانب الدفاعي أو الخارجي للخلاص - الله ، الذي ليس فيه تغيير أو ظل دوران - الذي نجد فيه الحماية .. (قوة) يمكن أن تتضمن العامل الفعال : الله في الداخل يقوي الضعيف ليعمل .. وهذان التعبيران يتلخصان في القول (عونا في الضيقات وُجد شديدًا) مما يوحي بأنه « مستعد أن يوجد » كما يستخدم أصل الكلمة في إش ٥٥ : ٦ - وأنه فيه الكفاية لكل ظرف - (يشوع ١٧ : ١٦ وزكريا ١٠ : ١٠) .

العددين ٢ و ٣ : ليست هذه مجرد صورة كلامية قوية مكونة من الشيئين الأكثر ثباتا وصلابة (الأرض والجبال) في مقابل ما يرمز إلى أكثر الأشياء تزعزعًا وعرضة للخطر (البحر) بل هي تبدأ في توقع نهاية كل نظام الخليقة -

الذى ثبت الأرض والجبال والبحار كلاً فى مكانه كما جاء فى مز ١٠٤ : ٥ - ٩ .. وهذا الانحلال النهائى غير الواضح تماما هنا يفسَّر فى مز ١٠٢ : ٢٥ وما بعده حيث يتضح بنفس الجلاء الأمان النهائى لعبيد الله .

الأعداد ٤ - ٧ : الرب فى مدينته :

يتحول المزمور من انقلاب الطبيعة إلى غضب الإنسان وإلى مدينة تحت الحصار .

العدد ٤ : مع الله يتحول البحر الهائج إلى نهر يعطى الحياة - والبحار والأنهار فى مز ٩٨ : ٧ و ٨ ترحب بخالقها - قارن أيضا صورة معونة الله التى صورت (كمياه شيلوه الجارية بسكوت) إش ٨ : ٦ .. (مدينة الله) واحدة من الموضوعات العظيمة فى العهد القديم وخاصة فى المزامير حيث يكون هذا المزمور والمزموران التاليان له مجموعة جديرة بالملاحظة : [وانظر أيضا مزامير ٦٥ و ٦٨ و ٧٦ و ٨٤ و ٨٧ و ٩٩ و ١٢٢ و ١٢٥ و ١٣٢ و ١٣٤ و ١٣٧ وغيرها] .. واختيار الله لصهيون أو أورشليم كان اختيارا لافتًا للنظر تماما كاختياره لداود ، ويظل التعجب بشأنه يتبدى ، لأنها ليست قوية (عدد ٥) أو ذات أهمية إلا لكونها مسكن الله . ومع ذلك فإنها ستظل - بهذا الاعتبار - موضع حسد العالم (مز ٦٨ : ١٥ و ١٦) والمدينة الأم لكل الأمم (مز ٨٧) بل الحقيقة أن العهد القديم يشير فعلا إلى نظرة العهد الجديد لأورشليم باعتباره مجتمعا سماويًا أكثر منه مكان على الأرض (قارن التعليق على مز ٤٨ : ٢) .

عدد ٥ : الوعد (فلن تتزعزع) يكتسب قوة خاصة من تكرار كلمة (تتزعزع) المستخدمة عن الجبال (عدد ٣) والممالك (عدد ٦) وتأثير ذلك بمقارنتها بأورشليم الصغيرة . كما أن القول (عند إقفال الصبح) تردد صدى الخلاص العظيم ، لحظة أن (رجع البحر عند إقبال الصبح) فابتلع جيوش المصريين (خروج ١٤ : ٢٧) .

العدد ٦ : تظهر الدينونة هنا - كما فى أماكن أخرى - فى شكلها المزدوج : أولا - اكتمال التزعزع المتأصل فى الشر .. حيث النتيجة المناسبة للعجيج هى عدم الإحساس بالأمن - وثانيا : تدخل الله .. الذى سيصبح

(صوته) حاسمًا فى إذابة الأرض كما كان فى خلق الأرض (قارن مز ٣٣ : ٦ و ١٠) .

العدد ٧ : يتكلم الجزء الأول من هذا (القرار) عن القوة (وسواء كان الجنود هم جيوش إسرائيل كما يمكن أن يوحى ١ صنم ١٧ : ٤٥ - أو جنود السماء كما فى ١ مل ٢٢ : ١٩) ويتكلم الجزء الثانى من الآية عن النعمة ، وذلك بذكر (يعقوب) مختار الله .. وكلمة (ملجأنا) هنا وفى عدد (١١) متميزة عن تلك الواردة فى عدد (١) ، وتتضمن سموًا لا يدَانَى .

الأعداد ٨ - ١١ : الرب يتمجد فى الأرض

هذا منظر للأشياء التى لابد ستحدث فى الأيام الأخيرة ، ورغم أن انتصارات الحاضر مقدمة لها .. والقول (هلموا) يستخدم عادة للنظر بالعين الباطنية كما يرى (الرائى) أو (النبى) .

ورغم أن النتيجة هى (سلام) فإن العملية نفسها دينونة .. والكلمات المطمئنة (مسكّن الحروب) لم توضع فى قرينة (أو أسلوب) اقناع لطيف بل كمن يتكلم عن عالم مخرَّب تم نزع سلاحه عنوة (٨ و ٩ ب) [الكلمة العبرية المترجمة (مركبات) تعنى عادة (عربات) ولما كانت الكلمة العبرية التى تعنى (عربة) لها نفس الحروف المتغيرة التى للكلمة (دروع) عدا واحدا فإن بعض الترجمات قالت « الدروع يحرقها بالنار »] وهذه النتيجة تتفق مع هدوء الجانب البعيد من الدينونة ومع العهد الجديد أيضًا (مثلا إش ٦ : ١٠ - ١٣ ، ٩ : ٥ ، دانيال ١٢ : ١ ، ٢ بط ٣ : ١٢ و ١٣) .

العددين ١١ و ١٢ : وهكذا أيضًا فإن النصيحة (كفُّوا) أو (اسكتوا) ليست فى المقام الأول (راحة) للمنزعج بل هى توبيخ للعالم القلق الهائج (سكوت) بل بالحقيقة (توقف) .. وهى تشبه الأمر الذى صدر لبحر هائج آخر « اسكت ، إبكم » مرقس ٤ : ٣٩ .. والنهاية التى أمامنا موضحة بعبارات لا تتكلم عن آمال إنسان بل عن مجد (الله) - والتعبير (أنا أتعالى) كافٍ ليثير حُنق المتكبرين ، لكنه أيضا يثير أشواق وعزم المتواضعين (ارتفع اللّهم على السماوات) مز ٥٧ : ١١ - وأيضًا ثقتهم المتجددة .. ويعود (القرار) بقوة أكبر .. طالما كان مثل هذا الإله معنا .. وكان هذا الرب الممجد المتعالى هو حصننا » .

المزمور السابع والأربعون

(صيحة الملك)

من أول كلمة فى المزمور إلى آخر كلمة فيه تسرى الإثارة والابتهاج المصاحبان لعملية التتويج ، والملك هو الله نفسه ، وتقول مدرسة فكرية قوية إن هذا المزمور ، وغيره مثل مز ٩٣ ، ٩٥ - ٩٩ نبعت من احتفال سنوى تمثل فيه تفوق قوة الرب على أعدائه ، وتسلطه على كل الخليقة (انظر المقدمة - ثالثا) لكن الإشارة إلى الله باعتباره الملك تجعل الشعر يتدفق فى وصف هذا التناظر سواء كان هناك احتفال أم لم يكن - وأكثر من الشعر فإننا نجد هنا النبوة التى تصل إلى الذرى بعيدة المدى بشكل غير عادى .

الأعداد ١ - ٤ : ملكنا ، قاهرهم

إن البداية بالنداء على جميع الأمم تهيىء المنظر ، فنرى (الأمم) (الشعوب) وكل الأرض ، وهى كلمات تسود على المزمور كله ، كما أن نغمة الابتهاج (عدد ١) تسود أيضا . لأن هذا الملك ليس طاغية ، لكن المقطع الشعرى الأول يؤسس سبب (مهابته) ولا يدع مجالاً لأية اعتراضات على دينونته وحقه فى الاختيار (٣ و ٤) مما يعطى انطباعا عن التحيز ، حتى نجد فى الآية الأخيرة الحل ... وفى هذه الأثناء ، يستطيع يعقوب أن يفرح بلا خجل بانتصاراته وامتياز معرفة الله بالاسم (الرب) فى ٢ / أ - أى (يهوه) وبلقبه أيضا (قارن مز ١٤٧ : ١٩ و ٢٠) .

العدد ٤ : (فخر يعقوب) وهى طريقة مختصرة للقول (أرض يعقوب المجيدة) .. والقول (يعقوب الذى أحبه) يمكن أن يثير السؤال : لماذا ؟ .. هذا السؤال الذى ليس له جواب ، سواء كان موضوع الحب هو (يعقوب) أو (أنا) أو (الكنيسة) أو (العالم) . (قارن غلاطية ٢ : ٢٠ وأفسس ٥ : ٢٥ ويوحنا ٣ : ١٦) . إن اهتمام الكتاب المقدس - بدلا عن الرد - هو أن يتعامل مع ردودنا الخاطئة (تث ٧ : ٧) وشكوكنا (ملاخى ١ : ٢ وما بعده) وخياناتنا (هوشع ١١ : ١ و ٢) .

الأعداد ٥ - ٧ موكب ملكي واستقبال ملكي :

يعتبر ما جاء فى ٢ صم ٦ : ١٥ مفتاحًا للعدد (٥) حين أحضر داود تابوت العهد إلى مدينة داود ليجعل تلك المدينة مسكن الله .. والقول (صعد الله بهتاف) (بصوت الصور) فى المقطعين (٢ صم والمزامير) متطابق تماما فى الأصل العبرى ، وعليه فإن الله هنا يصوَّر كأنه يعتلى عرشه الأرضى ، سواء كان يتم تمثيل هذا دراميا فى موكب التابوت أم لا .. وصيغة الفعل (صعد) قد تعنى الإشارة إلى الحدث الفريد العظيم الذى تم أيام داود .

العددين ٦ و ٧ : التكرار المُلح لكلمة (رنموا) توحى ببعض ملامح صوت الجماهير وهى تهلل - والكلمة الأخيرة فى العدد (٦) هى حرفيا (قصيدة) كما فى عناوين المزامير ٣٢ ، ٤٢ .. انظر المقدمة - سادسًا - لذلك فقد ترجمت بعض الترجمات هذه الآية كما يلى : (رنموا لله رنموا. رنموا لملكنا رنموا بمزامير) .. لكن الكلمة العبرية ذات أصل يحمل معنى الحكمة والمهارة لذلك نقلتها ترجمة أخرى (رنموا بكل ما لديكم من فن) أو (بفهم) .. وهذه الأخيرة تتفق مع الجملة أكثر من غيرها وهى الترجمة السبعينية لهذا العدد ، الذى يبدو أن بولس كان يفكر فيه عندما كتب ١ كو ١٤ : ١٥ (أرتل بالذهن أيضا) .

العددين ٨ و ٩ : عرش واحد وعالم واحد

يتخذ منظور المزمور مساحة جديدة تماما فى العدد الأخير ، فإلى هنا كانت علاقة الله بالعالم ككل تقدم لنا كعلاقة ملك كبير (عدد / ٢) أى امبراطور ، وشعبه متميز عن سائر رعاياه خارج الدائرة (٣ و ٤) .. والآن ، بكلمة واحدة تظهر لنا النهاية الحقيقية ، الرؤساء والأمراء والشعوب التى لا حصر لها سوف تصبح شعبًا واحدًا ولن يصيروا فيما بعد (خارج الدائرة) بل (فى العهد) وهذا يتضمن فى تسميتهم (شعب إلهٰ إبراهيم) .. وهذا هو التحقيق الوافر للوعد الوارد فى تك ١٢ : ٣ .. وهو يتنبأ بتفسير بولس عن انضمام الأمم إلى شعب أولاد إبراهيم (رومية ٤ : ١١ وغلاطية ٣ : ٧ - ٩) .

إلا أن المزمور ينسب ذلك - على نحو مميز - إلى موضوعه الأصلى - مجد الله الملكى - والتعليق على ذلك ليس هو أن الأمم ستعيش فى سلام ، وأن

هذا حقيقى - بل بالحرى أنه « هو متعالٍ جدًا » وقد كان هذا هو ذروة مز ٤٦ : ١٠ - بكلمات أخرى - وفى هذه الأثناء سيكشف الإنجيل نوع التمجيد الغير منتظر الذى سيفتتح عملية تجميع الشعوب . « وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلىّ الجميع » يوحنا ١٢ : ٣٢ .

المزمور الثامن والأربعون

(مدينة الله)

هناك الكثير من الأفكار المشتركة بين هذا المزمور ومز ٤٦ ، من حيث جو الابتهاج الذى يعقب الخلاص العظيم . ونحن نشعر هنا بخلفية أوسع من جبال يهوذا - أيا كانت المناسبة التى أوحت مباشرة بالمزمور ، فصهيون هى أكبر من مجرد عاصمة إقليمية ، والصراع يخص الأرض كلها وامتداد الزمن بلا نهاية .. وهنا يبدو للناظر مخطط تمهيدى لمدينة أورشليم السماوية بأسوارها العظيمة وأساساتها التى هى إلى الأبد .

الأعداد ١ - ٣ : الملك فى مقر إقامته

إذا كان هذا المزمور (مزمور صهيون) فيكون ذلك ببساطة من أجل الملك العظيم الذى يملك هنا .. كما أشار المسيح فى اقتباسه عدد (٢) فى متى ٥ : ٣٥ - فالمزمور ينظر إلى المدينة كما ستصير عندما (تجرى إليها كل الأمم) إش ٢ : ٢ وما بعده .. لأنها بالتأكيد لم تصبح بعد (فرح كل الأرض) .. وهو يصور - بتغير مفاجىء ومؤثر فى الجملة - صهيون الحرفية بعبارات تخص صهيون السماوية .. المجتمع الذى يملك عليه الله - بتحديده بالقول (أقاصى الشمال) أبعد من كل الأماكن .. وقد كان هذا تعبيرا تقليديا إسرائيليا كما كان بالنسبة لجيرانها أيضا .. لأن كرسى الله الملكى فى إش ١٤ : ١٣ يعادل (السماء) .

العدد ٣ : لكن صهيون أيضا موجودة على الأرض وفى نطاق التاريخ ، وتحتاج إلى تحصينات (حصون .. أبراج كما فى عددى ١٢ و ١٣ .. وليس مجرد قصور مزركشة) رغم أن الرب هو الذى يحصنها .. وهى تنظر إلى الوراء فترى كيف كشف الله عن قوته فى الظروف الطارئة .. وهناك نفس الخلط بين الاحتياطات الدنيوية والمعونة المعجزية كما فى اختبارات الكنيسة .

الأعداد ٤ - ٨ : حشد الملوك

(الملوك) عدد ٤ .. بصيغة الجمع .. و(سفن ترشيش) أى الأسطول العظيم الذى يمخر المحيطات ، يبدو أنها تشير إلى صراع أوسع من أى هجوم

على أورشليم فى زمن العهد القديم .. ويبدو المنظر مشابهًا للمؤامرة العالمية فى (مز ٢) وإن كان يمكن أن تكون أساسًا مع وحى الجيش الأشورى العظيم الذى (كل رؤسائه ملوك) إش ١٠ : ٨ - كما يشير كيركباتريك وآخرون .. الذين وعد الرب أن يهزمهم مستخدما نفس الفعل الأساسى (أحطِّم) إش ١٤ : ٢٥ ..

واللغة هنا مناسبة للاحتفال بالانتصارات العظيمة « فى حروب الرب » ولكى تتوقع النهاية نفسها . ويمكن للكنيسة أن تترنم بهذا المزمور وفى ذهنها انتصارات الإنجيل ، وعينها تترقب الحشد النهائى للمؤمنين ، والعدد (٧) له صدى فى حزقيال ٢٧ : ٢٦ حيث تحطم الريح الشرقية سفن كنوز « صور » التى أضحت بدورها رمزًا لنهاية العالم فى رؤيا ١٨ (قارن رؤيا ١٨ : ١٧ وما بعده مع حزقيال ٢٧ : ٢٩ وما بعده) .

العدد ٨ : التسلسل : (سمعنا .. ورأينا) كثيرا ما يتردد فى الكتاب المقدس فى مجال التأكيد والإيمان حيث أن الإيمان يعتمد على الشهادة (رومية ١٠ : ١٧) وما تحتويه من دليل لاتباعه .. وصعوبة أى شيء نسمعه تظهر بشدة فى مز ٤٤ : ١ و ٩ وما بعده .. والرؤية اللاحقة يمكن أن تكون منعشة - كما هو الحال هنا - أو مبهرة - كما فى أيوب ٤٢ : ٥ و ٦ مثلا - يوحنا ٢٠ : ٢٨ وما بعده ، وربما فى كثير من الأحيان يكون لها الأثرين معًا بدرجة أو بأخرى .

الأعداد ٩ - ١١ جوقة التمجيد :

(ذكرنا يا الله) - المقصود بالفعل ذكرنا هذا هو القول (تصورنا) أو (استعدنا شكلا فى الذهن) كما تفهمها أغلب الترجمات القديمة والحديثة .. لكن إحدى الترجمات الإنجليزية (NEB) ترى هنا تمثيلاً طقسيًا فتقول (نحن نعيد تمثيل قصة) رحمتك .. وهذا قد يكون ممكنا إلا أنه مشكوك فيه ، فإن الدليل على أن أى جزء من العبادة الإسرائيلية كان تمثيليا وليس مجرد موكب ، هو دليل غير مباشر وغامض - (انظر التعليق على الأعداد ١٢ - ١٤ فيما بعد) وهناك بعض حالات الاحتفال بأعمال الله ومحبته فى الهيكل موجودة فى ٢ أى ٥ : ١٣ ونحميا ٨ : ١٣ - ١٨ حيث كانت المزامير والقرارات هى الوسيلة الرئيسية لتنفيذ ذلك .

العددين ١٠ و ١١ : تتفق هذه الرؤية العالمية الاتساع مع ما جاء فى عدد (٢) وأكثر منه شمولاً حيث أن اسم الرب يحل محل الافصاح عن ذاته ، (قارن خروج ٣٤ : ٥ – ٧ وأيضا التعليق على مز ٢٠ : ١) و (تسبيحك) هو فى نفس الوقت الإشهار الذى يستحقه والتجاوب الذى يثيره .. وبكلمات أخرى نرى هنا لمحة الاستعلان لكل الأرض ، وعلى هذا تكون ترجمة الكلمة الأخيرة من العدد (١٠) (برًّا) صحيحة أكثر من الترجمة الإنجليزية التى تقول (نصرًا) – حيث تشير الأولى إلى ما يخرج من شخص الله وليس فقط من قوته . ونفس الوضع فى كلمة (احكامك) – عدد (١١) فتتكلم عن قراراته العادلة . وهى هبة للمضطهدين وإن كانت رعبًا للأشرار (قارن إش ١١: ٤ ، ٤٢: ٤ ..) (بنات يهوذا) هى مدنها وقراها (قارن قضاة ١: ٢٧) .

الأعداد ١٢ – ١٤ : استعراض المتاريس

عندما انتهى نحميا من بناء سور أورشليم كان لديه موكبان يسيران فى اتجاهين متضادين للتدشين (نحميا ١٢ : ٣١ – ٣٣ و ٣٨ – ٤٠) وبعد انتهاء أى حصار يكون من المناسب ترنيم مثل هذا المزمور أثناء التأكد من صلاحية الدفاعات كما يمكن الترنم به أيضا أثناء عيد من الأعياد .. ومرة أخرى يمكن تصور المسيرة ذهنيا (كما فى مز ٨٤ : ٥) ولا توجد وسيلة للتأكد من حدوثها .. وبالنسبة للمرنم المسيحى هناك تشجيع يتجاوب مع استعادة (الأبراج) و (المتاريس) الخاصة بالكنيسة – وهى أساسًا مجتمع غير قابل للتلف كالقلعة (افسس ٢ : ٢٠ – ٢٢ ورؤيا ٢١ : ١٠ وما بعده) لكنها فى نفس الوقت غير محصنة ومعرضة للهجوم كقطيع من الغنم (أعمال ٢٠: ٢٩) .

الأعداد ١٣ ب و ١٤ : لكن المزمور لا يمجد صهيون إلا باعتبارها مسكن الرب – والعدد ١٤ يكاد يكون استنتاجًا لا يتفق مع المقدمات وعندما ننتظر مجدًا يتوج المدينة ، لا نعود نسمع شيئا عنها بل فقط عن الله .. إلا أن الله (هذا هو إلهنا) وهذه العلاقة دائمة لأن العهد الذى أسسها كان من صنعه هو أصلا (تك ١٧ : ٢ و ٨) . وهناك ثلاث كلمات مختلفة للتعبير عن هذا الدوام .. والتعبير الثالث (حتى إلى الموت) [والاعتراض الرئيسى على هذا التعبير هو أن موضوع المزمور كله موضوع جماعى – أكثر منه فردى – وإن كان هذا الاعتراض يسهل الرد عليه (كما يقول أ . ر .

جونسون) يجعل كلمة الموت تعود على (أعداء الأمة الإسرائيلية) وذلك بالقول [الله هو قائدنا ضد الموت - ومع ذلك فيكفى الإشارة إلى أن التعبير (حتى إلى الموت) هو أقوى تعبير يمكن استخدامه على (الدوام)] .

المـزمـور التاسـع والأربعـون

« مجد هذا العالم الفارغ »

تستخدم مقدمة هذا المزمور فى ندائها للبشرية كثيراً من التعبيرات التى يفتتح بها سفر الأمثال وتعلن أن هذا مزمور حكمة يقدم للناس التعليم أكثر من تقديمه لعبادة الرب .. وموضوعه عن عبث الأمور الدنيوية والموجز فى العددين ١٢ و ٢٠ كقرار يكاد يطابق أقوال سفر الجامعة .. إلا أنها تُظهر للعيان تأكيد الانتصار على الموت الأمر الذى يتركه سفر الجامعة محجوبا .. والتعبير العظيم فى عدد (١٥) — [إنما الله] هو واحد من قمم الرجاء فى العهد القديم .

الأعداد ١ – ٤ : إلى كل الناس فى كل مكان :

يتكلم هذا المزمور — كمعظم كتابات الحكمة — للناس فى إنسانيتهم العادية ، وليس فقط للإسرائيليين الذين يرتبطون بالرب برباط العهد ، وهو يأتى لهم بإعلان من عند الله يخشى ألا يسمعه الكل لذلك فهو يستخدم أو يضمنه الأهمية القصوى لما يريد أن يقوله .. لذلك فإن هذه الأعداد الافتتاحية تلعب دورها فى تفسير ما جاء بالعدد (١٥) وذلك بإعدادنا لفهمه على حقيقته بدلا من أن نفهمه بمعنى يدنو من معنى (صنع عهدٍ جديدٍ) .

العدد ٢ : كلمتى (عالٍ) و (دون) تمثل عبارة (بنى الإنسان) باستخدام التعبير العام — بنى آدم — وقد ترجمته إحدى الترجمات (NEB) بكفاءة بمعنى (كل البشرية) و (كل الناس الأحياء) .

العدد ٤ : (أوضِّح) يمكن أن تعنى أحل اللغز أو أفسره . والمعنى الأول هو الأرجح فى ضوء النداء الموجه إلى العالم لكى يسمع ويصغى .. (وأوضح بعود لغزى) .

الأعداد ٥ – ٩ : نصر قصير الأجل

تدعو كلمة (لماذا) إلى نظرة جديدة بطريقة المعلم فى إثارة تفكير التلاميذ لسؤال مبهم — وهذه الطريقة مثمرة حتى فى مثل هذا الموقف الصعب حيث يحيط الأعداء به من كل جانب (عدد ٥ — ب) مستبدين متغطرسين (عدد ٦) بلا ضمير مثل يعقوب قبل أن يتجدد [الذى يحمل اسمه معنى التعقب —

إثم متعقبى] عدد / ٥ - قارن تك ٢٧ : ٣٦ .

الأعداد ٧ - ٩ : نجد فى السؤال (لماذا أخاف) مفتاح الرد عليه فى القول (الذين يتكلون على ثروتهم) - عدد ٦ - حيث أن الثروة كما هو معروف غير مستقرة (أمثال ٢٣ : ٥) إلا أنه يصل هنا إلى السخافة المطلقة وهى أن يعيش الإنسان مستندا على شيء لا يعتمد عليه بل يفشل ويفسد كل شيء .

وصورة (الفداء) أو الفدية مناسبة من ناحيتين ، فإن التحفظ على شخص غنى ابتغاء الحصول على فدية ، احتمال قوى - تماما كما أن الفقير المعدم يحتاج لمن يحرره من فقره ، وعند هذه المرحلة تكون النقطة الهامة هى مجرد قدرة الإنسان على افتداء حياته أو حياة أى إنسان آخر من براثن الموت ،* وموضوع الفدية ككفارة لن يلمح إليه إلا فى عدد ١٥ وبطريقة غير مباشرة أيضا .

الأعداد ١٠ - ١٢ : خسارة كاملة :

يفسر العدد (١٠) بوضوح قاسٍ جواب السؤال (ماذا ترك ؟) ألا وهو (كل شيء) لقد ترك كل شيء للآخرين ، ولا يخفف من هذه القسوة ذلك الاستثناء المقيت المسموح به فى العدد (١١) - لو كانت الترجمة (قبورهم)** بدلاً من (بيوتهم) [فى مقابل الأراضى المسماة بأسمائهم] لأنها هى العقار الوحيد الدائم الذى يمكن للإنسان أن يمتلكه .

العدد ١٢ : سنجد فرقا جوهريا بين معنى هذه الكلمات مع ما يشبهها فى عدد ٢٠ - وكل من الجملتين (١٢ و ٢٠) تلخص فى العبرية معانى جزأى المزمور (والإنسان فى كرامة لا يبيت) لا يقصو بها قضاء الليل وهو

* جاء فى بعض المخطوطات كلمة (حقا) بدلا من (الأخ) ويتعين هنا أن يتبعها الفعل المرتد (تفدى نفسه) باختلاف فى الحروف الساكنة وليس المتحركة .. لكن القول (الأخ) تعززة الترجمة السبعينية ويعطى معنى أفضل (لا أحد يستطيع - بأى طريقة - ان يفتدى أخاه) أو (آه لا يستطيع أحد أن يفدى نفسه) .. وهذه الأخيرة تفهم الكلمة العبرية ('àh) على أنها تعنى (للأسف) - آه - كما فى حزقيال ٦ : ١١ .

** تتحد الترجمات القديمة فى القول (قبورهم) وبالعبرية (qibràm) وليس (فى وسطهم) (qirbàm) - أو (فى أفكارهم الداخلية .. ولكن من الصعب فهم المعنى الأخير الذى جاء فى النص المساسوريتى ، ويبدو أن هناك شك قليل فى أن أحد النساخ قد استبدل وضع الحرفين الأوسطين - كما تفترض الترجمة RSV .

المعنى الشائع لكلمة يبيت . ولكن المقصود أنه فى النهاية لا وجود لمكان يمكن للإنسان أن يشتريه بالمال أو الثروة لكى يقضى فيه الليل .

أما كلمة كرامة فهى إما أن تعنى شيئا ثمينا (امثال ٢٠ : ١٥) أو تعنى التبجيل (أستير ٦ : ٣) .

وعلى كل فإن عدم وجود مأوى ليس نهاية القصة . بل يستمر الأمر حتى يصل بسرعة إلى الذروة .

الأعداد ١٣ - ١٥ : التقسيم العظيم

حتى الآن ، ورغم أن التركيز كان على اخلاقيات المتعجرفين إذ ابتدأت بهم المشكلة فى عدد ٥ - فقد نُظر إلى الموت على أنه نصيب كل الناس . إلا أن هناك تمييزا يبدأ الآن فى الظهور بين أولئك المحبين للدنيا (ربما أيضا مع المعجبين بهم - وإن كان معنى العدد ١٣ ب غير واضح)* وبين رجال الله على الجانب الآخر .

العددين ١٤ و ١٥ : تجسيد (الموت) هى صور شعرية غير عادية فى العهد القديم ، وهذه الفقرة تعتبر بالنسبة لتأثيرها السيىء مثل إرميا ٩ : ٢١ حيث نرى الموت يتسلق إلى النوافذ ليحمل الأحياء إلى الهاوية .. وهو هنا ليس متطفلاً بل هو فى مراعيه الخاصة .. لكن النص كما هو بين أيدينا (مؤيداً بالترجمات القديمة) يرى مجالاً آخر للسيادة - (يسودهم المستقيمون غداة)** وقد يعنى هذا ببساطة أن الضحايا سيقلبون الموائد على معارضيهم

* العدد ١٣ يعنى حرفيا (وخلفهم يُسرون بفمهم) - حيث يمكن أن تعنى (خلفهم) (فيما بعد) أو تشير إلى أولئك الذين يتبعوهم - و (فمهم) يمكن أن يعنى (أقوالهم) أو (نصيبهم) - والضمير (هم) قد يعنى هؤلاء الأشخاص أو من يتبعهم ، وقد أعاد (جلينيو) ترتيب الحروف المتحركة لعبارة (يسرون) لتصبح (يجرون) ويضم هذا الفعل إلى هذه الآية والتالية لها .. وهذه الترجمة تيسر فهم النص العبرى وتترك الحروف المتحركة كما هى ، وقد تكون صحيحة - قارن الترجمة التى تقول (مع رجال ليجروا خلفهم عندما يرفعون صوتهم) .

وجاءت فى كتاب الحياة « هذا هو مصير الجهال الواثقين بأنفسهم ومصير أعقابهم الذين يستحسنون أقوالهم .

** تفترض إحدى الترجمات أن الكلمة العبرية المترجمة (غداة) (bòger) صحتها (qeber) أى (قبر) لكن مثل هذا الخطأ الحديث غير محتمل خصوصا بعد عدد (١١) كما أنها أيضا تقتضى تعديلات فى الحروف المتحركة وتقسيمات الكلمات العبرية فى باقى السطر .

على المدى الطويل على طريقة حبقوق ٢ : ٦ وما بعده .. وربما كانت تتطلع إلى صباح القيامة كما فى دانيال ١٢ : ٢ والكلمات الواردة فى مز ١٧ : ١٥ (إذا استيقظت) .

والشيء المؤكد فى هذه الآية حتى الآن هو التناقض بين الذين بلا رجاء فى النهاية وبين المنتصرين فى النهاية - إلا أن بقية العدد ١٤ لا تدع مجالا للشك فى التناقض الكلى النهائى - الذى يستكمل فى عدد ١٥ - بين الخراب والخلاص .. ويوصف الخراب فى صيغة غير شخصية بمعنى الطرح بعيدا ، لكن الخلاص شخصى من البداية إلى النهاية ، وبدلا من أن يطلب الله (فدية) - عدد ٧ - فهو بنفسه يدفعها - عدد ١٥ - وفى هذه الحقيقة هناك على الأقل إشارة إلى الكفارة من وجهة نظر القرينة حيث نجد الهاوية هى مكان الخاطىء . والضمير (هو) - فى يأخذنى و(أنا) تعزز أن الخلاص ليس قريبا فقط بل هو علاقة الوجه للوجه . كلمة (يأخذنى) ذات معنى أكثر إيجابية مما قد نظن ، فهى نفس الكلمة التى قيلت عن أخنوخ (لأن الله أخذه) تك ٥ : ٢٤ وسترد فى نفس هذا المعنى أيضا فى مز ٧٣ : ٢٤ .. وسواء كانت هذه الرؤية قد وصلت إلى حد القيامة أم لا فإنها تقول لنا إن أول ما يهم بعد الحياة هو ألا يفترق العبد عن سيده الذى يتصف اهتمامه به بالحب والحيوية .

الأعداد ١٦ - ٢٠ : الخدعة الكبرى :

نعود هنا إلى السؤال الموضوع فى عدد (٥) ونحن أقدر على الإجابة .. وبدلا من القول (لا تخش) كنا نتوقع أن نجد القول (لا تنظر بعين الحسد) لكن عدد (٥) يشرح الخوف من مثل هذا الرجل الغنى المتحجر القلب .. ونلاحظ هنا أنه لا يوجد أى وعد أنه لن تكون له اليد الطولى بل مجرد التذكير بأن مجده لا يمكن أن يدوم .. وأن مكافأته لا تتعدى ما جاء فى عدد (١٨) .

العدد ٢٠ : إذًا الدعوة هى للشجاعة والإيمان المستنير ، ويعزز الكلام الختامى الدرس بالتغيير الحاد عن الشكل السابق .. والنص العبرى الذى رفضته بعض الترجمات بالرغم من شهادة النسخ القديمة احتفظت به الترجمة العربية

(لا يفهم) .

وبين الآية (١٢) والآية (٢٠) جاء الوعد العظيم فى عدد ١٤ / ب و ١٥ كما جاءت أيضًا الهوة العظيمة التى ميزت بين مصائر البشر .. وهذه النهاية الواعية استمدت وضوحها من النداء الافتتاحى لتسمع جميع الشعوب عدد (١) .. ويجدوا الفهم الذى يقود وحده إلى الحياة .

المزمور الخمسون
(الديّان يقطع الصمت)

المنظر الخيالى فى هذا المزمور القوى هو نوع من التجلى الإلهى حيث يظهر الله فى النار والعاصفة على جبل صهيون لكى يدعو العالم كله إلى كرسى دينونته ، لكن إذا كانت كل العيون متجهة إليه فإن عيونه هو على إسرائيل ، فكل المزمور موجّه إلى شعب العهد ، فيتكلم أولا إلى العابدين بدون تفكير ، ثم إلى من تقسوا والمنافقين لكى يعطيهم نفخة حادة من الحقيقة .. إنها الرسالة التى كلف بها كل الأنبياء كما قدمها يسوع للكنيسة التى نسيت أنها تتعامل مع إله حى .. وهذه الملامح التى تعيد إلى الذهن صورة جبل سيناء والعهد (من ١ – ٥) والتلميح إلى الوصايا العشر (أعداد ٧ و ١٨ – ٢٠) والإشارة إلى تسميعها وإعلان الولاء للعهد (عدد ١٦) تتجمع لكى تعطى الانطباع عن حفل لتجديد العهد والتذكير به كما فى ختام المزمور – (انظر المقدمة / ثالثا) .

الأعداد ١ – ٦ : الديان يظهر

إن مجموعة الألقاب « إله الآلهة / الرب » هى كلمات عامة عن الله بالإضافة إلى الاسم الخاص الذى كشف عنه لإسرائيل – تكوّن افتتاحًا ملكيًا مناسبا لفقرة تجمع معًا كل العالم فى دائرته العظيمة والشعب المختار فى الدائرة الأضيق – ويشير كل شيء فى الأول إلى نقد لاذع للوثنيين الذين دُعوا إلى جبل صهيون (الذى لم يتأثر جماله بعد بالدينونة – قارن ٢ / ١ مع مراثى ٢ : ١٥) حيث يضطر الرجل الخاطيء لمواجهة تأثير الحضرة الإلهية فى أقصى حالات تألقها وإبهارها (عدد ٢ و ٣) ، وفجأة كما يظهر مع آخر كلمات العدد ٤ – تنقلب الموائد ، فقد استغاثت إسرائيل بالرب (يأتى إلهنا ولا يصمت عدد ٣) وكانت النتيجة أنها وجدت نفسها هى التى تواجه المحاكمة وحدها ، وقد اجتمع باقى الجنس البشرى كله مع السماء والأرض (عدد ١ و ٤) ليشهدوا المحاكمة (تثنية ٣٠ : ١٩) لا ليدفعوا الاتهام .. فالدينونة يجب أن تبدأ بأهل بيت الله (١ بط ٤ : ١٧) .. إن دعوتها الخاصة لم تنتقص بل تعززت ثلاثة أضعاف فى عدد (٥) حيث يقول (اتقيائى) –

(القاطعين عهـدى) على (ذبيحة) وكلها تستعيـد الاحتفال العظيم فـى خروج ٢٤ : ٣ - ٨ - ومن أجل ذلك (وليس بالرغم من ذلك) فإنها تقدِّم لتعطى حسابًا عسيرًا .. ونفس هذه النقطة جاءت - وبتأثير مذهل - فى عاموس ٣ : ٢ وشرحت فى القول عن (الذين أعطوا كثيرا) فى لوقا ١٢ : ٤٨ .. وقد يُفكر المؤمن المسيحى فى المتطلبات المتضمنة فى الاستمتاع بعهد أفضل (عب ٧ : ٢٢ ، ١٠ : ٢٢ وما بعده) .

الأعداد ٧ - ١٥ : كلمات واضحة للاتقياء

سرعان ما يتضح أن منظر المحاكمة ليس لإصدار حكم بل لإظهار الحقيقية إلى النور ودعوة الخطاة لكى يندموا ويتوبوا .

إن الأعداد ٨ **وما بعدها** .. بتأكيداتها تعطى صورة تستحق اللعن للعبادة الغبية أكثر من أى اتهام آخر .. فبأى شكل يصور الإسرائيليون الله لأنفسهم ؟ هل هو كائن سماوى لا علاقة له بالعالم أو كائن جشع يعيش عالة على الكائنات وكل دوره التوبيخ ؟ ولماذا يتجه تفكيرهم - مجرد ظهور أول بادرة لعدم رضاه (عدد ٧) إلى نقاط طقسية وليس إلى علاقة شخصية ؟ والعددين ١٤ و ١٥ يتشابهان فى كشفهما عن المعنى بما يتضمنانه من صلوات ووعود تقطع عند الشدائد ثم تنسى عند النجاح . مع أن القصد من الحقيقة الشفاء والإصلاح وليس الإدانة .. افتتح الحديث فى عدد (٧) بالتذكير بالعهد (شعبى .. إلهك أنا) بكلمات تُعيد إلى الأذهان كلا من أقوال تثنية ٦ : ٤ و ٥ (اسمع يا إسرائيل ..) والوصايا العشر (تثنية ٥ : ٦ وما بعده) وهى تقدم الله على أنه المعتنى الأعظم (قارن عدد ١١ مع متى ٦ : ٢٦ ، ١٠ : ٢٩) والمنقذ الأعظم (عدد ١٥) الذى يتطلع إلى التجاوب القلبى الحار بالشكر والثقة .. وهذه هى الذبائح التى يرغبها أكثر من غيرها .

الأعداد ١٦ - ٢١ كلمات واضحة للمرائين

هؤلاء الناس ليسوا هم الوثنيين بل المؤمنين بالاسم الذين يقرنون الشر بالعبادة (انظر إش ١ : ١٣) . وإذا احتاج القوم الذين يتقون الله (آليا) (فى الأعداد ٧ - ١٥) إلى تذكر أن الله يهتم أكثر بالروحيات ، فإن الشخصيات

التى تقست كما فى الأعداد ١٦ - ٢١ يجب أن يواجهوا حقيقة أنه إله أخلاق أيضا .. وهنا نجد أن النصف الثانى من الوصايا العشر هى المحك .

العدد ١٦ : قد تشير هذه الآية إلى القراءة الجهارية للشريعة والتى أمر بها سفر التثنية فى ٣١ : ١٠ وما بعده . وقد كانت مناسبة تجديد العهد أيام يوشيا واحدة من أعظم تلك المناسبات (٢ مل ٢٣ : ١ - ٣) إلا أن إرميا قُدِّر له أن يعانى اضطهادًا طول حياته من نفس الشعب والأمّة التى مارست تجديد هذا العهد فتطلع - ومعه كل الحق - إلى عهد وميثاق جديد (إرميا ٣١ : ٣١ وما بعده) عهد من القلب وليس فقط بالفم (عهدى على فمك) .

العدد ١٧ : (كرهت / ابغضت التأديب) واضح أن هذا ليس شيئا أو اتجاهًا حديثا كما قد يبدو - وأهمية قبوله هو الشغل الشاغل والموضوع المستديم فى سفر الأمثال (أمثال ١ : ٧) لأن الحكمة هى صفة أخلاقية ، والأخلاق لا تكتسب إلا بشق الأنفس .. والعهد الجديد يؤيد ذلك تماما .. واقتران القول (كلامى) بالتأديب فى هذه الآية يظهر أنها تشير إلى تدريب الذهن والضمير من خلال الأسفار المقدسة (كما فى ٢ تى ٣ : ١٤ - ٤ : ٥ مثلا) أكثر مما يشير إلى آثار التأديب بالمتاعب والصعوبات (كما فى عب ١٢ : ٣ - ١١ مثلا) .

الأعداد ١٨ - ٢٠ : تتردد ثلاث من الوصايا العشر ارتجالا (عدد ١٦) وتستدعى لكى تعرض عواطف الإنسان وأفعاله المتمردة ، وغنى عن القول أن الرفقة المذكورة فى عدد (١٨) هى رفقة المستهزئين وليست زمالة الأصدقاء ، ويتوسع العهد الجديد فى التمييز بين هذين النوعين فى مرقس ٢ : ١٥ - ١٧ ولوقا ص ١٥ و ١ كو ص ٥) وآيتنا هذه يمكن أن تتضمن أيضا معنى الرياء الكامن فى التلذذ بالخطية دون اقترافها فعلاً تفاديًا لنتائجها الوخيمة . وهذا يكون متفقا من الناحية الأخلاقية مع المراوغة والخداع المصورين فى عددى ١٩ و ٢٠ - وفى عدد (٢٠) بالذات ترجمت العبارة (تجلس تتكلم على أخيك) تقليديا بالقول (إنك دائما أبدًا تتكلم) [وقد لفت د . و . توماس فى أحد مؤلفاته إلى معنى (تجلس) على أنه (استمرار)

كما فى لاويين ١٢ : ٤ و ٥ ، ١ مل ٢٢ : ١] . لكن يمكن أيضا أن يكون قد قصد بها معناها الحرفى كلمحة حية أخرى من ذلك الإنسان فى أوضاعه المختلفة ، فهو يرى واقفًا فى تعبُّد (كما جاء فى بعض الترجمات للعدد ١٦) ومجالسًا أصدقاءه المشكوك فى أخلاقهم (عدد ١٨) ومتكلما على مهل كلامًا فارغًا مع مجموعة تتسلى (عدد ٢٠) .

العدد ٢١ : إن بعضا من قيمة سكوت الله هو أنه يسمح لنا بأن نكون على سجيتنا ونكشف أنفسنا ، والجزء الأوسط من هذه الآية (ظننت أنى مثلك) التى يمكن أن تكون يعززه بما جاء فى العدد (٣) - (يأتى إلهنا ولا يصمت) .

العددين ٢٢ و ٢٣ : المهام المختلفة

يوجه الكلام إلى الفريقين بنظام عكسى ، ويبين عدد (٢٢) الصفة المزدوجة لغضب الله : الذى يستثار بصعوبة لكن ما أن يصل إلى حالة الاستثارة حتى لا يمكن مقاومته .. والمعنى الحرفى للكلمة (طريقه) فى عدد (٢٣) هو (طريقًا) ويقول (ديليتش) فى ترجمته لهذه الآية ما معناه (يمجدنى ويعد طريقًا لكى أريه به خلاص الله) .. وسواء كانت هذه الترجمة أو الترجمة العادية (المقوم طريقه) فإنها تلغى أو تحذف أى تلميح عن (تقديم خدمة لله) والقول (حرفيا) [ذابح الحمد] الذى يترك فرصة لتقديم ذبيحة حرفية يوحى بتقديم ذبيحة الحمد الخالص كتلك التى طلبها الرب فى (هوشع ١٤ : ٢ ، عب ١٣ : ١٥) - والعطاء ، هو من جانب الله - الخلاص - وعلينا نحن أن نتقبله بالشكر والفرح والطاعة التى يستحقها .

المزمور الحادى والخمسون
(أبيض أكثر من الثلج)

هذا هو المزمور الرابع فى السبعة مزامير الخاصة بالتوبة . وهو بالتأكيد أعظمها (انظر التعليق على مز ٦) وهو نابع من أحلك لحظات معرفة داود لنفسه إلا أنه لا يكشف عن أعماق جريمته بل أيضا عن بعض أقصى الأبعاد التى يصل إليها الخلاص ، وتبين الآيتين الأخيرتين أن الأمة كلها – فى أحلك ساعاتها – وجدت كلمات تنطق بها لتعبر عن اعترافها وإعادة بعث الرجاء فيها .

ويمكن دراسة المزمور بحسب موضوعاته ، كما يمكن دراسته فى تقدمه من التوسل والتضرع إلى التأكيد والثقة . وهناك الكثير فى ثنايا المزمور مما يمكن تعلمه عن الله ، والخطية ، والخلاص ، كما أنه من المفيد أيضا دراسة تغيرات صيغة الحديث وأزمنة الأفعال فيه بين (الحاضر) و (الماضى) فى الاعتراف – و (المستقبل) الذى يتمسك بنعمة الخلاص والشكر .. واسم داود الذى يظهر فى عنوان هذا المزمور مرة أخرى لن يتكرر بعد ذلك فى باقى مزامير الجزء الثانى من السفر الاثنين والعشرين إلا فى أربعة عناوين فقط .

العنوان : ترد قصة خطية داود وتوبته فى (٢ صم ص ١١ و ١٢) وبين شخصية داود الموضحة هنا وشخصيته المخططة فى ٢ صم ١١ – يقف شخص ناثان النبى – ولا تبدو قوة كلمة الله المغيرة أكثر وضوحا مما تظهر فى هذا التغيير .

العددين ١ و ٢ : ضراعة

التضرع الافتتاحى (ارحمنى) هى لغة شخص ليس له الحق فيما يطلب . لكن (رحمتك) هى كلمة العهد ، فبرغم كل عدم استحقاقه إلا أن داود يعلم أنه لا يزال ينتمى – قارن العبارة المتناقضة فى الظاهر – التى قالها الابن الضال (يا أبى .. لست مستحقا بعد أن أدعى لك ابنا) ثم يقترب أكثر فيطلب دفء حنان الله فى الكلمة التالية (رأفتك) وهى تعبير عاطفى استخدم فى تك ٤٣ : ٣٠ (مثلا) عندما حنَّت أحشاء يوسف إلى أخيه وهى صنو

الكلمة أحشاء رأفات – فى العهد الجديد (كولوسى ٣ : ١٢) .

العددان ١ – ب و ٢ : لكن هناك فى الغفران ما هو أكثر من مجرد روح حنون ، إذ يبقى سجل الاتهام الخاص بالخطية كما يبقى التلوث ملتصقا بالمتهم .. والتضرع القائل (أمح معاصى) يعنى مسح المعاصى كما تمسح الكتابة من على الورق (قارن خروج ٣٢ : ٣٢ ، عدد ٥ : ٢٣) ولا يستطيع سوى الإنجيل أن يكشف عن الثمن الذى دفع لكى يمحو (الصك .. الذى كان ضدًا لنا) (كولوسى ٢ : ١٤) والاستعارة المرافقة (اغسلنى كثيرا) تستخدم الفعل الذى يرتبط عادة بغسيل الملابس ، كما لو كان داود يقارن نفسه برداء قذر يحتاج إلى الغسيل مرة ومرات ، والفكر هنا مازال بدائيا فالجريمة جعلته غير جدير بمحضر الله أو بالتواجد مع شعب الله (قارن الدرس الموضوعى القوى فى لاويين ١٥) وسوف يعود داود فيتأمل فى مظهر التطهير الداخلى فى الأعداد ٦ – ١٢ .

الأعداد ٣ – ٥ : اعتراف

تتضخم خطية داود أمامه فى صورة جديدة كمحفز دائم للاتهام (خطيتى أمامى دائما) ولكن هذا ليس كل شيء .

العدد ٤ : كانت خطيته خيانة . والقول (إليك وحدك أخطأت) قد يفهم على أنه يعنى أن الزنا والقتل هى خطايا شخصية إلا أن هذه هى الطريقة الكتابية المثالية فى الدخول إلى قلب الموضوع ، فهذه الخطية يمكن أن تكون ضد الإنسان الخاطىء نفسه (١ كو ٦ : ١٨) وضد جاره . لكن الإساءة الكبرى هى الموجهة إلى الله نفسه كما رآها يوسف منذ زمن بعيد (كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطىء إلى الله) تك ٣٩ : ٩ .. وأجسادنا ليست ملكنا كما أن جيراننا قد خلقوا على صورة الله .. لاحظ التناقض الضخم بين هذا الموقف ، وموقف داود المنكفىء على ذاته (فى ٢صم ١١) حيث كان كل همه أن يطمس آثار فعلته ، وموقفه الآن (كيف استطعت أن أعامل الله هكذا ؟).

ويتطابق قبول داود الكامل لبر الله وقضائه (عدد ٤/ ب) مع أقوال اللص التائب فى العهد الجديد (لوقا ٢٣ : ٤١) والمقتبس فى رومية ٣ : ٤ (متى حوكمت) حيث وضعت الأقوال فى أقوى صيغة .. والمعنى الكامل للكلمة

العبرية المستخدمة فى هذه الآية : « لا يستطيع إنسان أن يجد خطأ - حتى لو كنا فى مكان يسمح لنا بذلك - فى قضاء الله على الخاطىء .

العدد ٥ : النظرة الجديدة إلى الخطية باعتبارها تحديا لله فتحت أمام المرنم معرفة جديدة بنفسه ، فإن داود يرى الآن أن جريمته هذه لم تكن مجرد حادث نزوة بل هى شيء فى طبيعته ، وهذا التعبير عن المخلوق الضال المنحرف الذى كانه دائما ، والينبوع الفاسد الذى خرج منه ، وقد رأى إشعياء فساد شعبه بنفس الطريقة عندما رأى حالته هو الشخصية (إش ٦ : ٥) .. وبالطبع فإن داود هنا لا يسيء إلى والدته بصفة خاصة ولا يتكلم عن عملية التناسل كما أنه لا يعتذر عن نفسه بل إنه إذ يعبر عن أقصى ما يواجهه من حقائق يقول إن خطاياه شخصية (حيث نجد ضمير المتكلم متكرر خمس مرات فى الأعداد ١ - ٣) وفى نفس الوقت يتعذر تبريرها (عدد ٤) والأسوأ من هذا كله أنها طبيعته التى يحيا فيها (عدد / ٥) .

الأعداد ٦ - ٩ : التجديد

تبدأ هذه الفقرة المتصاعدة فى نقطة حرجة على حافة الهوة بين ما يريده الله (أو ما يسرّ به الله) وبين ما سبق أن اعترف به داود . لكن رغبات الله هى أهداف (يرغب فى الحق) فهو يعلم الحكمة ، ولا يكتفى بالأسف لغيابها - وصيغة التأكيد (الواردة فى الترجمة العربية) للأفعال فى أعداد ٦ ب - ٨ هى الصيغة الصحيحة .

العدد ٧ : (طهرنى بالزوفا) (أو سوف تطهرنى بالزوفا) كما فى الترجمات الإنجليزية - تشير إلى التطهير من البرص الذى يرش ٧ مرات بدم الذبيحة الذى تغمس فيه الزوفا كمنضحة (لاويين ١٤ : ٦ و ٧) أو يمكن أن تشير إلى طقس تطهير أولئك الذين لمسوا جسدًا ميتا (العدد ١٩ : ١٦ - ١٩) . وعلى أى حال فإن الموقف ينتهى بالإعلان الصريح المباشر (يكون طاهرا) ويأخذ داود هذا الوعد لنفسه فهو أيضًا يعلم من هذه القرينة الكلمة المناسبة التى يستخدمها (يطهر) وأقرب مرادف لها ما جاء فى لاويين ١٤ : ٤٩ - ويصور المرحلة الأخيرة من طقس التطهير - غسيل الملابس والجسم ، إلا أن اللمسة الوصفية (أبيض أكثر من الثلج) تعبير عن أنه مع الله لا توجد

أنصاف حلول (قارن إش ١ : ١٨) .

العدد ٨ : لا حاجة إلى استبدال القول (اسمعنى سرورا وفرحًا) بالقول (املأنى سرورًا وفرحًا) كما جاء فى بعض الترجمات – وداود هنا – يبدو كأنه يصور حالة رجوع المنبوذ ودخوله ثانية فى المجتمع حيث يحييه الناس بأصوات الترحيب والابتهاج .. افتبتهج عظام سحقها مرة أخرى لا ينظر داود إلى معونة فاترة .

العدد ٩ : تكمل هذه الآية – مع صداها فى العدد (١) – الجزء الأول من المزمور حيث كان معظم التركيز على الخطية وتطهيرها ويبدأ بعد ذلك مركز الثقل إلى (الخلاص) .

الأعداد ١٠ – ١٣ : التجديد الداخلى

كان يمكن أن يقود عمق المعرفة بالنفس (فى الأعداد ٣ – ٥) إلى اليأس لكن بدلا من ذلك قاد داود إلى توسيع مجال صلاته (قارن رومية ٧ : ١٨ – ٢٥) وهو لا يطلب أقل من معجزة بقوله (اخلق) فهذا تعبير عما لا يستطيع أن يفعله إلا الله وحده ، إلا أنه قد يشير إلى عملية مستمرة أو عملية فورية (تك ٢ : ٣) وواضح أنه يقصد هنا الحالة الأخيرة هنا .. ويشهد كلا من تاريخ داود السابق ولغة الآيتين ١١ / ب و ١٢ / أ – أن هذا ليس طلبا لرجل غير مجدد بل هى صلاة لطلب القداسة (عدد ١١ / ب) . ولذا يمكن القول إنها تغطى كل أيام الخليقة الستة وليس اليوم الأول فقط .

ومع كلمات (قلب) و (روح) يتجه إلى (مخارج الحياة) أمثال ٤ : ٢٣) ويربط بين روحه وروح الله نفسه . والصلاة فى عدد ١٠ / ب (روحا مستقيما جدد فى داخلى) مطابقة للطلب فى عدد (١٢) [رد لى بهجة خلاصك] إذ هى صلاة مرتد قد وجد التوبة .

العدد ١١ : الخلفية المحتملة للخوف من النبذ فى هذا العدد تعود إلى مثال ما حدث لشاول الملك – الذى فارقه روح الرب (١ صم ١٦ : ١٤) وهذه الآية لا تتعلق بعقيدة (الضمان الأبدى) بل بممارستها كما كان يفعل بولس فى ١ كو ٩ : ٢٧ وكما قال الرب يسوع فى يوحنا ١٥ : ٦ .. وكلمة القدوس – هى تذكير – بل ينبغى أن تكون تذكيرا بعظمة مثل هذا الطلب

(قارن ١ صم ٦ : ٢٠) .

العدد ١٢ : بينما كانت طلبة الروح المستقيم فى (عدد ١٠) تبدو مناسبة بعد تلك السقطة الشنيعة فإن الطلبة الحارة للروح المنتدبة أو الراغبة تفاجئنا إذ أنها أقل مناسبة من الطلبة الأولى . فهى توحى بالشخص المتطوع المتحمس بمظهره المتلهف السخى .. إلا أنه بالمزيد من التأمل نرى أن مثل هذه الروح هى ترياق الله ضد التجربة : فهذا هو السرور فى عمل مشيئة الله (مز ٤٠ : ٨) الذى فقده داود عند نجاحه .

العدد ١٣ : (فأعلّم ...) لأن هناك تشوق هنا يشبه ما جاء فى عدد ١٢ كما لو كانت الصلاة التى صلاها هناك قد تحققت أو قبلت ويمكننا أن نلاحظ الصلة الوثيقة بين الإيمان المبتهج والإيمان الذى ينتقل إلى الآخرين وبين اختبار العودة . وقيادة الآخرين إليها (وأنت متى رجعت ، ثبت اخوتك) لوقا ٢٢ : ٣٢ - والكلمات (رد) و (يرجعون) هما جزءان من فعل واحد ، لكن فوق كل هذا فإن المزمور هو أغنى إجابة للصلاة حيث أنه قاد أجيالاً من الخطاة إلى بيت الآب بعد أن ظنوا لمدة طويلة أنهم أبعد من أن يستردوا .

الأعداد ١٤ - ١٧ : عبادة متواضعة

تظل ضخامة خطية داود تزعجه ، فلم يكن لدى داود شىء من غفلة معاصرى إشعياء الذين كانوا غافلين عن الدماء التى ملأت أيديهم المصلية (إش ١ : ١٥) والذين لم يتحركوا قط بما يتمشى مع حقائق العبادة (إش ١ : ١١) وكلمة الدماء فى عدد ١٤ قد تعنى (الموت) أو (إراقة الدماء) - لكن هذه البدائل مركزها الذات بحيث لا تتفق مع ندم داود ، فإنه لم يهتم قط - فى كل المزمور - أن يهرب من النتائج المادية لخطاياه بل إن جرم الخطايا هو الذى يثقل كاهله .. وحتى (الخلاص) يبدو كلمة أقل مما يريد ، فهو فى الحقيقة يريد أن يعظم بر الله (عدد ١٤ جـ) الذى يتوج عمله بجعل الخاطىء نفسه مبررًا (قارن عدد ٦ : وما بعده) .

العدد ١٥ : وفى ضوء عدد ١٤ ب ، فإن الصلاة التى رفعها داود فى

القول (افتح شفتى) ليست مجرد صيغة تعبيرية بل هى صيحة شخص كان قد أخرسه تأنيب ضميره وهو يتوق إلى أن يتعبّد بحرية وبامتنان مرة أخرى ، ويؤمن أنه سيفعل ذلك بنعمة الله .. وإذا رأينا هذه الصلاة فى وضعها الحقيقى الصادر من القلب بما فيها من انكسار ، فإن ذلك يقود المتعبد فى خطوة واحدة من الاعتراف إلى التسبيح والتمجيد .

العددين ١٦ و ١٧ : للعهد القديم طريقة خاصة فى القول (لا هذا بل ذاك) بدلاً من القول (هذا أحسن من ذاك) (قارن هوشع ٦ : ٦) .. والعددين ١٨ و ١٩ بما فيهما من تقدمات الحمد تذكرنا أن المرنمين الأوائل لهذا المزمور قد فهموا هذه الآيات بهذا المعنى . والله لا يرفض ذبائحه التى سبق أن عيَّنها ، وأيضا لا يمكن أن يقول إننا (نكفِّر عن أنفسنا) . إن ما يؤكده هو أن أفضل تقدمة تصير مكروهة لديه إذا قدمت بدون القلب المنسحق . والإشارة ليست ببساطة إلى الكفارة – التى لا يكفى فيها إلا سفك الدم (لاويين ١٧ : ١١ – وعب ٩ : ٢٢) لكن الإشارة هنا للعبادة ككل وليس كرمز بل فى الواقع الشخصى إذ أن ذبيحة السلامة (١٦) تعبر عن الشركة وذبيحة المحرقة تعبر عن التكريس . ويبحث الله فى كل هذه عن القلب الذى يعرف أنه غير مستحق وعظم دينه .

العددان ١٨ و ١٩ : صلاة شعب

يمكن تصور أن داود قد أضاف هذه الكلمات بنفسه ، مصورًا عهد (صهيون) فى تعبيرات مادية .. لكن الأرجح أن الأجيال التى جاءت فيما بين السبى وإعادة البناء أخذت توبة داود لنفسها مضيفة هذه الآيات لكى تحدد صلاتها أكثر – وكما جاء فى التعليق على العددين ١٦ و ١٧ فإنها لا تتعارض بل تفسر هاتين الآيتين – وعن الاستجابة المجيدة لهذه الصلاة انظر نحميا ١٢ : ٤٣ حيث تم بناء السور (وذبحوا فى ذلك اليوم ذبائح عظيمة ، وسمع فرح أورشليم عن بعد) .

المزمور الثانى والخمسون
« فاعل الشر »

يربط العنوان هذا المزمور بواحدة من أكثر اختبارات داود مرارة . ففى هروبه من شاول ، طلب من أخيمالك الكاهن أن يعطيه بعض المؤن ، وقد وشى بأخيمالك إلى الملك شاول وتم قتل جميع أولاده وبيت أبيه وكان الواشى هو دواغ الأدومى وهو نفسه الذى نفذ المذبحة .

ولدينا تعبيران لداود بهذا الخصوص ، الأول هو صيحته لأبياثار بن أخيمالك [أنا سببت لجميع أنفس بيت أبيك . أقم معى . لا تخف ، لكنك عندى محفوظ] (١ صم ٢٢ : ٢٢ و ٢٣) – والتعبير الثانى هو هذا المزمور حيث يتأمل أولاً فى نوعية الرجل التى كانه (دواغ) الذى يبنى مستقبله على الخداع والقتل ثم أيضا فى تفاهة نجاحه وقصر مدته ، وأخيرا يجدد داود ثقته وإيمانه بالرب الذى يقف بجانبه بالتأكيد ، كما وعد داود أن يقف بجانب أبياثار .

الأعداد ١ – ٤ : لسان مفسد مُهلك :

كلمة (تفتخر) لا يتحتم أن تتضمن مظاهر خارجية ، فالنقطة الحقيقية هى رضا الإنسان عن ذاته (قارن مز ٤٩ : ٦ وأيضا إرميا ٩ : ٢٣) فهو يظن أنه ذكى فيستغرق فى خداعه .. لقد سلم نفسه للشر ، فإن تكرار كلمة (أحببت) تتضمن الاختيار كما تتضمن الانجذاب للشر والكذب والكلام المهلك ولسان الغش (عدد ٣ و ٤) .

العدد ١ : يبدو من القرائن الواردة فى عنوان المزمور والتعليق عليها – أن التعريض والدس ضد أخيمالك كان قد أُجيد توقيته بحيث يحظىء دواغ بالحظوة لدى الملك شاول الذى كان يظن أنه بلا صديق ، وربما كانت هناك أيضا سخرية فى قول داود (أيها الجبار) الذى اكتسبه دواغ بمغامرة مجزرته .. ما أفظع دواغ رئيس رعاة شاول (١ صم ٢١ : ٧) كما أظهر نفسه .

[هناك بعض الترجمات تقول فى نفس العدد : (ضد التقى) el - hasid بدلا من (رحمة الله) hased-el ويؤيدها ما جاء فى (البشيتا) من أن كلمتين

قد تبادلتا أماكنهما أثناء النسخ إلا أن النص العبرى (رحمة الله) يجعل للآية معنى ، وإن كان مختصرا – ويمهد للفرق الذى سيجيء في عدد ٨] .

الأعداد ٥ – ٧ : غفران قصير الأجل

تتدافع الأفعال العنيفة خلف بعضها فى تأثيرات جذرية متزايدة (عدد / ٥) لأنه إذا كان من المحزن أن (يهدم) – ٥ / أ – فإنه من الأسوأ أن (يقلع من مسكنه) كما يعلم داود تماما (٥ / ب) وهناك خراب نهائى أبعد من ذلك (يستأصل من أرض الأحياء) الأمر الذى لا يجد له الشرير جوابا (قارن مز ٤٩ : ١٣ – ١٥) .

العدد ٦ : تعاقب القول (يرى) و (يخاف) وهما فعلان متشابهان فى العبرية يمكن أن يترجما (يتطلعون ممتلئين رعبا) جاء هذا فى مز ٤٠ : ٣ باعتباره تجاوبا مع خلاص الله الذى يمكن أن يكون مذهلاً كدينونته .. أما هنا فإن المرحلة النهائية هى (الضحك) الذى هو العقاب المخرب تماما لكل متعالٍ جبار .

العدد ٧ : كلمة (حصنه) تبرز لنا تزعزع وعدم أمان أقوى البشر ، فإن المقتحم – رغم كل عدوانيته – ينخسه الخوف ولو جزئيا – والجزء الأخير من العدد لا يردد ما جاء فى الأصل العبرى الذى يقول (يقوى بشهوات نفسه) والتى يستحسن أن تترجم (تقوى بغناه) (كما فى السبعينية والترجوم والعربية) أما القول (بشهوات فقد جاء فى مز ١٠ : ٣) لأن هذا هو الجزء الغالب من حوافزه .

الأعداد ٨ و ٩ : الحماية

كما سبقت الإشارة إن داود يمكن أن يكون قد رأى تشابها بين الحماية التى عرضها على أبياثار (١ صم ٢٢ : ٢٣) والحماية التى وجدها فى الرب .. و (الزيتونة) من أطول الأشجار عمرًا وهى هنا تعطى تعزيزا للفكرة من ناحيتين فهو يصور زيتونة خضراء تنمو فى بقعة مقدسة حيث لا يستطيع أحد أن يعبث بها ناهيك عن قطعها أو قلعها (انظر عدد ٥ / ج) (فهل كانت هذه ذكريات لهيكل نوب ؟) وبالتأكيد هناك تناقض بارز بين موضوع

اعتماده واتكاله (عدد ٨ ب) وموضوع اعتماد (دواغ) فى عدد ٧ ب ، أحدهما ملموس لكنه زائل والآخر غير منظور لكنه دائم إلى الدهر والأبد .

العدد ٩ : ويبدو أن الحمد لا يزال جزءًا من الإيمان والاتكال حيث أن النص العبرى (تعززه الترجمات القديمة) لا يقول سأعلن بل (سأنتظر أو أرجو) اسمك – ولا يقولها بينه وبين نفسه بل جهارًا حيث أن الفشل – لو أن الله أراد أن يفشله – سيكون واضحًا .. قارن هذا الرفض الواضح لإجبار الرب مع ١ صم ٢٦ : ٨ – ١١ .. وقد أحسنت إحدى الترجمات بترجمة الجملة الختامية للمزمور بالقول (وأضع ثقتى فى اسمك الملىء بالحنان فى محضر أولئك الذين يحبونك) .

المــزمــور الثالــث والخمســـون

أولاد الأفــاعـــى

هذا المزمور متماثل تماما مع مزمور ١٤ فيما عدا الجزء الأكبر من عدد (٥) وبعض التفاصيل القليلة – لذا نرجو الرجوع إلى تعليقاتنا عليه – ويضيف عنوان المزمور قوله (على العود قصيدة) (انظر المقدمة / سادسًا ج / ٣) ويظهر هذا مرة أخرى فى عنوان مز ٨٨ . وخلال المزمور كله يذكر لفظ الجلالة ببساطة (الله) كما فى باقى المزامير بدون تغيير (انظر المقدمة ثانيا) أما فى مز ١٤ فنجد اللقب (يهوه / الرب) يتكرر أربع مرات – وفى هذه المجموعة من المزامير نجد التأمل عن الأحمق المتعجرف – كما لو أنه يصف نابال نفسه فى القصة الواردة فى (١ صم ٢٥) ويقع هذا بين موضوع يتكلم عن (دواغ) – مز ٥٢ – ١ صم ٢٢ – وبين (الزيفيين) فى مز ٥٤ ، ١ صم ٢٣ و ٢٦ .

وفيما يلى الاختلافات بين مز ٥٣ ومز ١٤ :

مــز ٥٣	مــز ١٤
عدد (١) فسدوا ورجسوا رجاسة	فسدوا ورجسوا بأفعالهم
عدد (٣) كلهم قد ارتدوا معًا فسدوا	الكل قد زاغو معًا فسدوا
عدد (٤) ألم يعلم فاعلو الإثم	ألم يعلم كل فاعلى الإثم
عدد (٥) هناك خافوا خوفا و لم يكن خوف لأن الله قد بدد عظام محاصرك أخزيتهم لأن الله قد رفضهم .	هناك خافوا خوفا لأن الله فى الجبل البار
ويمكن هنا ترجمة العدد (٥) مز ٥٣ بالقول (حيث لم يكونوا يخافون من قبل) – أو الأرجح (حيث لا يوجد سبب للخوف) وهذه العبارة غير موجودة فى مز (١٤) ومن ثم تكون مقدمة للتغيير الملحوظ فى باقى الآية .	وعن باقى تفاصيل الاختلافات فى هذه الآية :
والمزمور بذلك يحتفل بمناسبة خلاص معجزى عن طريق ألم مفاجىء ينزل بالأعداء (قارن ٢ مل ٧ : ٦ و ٧) .	انظر التعليق على مز ١٤: ٥ب و٦

المزمور الرابع والخمسون

(عونى)

برز هذا المزمور من اختبارات ممحصة جاءت بعد اختبارات مز ٥٢ .. فإن وشاية دواغ لم تكن موضوع دهشة (١ صم ٢٢ : ٢٢) إلا أن داود يجد نفسه هنا مرفوضا من رجال من نفس سبطه (١ صم ٢٣ : ١٩ وما بعده ، ٢٦ : ١ و ما بعده) بالرغم من استخلاصه لإحدى مدنهم من يد الفلسطينيين (١ صم ٢٣ : ١ وما بعده) وفى هذا الموقف الخطير والمخيب للآمال يعود داود فيلتفت إلى الله .

الأعداد ١ - ٣ : صلاتى

تزداد قوة التضرع إلى اسم الله فى مواجهة خلفية الخيانة وفى طلب التبرئة (خلصنى .. واحكم لى) .. كان أولئك الذين أفشوا سر داود من الانتهازيين لا يتمسكون بأى مبدأ - يلوّنون أنفسهم ويغيرون أشكالهم حسب الحالة ، بينما الله (على النقيض) أعلن نفسه وهو يساند اسمه الحسن (قارن مثلا مز ٢٣ : ٣ ، ٤٨ : ٩ و ١٠) - أما من جهة داود فهو مهتم بالعدل وليس فقط بالسلامة .. والقول (احكم لى) هنا تعبير قضائى ، رغم أن الحكم سيعلن فى أعمال خلاصية وليس فى أقوال .. وكان الاتهام الموجه لداود بأنه خائن ويتبين من كلامه إلى شاول مدى ألمه لهذا الوصف (ماذا عملت وأى شر بيدى) (١ صم ٢٦ : ١٨) .

العدد ٣ : (عتاة) أو (متعجرفون) كما فى العديد من المخطوطات - وقد يكون هذا صحيحًا [قارن الآية التى تكاد تطابق هذا - مز ٨٦ : ١٤) والكلمة المقترنة بها : « عتاة » يمكن دراستها بصفة خاصة فى إش ٢٥ : ٣ - ٥] والعبارة الأخيرة فى الآية تركز على ما ينقص الإنسان فى موقفه باعتبار أن هذا الموقف له دلالة خاصة (لم يجعلوا الله أمامهم) قارن الأجزاء الأخيرة من مز ٣٦ : ١ و ٣ و ٤ ومز ٥٣ : ١ و ٣ و ٤ .

الأعداد ٤ و ٥ : معينى

إذا كان داود قد وضع نفسه وأعداءه أمام الله فى الأعداد ١ - ٣ فإنه

الآن يضع الله فى اعتباره – وقد رأت أغلب الترجمات القديمة والحديثة أن النص العبرى للعدد ٤ / ب مفزع إذ يعد الله ضمن (عاضدى نفسى) إلا أن هذا ليس تحقيرًا له بل تعنى أن يده تعالى خلف كل يد بشرية تساعد – مثل أيدى الأبطال الستماية – والثلاثين – والثلاثة الواردة اسماؤهم فى ٢ صم ٢٣ : ٨ وما بعده الذين كان دعمهم وأمانتهم لداود مبعث بهجة له .. وعن موضوع الانتقام الوارد فى عدد (٥) والذى يترك أمره للرب فهو يتناسب تماما مع رومية ١٢ : ١٩ وإن كان لم يذهب إلى حد (الميل الثانى) الذى تشير إليه الآيات التالية فى رومية .

الأعداد ٦ و ٧ : أحمد اسمك يا رب

الموضوع الخاص بـ (الذبيحة الاختيارية) لا يعنى أن هناك نذرا أو تعهدًا قد ورد فى صلاة طلب المعونة – فلم يقل فى صلاته (إذا أنت فعلت هذا سأعطيك ذاك) – فالتشكرات والتقدمة كانت تلقائية (مز ٥١ : ١٢) .. وبينما يقول مزمورا ٥٠ و ٥١ إن الذبيحة فى حد ذاتها ليست ذات قيمة إلا أنها إذا قدمت بطريقة صحيحة فإنها لا تقدم الإنسان لله من خلال الكفارة ، فهى تعبير منظور عن محبة الإنسان لله وتجمع الصحبة معًا لتشترك فى الوليمة وتسمع القصة (تثنية ١٢ : ٦ و ٧) وعلى ذلك فإن داود يعيش مرة أخرى ذلك الكرب الذى عاناه فى صلاته الأولى (أعداد ١ – ٣) والإيمان الذى وصل إليه (عددى ٤ و ٥) كمقدمة للشكر الذى يرفعه الآن – بطريقة عملية . وبهذا المزمور يعدنا للسير فى الطريق المستقيم – إن اجتزنا مثل هذه الظروف – لكى ننتقل من الإحساس باليأس إلى الحرية .

المزمور الخامس والخمسون

يعاني من الخيانة

إن مثل هذه الصرخة تجعل من سفر المزامير سفرًا لاختبارات لحظات الشدة كما هو للاختبارات العادية . فمن يشعر بالحيرة والتشتت يجد له رفيقا فى متاعبه . كما يجد الباقون دليلا يساعدنا فى صلواتنا التشفعية حتى يمكننا أن نصلى من أجل اخوتنا كما لو كنا فى سجن أو نعانى من أى حزن (عب ١٣ : ٣) .. ثم إن الفقرات الممزقة للفؤاد عن الخيانة (أعداد ١٢ وما بعده وعددى ٢٠ و ٢١) تعطينا منظورا إضافيا عن آلام المسيح وفى نفس الوقت عن ضبط نفسه وموقفه الفدائى ، وهى حالة شبيهة بالظروف التى مر بها داود لكن الفرق أن داود يطلب توقيع الدينونة .

الأعداد ١ - ٣ : التوتر غير المحتمل

تلقى الجملة المتكررة فى الشريعة (فى تثنية ٢٢ : ١ - ٤) عن عدم تجاهل ورطة الجار أو القريب ، مهما كانت اللحظة غير مناسبة لإلقاء الضوء على هذه الطلبة (لا تتغاض عن تضرعى) ، وبذلك فإن التلميح يجعل صلاة داود مناشدة لشخص الله الذى لا يتغير واستنجادا برحمته .

العدد ٢ : بينما تؤيد الترجمات القديمة تلك التى تقول : (لقد هُزمت) فإن النص (القياسى) فيه كلمة نادرة يبدو أنها تعنى (أنا قلق) أو (متحير) كما فى العربية مما يعطى وصفا أكثر حيوية لمأزقه الذى يتوافق مع التعبير التالى (اضطرب) وهى كلمة تستخدم فى وصف ارتباك الجيش المحيط (قارن تثنية ٧ : ٢٣) .

العدد ٣ : يأتى هنا بيان سبب هذا الهياج : فإن مجموعة معادية تظن نفسها أنها مسيطرة . والكلمة النادرة المترجمة (يضطهدوننى) تتمشى غالبا مع كلمة (صوت العدو) فى الجزء الأول من العدد . ومع ما جاء فى إحدى الترجمات نجد الكلمات (من نظرات الأشرار) بينما فى ترجمات أخرى (ظلم الشرير) كما فى العربية .

فى الجزء الأخير من الآية نجد كلمة (يحيلون) وهى تصور شيئا يضاف

(يضيفون بؤسا يسحقنى) .

الأعداد ٤ - ٨ : الدافع للهروب

إنه لمن دواعى تعزيتنا أن نعلم أن هناك عمالقة روحيين كان لديهم هذا الدافع ، سواء كانوا قد استسلموا له مثل إيليا (١ مل ١٩ : ٣ وما بعده) أو صمدوا أمامه مثل إرميا (إرميا ٩ : ٢ ، ١٠ : ١٩) .

العدد ٦ : من المألوف القول (ليت لى جناحى حمامة) لكن الجملة الأصلية (كحمامة) .

الأعداد ٩ - ١١ : قوات الظلمة والفساد

بينما يحزن أى مواطن صالح بسبب الانهيار الاجتماعى نرى داود كملك يقبل التحدى ، فصلاته مميَّزة وتعتبر درسًا لنا ، فهو يتذكر كيف تعامل الله مع بابل المدينة المتعجرفة (فتفرق ألسنتهم) ٩ / أ - باستخدام طبيعة الشر التى تفرق بين الناس - وقد صلى داود صلاة مشابهة عندما أصبح أخيتوفل الحكيم مستشارًا لأبشالوم (٢ صم ١٥ : ٣١) وفى هذا الجزء من المزمور أيضا تفسح تجارب داود الخاصة المجال لاهتماماته العامة .. فهذه هى مدينة الله التى يجب أن تكون أسوارها حماية لشعبه (مز ٤٨ : ١٢ وما بعده) وليس مرتعًا للمتمردين والإرهابيين (عدد ١٠) والتى يجب أن تكون ساحتها (أو أسواقها) خالية من العيوب (مز ١٤٤ : ١٤) .. وهذه الصلاة مؤسسة على الصخر .

الأعداد ١٢ - ١٥ : الصديق المزيف

لا حاجة بنا إلى تحديد اسم الخائن من معرفتنا الضئيلة بأصدقاء داود لكن المهم هو الوصف .. و (عديلى) أى شخص من نفس مرتبتى - أو من نفس نوعيتى - لكن ما كان يصفه داود عن غير قصد فى هذه الفقرة المؤثرة كان أيضا جوهر خيانته هو لأوريا الذى كان واحدا من أوفى خلانه (٢ صم ٢٣ : ٣٩) .

العدد ١٥ : لاحظ صيغة الجمع فى هذا الانفجار المباغت .. لقد كان رد الفعل المباشر لدى داود - على نحو مميز - على الخيانة الشخصية هو الحزن

(الأعداد ١٢ - ١٤) بينما اشتعل غضبه على التهديد الجمعى ضد سلطانه كملك . وإن كان هذا لابد أن يشمل زعيم الثوار - والعبارة التى تقول (لينحدروا إلى الهاوية أحياء) هى صدى واضح لما جاء فى سفر العدد ١٦ : ٣٠ حيث طلب موسى برهانا على أن التمرد الذى وجِّه إليه أيامها كان تمردًا ضد الله نفسه .

ترى بعض الترجمات أن لفظ النص العبرى للجزء الأول من عدد (١٥) تسهّل ترجمته إلى (ليحل عليهم الخراب) . إلا أن الحروف التقليدية تحول هذا المعنى إلى (ليخدعهم الموت) أو (ليبغتهم الموت) - كما جاء فى الترجمة العربية .. وترجع الاختلافات فى ترجمة الجزء الأخير من العدد إلى (١) وجود جذرين للكلمة متشابهين شكلا وإن كانا مختلفين معنى ، حيث تترجمه إحداها (الرعب) بينما تترجمه أخرى (مساكن) (٢) تخمين إحدى الترجمات أن الحروف المتحركة للكلمة (وسطهم) يجب أن تقرأ (قبورهم) وهذا التخمين لا تعززه الترجمات القديمة .

الأعداد ١٦ - ١٩ : الإله الذى يسمع

بدَفع (عبد) الله إلى الصلاة ، يكون العدو قد تجاوز حدوده ، وهذه حقيقة تستحق أن تذكرها فى مثل هذا الموقف .. فهنا نقطة التحول فى المزمور .

العدد ١٧ : بينما القول (سبع مرات فى اليوم) فى مز ١١٩ : ١٦٤ لاشك أنه رقم لا يدل على التحديد فإن الأوقات الثلاثة الواردة هنا تبدو كما لو كانت عادة منتظمة قد ألزم داود نفسه بها خلال هذه الأزمة ، وقد حرص آخرون من أيام دانيال فصاعدا لأن يتبنوا مواعيد منتظمة مثل هذه فى مواجهة ضغوط العالم . وقد وضعت إحدى الترجمات كلمات هذا العدد فى صيغة انهزامية فقالت (أرعى أحزانى ومصائبى) لكن الكلمة تعنى أساسًا (أتأمل - أناجى نفسى) قارن مثلا مز ٧٧ : ٦ و ١٢ - وتختلف حسب القرينة التى تعنى هنا (صلاة الإيمان) عددى ١٦ و ١٧ ب .

العدد ١٨ : (قتال) كلمة غير عادية ، لكن بما أنها وردت مرة أخرى

فى عدد (٢١) – حرب – أو قتال – فلا داع لتعديلها .

العدد ١٩ / ب : ترجمة هذا الجزء بالقول (لأنهم لا يراعون قانونا) مشتقة عن بعد من المعنى الحرفى (الذين ليس لهم تغير) كما فى العربية – والمعنى الحرفى للعبارة كلها إما أن (هؤلاء الرجال مستغرقون فى خطيتهم) أو (أنهم آمنين ماديا حتى أنهم لا يهتمون بالله) – قارن (موآب المستريح) فى إرميا ٤٨ : ١١ (مستقر فى مأواه – لم يفرغ من إناء إلى إناء) .

الأعداد ٢٠ و ٢١ : المتكلم الناعم

كان عمق هذه الخيانة أنها حطمت عهودًا مميزة وطعنت حلفاء العهد فى الظهر ، وليس فقط الزملاء العاديين . وتبدو قدسية (العهد) بصفة واضحة فى القول (نقض) – أو (اغتصب) التى تعنى تدنيس شيء مقدس ويحتمل أن يكون الله قد دخل فى هذه العلاقة كشاهد عليها .

الأعداد ٢٢ و ٢٣ : النظر البعيد

نستطيع نحن أن نرى – حتى ولو لم يرد داود ذلك – أن معاناته ، رغم كل شيء ، لم تكن تساوى شيئا إزاء تقديم نص الآية (٢٢) للعالم . والكلمة (همك) أو (حملك) كلمة مقيدة للغاية فهى تعنى أىّ ما يُعطى لك أو نصيبك المحدد .. وهو لا يقول أو يعِد بأن الرب سيحمله عنك بل إنه (يعولك) وهذا هو نفس الفعل الذى استخدمه يوسف فى تك ٤٥ : ١١ والعديد من النماذج البشرية ، وهو يشير بالأكثر إلى عناية الله الكاملة بشعب إسرائيل فى البرية (نحميا ٩ : ٢١) .

العدد ٢٣ : من التعبير (لا يَنصفُون أيامهم) أو (لا يعيشون نصف أيامهم) أو (تقصر أعمارهم)* يبدو أن داود يشير ببساطة إلى حياة السفاحين وسفاكى الدماء المحفوفة بالمخاطر ، وإن كان فى نفس الوقت لا ينسى أن هذا تعيين الله وأن العالم ملكه .. وكان يرى فى أوقات أخرى ما هو أبعد من ذلك (مثلا مز ١٦ : ١٠ و ١١ ، ١٧ : ١٣ – ١٥) – إلا أن ما يهم هو أن الله يمسك بيمينه كل الأشياء وأن اختيار داود قد تم . والقول (أما

* انظر كتاب الحياة (المحرر)

أنا) لافت للنظر إذ هو يستبعد الآن الانشغال بالأعداء وعلى ذلك فهناك طرفان متضمنان هنا وليس ثلاثة أطراف (أما أنا فأثق بالرب) أو (أما أنا فأتكل عليك) .

المـزمـور الســادس والخمســون

مـاذا يفعـل بـى إنسـان ؟

كان هروب داود من شاول إلى مدينة (جت) بالذات دون كل الأماكن الأخرى – وهى موطن جليات ، قد أمدَّه بشجاعة اليائس وكانت مقياسًا لتقييم وقوفه إلى جانب شعبه . والآن ، لقد فشل هذا المخطط وأصبح داود محاصرا من جبهتين ، وحتى ذلك الحين لم يكن قد تم تجميع الأربعمائة – رجل الوارد بيانهم فى ١ صم ٢٢ : ٢ فكان تابعوه نفرًا قليلا جدًا .. وهذا المزمور هو الأول من مزمورين نبعا من هذه الأزمة – وفى نهاية المزمور يختتم بعاصفة من الحمد والشكر الذى وهو الموضوع الصريح لمزمور ٣٤ .

العنوان : انظر المقدمة / سادسًا / ٢ – الفقرة الثانية

الأعداد ١ – ٤ : ضغوط ووعود

قد تكون الترجمة التى تقول (الإنسان يدوسنى) فى العددين ١ و ٢ صحيحة لكن من الأنسب أن تفهم على أنها (الناس – يلهثون خلفى) كما لو كانوا فى مطاردة ساخنة (قارن أيوب ٥ : ٥) فهم يطبقون عليه .. إلا أن داود لم يُسحق بعد والترجمة العربية (يتهممنى) و(تهممنى) تعطى نفس المعنى .

العدد ٢ : (بكبرياء) تعنى حرفيا (باستعلاء) التى تفهمها إحدى الترجمات على أنها تشير إلى الله « لأن كثيرين يقاوموننى أيها العلى » كما تُرجمت أيضًا (لتظهر فى الأعالى) أو (ارفعنى إلى فوق) ويربطها بالعدد (٣) .. لكن القول (بكبرياء) هى أكثر الترجمات مناسبة .

العدد ٣ : التعبير فى الأصل العبرى : (فى يوم خوفى) وليس (عند يوم خوفى) كما جاءت فى بعض الترجمات .. وهذا يشبه ما جاء فى عدد (٩) – (فى يوم أدعوك) وجاء فى ترجمات قديمة (عندما أخاف) وهى تعطى معنى أكثر حيوية .. والإيمان الواثق يُرى هنا كعمل متعمد كتحدٍ لحالة الشخص العاطفية ، كان يبدو الأمر منطقيا لو كان الجزء الأول (عندما أكون فى سلام) .

العدد ٤ : تصبح هذه العبارة اللافتة للنظر كقرار يتكرر ، ويتوسع فى الأعداد ١٠ و ١١ ويُقتبس فى مز ١١٨ : ٦ وعبرانيين ١٣ : ٦ . وهى تضيف إلى صورة الإيمان السابقة فى عدد (٣) بإظهار (أين مقر الإيمان) (أى فى الله) وأين يجد قناعته – فى كلمته – ويتكرر ذلك مرتين فى عدد ١٠ – والعبارة الأخيرة (فلا أخاف) هى التعبير الصحيح بدلاً من القول (بلا خوف) حيث تتجاوب الأولى مع العدد ٣ / أ باعتبارها نتيجة الثقة والاتكال . وهذه العبارة الأخيرة من العدد هى نوع من التفكير الرزين الذى يظهر كم تغيرت نِسَب المشهد منذ العددين (١) و (٢) حيث كان الأعداء يتجمعون حول ضحيتهم ، وهم يرون الآن كمجرد (بشر) فى مواجهة الله (قارن إش ٣١ : ٣) وإن كانوا لا يزالون قادرين على عمل الكثير لأذية « عبد الرب » كما سيتبين من الأعداد التالية وخاصة عدد (٨) ولكنهم لا يستطيعون أن يعملوا شيئا يهزمه (قارن – قرينة المعاناة والشكر التى يقتبس فيها كاتب العبرانيين هذه الكلمات – عب ١٣ : ٦) .

الأعداد ٥ – ٧ : حماسة المضطهد

كان الضغط المتواصل هو أسوأ ما فى هذه المحنة ، وقد كان أول ما نبرَّ عنه داود فى الأعداد (١) و (٢) بالقول (اليوم كله) .. وهو يكرر نفس التعبير هنا أيضا (عدد / ٥) .. ومن الصعب الجزم إذا كان الهجوم بواسطة التحريف (يحرِّفون كلامى) أو بطريقة الإنهاك العام المتكرر ..* أما الرقابة المترصدة فى عدد (٦) فسوف يتعرض لها رب داود فيما بعد (لوقا ١١ : ٥٣ و ٥٤) وبالصدفة فإن القرينة التى جاء فيها القول (يلاحظون) توضح التوقع المتلهف الذى يرافق هذه الحالة دائما ، فهى لم تكن قط كلمة هادئة (انظر التعليق على مز ٤٠ : ١) .

العدد ٧ : جاء فى النص العبرى الفعل (يهرب) الذى فهمته بعض الترجمات على أنه فعل تهكمى ومن ثم قالت : (هل يهربون) ؟ لكن يبدو مرجحًا أن يكون خطأً قديمًا فى النسخ (pallès, – بدلا من pallèt) والأولى تعنى (كيِّل لهم) أى (جازهم) كما فى العربية** . والنصف الثانى

* من بين فعلين محتملين احدهما يعنى (يغيظ) . والآخر يعنى (يشكل) بينما يمكن أن يعنى الاسم إما (كلمات) أو (شئون) .

** تحتفظ بعض الترجمات بمعنى الفعل الوارد فى الترجمة الماسوريتية (يهرب) وتجد المعنى السلبى الناقص خلف القول (جريمة) .

من العدد لا يدع مجالا للشك فى الدافع الأساسى للصلاة - ويمكن متابعة جزء من تصميم داود على إخضاع الفلسطينيين إلى تلك الفترة من حياته .. وسوف يرى صلاته وقد استجيبت - قارن ٢ صم ٥ : ١٧ وما بعده ، ٨ : ١) .

الأعداد ٨ - ١١ : عناية الحامى عنه

كان (التيهان) هو نصيب داود الخاص ، والكلمة العبرية الدالة عليه هى (mòd) وهى الواردة فى تك ٤ : ١٦ بنفس المنطوق (نود) وهذا يستدعى إلى الذهن الصوت المشابه للكلمة العبرية (m'ód) التى تعنى قارورة أو (زق) تماما كما أن التعبير (أما هى ... محفوظة) توحى بالكلمة المرتبطة بها وهى (سِفرك)* - وعليه فإن هذا العدد المؤثر قد تشكل موسومًا بحيوية بإيمان الكاتب القلبى كما بحالته الذهنية غير المستقرة وكآبته وقد قدم الرب يسوع تعبيرات رائعة مشابهة عن عناية الله بالتفاصيل الدقيقة فى متى ١٠ : ٢٩ و ٣٠ .

العدد ٩ : (فى يومٍ أدعوك فيه) هو تعبير مشابه للقول (فى يوم خوفى) - عدد ٣ - وقد كان بولس يردد صدى الكلمات الأخيرة المنتصرة من هذا العدد (أو من مز ١١٨ : ٧ / أ) وكلّلها بالقول (فمن علينا) (رومية ٨ : ٣١) .

الأعداد ١٠ و ١١ : هذان العددان يعتبران تكرارًا للعدد (٤) [انظر التعليق] معززين الجزء الأول منه بتكرار عملى ، وهى طريقة محببة فى هذا المزمور .. وهنا يظهر اسم (الرب) فى إحدى المرات النادرة التى جاءت فى القسم الثانى من المزامير .

العددان ١٢ و ١٣ : الخطر مضى

هنا تأتى النقطة الواضحة فى هذا المزمور ، وقد ترنم بها المرنم ليحتفى بالصلاة المستجابة ويحافظ على العهد الذى قطعه على نفسه أثناء المحنة (ذبائح الشكر لك) يمكن أن يكون تعبيرًا عن التقدمات البسيطة (مثلا لاويين ٧ : ١٢) أو عن ترنيمات الحمد (مثل مز ٢٦ : ٧) ولا شك أن المعنيين مقصودان هنا ، ويمكن أن يخدم المزمور أكثر من متعبد قادم بتلقينه كلمات تصاحب تقدماته ..

* تختلف الترجمات القديمة اختلافًا كبيرًا عن الترجمة الماسورية فى الجزء الأول وقد حذفتها ببساطة أحيانا إذ شخصت التورية باعتبارها تكرارا مشوها .

وفى الحقيقة أنه يمكننا أن نرى العدد الأخير متكررًا فى مز ١١٦ : ٨ و ٩ بصورة أكمل حيث أن دموع المتألم لم تحفظ فى (زق) فقط بل مسحت .

المزمور السابع والخمسون
(أنقذ ليترنم)

تعطينا آخر كلمات العنوان إطار هذه الترنيمة بإعتبارها (فى المغارة) ويمكننا أن نشعر بالروح الواقعية والمغامرة التى يثيرها الخطر بدلا من أن يروّعها فى كل من المزمور والقصة على السواء .. فهذا هو داود الذى يستطيع أن يقول (إنه كخطوة بينى وبين الموت) فى ١ صم ٢٠ : ٣ إلا أنه يكتسب المبادرة من مطاردة ويظل محتفظًا بإيمانه المتواضع بالرب (١ صم ٢٤ : ١ - ١٥) - والقرار المثير فى عددى ٥ و ١١ يربط المزمور كوحدة واحدة ، بينما تبدو الأعداد ٧ - ١١ مثل كلمات افتتاح مز ١٠٨ - التى تربط بين عملية الحمد هذه وترنيمة المعركة من مز ٦٠ .

العنوان : تم دراسة التعبيرات الواردة بالعنوان ، والتى تتردد كثيرا فى سفر المزامير - فى المقدمة - سادسًا جـ / ٢ ص أو عن كلمات (على لا تهلك) انظر المقدمة سادسا جـ / ٣ .

الأعداد ١ - ٣ : الملجأ والحمى

تكرار الطلب (ارحمنى .. ارحمنى) يتماثل تماما مع العدد الافتتاحى لمزمور ٥٦ .. وعن رحمتى داود وملجأه ، كان من المميز أنه بينما يحدد معظم الناس ملجأهم فى مثل هذه الحالة فى (الكهف) فإن داود رأى أبعد من ذلك . فالصخر الصلد قد يكون - فى نفسه - شركًا كما يكون حصنًا - (قارن ١ صم ٢٣ : ٢٥ وما بعده) فى حين أن الحماية الحية المتمثلة فى الأجنحة لا يمكن أن تفشل (قارن مز ٦١ : ٤ ونتائج ما جاء فى راعوث ٢ : ١٢ فى جانب ومتى ٢٣ : ٣٧ فى الجانب الآخر) .

العدد ٢ : تظهر ألقاب الله المتكررة فى هذا العدد (الله العلى) و (الله المحامى) مدى الإثراء الذى يمكن إضفاؤه على الصلاة بالطريقة التى نخاطب الله بها .. وعن اسم (الله العلى) انظر تعليقنا على مز ٧ : ١٧ .. ويمكن هنا أن تستدعى ذكريات عن يد الله الصالحة مع إبراهيم الذى كان هو أيضا بلا مأوى ، ومن المؤكد أنها مهّدت للفكر عن الخلاص الآتى من السماء فى

عدد (٣ / أ) أما الجزء الثانى من العدد (٢) - الذى يحتوى فى الأصل العبرى على ثلاث كلمات فقط - فهو يقول ما يكفى لكى يحول الاكتئاب إلى يقين مترقب شاكر .

العدد ٣ : وتمجيد الله باعتباره (العلىّ) - عدد (٢) - لا يجعله بعيدًا ولا يعرقل إرسال معونته ، وهى حقيقة تستدعيها إلى الذهن افتتاحية الصلاة الربانية .. ويمكننا أن نترجم (الذين يتهممونى) أو (الذى يتهممنى) بالقول (الذين يطاردوننى بحماس - قارن التعليق على مز ٥٦ : ١ .. وسوف يتوسع الجزء الباقى من المزمور فى هذا الموضوع .

الأعداد ٤ - ٦ : حلقة الأعداء

وافقت الترجمات الأحدث على الحجة التى تقول إن تعبير (المتقّدين) - ٤ / أ - تعنى هنا - (المستهلكين) أو (المبتلعين) ومن ثم ترجمتها إحداها (آكلى لحوم البشر) .

العدد ٥ : هنا يبدو الله فى صفة (العلىّ) ، ليس أنه (كلى القوة) - قارن التعليق على عدد ٣ - بل إنه (كلى الأهمية) - ويتطلع داود إلى أعلا - باعجاب منتقلا من مصالحه الذاتية العاجلة إلى اهتمامه الطاغى أن يتمجد الله وفى مثل هذه الأزمة كان القول (ليتمجد اسمك) هو فى حد ذاته النصر نفسه كما أنه السلاح الموجه للعدد فى ذات الوقت .

العدد ٦ : كانت روح القتال قد خبت فى داود أو كادت (٦ / أ) ربما إلى أن صلى صلاته المتمركزة على الله فى عدد (٥) والآن ، وفى آخر لحظة - انقلبت الموائد فإن الشرير يحمل معه دينونته بصفة خاصة .

الأعداد ٧ - ١٠ : ترنيم انشودة النصر

تبرز الصيحة « ثابت قلبى » كنقيض سعيد لما جاء فى ٦ / أ (انحنت نفسى).. وكلمة (ثابت) هنا **Steadfast** غير التعبير الإنجليزى **(Steadfast Love** التى تعنى (رحمة) فى عدد (١٠) [التى هى عبارة عن ترجمة اسم عبرى فريد **(hesed)**] إلا أنها صفة عادية للأشياء الثابتة أو الجيدة الإعداد - والمرنم يستعد لتركيز كل انتباهه لتقدمة شكره .

العدد ٨ : تقول بعض الترجمات (استيقظى يا نفسى)* بدلا من

* انظر كتاب الحياة (المحرر)

(استيقظ يا مجدى) - اتباعًا للأصل العبرى وتمشيا مع ما جاء فى مز ٣٠ : ١٢ .. وفى نهاية العدد يستخدم المرنم التشبيه (استيقظ سحرًا) بكفاءة .. وقد اشار (ماك كاى) إلى أنه رغم أن « السحر » اسم مذكر ويستخدم فى العهد القديم كظاهرة طبيعية فيمكن استخدامها تشبيها لشخص نائم فى نشيد الأنشاد ٦ : ١٠ أو كرجل يتطلع للأمام كما فى (مزامير ١١٠ : ٣ ، ١٣٩ : ٩ ، أيوب ٣ : ٩ جـ وإش ١٤ : ١٢) .

العدد ٩ : من اليسير أن يفوتنا عرض واتساع مجال هذه الرؤية ، ناسين أن الاحتماء بالكهف وانسحاب العدو كان يمكن أن يكون كافيًا بالنسبة لمعظم الناس الذين يقعون فى مثل مأزق داود ، أما هو فقد حلقت أفكاره إلى ما فوق السموات (عدد / ٥) ولم يكن سيده حاكمًا محليا ، وقد اقتبس الرسول بولس هذه الكلمات والقريب منها الواردة فى مز ١٨ : ٤٩ .. بكل جدية فى رومية ١٥ : ٩ كنبوة يجب أن تتحقق .

العدد ١٠ : قارن مز ٣٦ : ٥ الذى يحمل نفس الكلمات تقريبا .. واستخدمت كلمات (لأن رحمتك قد اتسعت) - تاركة فكرة العلو إلى الجزء الثانى .

العدد ١١ : الله فوق الجميع

يحيط هذا القرار بالمزمور كله ، وهو يرنِّم الآن ليس بنغمة الإيمان المتحدى كما فى عدد (٥) بل بنغمة المحبة الشاكرة .

المزمور الثامن والخمسون

الطغاة فى المحاكمة

لا يسمح لنا سفر المزامير - بحبه للعدل - أن نعتاد على مشكلة احتلال الشر للمناصب العليا . وقد تجاوبت صيحة داود مع كلام آساف فى مز ٨٢ ضد الأمراء والقوات ، وقد اقترنت الفكرتان معًا فى إش ٢٤ : ٢١ حيث يواجه الجميع بالدينونة « ويكون فى ذلك اليوم أن الرب يطالب جند العُلاء فى العُلاء وملوك الأرض على الأرض » .. وهناك تغيير فى الشكل كعلامة تميز كل مقطع شعرى عن التالى له ، فيخاطَب الطغاة أولا (عددى ١ و ٢) ثم يوصفون (٣ - ٥) وترفع صلاة ضدهم (٦ - ٩) وأخيرا يفرح لسقوطهم (١٠ و ١١) .

العنوان : عن القول (على لا تهلك) وعن باقى تعبيرات العنوان انظر المقدمة .

العددان ١ و ٢ : التحدى

قد يبدو أسلوب السؤال والجواب - باستخدام أبسط التعبيرات الأخلاقية عن الخطأ والصواب - سياسة ساذجة لكنه مع ذلك يظل أكثر الأساليب الفاحصة .. وقد كان على داود نفسه - مثلا - أن يواجه نفس هذا الأسلوب عند امتحان معاملاته الغامضة مع كل من أوريا وبثشبع .. ويلاحظ أيضا التعاقب الصحيح (بالقلب .. أيديكم) .. فهنا قساوة قلب محسوبة ، سبق التفكير فيها ثم نُفذت (تعملون) تعنى حرفيا (تزنون) .. و بكفاءة تشبه كفاءة رجل الأعمال يصف (ميخا) هذه اللهفة التى لا تهدأ للسيطرة فى ميخا ٢ : ١ و ٢ .

فى العدد ١ / أ تعكس الترجمات المختلفة كل المعانى المحتملة للكلمة العبرية ('lm) [التى تعنى حرفيا : (فى سكون) إلا أنها لا تعطى معنى مقبولا - وقد ترجمت (جماعة) اشتقاقا من فعل يعنى (يتماسك) ، وقد أخذتها بعض التراجم على أنها (أحقًا) كما فى العربية] ويحتمل أن تقرأ ('èlim) لكى تشير إلى الحُكام .. إما من كلمة (rams) التى تستخدم أحيانا عن القادة (كما فى خروج ١٥ : ١٥ وحزقيال ١٧ : ١٣) أو من إحدى الكلمات عن الآلهة -

أو المقتدرين التى تستخدم بنفس الطريقة [قارن مثلا : أيوب ٤١ : ٢٥ وحزقيال ٣٢ : ٢١ حيث تستخدم بعض المخطوطات هجاء للكلمة يمكن أن تعطى معنى (rams)] لكن هناك أيضا الحكام من البشر كما فى عدد ٣ مثلا – وفى مز ٨٢ حيث تستخدم كلمة (الوهيم) تشير القرينة إلى الملائكة .

الأعداد ٣ – ٥ : الاتهام

لا يعود الطغاة يخاطبون بل يصورون ، ورغم ذلك فإن اختلاف أمثال هؤلاء الناس عن داود نفسه كما اعترف فى مز ٥١ : ٥ كان اختلافًا فى درجة الشر وليس فى النوعية ، فهو أيضا كان خاطئاً (من الرحم) . والوصف الوارد فى الأعداد ٣ – ٥ قريب جدا مما اقتبس فى رومية ٣ : ١٠ وما بعده لكن يحذر القارىء أنه إنما ينظر إلى مرآة وليس إلى مجرد صورة مرسومة لآخر .. فإذا كان هو – خلافًا لهؤلاء – قد منح التوبة للحياة (أعمال ١١ : ١٨) فليس أمامه سوى أن يشكر الله على ذلك . وقد اتجهوا للإنسان بالكذب والسم وأما لله فقد أعطوا – أذنًا صماء – هذا هو الشرير الذى سار وراء مبدأ (المصلحة الشخصية) حتى نهايته المريرة .. إنه خطر – وهذا هو تأكيد المزمور–كما أنه مخلوق تعس منبوذ لروحه العدوانية لحماية نفسه .. وفى تشبيه الحية نرى الكلمة المترجمة (صل) يمكن أن تكون (الكوبرا) التى كتب عنها (كاندال) قائلا : « الكوبرا هى الموضوع الرئيسى لمدربى الأفاعى .. والمتفق عليه الآن أن جميع الأفاعى صماء وأن المدربين يجذبون انتباهها بحركة الأرغول وليس بالموسيقى » .

الأعداد ٦ – ٩ : اللعنة

يحرض على هذه الصلاة الشعور باعتداء الناس الأشرار الذين يصولون ويجولون فى عالم الله وعن بلاغتها القوية انظر المقدمة .. وهى تعرض السؤال عما إذا كان رفع صلاة لعنة غاضبة ضد الطغاة أفضل أم أسوأ من هز الأكتاف بلا مبالاة أو الصمت الدبلوماسى ؟ ولا يدعنا العهد الجديد نشك فى هذا المجال حتى وإن كان يحول الأمر إلى نطاق جديد حيث يقاوم الشر بالخير (انظر متى ص ٢٣) – [الويلات التى صبها يسوع على فئات الشعب الضالة] .

العدد ٦ : تكمل عدوانية الأشبال العنصر الناقص فى صورة الحية الكامنة

فى عدد ٤ و ٥ .

العدد ٧ : لقد عانى الجزء الأخير من هذا العدد فى النسخ . وتتفق معظم الترجمات الحديثة أساسًا مع التخمين القائل (دعهم يداسون ويذبلون مثل العشب) حيث أن الفعل الأخير فى النص العبرى مشتق من malal بمعنى يذبل .

العدد ٨ : يقول ج . ر . درايفر إن القول (الحلزون) ترجمة غير مناسبة **أولا** لأن الحلزون فى الحقيقة لا يهلك فى طريقه الموحل **وثانيا** لأن معنى (السقط) فى الجزء الثانى مناسب ويعززه التلمود ، وواضح أنه يشير إلى (سقط) فى مرحلة مبكرة جدا بحيث لا يمكن أن يسمى إجهاضًا ، ونفس التمييز بين المعنيين فى اللغة اليونانية أيضا - لذلك فإن درايفر يترجم الجزء الأول من العدد (كما يذوب السقط) .

العدد ٩ : يخمن (درايفر) أن هناك خطأ فى النسخ أدى إلى بروز كلمة (قدوركم) بدلا من فعل يعنى (يسحب أو يقتلع) مع كلمة (كما) وفى الجزء الثانى من العدد يقول إن كلمة (شوك) يمكن أن تترجم (عشب أخضر) ومن ثم فقد ترجم العدد كله كما يلى : « قبل أن يدركوا يقتلعهم كالشوك .. كالشوك الذى يجرفه فى غضبه » وهذه مجرد واحدة من المحاولات لحل لغز ما يبدو أنه نص شديد التشابك والتعقيد بحيث لا يمكن أن تصل أى ترجمتين إلى اتفاق حوله .

الأعداد ١٠ و ١١ : التطهير

إذا كان العدد ١٠ يبدو مهتاجًا فإن القرينة قد أوضحت أن هذا هو عنف الناس الذين يتمسكون بالعدل . ويعزز هذه الفكرة تسميتهم بالصديقين والحقيقة التى تقول إن النقمة أو الجزاء هى من الله ، كما توقعت الصلاة السابقة وهو ما تؤكده الآية الأخيرة . وما قد يبدو كأنه شراسة الغول فى ١٠ / ب يأخذ معنى مختلفا فى تأنيب إشعيا : (إش ٦٣ : ١ - ٦) حيث يقول الرب (لم يكن معى أحد) يوم النقمة .. فهؤلاء الصديقون هم محاربون وليس فقط رفقاء طريق ، وسوف يتجاوز العهد الجديد هذه اللغة فى حديثه عن يوم الحساب (رؤيا ١٤ : ١٩ و ٢٠ ، ١٩ : ١١ - ١٣) حيث لا يعترف

باستخدام الأسلحة الجسدية فى الحرب الروحية (رؤيا ١٢ : ١١) .

العدد ١١ : يتسع النظر الآن ليشهد كل الجنس البشرى أخيرا ما عرفه الصديقـون دائما بالإيمان ، وهناك لفتة صغيرة فى النص العبـرى تفـيد أن (الإنسان) هنا يقصد به (الوثنيون) لأنهم يخاطبون الله بصيغة الجمع بينما يعامل إسرائيل الله دائما بصيغة المفرد عند الكلام عن الله الحقيقى .. ومن هنا فإن هذا العدد يلقى ضوءًا فى اتجاه الجواب الوحيد عن مشكلة هذا المزمور ، فإذا أعطى للطغاة حجما هائلا فللإيمان أيضا نفس الحجم . وسيرى الصديقون ثمارهم إلا أن مجدهم سيكون أنهم زرعوا بالدموع وانتظروا (كما يشير يعقوب فى يع ٥ : ١ - ١١ فى قرينة مشابهة) بصبر لا يقهر .

المزمور التاسع والخمسون

شتت أعداءنا

يعطى فرار داود من كوة بيته ليلا للمزمور أهميته (١ صم ١٩ : ١١ - ١٣) ومشاعر الغضب الواضحة فيه (بلا إثم منى) عدد ٤ - والاحتقار لطوّاف الليالى الذين يمكن أن يصطادوه (أعداد ٦ و ٧ و ١٤ و ١٥) وعن مشاعر الفرح الطاغى بخلاص الرب .. إلا أن المغامرة وترنيمتها أثمرت شيئا أعظم حتى أننا نجد (كل الأمم) - عددى ٥ و ٨ - وأقاصى الأرض فى الصورة فى هذا المزمور الذى لابد أنه قد كتب عقب اعتلاء داود العرش حين يستطيع أن يتكلم عن (شعبى) (عدد ١١) وعن الأثر العام لهزيمة أعدائه (عدد ١٣) . والحق أن هذا المزمور فيه الكثير من مزمور (٢) تماما كما أظهر داود الطريد كل الوعود الخاصة بداود الملك .

العنوان : عن القول (على لا تهلك) انظر المقدمة / سادسًا / وعن باقى التعبيرات انظر المقدمة

الأعداد ١ - ٥ : حلقة الأعداء

عن الخطر الذى واجهه داود والدلائل المنذرة عن صراع أكبر قادم . انظر التعليقات الافتتاحية السابقة . وكلمة (احمنى) (عدد / ١) تشبه الكلمة (ملجأ) فهى من نفس الأصل (أعداد ٩ و ١٦ و ١٧) وهى تحتوى فكرة الشيء الموضوع فى مكان عالٍ بعيدًا عن متناول اليد ومن هنا ترجمتها إحدى الترجمات (كن برج قوتى) وبالمقابل فإن منزل داود لم يكن حاميًا له بل كان (شرك موت) كما تحقق هو نفسه (١ صم ١٩ : ١٢) قارن أمثال ١٨ : ١٠ و ١١ كامتداد لهذه المقارنة بين الملاجىء المختلفة .

العدد ٢ : يرفض الكتاب أن يخفض من قيمة الصراعات الإنسانية لتصبح مجرد تضارب مصالح فلو كان العدد (١) لا يتجاوز ذلك فإن العدد (٢) يتعمق أكثر ليتطلع إلى أخلاقيات من يتخذون الشر والقسوة طريقًا لحياتهم (وعن القول - فاعلى الإثم - انظر التعليق على مز ٦ : ٨) وقد تعرض داود نفسه لأن يتهم بنفس هذه التهمة فيما بعد (٢ صم ١٦ : ٧ و ٨) وقد شجب

هذه التهمة – دون وعى – فورا بالطريقة التى تعامل بها معها .

العددين ٣ و ٤ : القرينة التى جاء فيها هذا الاحتجاج بالبراءة فى كل من المزمور والقصة نفسها – تلقى ضوءًا على الفقرات الأخرى حيث يمكن أن يبدو هذا الزعم مبالغًا فيه كما لو كان احتجاجًا بالبراءة النهائية . (انظر أيضا التعليق على مز ٥ : ٤ – ٦) لكن الإنجيل جاء بزاوية جديدة لموضوع المعاملة غير العادلة كما هو موضح فى ١ بط ٢ : ١٨ – ٢٠ .

العدد ٥ : تتوسع الصورة هنا عندما يستخدم داود – كملك – الصلاة الشخصية الواردة فى (عدد ٤ / ب) لظرف أكبر إلا أنها كانت من نوع الصلاة التى كان قادرا عليها فى شبابه – كما تبين كلماته إلى (جليات) التى تحمل معانى بعيدة المدى (١ صم ١٧ : ٤٥ و ٤٦) .

العددين ٦ و ٧ : المتجولون ليلا

ربما كان هذا الازدراء يمثل رد فعل داود الغاضب ضد كمين الليل (١ صم ١٩ : ١١) ، ويوضح أيوب ٢٤ : ١٣ – ١٧ نفس هذه الفكرة باحتقاره العظيم للقتلة والزناة الذين يبدأ نشاطهم بحلول الظلام .

العدد ٧ : قالت بعض الترجمات (يخورون) بدلا من (يهرّون) لكن الفكرة الجذرية هى صوت الفقاقيع . هذه تعبيرات تطلق على الكلاب لذلك ترجمها البعض (انظر كيف يسيل لعابهم من أفواههم) وبتعبيرات تناسب الإنسان ترجمت (يخرج من أفواههم سيل من الهراء) – قارن استخدام الكلمة فى أمثال ١٥ : ٢ و ٢٨ إلا أن كلمة (هراء) أضعف من أن توضح المعنى فالجزء الثانى من العدد يقول (سيف فى شفاههم) مما يتضمن الكلام المهلك .. والجزء الأخير من العدد هو تجديف .

وقد قامت إحدى الترجمات الإنجليزية – بلا مبرر – بإقحام عدد ١٥ بين عددى ٦ و ٧ وحذف عدد ١٤ وهذا يبين لنا فقط الطريقة التى كان يمكن للمترجمين أن يكتبوا بها المزمور ليس إلا .

الأعداد ٨ – ١٠ : ثقة منتصرة

عن سخرية الله الهائلة قارن ٢ : ٤ – ٦ وضحكات الحكمة فى أمثال (١ : ٢٤ – ٢٦) إلا أن الصورة يجب أن تتوازن بحزن الله (تك ٦ :

٦ ، لوقا ١٩ : ٤١ – ٤٣) حتى لو كان هذا الحزن ليس إلا علامة على الدينونة القادمة .

أعداد ٩ و ١٠ : هذه الأعداد تحتفل بنقطة التحول التى أمكن الوصول إليها الآن وتكررت وتلخصت فى العدد ١٧ لكى تجمع أفكار المزمور ككل .. إلا أن النص العبرى فيه اختلاف بين الرجاء وتحقيقه فى موضعين .. فهو هنا يقول (فى الأصل العبرى) [(يا قوتى – أو ملجأى – سوف أنتظرك) عدد (٩) فى مقابل (يا قوتى لك ارنم) – عدد ١٧ – كما أن الأفعال فى عدد (١٠) فى صيغة المستقبل – بينما هى فى عدد ١٦ / ب فى صيغة الماضى] .

والكلمة (تتقدمنى) فى عدد ١٠ / أ كلها حيوية لأنها مؤسسة على فكرة ما هو موضوع (أمام) شخص ما وعادة يحمل معنى المواجهة بالحضور لملاقاته كما فى الآية الجميلة (مز ٢١ : ٣) – انظر التعليق عليها – إلا أنها أيضا يمكن أن تعنى مضمون أن (تمضى فى المقدمة) لكى تقود الطريق كما فى (مز ٦٨ : ٢٥) – ومن هنا قالت بعض الترجمات تمنع أو تتقدم أو (تصير بطلى) وأى معنى يصلح هنا فإن ما يهم هو أن الله – وليس العدو – يملأ الساحة أمام عينى داود .

الأعداد ١١ – ١٣ : تدهور بطيء

بالإشارة إلى (شعبى) و (أقصى الأرض) تطبق هذه الفقرة دروس حياة داود الباكرة على شئون الدولة وأكثر من ذلك على مجد الله فى كل الأرض (١٣٠ / ب) .

العدد ١١ : التعبير الواقعى (لئلا ينسى شعبى) هو تعبير كتابى نموذجى وهو واحد من الاهتمامات الأساسية لسفر التثنية (مثلا تث ٨ : ١١ – ١٤) كما يسود على مز ٧٨ ومز ١٠٦ فى استعادتهما للتاريخ .. ويستخدم الله عادة القوى المعادية لإسرائيل فى مواجهة ضلال شعبه وعدم انتباهه ، بعدة طرق .. كسوط (إش ١٠ : ٥ و ٦) وكامتحان للولاء (قضاة ٢ : ٢٢) أو كمتسلطين (قضاة ٣ : ٢) وفى هذه الرسالة هنا يستخدمها كدروس عملية .. وفيما يتعلق بالعدد ١٣ نجد أن القول (لا تقتلهم) ليس طلبة نهائية بل هى تطلب دينونة متمهلة إلى أن تصل إلى النهاية المرة . ولا داعى لأن تقرأ باعتبارها سؤال (ألن تقتلهم) كما قالت إحدى الترجمات ولا مبرر لحذف

كلمة (لا) كما قالت ترجمة أخرى فإن العهد القديم كثيرا ما يستخدم ملاحظة واحدة بلا مواربة لتفسر ملاحظة أخرى تحتاج إلى تقييد (مثلا خروج ٢٠ : ٤ و ٥ فى ضوء العدد ٢١ : ٨ ، ٢ مل ١٨ : ٤ ب) وقد أوحت بقية الآية (مع مز ٦٨ : ١) بجزء من النشيد القومى البريطانى (شتت أعداءها وليسقطوا أمامها) والقول (تيّههم) هنا أنسب من (قلقلهم) . ويظهر أصل الفعل مرة أخرى فى العدد ١٥ / أ - وقد كتب على داود نفسه أن يختبر نفس هذه المذلة (٢ صم ١٥ : ٢٠) .

العدد ١٢ : نجد فى قصة (أهل شكيم) فى قضاة (٩) المثل عن مجتمع بأكمله يحطم نفسه بنفسه بالكبرياء واللعن والكذب . وكل خطية من هذه الخطايا قاتلة للمجتمع وتحمل فى ثناياها عقوبتها الطبيعية لكن الكبرياء أيضا تحدٍ صارخ لله .

العدد ١٣ : كلمات داود العظيمة لجليات فى ١ صم ١٧ : ٤٦ / ب والتى تتشابه تماما تقريبا مع عدد ١٣ / ب تعزز أن الهدف الرئيسى هو (ليعلموا) .. والشوق إلى رؤية الناس يعترفون بالله هو علامة عبد الله الحقيقى (قارن ١ مل ١٨ : ٣٦ ، يوحنا ١٢ : ٢٧ و ٢٨) .. ولو أنه يحتمل أن داود كان يقصد الله وليس شاول عندما تغنى بالمزمور لأول مرة فإن توسعه اللاحق لمجال المزمور يعطيه معنى القول (الله وليس داود) لأنه يصلى فى طلب تدخل واضح من السماء .

الأعداد ١٤ و ١٥ : الطغمة الجائعة

عند تكرار نفس الجملة نجد تغييرا بسبب ثقة داود فى النصر المؤكد .. لقد عاد المتجولون الليليون مرة أخرى لكن ، أين عجرفتهم الآن ؟ (قارن عدد ٧ مع عدد ١٥) قالت بعض الترجمات (إن لم يشبعوا ويدمدموا) وهذا التعبير استخدم عن بنى إسرائيل فى البرية .. وهو يعطى معنى رائعًا وهكذا كان المفهوم فى الترجمات القديمة .. إلا أن الحروف العبرية التقليدية توحى بمعنى بديل (يبيتون) (يقضون الليل) كما فى العربية وهو ما يفضله بعض المفسرين .. وإن كان القول (يدمدموا) بتذكيره عن المتمردين الجياع فى البرية يبدو كأنه الطريقة الصحيحة لقراءة الأصل العبرى وهذا المعنى يتفق

مع التناقض ذى المعنى الذى سيلى مباشرة* .

الأعداد ١٦ و ١٧ : تمجيد مبتهج بالنصر

بعد أن ذكر ذلك الوصف المؤسف لأول مرة فى عددى ٦ و ٧ كان هناك تناقض قوى فى القول (أما أنت) عدد (٨) وعندما تكرر نفس الكلام مرة أخرى نجد أن هناك مجموعة أخرى مكونة من [(هم) - عدد ١٥ - و (أما أنا) - عدد ١٦ - ويتبعها مباشرة التناقض بين (الدمدمة المكتومة) وبين (تسبيحة التمجيد) .. وهناك ثلاث كلمات مختلفة مستخدمة لهذا الغرض يمكن ترجمتها (أغنى وأرنم) عدد (١٦) و (أرفع نشيدى) عدد ١٧ .

عدد ١٧ : وكما تغيرت صيغة القرار (٦ و ٧ و ١٤ و ١٥) تغيرت كذلك ترنيمة الثقة .. كان الموضوع فى عدد (٩) هو الانتظار الصابر (إليك ألتجىء) . والآن يستعيد داود ذكريات الصلاة المستجابة فى شكر وامتنان (١٦ / ب) فتتغير : (إليك ألتجىء) لتصبح (لك أرنم) .. ولا يحتاج بعد ذلك أن يكمل الجملة التى ابتدأت نظيرتها فى عدد (١٠) بالقول (إلهى رحمته تتقدمنى) .

* انظر كتاب الحياة « يطوفون فى المدينة ، يهيمون متشردين طلبا للطعام . وإن لم يشبعوا يدمدمون » (المحرر) .

المــزمــور الســـــتون

باطل عون بنى آدم

لولا هذا المزمور وعنوانه لما حصلنا على أى تلميح عن كيفية معاملة أعداء داود المحيطين به وهو فى قمة السلطان والقوة .. فإن نجاحه قد جلب معه الأخطار إذ تحالف أعداؤه ضده (قارن ٢ صم ٨ : ٥) وحاربوه فى معارك بعيدة عن وطنه . فى مثل هذه اللحظة ، عندما كان الجزء الأكبر من قواته معه بالقرب من نهر الفرات (٢ صم ٨ : ٣) انتهز أدوم الفرصة لكى يهجم على يهوذا من الجنوب .

إذًا فإن المزمور موضوع فى إطار الأنباء المثبطة عن خراب فى الوطن (الأعداد ١ - ٣) وهزيمة يبدو أنها واجهتهم عند أول محاولة للانتقام (عدد ١٠) .. إلا أن القصة الحزينة والصلاة الختامية يسود عليها رد الله المبهج لدرجة مذهلة (٦ - ٨) .

وهناك صلة بالأسفار الأخرى - فالأعداد ٥ - ١٢ تكررت فى مز ١٠٨ : ٦ - ١٣ - كما أن العدد (١٠) يستخدم لغة مز ٤٤ : ٩ ب .. وتنسب معركة وادى الملح إلى ثلاثة رجال هم داود وابيشاى ويوآب (هنا) (قارن ٢ صم ٨ : ١٣ و ١ أى ١٨ : ١٢) وهى حقيقة يمكن أن تعكس تعدد الرؤساء أو - كما يقترح (مل ١١ : ١٥ و ١٦) تعدد جبهات القتال .. والفرق فى رقم القتلى بين (١٢٠٠٠) هنا و (١٨٠٠٠) فى صموئيل وأخبار الأيام يمكن أن ينشأ من اختلاف طريقة تلخيص المعركة الطويلة أو من أخطاء فى النسخ ، وأقل مثال لذلك موجود فى النص العبرى لـ (٢ صم ٨ : ١٣) .

العنوان : عن تعبيرات (إمام المغنين) و (مذهبة) - انظر المقدمة .. (على السوسن) يمكن أن تكون توجيهًا موسيقيًا (انظر المقدمة / سادسًا جـ / ٣) وقد يكون اسم لحن .. (شهادة) - كما فى مز (٨٠) وهذه الكلمة مع كلمة (للتعليم) تذكرنا أن المزمور بتضرعه المؤثر وترديده صدى صوت كلمة

الله ليس موضعه فى المتاحف بل هو رسالة توبة لكل جيل .

الأعداد ١ – ٤ : الضمير (أنت) المكرر ثلاث مرات فى عدد (١) (رفضت – اقتحمت – سخطت) ليست للتأكيد لكنها جزء من صيغة الأفعال التى تتابعت بكثافة وسرعة ناسبة (العُسر) فى عدد (٣) إلى الله مباشرة وليس لإحدى حلقات الأسباب . ومن هنا يرى داود الصورة المشوهة معقولة أساسًا ثم أنها تحت السيطرة الكاملة .

العدد ١ : (رفضتنا) يجب أن تقرن بالتعبير المقابل وهو (احباؤك) فى عدد (٥) إذًا فهذا ليس رفضًا نهائيا كما أنه كذلك ليس غضبًا هائلاً إلا أنه أول ما يجب أن يقال لأنه يهم أكثر من كل الباقى فليس هنا شىء أقسى على النفس من الاغتراب والإقصاء .

العدد ٢ : إن تشبيه الزلزال يواجهنا بمعالجة الله القاسية لما نظنه أمنًا ، و لم تكن هذه ضربة منفصلة ، فإنه خلافًا لأنبياء السلام الذين يحاولون ترميم ثغرات المجتمع (حزقيال ١٣ : ١٠ – ١٦) – يظل الله يهز بشدة ما لا يصلح للبقاء ويقسم ما لم يكن متحدا متماسكا كما فى (١ مل ١٢) وقد تستمر هذه العملية فى العهد الجديد – قارن رؤيا ٢ ، ٣ – وفى تاريخ الكنيسة .

العدد ٣ : بمقارنة (أريتنا .. عُسرا) مع فكرة الترنح بالخمر نجد أن العسر يصف الأزمة الخارجية بينما يصف ترنح المخمور الارتباك والأزمة الداخلية والأزمتان تتفاعلان معا .

العدد ٤ : بعض الكلمات فى هذا العدد لها أكثر من معنى محتمل .. والكلمات فى الجزء الثانى تبدو كصدىً لكلمة (راية) وكلمة (ترفع) ترجمت فى بعض الترجمات (يهرب إليها) لأجل أو من أجل بمعنى السببية كما فى النص العبرى للآية تثنية ٢٨ : ٢٠ ، نحميا ٥ : ١٥ . كما أن (الحق) يمكن أن تترجم (العدل) [والمعنى الأول كما فى أمثال ٢٢ : ٢١] .

وعليه فإن المعنى العام للعدد يمكن إما أن يكون لمحة أولى للتشجيع [أى (يهرب إليها لأجل الحق)] أو كاللطمة الأقوى التى ستأتى (وهى الأمر بالتراجع) والمعنى الأخير يرجح قليلا فإن التراجم القديمة فهمتها هكذا (ففى

السبعينية ترجمت – لتهرب من القوس) وكلمة (سلاه) فى نهاية العدد توحى بأن رواية الأحزان تستمر حتى هذه النقطة تاركة عدد (٥) لينطق بأولى كلمات الرجاء .. وقد نلاحظ أن إرميا ٤ : ٦ تعطى إشارة عن الراية التى ترفع عند الهروب بدلاً من الهجوم : (ارفعوا الراية نحو صهيون . احتموا . لا تقفوا) .

الأعداد ٥ – ٨ : تحجيم الإنسان

العدد ٥ : مهما كانت الضيقات باعثة على اليأس فإن هذا العدد هو صلاة إيمان تلمع فى التعبير الوحيد (احباؤك) والكلمة العبرية تنتمى إلى شعر الحب وهى تناشد أقوى الروابط وأكثر العلاقات حماسة ، ولم يذهب النداء هباء فقد أتى الرد فوريًا وغامرًا .

الأعداد ٦ – ٨ : وعن الردود الإلهية التى تقتحم بعض المزامير انظر التعليق على مز ١٢ : ٥ و ٦ والقول (بقدسه) هنا يراها معظم المفسرين المعاصرين كأنها صورة للاحتفال المذكور فى (تث ٣١ : ١٠ – ١٣) ليحيوا ذِكرى عطية الله لإسرائيل وهى الأرض الموعودة – وسواء كان داود يقتبس من مثل هذا الطقس أو أن الكلمات مناسبة لوقت الأزمة فإن هذا الإعلان رائع وفى مكانه تماما .. وتبدو كما لو كانت هى كلمات الوالد الحازمة التى تسمع بارتياح ، بعد عراك بين الأطفال وصل إلى حد التضارب ، فالعددين (٦ و ٧) يُعلنان ميراث إسرائيل والعدد (٨) يضع جيرانها فى مكانهم الصحيح .. ويسيطر الله على الموقف ، فليس الأمر الآن أمر متنافسين على الامتلاك بل هو أمر سيد الإقليم الذى يوزع أراضيه ووظائفه بما يناسبه هو تماما .

العددان ٦ و ٧ : كانت (شكيم) و (سكوت) على جانبى نهر الأردن هما أول اجزاء أرض الميعاد التى احتلها يعقوب بعد سنى عمله مع لابان – وكانت (جلعاد) هى أرض إسرائيل فى شرق الأردن .. وقد انتشر سبط (منسى) على جانبى النهر وكان افرايم ويهوذا هما السبطان الرئيسيان فى غرب النهر .. وعلى ذلك فإن التاريخ القديم والحدود بين الأسباط الإسرائيلية قد أعيدت إلى الأذهان فى بضع كلمات قوية وجريئة وتحددت أسماء الوسائط الأساسية للدفاع والحكم (الخوذة والصولجان) .. ولكن لاحظ ضمير المتكلم

المكرر (لى .. لى .. صولجانى) لأن كل شيء (له) وليس للشعب وأولئك الذين يعطيها لهم هم مستأجروه وعماله ، نعم وهى مضمونة لهم بالأكثر لهذا السبب عينه .

العدد ٨ : وبعد المراكز الرفيعة تأتى الحقيرة ، ولكنها مع ذلك لا زالت (له) لكى يعطيها .. كما أن لها استخداماتها أيضا (قارن ٢ تى ٢ : ٢٠ و ٢١) .. وقد لا يكون هناك سبب خاص يجعل موآب (مرحضتى) وليس (أدوم) إلا لأن أدوم – الذى هو عدو هنا – وُضع فى أحقر مكان .. وقد اشتهر الاثنان بكبريائهما (إش ١٦ : ٦ وعوبديا ٣) .. وقد اقترح (ديليتش) أن القول (اطرح نعلى) كانت تشير إلى المطالبين بالملكية إلا أن هذا غير ضرورى . فالصورة هنا هى صورة رجل عائد لبيته وهو يلقى حذاءه لخادمه أو عبده أو يلقيه فى أحد الأركان .. أما بخصوص (فلسطين) و (الهتاف) (يا فلسطين اهتفى على) يمكن أن تكون إما سخرية مهينة لهم أو يكون (هتاف الولاء) (هتاف ملك فيه) للعدد ٢٣ : ٢١ – لكن مز ١٠٨ : ٩ هناك القول نفسه (يا فلسطين اهتفى على) وهناك ترجمة تقول (على فلسطين أهتف)* وقد تكون هذه هى الترجمة الصحيحة لكلا المزمورين .

الأعداد ٩ – ١٢ : القتال يستأنف

إن تمجيد قوة الله شيء ، والمقامرة بها شيء آخر .. والعمل القادم لا يقلِّل من شأنه . فإن المدينة المحصنة ليست فى متناول يد داود وأكبر من إمكاناته (قارن ٢ كو ١٠ : ٣ و ٤) وما لم يذهب الله معه – بل ما لم يذهب الله أمامه – (من يقودنى .. من يهدينى) .. وهذا أمر لا يسلِّم به جدلا وافتراضًا (عدد ١٠) فقد واجه داود الدرس المذل بانسحاب الله (وهناك موقف آخر مشابه وسؤال مشابه مُثار فى مز ٤٤ : ٩ – ١٦ و ١٧ – ٢٦) .. إلا أننا نلاحظ الروح الجديدة للهجوم رغم كل انعدام ثقة داود فى نفسه .. فليس العدو هو القادم للغزو .. (عدد ١ – ٣) بل هو الذى يجب أن نغزوه .. وأخيرًا تعود الصلاة إلى التأكيد فلا يعود المغامر وحيدًا

* انظر كتاب الحياة (المحرر) .

مهجورًا بل يتحول إلى (مجموعة عمل) .. فبالنسبة لنا ستكون هناك أعمال شجاعة وبسالة ، ومن جهة الله لن تكون (يده) فقط مع يدنا (١٢ / أ) بل ستكون قدمه فوق الأعداء (**بالله** نصنع ببأس وهو **يدوس** أعداءنا) .

المزمور الحادى والستون

« صخرة أرفع منى »

هذا المزمور – فى مجمله – أولا صلاة لطلب الأمن ثم – بعد (سلاه)- فى عدد ٤ – يتحول إلى ترنيمة شكر من أجل الإجابة المؤكدة وطِلبة بنَّاءة من أجل النعمة الدائمة . ربما كان العددان ٦ و ٧ ملاحظة اعتراضية ملهمَة ليستخدمها العابدون فى الأجيال التالية – التى حوَّلت طِلبة داود إلى صلاة من أجل كل من يشغل عرشه بعده ، وإذا كان الأمر كذلك فهى تذكِّرنا أن نستخدم المزامير كوسائط أو صلوات شفاعية لمعاصرينا كما نستخدمها كصلوات لأنفسنا .

لكن قد تكون هذه الكلمات هى صرخة أطلقها داود للاستغاثة عندما كان بعيدا فى الميدان (قارن تعليقاتنا الأولية على مز ٦٠) أو حين طُرد من العرش بيد أبشالوم ، وهو قد استخدمها بنفس الطريقة اثناء مُلكه كتوسل مبدئى من أيام هروبه من شاول .. وما كان لا يستطيع أن يتنبأ به كان هو الاستجابة الغزيرة لصلواته من أجل الملك (عددى ٦ و ٧) التى كان مقدَّرا عليها أن تُقبل فى المسيح (أكثر جدا مما نطلب أو نفتكر) .

الأعداد ١ – ٤ : « لأسكنن مطمئنا »

يزخر العهد القديم بأمثلة لرجال اعتمدوا على الرب ووثقوا به وهم بعيدون عن أوطانهم أو حيث كان يبدو أن الجميع أعداء وليسوا أهلا للثقة (مثلا : إبراهيم ويعقوب ويوسف .. إلخ) وحين تكون الآلهة المزعومة الأخرى تترنح (قارن ١ صم ٢٦ : ١٩) ويضاف إلى متاعب داود هنا تجربة الاكتئاب أو الإعياء (عدد / ٢) – قارن كلمة (أعيا) فى عنوان مز ١٠٢ حيث وصفت الحالة بإسهاب أكثر .

العدد ٢ / ب : هذا التضرع الذى لا يُنسى قد خفف لدرجة كبيرة فى بعض الترجمات التى يبدو أنه كان لديها نص عبرى مختلف ، مستبدلة النص الذى تحت يدنا بنص آخر تخمينى – تماما كما لو كان النص الأول طيب جدا بحيث لا يبدو حقيقيًا وبذلك فقدت معنى الإشارة إلى ما هو (أرفع منى) –

وعن هذا الموضوع (الملجأ الأعلى) انظر التعليق على مز ٥٩ : ١ .

العددان ٣ و ٤ : نرى حماية الله هنا فى تعبيرات شخصية متزايدة القوة إذ تفسح القوة الفريدة للصخرة المرتفعة فى عدد (٢) للبرج المبنى بغرض القوة (٣) وهذا بدوره يقود إلى كرم ضيافة الخيمة (المسكن) بما تتضمنه من الأمن وسط الأصدقاء وأخيرا اللجوء إلى الحماية الأبوية الحنونة المتمثلة فى (الجناحين) وهذه هى أفضل أنواع الحماية – رغم كل المظاهر الأخرى – قارن التعليق على مز ٥٧ : ١ – والعدد ٤ / ب ليست مجرد رغبة جارفة بل هى صلاة واثقة تماما كالجزء الأول من العدد .

الأعداد ٥ – ٨ : أفضل من الأمان

العدد ٥ : بينما يبدو أن لهجة التوكيد الفجائية تعنى أن المزمور كله هو تسبحة شكر لتصاحب الوفاء بالنذر ، وأن الأعداد الافتتاحية ما هى إلا ذكرى للصلاة التى رفعت وقت المحنة ، فإنه يبدو من الأنسب أن نفهم عدد (٥) كملحق سريع للتضرع عندما تشرق الثقة فى الرب على ذهن داود ، وقد يبدو محتواها غامضا إلا أنه فى الحقيقة شامل لكل شيء حيث أن (الميراث) أو (الحيازة المعينة) من الله لتابعيه هى بلا حدود وغير قابلة للتغيير – انظر مز ٣٧ : ١١ و ٢٩ – وهى ما تساوى القول (كل شيء هو لكم) .. يجب أن ننتظرها لكنها مؤكدة .. ويمضى داود إلى أبعد من ذلك مستخدما كلمات مختلفة فى مز ١٦ : ٥ و ٦ .

العددان ٦ و ٧ : سواء كان داود قد رفع هذه الصلاة كملك مطالبًا بالوعود مثل ٢ صم ٧ : ١٦ أو إذا كانت قد أضيفت لاستخدامها فى الصلاة الجمهورية فإنها كانت ستتحقق بفيض عظيم فى شخص (الملك) المسيا .. الذى يتمتع شعبه – من خلاله – بالبركات الملكية (أفسس ٢ : ٦ ورؤيا ٢٢ : ٣ – ٥) . ويستطيعون أن يصلوا هذه الصلاة من أجل أنفسهم .

العدد ٨ : حوّل المزمور تغير الكلمات إلى ما هو أبدى لتواجه القلق الذى بدا فى الأعداد الأولى .. وكلمة (إلى الأبد) تحمل الفكر إلى المستقبل غير

المحدود بينما توجهه كلمتى (يوما فيومًا) إلى ما هو واقع فى المستقبل القريب ومن ثم إلى استجابة عملية .. كانت (النذور) تؤدى عادة فى احتفال واحد إلا أن داود كان شاعرًا بالدَّين الذى لا يمكن أبدًا الوفاء به .. وقد عبّر الشاعر الإنجليزى عن ذلك بالقول :

إن حبـك الحلـو العجيـب
سيشملنـى كـل أيـام حيـاتـى
وحيث أنه لن يتغير أو يزول قط
فلـن يكف لسانى عن تمجيـدك

المزمور الثانى والستون

(كل رجائى)

يقف هذا المزمور شامخًا بين الثمار الكثيرة الطيبة للمحنة فى سفر المزامير لأنه يبدو واضحًا أنه كتب حين كان لا يزال ضغط المحنة فى ذروته (٣) وهو يظهر علامات الثقة والوضوح المتزايدين كلما تقدمنا فى المزمور – لقد تعلم داود وحده سرًا فى العدد (١) وأعاد تأكيده لنفسه فى عدد (٥) ثم حث الآخرين على اتباعه (عدد ٨) مستخلصًا دروس اختباره وإعلاناته لخيرنا وتمجيد الله .. ومع أنها صلاة عاجلة إلا أنها لا تزال تنتظر الإجابة كما تختبر تجديد العهود وتعميقها .

العنوان : سبق دراسة كلمة (يدوثون) فى مطلع مز ٣٩ – انظر أيضا المقدمة / سادسًا / ب .

الأعداد ١ – ٤ : هدوء رغم الضغوط

يتكرر العددان (١) و (٢) مرة أخرى فى المقطع الثانى من القصيدة الشعرية (فى عددى ٥ و ٦) مع تغيير طفيف فى اللهجة ، أما هنا فإن العبارة الافتتاحية للمزمور لها بساطة ذات مغزى فى شكلها الأدبى فإن القول (إنما لله) يعنى أنه (حقا أنتظر الله) وقد ترجمتها إحدى الترجمات (حقًا ينتظر قلبى الله فى سكون) .. [لقد قلت كل ما عندى – أو ربما لن تكون هناك كلمات أخرى – ويبقى المخرج بيد الله وحده] وربما يكون الأمر أن داود قد افتقد الثقة فى نفسه حتى لم يجرؤ على أن يرد على معذبيه (كما فى مز ٣٩ : ٢) وربما يكون الموقف الوارد فى مز ١٢٣ : ٢ هو النموذج المثالى لمثل هذه الحالة (انظر أيضا التعليق على مز ٦٥ : ١ عن السكون باعتباره ذروة من نوع آخر) وليست هذه العبارة الافتتاحية فقط هى التى اكتسبت قوة أكثر بسبب القول (إنما) بل إن كل المقطعين الشعريين (من عدد ١ – ٨) اكتسبا نفس هذه القوة بتكرار كلمة (إنما) التى تفتتح بها خمس آيات من الثمانى آيات المذكورة وهو قول (توكيدى) لكى يضع خطًا تحت عبارة معينة أو ليشير إلى تناقض ما .. وتكراره الملحّ يعطى للمزمور نغمة أهمية معينة .

العدد ٢ : من المفهوم أن الفكرة القائلة إن الله (صخرة) و (ملجأ) –

وهذه الأخيرة تتضمن فكرة ملاذ قائم فى مكان مرتفع كما فى ١٨ : ٢ و ١٤٤ : ٢ و ٥٩ : ١ - كانت الفكرة المحببة والمفضّلة لداود الذى نادرًا ما تخلو مزاميره من الأعداء أو ظلالهم بشكل من الأشكال ... وكفكرة طارئة يستخدم داود التأكيد (لا أتزعزع) ثم يضيف كلمة (كثيرًا) فى آخر العدد لكن عندما يتكرر هذا القرار فى عدد ٦ - لا تستخدم هذه الكلمة .

العددان ٣ و ٤ : ولكون الشر لا يرحم فإنه يتجه إلى نقطة الضعف لكى يعطى دَفعة أخيرة لأى شىء يكون مائلا أو مترنحًا - كما أنه يتجه أيضا إلى نقاط القوة التى هى هدف حسده ونفاقه (ليدفعوه عن شرفه) أو (ليطيحوا به من مكانته الرفيعة) .. وهو النقيض الكلى للصلاح الذى يحافظ على القصبة المرضوضة ويسر عندما (نكون نحن ضعفاء وأنتم أقوياء) ويبلغ أقصاه (باخراج الحق إلى الأمان) [انظر إش ٤٢ : ٣ ، ٢ كو ٤ : ٢ ، ٢ كو ١٣ : ٩] .

الأعداد ٥ - ٨ : الاحتفاظ بالهدوء والمشاركة فيه

يكرر العددان ٥ و ٦ الكلمات الواردة فى عدد (١) إلا أنه يخفف من لهجته بثلاثة فروق طفيفة : الأول أن داود الآن يحث نفسه على الصمت فى حين كان يقرره ببساطة فى العدد (١) (وهل يعتبر هذا تهدئة للنفس بعد الإثارة الواردة فى عددى ٣ و ٤ ؟) .. والفرق الثانى هو ببساطة فرق فى الأسلوب وذلك باستبدال (رجائى) بدلا من (خلاصى) (قارن ١ / ب) ومن ثم تفادى التكرار فى العدد التالى أما الفرق الثالث فهو واقعى جدًا بتعزيز الثقة الجزئية للعدد ٢/ ب (لا أتزعزع كثيرًا) لتصبح ثقة قاطعة (لا أتزعزع «قط»).

العدد ٧ : كان داود على حق عندما فضح المتآمرين والخونة ومؤامراتهم فى المقطع الشعرى الأول .. والآن ، ظهرت حكمة داود فى ألا يفكر فيهم مرة أخرى ، بل يملأ أفكاره بالله ، وهذه الكلمات فى غالبها تأملات سبق أن وضعها فى شكل كلمات إلا أنها شغلت تفكيره بمعانيها .. وهناك نقطة واحدة جديدة تبرز فى القول (على الله .. **مجدى**) .. إنه لأمر أكثر من مجرد الحاجة إلى ملجأ للنجاة [ذلك الذى تبادر إلى ذهن داود والذى كان يمكن تخيل التوصل إليه فى مكان آخر] .. وهذا الأمر ليس له سوى مصدر واحد

وبدونه يصبح الباقى بلا قيمة (قارن إرميا ٩ : ٢٣ ومرقس ٨ : ٣٥ – ٣٨) وعدم جدوى الملاجىء الأخرى واضح فى نهاية المزمور .

العدد ٨ : فى الوقت نفسه يجد داود أن اختباره جدير بأن يشترك فيه الآخرون ، فإن ما وجده هو فى إحدى الأزمات سيكون متاحا (فى كل حين) وكما كان الله بالنسبة له يمكن أن يكون بالنسبة للآخرين أيضا . ويمكننا أن نلاحظ فى القول (اسكبوا قلوبكم) القطب المقابل (للصلاة الساكتة) التى سادت فى العدد (١) والعدد (٥) وهذين التعبيرين معًا لا يمكن أن يكون لهما مثال فى التعبير عن التخفف الفورى للنفس ، الذى هو أحد جانبى الموضوع والانتظار المتوقع الذى هو الجانب الآخر له .

الأعداد ٩ – ١٢ : المادة والوهم : (الظل)

تستخلص الآيات الأربع دروسًا عظيمة عن الحياة فى التعبير عن الإنسان (٩ و ١٠) وعن الله (١١ و ١٢) .

العدد ٩ : لا يوجد فى العبرية سوى تعبيرين متشابهين عن الإنسان . الأول (بنوا آدم) والثانى (البشر) والقول (هم من باطل) وجدت فى ترجمة أخرى (كنسمة)* .. ويتكلم العهد الجديد بتعبيرات مشابهة فى يعقوب ٤ : ١٤ (كذب) يمكن أن تكون (تضليل) أو (خداع) .. والمهم هنا ليس أنه لا يوجد ما نخافه من الإنسان (كما فى مز ٢٧ : ١ – ٣) بل إنه ليس هناك ما نرجوه من إنسان .. وكلتا الفكرتين موجودتين فى مز ١١٨ : ٦ – ٩ .. وقد ظهرت خيانة البشر فى الأعداد ٣ و ٤ .. وهنا ظهرت مراوغتهم بالإضافة إلى (مجد العالم الزائل) فى هذه الفقرة ... وحيث أن كلمة (المجد) فى العبرية مبنية على ما هو ذو ثقل وكيان مادى فإن صورة (الموازين) هنا ملائمة تماما .

العدد ١٠ : يتصاعد المزمور بثبات فى بيان بواعث الإيمان الصحيحة والخاطئة فالاعتماد على الغنى لا يقل فى خطورته عن حياة الجريمة .. ويوضح الإنجيل هذه النقطة بنفس الجرأة فى (١ تى ٦ : ١٧ – ١٩) التى قد تكون

* انظر كتاب الحياة « ليس البشر جميعا ، عظماء وأدنياء ، سوى باطل ووهم . إن وضعتهم فى كفة ميزان لا يزنون شيئا إنهم أخف من نسمة » (المحرر) .

تلميحًا لهذه الآية فى تناولها الخاص الحريص للموضوع (يلقى رجاءه على) أو (يضع قلبه على) .. والقول (زاد الغنى) مؤسس على حمل الثمار – مما يشير إلى جزء من فتنة ومتعة جمع الأموال .

العددين ١١ و ١٢ : بعد الظلال الكئيبة يرجع بنا المزمور الآن إلى الحقيقة الصلدة وذلك على مستويين : عملى وأخلاق .. وتفهم إحدى الترجمات هذين المستويين على أنهما الدرسين اللذين قال عنهما داود (هاتين الاثنتين سمعت) لكن الأرجح أن القول (مرة .. واثنتين) هى مجرد طريقة لتأكيد القول إن كل النبوة قد ترددت مرة أخرى مما يسبب اختلافًا ضئيلاً فى المعنى.نجد فى (أيوب ٣٣ : ١٤ مثالا للمعنى السابق وفى (أيوب ٤٠ : ٥) مثالا للمعنى الأخير . وهناك أمثلة كثيرة لهذا الاصطلاح فى (أمثال ٣٠) والقول الأول : (العزة لله) – أو (القول لله) يلقى ضوءه فى إتجاهين : إتجاه القوة المزعومة للإنسان التى سبق رفضها وإتجاه العبد المتوكل على الله مما يذكّره باستطاعة الله أن يخلص ، وبالقوة الأرضية التى يفوضها الله لمن يشاء .

والقول الآخر المنسوب إلى الله هو الذى يترجم عادة (رحمة) إلا أن العدد (١٢) يوضح بجلاء أن هذه الكلمة (hesed) مبنية على أمر حقيقى ويمكن الاعتماد عليه ، فهى مرتبطة ارتباطا وثيقا بحفظ العهد .. ومن ثم جاء فى الترجمات الحديثة (الحب الثابت) أو (الحب الحقيقى) .. وهنا نجد الثبات الدائم .. والتلميح إلى (المجازاة) من زاوية الشكر والعرفان وليس من زاوية الدينونة الأخيرة (إذ ليس لهذه أى أثر هنا) – الجزاء حسب معاملات الله العادلة عموما والتى ليس فيها ازدواج أو نفاق أو سخرية مما يحزن له المزمور كله .. لمثل هذا الإله يستطيع داود أن ينتظر فى سكوت (عدد ١) .. وينتهى المزمور بإعادة تقديم العبادة لله ..

المزمور الثالث والستون

(كل اشتياقى)

مرة أخرى ، أخرج الأسوأ أحسن ما فى داود (فى الكلمات كما فى الأفعال) .. والعنوان فى النص المعترف به يحدد منظر البرية المهجورة الذى أثار هذه الأفكار وحركها .. وذِكر (الملك) فى عدد (١١) يشير إلى وقت هروب داود من أبشالوم (وليس من شاول) إلى برية يهوذا فى طريقه إلى الأردن (٢ صم ١٥ : ٢٣) . لم يكن تعب الطريق فقط هو موضوع التركيز فى القصة (٢ صم ١٦ : ١٤) بل إن الإيمان القوى الواضح فى المزمور كان له أثره هناك أيضا من حيث استعداد داود للافتراق عن تابوت العهد نفسه (٢ صم ١٥ / ٢٥) فى مسيرة يقينه بالله والتسليم لمشيئته ، وقد تكون هناك مزامير أخرى فيها نفس التكريس المتدفق لكن حتى إن وجد فلا يفوقه إلا أقل القليل .

الأعداد ١ - ٤ : الله مطلبى

الشوق الواضح فى هذه الآيات ليس هو مجرد إحساس إنسان غريب يتحسس طريقه إلى الله بل هو لهفة صديق - يكاد يكون عاشقًا - لأن يتصل بالشخص الذى يحبه .. وبساطة القول (إلهى أنت) وجسارته هى سر كل ما يتبع ذلك طالما أن هذه العلاقة هى قلب العهد ولبه من أيام الآباء حتى يومنا هذا (تك ١٧ : ٨ - وعب ٨ : ١٠) - ومضامينه لا تنتهى - حرفيا كما أشار يسوع فى متى ٢٢ : ٣١ و ٣٢ .. وقد تُظهر حقيقتها نفسها فى المحبة التى أيقظتها فى الروح) و (الجسد) أى فى كيان داود كله (مز ٣٥ : ٩ و ١٠) - الذى لا يهدأ ولا يكتفى إلا بالله - قارن العطش الغير معترف به الذى يختبره حتى غير المؤمنين والذى شخّصه الرب يسوع فى (يوحنا ٤ : ١٣ و ١٤) .

ليس هناك ما يضطرنا إلى التغاضى عن الترجمة العادية (إليك ابكّر باحثًا عنك) التى تستند إلى اشتقاق الفعل العبرى الذى يعنى (يبحث) من كلمة تعنى (فجر) توحى باللهفة التى يتردد صداها مع ما جاء فى مز ١٣٠ :

٦ ومع لغة مز ٥٨ : ٨ .. ويصور مز ١٤٣ : ٦ روح داود العطشى على أنها هى الأرض الناشفة إلا أنه لا توجد هنا مقارنة مباشرة ، يحتمل أن تكون المقارنة ضمنية لكنها غير موضحة إذ لا توجد كلمة (مثل) أرض يابسة .. فى العدد الأول الذى يقول ببساطة إن داود يصلى فى بيئة جافة وكئيبة (التى يحددها العنوان بأنها - برية - يهوذا) والمعنى المتضمن هو أن الاشتياق الذى تثيره تلك البقعة المهجورة ما هو إلا ما يظهر على السطح من رغبة دفينة قوية .. لكن المقارنة الواضحة والتى تبدأ بكلمة « كما » فى الآية الثانية تعطى اتجاها جديدًا للموضوع .

العدد ٢ : يمكن أن نفهم هذا العدد كما يلى [فى أيام أكثر سعادة من هذه عَبد داود الرب فى صهيون وهناك كشف الرب نفسه له ، وسيكون الأمر كذلك الآن ، (برية) أو (لا برية) فإن الله ليس حبيس مَقدِسه .. ويتكلم داود نفس اللغة هنا التى تكلمت بها تصرفاته عندما أرسل « تابوت العهد » (انظر التعليقات الافتتاحية على المزمور) ويوضع هذا الفكر فى أحسن تعبير فى مز ١٣٩ - وعن رؤية الله انظر التعليق على مز ١١ : ٧ .

العدد ٣ : يمضى المرنم خطوة أبعد الآن ، أما مدى هذا البعد فمتروك لتقدير كل قارىء لكلماته حسب تقديره لرحمة الله .. لكن المهم أن تقدير داود هو التقدير الصحيح الذى تؤكده جيوش الشهداء ، وقد وضع بولس كلمات مشابهة فى (أعمال ٢٠ : ٢٤) [ولا نفسى ثمينة عندى حتى أتمم بفرح سعيي] .

العدد ٤ : تكمَّل تكريس داود الباطنى بما كان خارجيًا ومتحدًا معه كما يبين العدد (٢) - يقوى كل منهما الآخر - وفى يوحنا ١٧ : ١ يقول (ورفع عينيه نحو السماء) .. ورفع العينين أو اليدين نحو السماء كان ليعطى الجسم فرصة للتعبير عن العبادة (قارن مز ١٣٤ : ٢) أو التضرع والتوسل (مز ٢٨ : ٢ وقارن ١ مل ٨ : ٥٤) ويتكلم العهد الجديد أيضا بنفس اللغة (١ تى ٢ : ٨) .

الأعداد ٥ - ٨ : الرب بهجتى

يرى المقطع الجديد المكافأة الفائضة التى كوفىء بها الإيمان واللجاجة (فى

الأعداد ١ - ٤) .

العددان ٥ و ٦ : ازداد التناقض بين (عطشت إليك نفسى) فى عدد (١) و (كما من شحم ودسم تشبع نفسى) فى عدذ (٥) بطريقة غير عادية .. كما لو كان مجرد إطفاء الظمأ سيكون تشبيهًا ضعيفًا .. وقد أصبح التمجيد الآن وافرًا .. وكلمة (الابتهاج) فى الأصل العبرى تحمل معنى (ترنيمة الفرح) كما جاءت فى عدد (٧) .. ولقد انجذب داود (فى المقطعين) إلى الله نفسه وليس لأى هدف آخر أدنى منه ، وفى الحالتين هو يمجده كما أنه متوكل عليه وحده فى تواضع .. وإن كانت البرية فى العدد (١) قد أثارت شهيته لله فإن سهره فى (ليالى السهد) .. جعله يخصص الوقت والفكر للرب نفسه - لقد أنتجت كل من الصعوبتين (أنهارًا فى البرية) و (عسلاً من الصخور) .

العددين ٧ و ٨ : عن (جناحيك) انظر التعليقات على مز ١٧ : ٨ ، ٦١ : ٣ و ٤ .. ويكوّن نصفا العدد (٨) واحدة من أكثر الإقرارات حيوية عن وجهى المواظبة .. وكلمة (التصقت) مألوفة لنا فى أماكن أخرى من الكتاب المقدس (مثلا تكوين ٢ : ٢٤ - عن التكريس الجسدى - وتث ١٠ : ٢٠ عن الولاء للرب) وكمثال بارز للكلمة انظر راعوث ١ : ١٤ .. وفى الآية التى أمامنا تحمل الكلمة معنىً قويًا (يتشبث بذيله) كما فى مطاردة ساخنة والله نفسه هو الذى يجعل هذا ممكنا ، وتبدو قوة قبضته فى التعبير (يدك اليمنى - أو يمينك) - قارن إش ٤١ : ١٠ .. وهناك أيضا نفس التداخل بين عمل الإنسان والله فى (فيلبى ٣ : ٨ - ١٤) .

الأعداد ٩ - ١١ : الرب حمايتى

لا يظهر أعداء داود - الدائمو التواجد فى مزاميره - إلا هنا فإن استغراقه كان عميقا ، لكن التهديد حقيقى ، ويوضح شبحه الأسود متانة إيمان داود الذى لا يداخله ريب .. وهو يعرف أن رحمة الرب التى مجّدها فى العدد (٣) قوية بالعدل - قارن مز ٦٢ : ١٢ والعهد الجديد لا يعارض هذا (قارن رومية ٢ : ٤ - ٦) .

العدد ١٠ : (بنات آوى) تعطى معنى هنا أكثر من (الثعالب) وهى حيوانات تقتات بالقمامة وتأكل بقايا الجثث التى ترفض الحيوانات الأكبر منها

أن تأكلها .. والأشرار هم - بكلمات أخرى - فضلات الإنسانية .

العدد ١١ : سبق أن لاحظنا تعبير داود عن نفسه (الملك) كمفتاح لظروف المزمور لكنها ليست مجرد المرادف للقول (أنا) بكل تأكيد .. فلو أن هذا المزمور كتب أثناء مطاردته على يد أبشالوم فإن اللقب الملكى يكون إعادة تأكيد لدعوته التى جاءته من الله وإقرارًا بأن هذه الدعوة لا يمكن أن تفشل .. وهناك تطابق مسيحى لهذا - ضمن تطابقات كثيرة - يمكن أن نجده فى تسبيحة الشكر لله التى رفعها الرسول يوحنا وهو سجين فى جزيرة بطمس - شكر على الحرية والكهنوت الملوكى التى هى حقه بالمولد وحقنا نحن أيضا (رؤيا ١ : ٥ و ٦) .. فكما أن إيمان داود بدعوته الملوكية كان مؤسسًا على الصخر فإن إيمان المسيحى هو كذلك وأكثر .

المــزمــور الــرابــع والســـتون
(مكيــال فمكيــال)

بينما تركزُّ الضوء فى مز ٦٣ على الله ، وتوارى الأعداء فى زوايا الصورة نجد هنا الوضع مقلوبا رغم أن النتيجة فى الحالين واحدة .. بل إن اختزال إجراء الله الانتقامى بعد التخطيط الواسع للأشرار يفصح عن قصة محددة .

الأعداد ١ - ٦ : هجوم غادر

كل كلمة فى هذه الأعداد تؤكد مكر وخيانة المقاومين الذين يحاربون من الخفاء ، ولا يشترط أن يكونوا جيشًا متفوقًا عدديًا بل فى النوعية التى تتميز بأن هدفها مخجل وأساليبها لا يمكن الدفاع عنها .

العدد ١ : (شكواى) كلمة ذات وقع مؤلم بعض الشيء على آذاننا .. وهى أساسًا تدل على انشغال الشخص بموقفه سواء كان حسنًا (مز ١٠٤ : ٣٤) أو سيئاً (مثلا أيوب ١٠ : ١) وقد يكون من الأصوب استبدالها بالقول (فى اضطراب افكارى) . وفى الجزء الثانى - لاحظ القول (خوف) وهى فى العبرية تدل على (الصعق) أو (الرعب) بينما يمكن أن يكون (الخوف) صحيًا باعثًا على الاعتدال والهدوء .. ويعلق (ويزر) على الحكمة فى طلب الخلاص من هذه الحالة العقلية المرتعبة بأنه يضع حدًا لتشوش الفكر بحيث يستطيع المقاومة بحزم .

العدد ٢ : ينتقل الفكر الآن إلى معسكر الأعداء .. ففضلا عن تآمرهم هناك تجمهرهم الهائج الذى يتحدث عنه الجزء الثانى من العدد .. أى أنهم مجموعة المتمردين الظاهرين الذين ينفذون مخططات الزعماء المختفين .. فإن كلمة (مؤامرة) تعنى الخطة الخبيثة السرية والأشخاص الذين خططوا لها .. وقد أُحسن استخدام هذه الكلمة فى مز ٢٥ : ١٤ عن مجموعة من الأصدقاء الأوفياء .

العدد ٣ : تأتى بعد ذلك (أسلحتهم) التى يبرز منها أن هؤلاء الرجال

المتآمرين هم من داخل النظام نفسه .. يبذرون الشكوك والخلافات (وعن النظرية القائلة أن كلماتهم كانت سحرًا – انظر التعليق على مز ٦ : ٨ ، إن نشر الخراب والدمار باللسان لا يحتاج إلى سحر* – قارن مثلا : أمثال ١٦ : ٢٧ و ٢٨) .

العدد ٤ : ويأتى الآن إلى أساليبهم التى لا يمكن أن تكون أساليب معارضة شريفة [(إظهار الحق) فى ٢ كو ٤ : ٢ أو كما يقول بولس (قاومته مواجهة) غلاطية ٢ : ١١] وفى قرينة (حرب الأكاذيب) هذه تكون الإشارة إلى أن (المكمن) أو (المختفى) يمكن أن يكون إما الموقف المعد لكى يطوّق إنسانا بريئا – أو الساتر الذى تخرج من ورائه الشائعة منطلقة (دون خوف) .

العدد ٥ : وأخيرًا تأتى أفكارهم ، وهناك تساؤل حول ما إذا كان العدد (٥) يعنى أنهم (يشجعون أنفسهم) أو (يتمسكون) .. كما أن بهجتهم بستر آثار عملهم يجهز المنظر للموقف التالى ، وفى نفس الوقت تتوقف حركة المزمور لتقدم تعليقًا لاذعًا عن طبيعة البشر (العميقة كالبئر) وهو تعليق يحذر القارىء من أن الخداع (وخداع النفس أيضا) الذى سبق أن لاحظه يمكن أن يلقى نظيره فى وقت قريب .

الأعداد ٧ – ١٠ : عقاب نموذجى

كل شيء هنا يتحدث عن سرعة وملاءمة الحكم .. الذى يتجمع كله فى آية ونصف (٧ و ٨ / أ) بعكس التخطيط الطويل المتعب الذى أحبط .. فقد قُتل المتآمرون بسلاحهم .. لاحظ (السهم) فى عددى ٣ و ٧ – لقد جاء الهجوم (بغتة) كما فى عددى ٤ و ٧ واستخدام ألسنتهم المصقولة (على أنفسهم) عددى ٣ و ٨ .

* كلمة (فوّقوا) ترجمت فى الإنجليزية (صوّبوا) إلا أن الترجمة العربية أصوب .. وقد استعير هذا التعبير من لغة الحرب القديمة (كما فى مز ٥٨ : ٧) .. وقد استخدم إرميا نفس التعبير فى استخدام أكثر جرأة وأحسن منطقا فى (إرميا ٩ : ٣) . وهناك تعديل فى النص يقول (أجنحة .. كالسهام) وذلك باستخدام تعبير يمكن أن يؤيده بعض الشيء ما جاء فى إش ٤٩ : ٢ وإرميا ٥١ : ١١ إلا أن ذلك يظل تخمينا لا غير .

أعداد ٨ / ب و٩ : يتلخص الموضوع فى إشعياء ٢٦ : ٩ (لأنه حينما تكون أحكامك فى الأرض يتعلم سكان المسكونة العدل) - وتعبير (ينغضبون الرأس) فى العهد القديم يمكن أن تعنى (السخرية) - انظر إرميا ٤٨ : ٢٧ أو (صدمة مهمومة) إرميا ٣١ : ١٨ .. والأرجح هنا أن المعنى الثانى هو المقصود نظرًا لما جاء فى عدد (٩) من رد الفعل التأديبى لما حدث .

العدد ١٠ : وهكذا تكون الصلاة التى جاءت فى عدد (١) بطلب الحفظ من الخوف قد استجيبت بأكثر مما طلبت ، ولا زال الحكم باقيًا ليتم فى المستقبل لكن الابتهاج يمكن أن يبدأ من الآن وهو ابتهاج متزن بمواجهة الحقائق فى اسوأ ظروفها وأحسنها أيضا .

المــزمــور الخامـــس والســـتون

« هذا الإله المسمى الجوّاد »

قمة هذا المزمور عبارة عن مقطوعة شعرية عذبة جامحة تمامًا مثل الخصوبة التى تصفها ، تزرى بكل ترانيم الحصاد وتجعلها تخجل باعتبارها بطيئة أو من اختراع إنسان ، فنحن نكاد نشعر هنا برذاذ المطر وانبثاق النبات ونموه من حولنا ، ومع ذلك فإن الترنيمة كلها لها اتجاهاتها وتوجهاتها سواء كانت تتحدث عن الله فى قدس هيكله (الأعداد ١ - ٤) أو عن ملكه الممتد فى العالم كله (الأعداد ٥ - ٨) أو بين الجبال والوديان التى يبعث فيها ، مجرد سيره ، الحياة (أعداد ٩ - ١٣) .

وقد اختلفت الآراء فى تحديد مناسبة المزمور - قال البعض إنها عيد خريفى يتطلع إلى سنة وفرة قادمة ، كما أنه قد يتضمن طقوسًا لاستنزال البركات المتوقعة .. أو على ضوء المراعى المزدهرة بالخضرة التى يصفها المزمور يمكن أن يكون احتفالا بالربيع تماما كتقديم الباكورات فى عيد الفصح . أو احتفالا بالخلاص من مجاعة (لاحظ الإشارات الإفتتاحية إلى الصلوات المسموعة والخطايا المكفّر عنها) .. وأيا كان الحدث أو الفصل من السنة الذى احتفل به عند كتابة المزمور فهو فرح ممتن بالرب الفادى والخالق والمعتنى مما يجعله عملا تمجيديا غنيا ومتعدد الوجوه وليس مجرد مزمور لحفل حصاد .

الأعداد ١ - ٤ : رب النِعَم

يوحى هذا المدخل بطابور من المتعبدين فى الهيكل يحتفلون بتجدد رحمة الرب واستجابته لصلواتهم . ربما كان عدم رضى الرب السابق قد أُظهر بالجدب والمجاعة . كما يمكن أن نحكم من طريقة ختام المزمور ، لكن أول سبب لفرحهم الآن أنهم قد صولحوا معه وقُبلوا فى بيته .

العدد الأول : تعتبر ترجمة الجملة الافتتاحية (لك **ينبغى** التسبيح) صحيحة وتتفق مع العديد من الترجمات الأخرى . وهناك فكرة مماثلة فى مز ١٤٧ : وإن جاءت بكلمات مختلفة .. وقد جاءت العبارة الأولى من هذا العدد فى ترجمة أخرى (لك **ينتظر** التسبيح) وفى أخرى (التسبيح هو السكوت فى

محضرك) .. وقارن مز ٦٢ : ١ .. وبكلمات أخرى فإن قمة التعبد قد تكون أحيانًا السكوت فى محضر الله والخشوع بين يديه والتسليم لمشيئته .

العددين ٢ و ٣ : ذكر كلمة (النذر) فى العدد (١) والصلاة المستجابة فى هذه القرينة عن الخطية والغفران توحى بأن هذا المزمور كان للاحتفال بتجدد رضا الله كما سبق أن قلنا .. إلا أن هناك إيجازًا فى القول (آثام قد قويت علىّ) – عدد ٣ / أ – التى تعنى حرفيا [تسود علىّ أقوال (أو أشياء) آثمة نتيجة تعدياتنا] . ويمكن أن تخفف هذه الترجمة بإعادة ترقيمها ووضعها كجزء من العدد السابق ، إما بتفسير العبارة الافتتاحية باعتبارها ظرفا أى القول (سوف تأتى نتيجة إثمنا) .. أو بتعديل بسيط فى الفعل (تأتى) فى عدد (٢) لتجعله نتيجة سببية فتصبح (سوف يجلب كلمات ظالمة علينا) – بحيث تشبه – بطريقة ما – ما جاء فى هوشع ١٤ : ١ و ٢ . قارن الترجمة للآية (٣) من المزمور التى تقول (سيلقى كل الناس آثامهم أمامك) .. وفى كلتا الحالتين فإن الآية تقود إلى حقيقة مذهلة عن (النعمة) التى تزداد جدا حيث تسود الخطية .. والتعرف على التعديات التى يتعذر التعامل معها بسبب ضخامتها له نفس النتيجة التى للجملة الواردة فى المثل القائل (إذ لم يكن له ما يدفعه ..) .

العدد ٤ : إذا كان الغفران يأتى بالإنسان إلى الأعتاب الإلهية فإن نموذج (ساحات) الله وطقوسه توضح مقدار ما تبقى فى انتظار الكشف عنه بعد هذه النقطة .. وبإيتمان مجموعة صغيرة مختارة على حق الإرث (٤ / أ) ليعتبروا أنفسهم وهم فى بيت الله كأنهم فى بيوتهم الخاصة فإن الله يعزز النعمة الخالصة لمثل هذا الترحيب . وسيبقى شرفًا مماثلا الآن أن كل المؤمنين مدعوون للدخول (عب ١٠ : ١٩ – ٢١) .. والذبائح التى أتت بالكفارة قد أتت أيضا بالخير (عدد ٤ / ب) لمساعدة الكهنة وأحيانا تكون لتغذية جمهور العابدين فى مناسبات خاصة (لاويين ٧ : ٧ – ١٦) . بل إن بعض العشور نفسها كانت تحجز لتقديم ولائم لمن قدموها ولجيرانهم الفقراء (تثنية ١٤ : ٢٢ – ٢٩) وما كان يمكن أن يقال المثل : (أفقر من فأر الكنيسة) فى تلك الأماكن .. وإذا كان العدد (٣) يعتبر مقدمة لما جاء فى رومية ٥ : ١ فإن عدد (٤) له مقابلة فى رومية ٥ : ٢ وأيضا فى ٢ كو ٩ : ٨ .

الأعداد ٥ – ٨ : رب القدرة

يتم التركيز والتأكيد الآن على الله كرب الطبيعة والبشر الذى نرحب بقدرته على وضع المعاندين فى مكانهم كما نرتعب منها .

العدد (٥) يستحسن تغيير كلمة (خلاصنا) لتصبح (صلاحنا) . ولا شك أن صلاح الله فعّال ، يصحح ما هو خطأ أو فى غير مكانه ومن ثم فهو يؤدى إلى الخلاص لكن الحافز له أخلاق أدبى ووسائله كلها حق عادلة .. وعن التنويهات الأخرى لهذا التعبير وما شابهه انظر التعليق على مز ٢٤ : ٥ .

وهنا نجد اتساعًا فى مجال الرؤية ، والضمائر الدالة على الجمع (تستجيبنا .. خلاصنا) لها رنين الاختبار الشخصى وليس رنين الكبرياء والتعظيم .

(متّكل) أو (رجاء) أو (ثقة) كل الأرض وهذا لا يعنى أن جميع البشر يتكلون عليه فعلا أو حتى يريدون ذلك لكن هذا ما يجب على جميع البشر ، فليس هناك أى راحة أخرى لنا غيره ، وعن المضمون النهائى لهذا القول انظر التعليق على مز ٤٧ : ٨ .

العددان ٦ و ٧ : بينما يظهر للجميع أن الجبال مأمونة جدًا والبحار خطيرة فى هيجانها فإن المرنم يعرف أن لا يفكر فيها بعيدًا عن خالقها كأشياء يمكن الاعتماد عليها أو الخوف منها بحق (مز ٤٦ : ٢ ، مز ١٠٤ : ٥ – ٩ ، ١٢١ : ١ و ٢) كذلك أيضًا فإن بحر البشرية خاضع لسيده (العدد ٧ / ب – وقارن إش ١٧ : ١٢ – ١٤) وهذا قياس تمثيلى إلا أنه يجعل المعجزة الواردة فى مرقس ٤ : ٣٥ وما بعده مثلا عمليًا .

العدد ٨ : كلمة (الاقاصى) تعنى حرفيا (أبعد حدود الأرض) .. لكن كلمة (مطالع) هى تعبير محيِّر .. يبدو أنها استعارت التعبير الشعرى عن الشروق (تطلع الشمس) واستخدمته أيضا فى الغروب كما لو كانت تصور الظلمة كأنها تطلع من حيث تغرب الشمس .. وعليه فتكون الصورة إما عن مجد النهار والليل (قارن مز ١٩ : ١ و ٢ وأيوب ٣٨ : ٧ و ١٩ و ٢٠) أو أن الأرض على امتدادها شرقًا وغربًا تسبح الرب الخالق .

الأعداد ٩ - ١٣ : رب الكرم والجود

من الصعب أن نتجاوز عن هذا الوصف المثير للأرض الخصبة المثمرة الذى جاء أحيانًا نتيجة المحبة الدقيقة وأحيانا أخرى نتيجة استخدام الحرية فى التعبيرات الشعرية .. بالغًا ذروة الروعة فى التصوير الخيالى للجبال والحقول وهى تكتسى أزهر ملابسها وترقص معًا .

العددين ٩ و ١٠ : والقول (تعهدت) تعبِّر عن فكر كتابى نموذجى وهو أن الله الموجود دائما والفعَّال له ، مع ذلك ، أوقاته المحددة التى يقترب فيها ليبارك أو ليدين (مثلا تك ٥٠ : ٢٤ و ٢٥ وخروج ٣٢ : ٣٤ ولوقا ١ : ٦٨) .. (جعلتها تفيض) هى الترجمة الصحيحة بدلاً من (رويتها) كما فى بعض التراجم - قارن الفيض فى يوئيل ٢ : ٢٤ - والكلمات الأخيرة من عدد (٩) تضع تركيزًا شديدًا على الثقة التى يعمل بها الله مع تكرار نفس الفعل فى القول (تهيىء) (تعدها) ويحتمل أن يكون هناك تعزيز أيضًا فى القول (هكذا) التى تعنى هنا بالتأكيد - والمقطع الأخير من كلمة (تعدها) ترجع بالإشارة إلى (الأرض) المذكورة فى الجزء الأول من عدد (٩) .. ويوضح عدد (١٠) بالتدقيق وبكيفية تكاد تكون ملموسة كيف يعد الأرض للمحصولات التى ستنتجها .

العدد ١١ : يتكلم الجزء الأول من هذا العدد بالتحديد عن (سنة المحصول الوفير) لأنها كلها هبة من الرب والتى يضيف إليها الربيع والصيف لمسات متوِّجة .. و(آثارك) هنا تشير إلى (آثار عربات المزرعة) ويمكن أن يعنى الجزء الأول كله ما يأتى [إن آثار العربات تقطر دسمًا] مصوِّرًا (عربة محملة يتساقط منها بعض محتوياتها وهى فى الطريق) وهى صورة شعرية عن فيض الله (بالمطر المتأخر) كلما عبر .. جالبا فى إثره الفيض .

العددين ١٢ و ١٣ : (البرية) تذكر كمكان مجدب عادة تندر فيها الأجزاء المكسوة ويحتمل أن تكون الجبال (الآكام) كذلك .. انظر التناقض الظاهرى فى (مز ٧٢ : ١٦) .. ولكن حتى هذه سرعان ما تبتهج بالعشب والزهور بعد المطر .

(المروج) و (الأودية) تكتسى بثياب أغنى .. وبذلك يكون كل الموقع

قد تحول إلى أحسن حالاته كما لو كان ذلك ليتغنى ويحتفي بالعيد .. هذا الفرح موسمى والمنظر محلى .. إلا أن ما نلمحه فى المزامير الأخرى (مثلا مز ٩٦ و ٩٨) عن مجىء الرب النهائى والترحيب به من كل الخليقة ليس بعيدا عن هذا .

المزمور السادس والستون

الرب إلهٰ الكل – إلهٰ الكثيرين – إلهٰ الفرد

هذا مزمور شكر حيث يشتد التركيز – من التسبيح المشترك الذى تُدعى إليه كل الأرض (هلم انظروا) – عدد (٥) – بواسطة إسرائيل التى تحتفل بفدائها إلى أن يصل إلى شكر الإنسان الفرد الذى يُحضر تقدماته ويدعو المؤمنين قائلا (هلم اسمعوا) – عدد ١٦ – ليصغوا إلى قصته التى هى صورة مصغرة لقصتهم . ويمكننا أن نتصور منظر العبادة الجماعية ، ربما فى عيد الفصح أو احتفالا بنصر حيث يفسح الترنيم الجماعى مجالاً لصوت متعبد فرد يقف بتقدماته أمام المذبح ويتكلم عن الله الذى لا تشمل عنايته العالم كله فقط بل الشخص المفرد كذلك (أخبركم .. بما صنع لنفسى) – عدد (١٦)*

الأعداد ١ – ٤ : مبايعة العالم لله

إن حكم الله على العالم الذى سيُعلَن ويجب أن يُعلَن ليس موضوعًا استثنائيا فى سفر المزامير ويكفى أن نلقى نظرة على المزمور السابق واللاحق لنرى ذلك جليًا .

العدد ١ : بخلاف التعبير الخاص بالرب ، نجد أن هذا العدد يتماثل مع افتتاحية مزمور اليوبيل (مز ١٠٠) وهتاف الفرح فى هذه القرينة هو صرخة المبايعة كتلك الواردة فى ١ صم ١٠ : ٢٤ عندما هتف كل الشعب للمناداة بالملك .

العدد ٢ : هذا العدد الذى قد يبدو أنه لا يقول إلا القليل يضع المبادىء الأولى للترنيم فى العبادة .. فمحتواه الأساسى (مجد اسمه) (٢ / أ) وصفته الصحيحة (ممجد) – عدد ٢ / ب – وسيكون المجد هو مجد (الروح والحق) وتوضح المزامير نفسها جلال وفخامة وحيوية العبادة التى لها هذه الصفة .

---

* وقد يكون هذا المتكلم الفرد هو الملك أو القائد الذى يتكلم عن الشعب لكن نغمة شهادته والإشارة فى أماكن أخرى إلى الوفاء بالنذر علنًا ، يجعل من المرجح أن يكون هذا المزمور قد كتب ليعطى للمتعبد موقفا جماعيا لتقديم ذبيحة نذره .

العدد ٣ : من طبيعة الأسفار المقدسة أنها لا تركز على الحقائق القاسية عن الخلاص حيث أن الدينونة وسلطان الله الذى لا جدال فيه ، عناصر أساسية فيه ، أما عن كلمة (تتملق) انظر الملحوظة على مز ١٨ : ٤٤ .

العدد ٤ : تسمح صيغة الأفعال هنا بالزمن الحاضر لكن يستحسن أن تكون فى صيغة المستقبل كما فى بعض الترجمات . وهذه الصيغة أيضا تُنصِف الحقائق أكثر ، فهو وعد لا يزال ينتظر التحقيق .

الأعداد ٥ – ٧ : قصة أمة

هنا نجد الأساس الصلب الذى بنى عليه هذا الرجاء الأخير – لقد أثبت عبور البحر الأحمر ونهر الأردن (عدد ٦) بصفة قاطعة قُدرة الرب ومشيئته فى إنقاذ شعبه والتحكم فى المتمردين (عدد ٧) وقد أظهر نفس الرمز أن دعوة إسرائيل لكى يكون بركة للعالم ما زالت سارية (قارن عدد ٨) .. إذن فإن الخروج ليس مجرد حدث ذكر فى العهد القديم أو (الجديد) بل هو فعل قديم سيظل صداه يتردد إلى الأبد (إلى الدهر) عدد ٧ – وهو نموذج مثل الصليب والقيامة يظهر فى كل أعمال الله الخلاصية .. ويمكن ملاحظة أحد هذه الأمثلة فى المقطع التالى .

الأعداد ٨ – ١٢ : تجربة شعب

يكشف عدد (٨) – كما سبق القول – عن الاقتناع بأن ما يُصيب إسرائيل يشمل العالم كله ، تماما كما وعد الله إبراهيم .. وسيظهر ذلك بوضوح أكثر فى المزمور التالى .. والمأزق الذى يشار إليه الآن ليس من المرجح أن يكون هو مأزق الخروج بل أمر أقرب منه تاريخيا . كما اعتدنا أن نرى فى الكتاب المقدس يد الله فى كل الأحداث (جربتنا .. ادخلتنا .. ركّبت) (٩ – ١٢) تعطى للألم والمشقة – كما للخلاص – معنى ، طالما نظرنا إلى الألم على أنه فحص واختبار (عدد ١٠) ، وتأديب يقابل بالترحاب ، ويرى أحد آثار هذا الاختبار فى الاعتراف بأننا نتمتع بالحياة والأمان على سبيل الهبة وليس على سبيل حق مكتسب .. وهو درس عن الله المدبر لكل شىء الذى كان على يعقوب أن يردده (فى يعقوب ٤ : ١٥) فى العهد الجديد .

العددين ١١ و ١٢ : الكلمة المترجمة (ضغطا) الواردة فى فيض

التشبيهات عن المحنة – غير معروفة فى أى مكان آخر من الكتاب وهى مصدر (يضغط) . وهو تشبيه مألوف لدينا الآن .. وقد استخدم إشعياء صور (النار .. والماء) وزاد عليها أن وعد بتواجد الله فى وسط المحنة (إش ٤٣ : ٢) تماما كما أنه يخلص منها .. تقول بعض الترجمات (أخرجتنا إلى الرحب) بدلا من الترجمة العربية (أخرجتنا إلى الخصب) والمعنى الحرفى للكلمة العبرية هو (التخمة) أو (الشبع الزائد عن الحد) أو (الفيض) – أو كما جاءت فى مز ٢٣ : ٥ (كأسى ريا) .. وهذا يعنى أن مز ٢٣ يقول بصراحة أكثر أن خلاص الله غزير ووفير إلا أن بعض الترجمات القديمة ترجمت الكلمة فى عدد ١٢ بالقول (على مهل) – نتيجة لتغيير أحد الحروف المتحركة فى الكلمة العبرية . وقد يكون هذا صحيحًا .

الأعداد ١٣ – ١٥ : دَين رجل واحد

إذا بدت هذه القمة التى وصلنا إليها غريبة وهى أن يتولى شخص واحد تقديم الشكر عن الأمة كلها . فإن غرابتها ليست مثل غرابة طرق الله التى تبدو متناقضة حيث تترك مجالاً للأقلية والأصاغر – الذين يهتم الله بهم كما يهتم بالكثرة – لكى يجدوا أنفسهم بدلا من أن يفقدوها – وسط جمهوره العظيم .

وعن الوفاء بالنذر انظر التعليق على مز ٢٢ : ٢٢ – ٢٦ .. مع مراعاة الاختلاف فى أن التقدمات فى المزمور الحالى كلها موجهة إلى الله وليست من نوع الذبائح التى يسمح لمقدميها وأصدقائهم بالاشتراك فى أكلها .. حيث أن المحرقات التى يتكلم عنها تتحدث عن التكريس الكامل وليس مثل ذبائح الحمد العادية التى هى أساس وليمة تركز على الفرح بالشركة الأخوية .. وهذا يوحى بأن داود كان يقدِّم الشكر هنا فى روح التكريس أكثر منه فى روح الامتنان المبتهج – كما لو كان يتأمل فى خطورة التهديد الذى زال الآن وعمق مديونية المتعبد لله .. ووفرة التقدمات فى هذه الأعداد توضح هذه النقطة إذ تقول فى صيغة شعرية أن جميع أنواع الذبائح والتقدمات لا تكاد تكفى لتعطى المناسبة حقها .

الأعداد ١٦ – ٢٠ : قصة رجل واحد

يتجاوب كلام هذا الرجل – الموجّه إلى خائفى الله – (هلم اسمعوا) مع

قول إسرائيل (هلم انظروا) فى عدد (٥) الموجّه إلى العالم أجمع .. والكنيسة تحمل – على المدى الواسع – الشهادة مبدئيا عن أعمال الله التى تمت مرة وإلى الأبد – ودعوة الناس إلى مملكته (٥ – ٧) بينما يضيف الفرد – على المستوى الشخصى – شهادة أخرى عن استمرار عناية الله الخاصة به .. وبهذه الشهادة المزدوجة يتم عرض الخلاص فى الماضى والحاضر ، الشخصى والمشترك بتوازن دقيق .

العددين ١٧ و ١٨ : يلقى هذان العددان ضوءًا عرضيًا على ممارسة الصلاة فى نقطتين : الأولى مكان التسبيح فى الصلاة – (عدد ١٧) حتى عندما تكون صرخة مُلحّة فى طلب العون كما تؤكد الآية (١٤) – قارن مثال يهوشافاط فى ٢ أى ٢٠ : ١٢ و ٢١ و ٢٢ والثانية وجوب الإخلاص المطلق الذى تعبر عنه الآية (١٨) تعبيرا كلاسيكيا كما يصوره ما جاء فى يشوع ٧ : ١٢ و ١٣ تصويرا كلاسيكيا أيضا .

العدد ٢٠ : يبقى أن كلمة الشكر الأخيرة ليست من أجل الطلب المستجاب فقط بل من أجل ما ترمز إليه هذه الاستجابة وهو العلاقة التى لا تنفصم مع الله والمضمونة (انظر التعليق على مز ١٧ : ٦) والشخصية والتى كان يمكن أن تستبعد – بسبب خطايانا – لكنها باقية لنا على سبيل هبة النعمة .

المزمـور السـابع والسـتون

الدائرة المتزايدة الاتساع

لو أن مزمورًا قد كتب خصيصًا ليحيط بالمواعيد التى أعطيت لإبراهيم بأنه سيتبارك ويبارك لكان هذا هو مزمورنا .. تبدأ الترنيمة فى الوطن ، وتعود إليه لحظة قبل أن تنتهى .. لكن فكرها يحلّق دائما إلى الأمم البعيدة وإلى ما ينتظرهم عندما تصل إليهم البركات التى وصلت إلينا .

والفعل الوحيد فى صيغة الماضى هو ما جاء فى عدد (٦) [الأرض أعطت غلتها] .. لكن إذا كان وضع المزمور يبدو أنه وليمة حصاد (أو عيد حصاد) فى أرض الوطن فإنه من الملاحظ كيف غطت أحداث التاريخ على مظاهر الطبيعة وكيف تأثر المرنم بآمال ليست لها عوامل مادية أو اهتمامات شخصية .. وفى (مز ٦٥) نجد عاملى العناية الإلهية وهما يلتقيان مع أشد أنواع الجوع الخفية والظاهرة فى توازن دقيق (مز ٦٥ : ٤ و ٥ ب و ٩) أما هنا فلا شيء يهم أكثر من حاجة الإنسان إلى الله نفسه .

العدد ١ :إذا كانت روح المزمور هى الرجاء الإبراهيمى كما سبق الإشارة فإن نصه هو (بركة هارون) .. فهذا العدد يردد صدى ثلاث كلمات (مفتاحية) جاءت فى (العدد ٦ : ٢٤ و ٢٥) .. وكلمة (سلاه) بعدها بالإضافة إلى تغيير صيغة المتكلم إلى صيغة المخاطب (نحن .. أنت) تفصل بين العدد الأول وبقية المزمور .. كما لو أن البركة فى العيد كانت فى ذهن الشاعر ثم تحولت إلى صلاة تستكشف إمكانات هذه البركة متتبعة إياها خارج الدائرة الضيقة التى وقف فيها حيث بدا أنها انتهت هناك .

العدد ٢ : إن أول ما يفيض من بركة إسرائيل الخاصة هو انتشار المعرفة المانحة للحياة .. وهو رجاء تحقق بطريقة عجيبة فى كتابات الأسفار المقدسة التى لا يتلخص عملها المزدوج فى الإفصاح عن الحق والخلاص هنا فقط (عدد ٢) بل فى (٢ تى ٣ : ١٥ و ١٦) أيضا .

العدد ٣ : هذه الصلاة فى الحقيقة ذات نظرة عظيمة وجريئة حيث تشمل (كل الشعوب) فى الجزء الأخير منها – وليس كما جاءت فى إحدى الترجمات

(كل الشعب) كما لو كانت هذه الصلاة مجرد طلب التسبيح من القلب – وهى تتمسك بتركيزها على الله باعتباره الرب الذى يجب أن تعترف به كل الشفاه .

العدد ٤ : وكما يتضمن القول المتكرر الذى يطوق هذه الآية (تفرح) فإن حكم الرب مفرِّح .. وهذا الفرح أساسًا هو فرح العدل المطلق أو الاستقامة التى تتضمن النزاهة فى كلمة (ندين) مقترنة باهتمام يشبه اهتمام الراعى بالرعية (الهداية) – تهديهم – (قارن مز ٢٣ : ٣ ، مز ٧٨ : ٧٢ .. إن العطف الناشىء عن نزوة عاطفية لا يعتبر حكما أخلاقيا وهو غريب عن الفكر الكتابى مثل الطغيان الذى يحكم بدون حب .. انظر خروج ٣٤ : ٦ و ٧ وإش ١١ : ١ – ٩ ، ٤٢ : ١ – ٤ عن تزاوج القوة مع الحنان كما هو الحال هنا .

العددان ٦ و ٧ : الفعل الماضى الوحيد يظهر فى الجزء الأول من العدد (٦) والباق توقُّع أو صلاة متكررة (سوف يباركنا الله) أو (ليت الله يباركنا) ونستطيع نحن أن نصلى نفس الكلمات بجرأة لأن (الله إلهنا) لكنه ليس إلهنا لنحتكره لأنفسنا كما أنه لن يفقد شيئا من خصوصيته لنا عندما ينحنى له كل رعاياه المخلصين . وأكثر من ذلك فهو ليس أقل كرمًا فى نعمته عن كرمه فى الطبيعة .. ولا فى عالم الناس عنه فى محاصيل الحقول . والأرض وغلتها يمكن أن تؤخذ على أنها وعد بأشياء أفضل سوف تأتى .. وهذا ما يصوره (إش ٥٥ : ١٠ و ١١) ويوحنا ٤ : ٣٥ ، ١٢ : ٢٠ – ٢٤ .

والمزمور يشجعنا لكى نصلى قائلين : ليت الرب – الذى يخرج الكثير من القليل ويوزع على الكل فى محبة – يعطينا هذه البركة لتجعلنا بدورنا بركة للعالم .

المــزمــور الثــامــن والســـتون

المجد والجلال فى الأعالى

هذا الشلال الهادر هو من أكثر المزامير صخبًا وبهجة فى السفر كله - ويحتمل أن يكون قد كتب خصيصًا لمناسبة إصعاد (تابوت الله من بيت عوبيد أدوم إلى مدينة داود بفرح) ٢ صم ٦ : ١٢ .. ويفتتح المزمور بكلمات تردد صدى الكلمات التى كانت تقال عند ارتحال التابوت (العدد ١٠ : ٣٥) وتصل إلى الذروة فى صعود الرب إلى الجبل العالى الذى اختاره له مسكنا .

يحتفل الجزآن الأساسيان من المزمور - المحاطان على الجانبين بمقدمة وخاتمة حماسية - **أولا** بمسيرة الرب الظافرة فى الخروج من مصر إلى أن تصل إلى ذروتها فى أورشليم (الأعداد ٧ - ١٨) **وثانيا** : بقوة وجلال نظامه الذى يُرى فى سيطرة شعبه وتدفق العابدين .. والعطايا التى عند موطىء قدميه (١٩ - ٣١) وقد قُدِّمت هذه النبوة عن الخلاص - وتاريخ الخلاص السابق - بتعبيرات إسرائيلية فى (أفسس ٤ : ٧ - ١٦) كصورة مصغرة للصعود العظيم حيث سبى المسيح سبيا ليتشارك الكل فى أسلاب النصر الأفضل فى هبة (أو هبات) الروح القدس - قارن أيضا أعمال ٢ : ٣٣ ، ونتيجة لذلك كان هذا المزمور منذ أوائل عهود المسيحية هو مزمور يوم الخمسين كما كان يقرأ فى مجمع اليهود فى عيد الحصاد (عيد الأسابيع) .

الأعداد ١ - ٦ : التسبيح بالبوق

الصيحة القديمة - قم يا الله - كانت مخصصة لعملية إصعاد التابوت (عدد ١٠ : ٣٥) وعليه فإن العدد (١) يثير منظرًا سوف نلمح صورة أخرى منه فى الأعداد من ٢٤ - ٢٧ .. إلا أن بعض الترجمات لا تظهر الصلاة فى التسبحة لأنها فى أصل المزمور تعنى حرفيًا (يقوم الله يتبدد أعداؤه) [أو (سيقوم الله وسيتبدد أعداؤه) فكل الأفعال فى العدد (١) فى صيغة الإثبات سواء فى الحاضر أو المستقبل - وعليه يستمر نفس الشكل فى العددين التاليين] وهنا يعيش الإيمان بنفس الصيغة التى عرّفه بها عب ١١ : ١ بنفس التمسك بما يُرجى والاتيان بأمور لا ترى .. العدو ليس صلبًا على الإطلاق والرب الذى

لا يرى ليس غائبا قط .

العدد ٤ : يسمح الجزء المتوسط من هذا العدد الرائع بأكثر من ترجمة بسبب غموض الكلمة المترجمة أحيانا (ارفعوا) (مثل رفع الصوت فى الترنيم - أو (قوموا فى القفر طريقا) كما فى (إش ٥٧ : ١٤) و (السحاب) أو (القفار) ويمكن أن يكون المعنى صحيحًا فى الحالتين خاصة وأننا نطالب فى مكان آخر أن نعد الطريق فى البرية (إش ٤٠ : ٣) - والقول (الراكب على سماء السموات) فى عدد ٣٣ لن تفقد شيئا من قوتها إذا نسبت الآية (٣) إلى الأرض لكن الآيتين لهما نفس الرؤية الواحدة وهى (المركبة السماوية وراكبها) قارن مز ١٨ : ١٠ ومز ١٠٤ : ٣ .

العددين ٥ و ٦ : حماية العاجز وإنصاف المساكين هى علامات المُلك الحقيقى - المُلك البشرى والإلهى - حتى بالنسبة للوثنيين ، وعليه فإن هذين العددين يُطوقان بجدارة التسبيح للملك المخلِّص ، لكن التابوت يلقى بظلاله على هذين العددين أيضا ، فالخلاص كان ملاذا لمن لا سكن له وحرية للمساجين وعقابًا للمتمردين وفى كل هذه الأحداث - كما فى أحداث الكتاب المقدس التى أنذرت بها - يقف مِثال عمل الله بوضوح وكمال خاص ويفسر بقية طرقه التى لا ندركها إلا جزئيا فى أماكن أخرى .

الأعداد ٧ - ١٨ : جولة ملكية

لو أن هذا المزمور الاحتفالى كان فعلا قد كتب لكى يرافق التابوت إلى أورشليم ، فإنه يكون قد احتفل بالمرحلة الأخيرة من رحلة طويلة بدأت منذ قرون فى جبل سيناء ، فهناك صنع التابوت .. ومن هناك قاد إسرائيل باسم الرب حتى أرض الموعد والآن سيستقر أخيرًا على قمة جبل صهيون ، وهذه هى لحظة تحقيق الحلم .

الأعداد ٧ - ١٠ : مسيرة الرب

يُمجَّد الرب الآن مباشرة ، ويتذكر داود معجزاته بالشكر فى هذه الفقرة حيث تتلاحق المناظر بسرعة ، مسيرة الخروج ، والتجلى فى سيناء ، والعاصفة

المطرة التى قهرت (سيسرا) - [وتقتبس الآية (٨) الإشارة إلى سيناء* من ترنيمة دبورة فى قضاة ٥ : ٤ و ٥] وأخيرًا الأمطار التى باركهم بها الله سنة بعد أخرى**والتى توضح صلاح الله الدائم - قارن مز ٦٥ : ٩ - ١٢ .

الأعداد ١١ - ١٤ : طريق الملوك

لا يزال صدى ترنيمة دبورة يتردد فى هذه الأعداد التى هى عبارة عن مجموعة من التصورات السريعة ومقطتفات من الأوصاف المثيرة .. وفى القول (الرب يعطى كلمة) - أو أمرًا - فى عدد (١١) يمكننا أن نتصور منظرًا كالذى جاء فى ٢ صم ١٨ : ١٩ - ٢٢ - (وقارن متى ٢٨ : ١٨ - ٢٠) وكذلك ١ صم ١٨ : ٦ و ٧ .. وكلمة المبشرات مؤنثة .. فى الأصل العبرى أيضا .

ومنظر النساء وهن يقسمن الغنائم يتضح مما جاء فى القضاة ٥ : ٣ حيث تصور أم سيسرا لنفسها الثياب الغالية التى سيحضرها ابنها معه إلى المنزل (والعبارة المقحمة فى عدد ١٣ / أ تلتقط التوبيخ الساخر الذى أطلقته دبورة ضد (رأوبين) الذى اختار دور المرأة ففقد نصيبه فى الغنيمة) - قضاة ٥ : ١٦ .. والقول (أجنحة حمامة مغشاة بفضة وذهب) أخذت على أنها إشارة إلى إسرائيل التى تلهو فى ازدهارها - أو تشير إلى العدو فى فراره ، أو إلى مجد الرب المتجلى فى المعركة .. أو حتى إلى غنيمة أُخذت من العدو .. لكن من المؤكد أنها تصور النساء المذكورات فى عدد ١٢ / ب اللاتى يزين أنفسهن بحليهن الجديدة ويتجولن بها مختالات (كالطاووس كما يقال) .

القول (أثلجت فى صلمون) - عدد ١٤ - هو إشارة أخرى سريعة يصعب فهمها .. لقد كان هناك (جبل صلمون بالقرب من شكيم) فى قضاة ٩ : ٤٨ لكن لا يلزم أن يكون الجبل الأسود الوحيد (كما يوحى اسمه) ..

* اقنع (البرايت) معظم المترجمين المحدثين أن عبارة هناك فى سيناء (Yon Sinai) يجب أن تتحول إلى (الواحد الذى فى سيناء) مختتمًا به السطر السابق .. وهذا يتجنب التركيب النادر المتضمن فى القول (هناك فى سيناء) - لكن قارن القول « هذا موسى » فى خروج ٣٢ : ١ و ٢٣ وإن كانت تستمد قوتها من مصادر غير إسرائيلية . وعلى ذلك يمكن أن نترجم العدد كله كما يلى : (أمام الله رب سيناء ، أمام الله إلهُ إسرائيل » وفى كتاب الحياة (ارتعد جبل سيناء من حضرة الله إلهُ إسرائيل) .

** فى العددين ٩ و ١٠ يتعين أن تكون الأفعال (نضحت) ، (هيأت) فى صيغة الحاضر أو المستقبل .

وقد يكون تعبيرا عن (جبل الدروز) على حدود باشان كما يقول (ألبرايت) .. وسواء كان (طريق الملوك) قد نشأ عن عاصفة ثلجية أو أن ساحة المعركة قد تغطت بالأسلحة والملابس (وفيما بعد بالعظام) كما يغطى الجليد الجبل أو كانت الجيوش الهاربة قد سحبت معها نُتَف الجليد .. كل هذه احتمالات ولكن لا شئ مؤكد .

الأعداد ١٥ – ١٨ : جبل المجد

يقود القول (اثلجت جبل صلمون) الفكر إلى الجبال الشاهقة المكسوة بالجليد فى باشان وخلفها .. والقول (جبل الله) هى طريقة للتعبير عن (التفوّق) ، وربما كان هو جبل الدروز – كما سبق القول – فى باشان أو جبل (حرمون) العظيم الذى يليه شمالا .. وجبل صهيون بالنسبة لهذه الجبال يعتبر مجرد تل .. إلا أنه – رغم حسدها* له – فقد اختاره الله – قارن إش ٦٦ : ١ و ٢ .. إنه نوع من التناقض الظاهرى الذى يسر به الرب – كاختياره لداود نفسه – الذى ينسب إليه المزمور – ولقرية بيت لحم الصغيرة .. حقا إنها الأشياء (غير الموجودة) كما جاء فى ١ كو ١ : ٢٨ .

العدد ١٧ : قالت بعض الترجمات (الرب قد جاء فيها) بدلاً من (الرب فيها) مما أدى إلى تعديلات أخرى .. وقد أعطى (ويزر) أصدق الترجمات للجزأين الأول والثالث من العدد حين قال (مركبة الله** ربوات ألوف .. الرب معهم – سيناء فى القدس)*** وبينما تصور الأماكن الأخرى الله آتيًا مشرقًا من جباله (مثلا تثنية ٣٣ : ٢ وقضاة ٥ : ٤ وحبقوق ٣ : ٣) يعلن هذا العدد أنه حيث يوجد الله هناك سيناء ، ويمكننا أن نضيف [وكل مكان

---

* تقول الترجمة القديمة (لماذا تحجلى هكذا) وهو قول غير معقول .. ومع ذلك فإن الجبال فى مز ١١٤ : ٦ (قد قفزت مثل الكباش) .. والفعل هنا مختلف والترجمة الصحيحة للفعل الحالى هى (يراقب عن كثب) كمن هو قابع فى مخبأ أو كمين .

** الأرجح أنها (مركبات الله) والصيغة المفردة كثيرًا ما تستخدم لتدل على الجمع كما فى ٢ مل ٦ : ١٧ .. لكن من الممكن أن تكون الصورة لكل طغمة الملائكة باعتبارهم مركبة عرش الله كما فى حزقيال (١) .

*** انظر كتاب الحياة « مركبات الرب كثيرة لا تحصى والرب فى وسطها فصار جبل صهيون مماثلا لجبل سيناء فى القداسة » .

للرؤيا أو المواجهة] والمقدس الجديد فى صهيون لا ينافس (بيت إيل) أو سيناء أو أى مكان آخر .. فهنا اختار الله أن يوجد .. وستتناول رسالة العبرانيين هذه الفكرة على مدى أبعد فى (عب ١٢ : ١٨ - ٢٤) .

العدد ١٨ : كما كان التابوت يتقدم مسيرة الشعب هكذا يقود عرش الله غير المنظور عملية الصعود إلى العلاء حتى مكان راحته .. وتقدمه هو مسيرة انتصار تكمل (الخروج) .. ومرة أخرى تمد ترنيمة دبورة داود بالكلمات المناسبة (قضاة ٥ : ١٢) .. من هم أولئك السبايا ولمن أعطيت العطايا ؟ تشير صورة المعركة وأصداء ترنيمة دبورة - إلى أسرى العدو وتعويضات الحرب - لقد كسب الرب حربه ودخل إلى عاصمة ملكه ، ووضع المتمردين تحت العقاب .. ثم تبين عددى ١٩ و ٢٠ شعبه وهم يشتركون فى مزايا النصر ، وكذلك يتبين أن نفس هذه النتيجة هى التى سيطرت على ذهن بولس حينما تحدث فى أفسس ٤ : ٨ .. وفى المزمور (كما يقول - « إليس ») نجد الله يشترك مع الشعب فى غنيمة نصره التى يستخدمها بولس باعتبارها عطايا المسيح التى يعطيها للكنيسة بعد انتصاره على أسر الموت* .

الأعداد ١٩ - ٣١ : حالة ملكية

بالصعود إلى الجبل « المسنّم » يكون المزمور قد وصل إلى ذروته ويبدأ الآن فى الكشف عن النتائج .

الأعداد ١٩ - ٢٣ : ورثة النصر

مفتاح هذا المقطع الشعرى هو القول (يوما فيوما) أو (يوميا) الذى يربط قصة الفداء بالحاضر والمستقبل برباط قوى .. هناك أولا عناية الله (التامة

---

* تقول الترجمة العربية - استنادا إلى النسخة الماسوريتية - (قبلت عطايا بين الناس) أو كما فى اليوجاريتية (قبلت عطايا من الناس) بينما يقول بولس (أعطى الناس عطايا) وهذا يلخص المزمور ولا يتعارض معه ، حيث يهتم المزمور بعد ذلك بالبركات التى يوزعها الرب (الأعداد ١٩ - ٢١ و ٣٥) .. على أننا نلاحظ أن قول بولس (أعطى) يتفق مع ما جاء فى الترجوم الذى يمكن أن يكون راجعا لنص عبرى مختلف (h - l - q) ويعنى يشترك أو يعطى - بدلا من (l h 2) بمعنى (يأخذ) أو (يقبل) والذى يتناسب - مع التعبير (بين الناس) الذى يصعب تفسيره مع معنى العطاء .. وإذا كانت هذه هى القراءة الصحيحة (وإن كنا نعترف أنها تخمينية) فيكون القول (حتى بين المتمردين) يحمل إيماءة استعادة المتمردين (كما فى الترجمة العربية) .

الكفاية) all-sufficient الذى يحملنا كل يوم أو (الذى يحمّلنا) بالخيرات – وهى ترجمة معقولة – طالما أن التعبير يعنى حرفيا (يحمّلون علينا) (قارن المؤن التى كانت تحمّل على الحمير فى نحميا ١٣ : ١٥) .. لكن الرب بصفته (حامل اثقالنا) يمكن أن تعطى معنى أدق .. وهو تشبيه معبّر استخدم فى إش ٤٦ : ١ – ٤ ، ٦٣ : ٩ حيث يقارن (حبه الذى لا يكل) بكل من ضعف الوثنية الممل وتقلب الأشخاص الذين يساعدهم .

العدد ٢٠ : توجد كلمتان هنا فى صيغة الجمع (فى الأصل العبرى) وهما (الخلاص) و (المخارج) وهى الطريقة التى تشير إلى تكرار حدوثهما وربما تشير أيضا إلى ثرائهما واتساع مداهما .. و (المخارج) أو (الهروب) .. ويمكن للمسيحى أن يتأمل مع داود أنه بينما يبدد الموت شيئا سائدا ذا مداخل كثيرة ولا مخرج منه إلا أن الله قد جعله شيئا (اخرجنى منه إلى الرحب) مز ١٨ : ١٩ .

العدد ٢١ : يظل الأعداء قائمين – رغم النصر الأوّلى والذروة التى فى عدد ١٨ – ولا تخلو مزامير داود قط منهم .. و(إلهامة الشعراء) يمكن أن تشير إلى عادة إرسال حفلات الشعر بدون قص على أمل الحفاظ على الكمال والقوة (قارن تثنية ٣٢ : ٤٢ وأيضا قضاة ٥ : ٢ ، قضاة ١٦ : ١٧) .

العدد ٢٢ : من الصعب تحديد ما إذا كان الرب يذكّر إسرائيل بالمهالك التى تغلب عليها لكى يعيدهم إلى أرض الميعاد (قارن ١٣٦ : ١٣ و ٢٠) أو هو يعلن أنه لا يوجد مخبأ يمكن أن يحمى الأعداء الهاربين (قارن عاموس ٩ : ٢ و ٣) .. لكن المعنى الأول هو الأرجح .

العدد ٢٣ : هذه الآية تتضرج بالدم ولكن ليس بشهوة القتل بالتأكيد (القتل لمجرد القتل) .. هناك فرح لا يخفى بالانتصار وليس هناك أى تظاهر بأن النصر ليس أكثر من تلطيخ بالدم – لكن لا يجب أن نتغاضى عن ما جاء فى عدد ٢١ ب وهذا هو الحكم وليس التحكم (قارن تك ١٥ : ١٦) .

الأعداد ٢٤ – ٢٧ : موكب إسرائيل

نتقابل مع الفئات المختلفة التى واكبت التابوت فى ١ أى ١٣ : ٨ ، ١٥ :

١٦ - ٢٨ حيث ذكرت أسماء العديد من الشخصيات .. لكن المنظر يبرز للعيان هنا رائعا فى نظام السير ، فالفتيات يصوِّرن وهن يحطن بالمغنيين والعازفين - وليس فى وسطهم .. ودورهن مع ضاربى الدفوف محفوظ - قارن (مريم أخت موسى ، وابنة يفتاح ، والنساء اللواتى هتفن لداود وشاول .. وأسماء الأسباط هى نماذج للجميع : اثنان من أقصى الجنوب واثنان من أقصى الشمال .. يمكن أن تكون قيادة (بنيامين) قد قادت الفكر إلى دوره القيادى فى معركة دبورة (قضاة ٥ : ١٤) أو لأن أورشليم تدخل ضمن تخومه .

الأعداد من ٢٨ - ٣١ : الشعوب والأمم تقدم الولاء

موضوع هذه المقطوعة الشعرية تم تنميته بقوة عظيمة فى (إش ص ٦٠) وتحقيقه الأوّلى أصبح الآن أمرًا تاريخيا باعتباره إخضاعًا روحيا أكثر منه سياسيًا وذلك بتدفق الأمم إلى مملكة المسيح .

العدد ٢٩ : (من هيكلك) يمكن أن تترجم (من أجل هيكلك) إلا أن المعنى الأول أكثر توافقا مع ما جاء فى (إش ٢ : ٢ و ٣ ، حجى ٢ : ٧ و ٨) بينما يتناسب المعنى الثانى مع العدد السابق (٢٨) كما جاء فى الصلاة الواردة فى مز (٢٠ : ٢) « يرسل لك الرب عونا من قدسه » .. وعلى أى الحالين فيجب أن يكون باقى العدد كالآتى (لتقدم لك ملوك هدايا) .

العدد ٣٠ : لم ترق أى ترجمة لهذا العدد حتى الآن إلى أكثر من كونها محاولة تجريبية وخاصة فى الجزء الثالث .. والعبارة الافتتاحية (وحش القصب) هى كناية عن التمساح أو (فرس النهر) وهو لقب (مصر) مضطهدة إسرائيل التقليدية (قارن حزقيال ٣٢ : ٢) و (الثيران) و (العجول) هم (الشعوب) المعادية صغيرة أو كبيرة . [والقول عجول الشعوب يمكن أن يفسرها ما جاء فى تك ١٦ : ١٢ - يكون إنسانًا وحشيًا] .. أو القادة وأتباعهم . والجزء الثالث من العدد يمكن أن يفسر بطريقتين : إما أن الله (يدوس على الذين يسرون بالقتال) أو (أن الأعداء يتذللون) أمامه مقدمين الجزية (انظر أمثال ٦ : ٣) .. وفعل الأمر (شتت) فى الجزء الأخير من العدد مؤيد بقوة من الترجمات القديمة فى مقابل الترجمة التى تقول (هو شتت) .

العدد ٣١ : (كوش) هى اثيوبيا أو النوبة فى شمال السودان وهى مثال معبرٌ

عن الشعوب البعيدة التى تبحث عن الله – قارن (إش ١٨) و(أعمال ٨ : ٢٧) .

الأعداد ٣٢ – ٣٥ : اللحن الختامي

إذا كانت مجموعة المرنمين التى بدأت المزمور كلها من الإسرائيليين (أعداد ١ – ٦) فإن الأعداد الأخيرة عامة تتمشى مع منظر الجزية المشار إليه سابقًا .. ولكن رغم أنها تؤكد قدرة الله الكونيّة (عدد ٣٣ و ٣٤ – مقارن مع عدد ٤) إلا أنها لا تزال تدعوه (إلهٰ إسرائيل) المعبود الذى لا يُرى .. والمزمور نفسه – بحماسته التى لا حدود لها ، يحمل شهادة عن إدراكه لهذه الحقيقة وذلك الاتحاد بين القوة الهائلة والعناية والاهتمام الفائق الموجودين فى الله الذى (على إسرائيل جلاله ، وقوته فى الغمام) .

المــزمــور التــاســع والســـتــون

الاضطهـــاد

يصور هذا المزمور صورة شخص لا يستطيع أن يتفادى إساءات الآخرين أو خيانتهم له أو اتهام نفسه (عدد / ٥) عكس ما يجب أن يفعل الإنسان القوى الواثق من نفسه .. الذى لم يتبلد شعوره إزاء العدالة .. فإن صلواته ولعناته تنبعان كلاهما من حساسيته الشخصية والأخلاقية ، ويرى العهد الجديد غيرة المسيح متمثلة فى غيرة المرنم على بيت الرب ، وفى آلامه (عدد ٩ و ٢١) لكن الفرق بين لعنات داود المنصبة على معذبيه وصلاة المسيح لصالبيه تبرز الفجوة بين نموذج وعكسه ، بل وبين المواقف المقبولة من قديسى العهد القديم والعهد الجديد .. وقد تمت دراسة هذا الموضوع بتوسع فى المقدمة (صرخات الثأر واستخداماتها فى العهد الجديد) .

ويمكن تجميع نمط هذا المزمور - إلى حد ما - من سلسلة العناوين التى نقترحها هنا لأقسامه المختلفة . والمقطع الأخير ، بلهجته الكلية يمكن أن يكون حاشية أضيفت لكى تعطى للجماعة دورها بعد أن ينتهى الفرد من إعلانه ، أو لكى يعيد تفسير صلاته كلها باعتباره يمثل الأمة كلها .

العنوان : له نظائر فى عدد من المزامير مثل مز ٤٥ ، ٦٠ ، ٨٠ - (انظر التعليق فى المقدمة / سادسًا - جـ / ٣) .

الأعداد ١ - ٥ : بحر من المتاعب

تثبت هذه البداية المرتبكة قيمة وضع مشاكل الإنسان فى كلمات أمام الرب لأن رواية داود عن أزمته تنجلى وتغدو أكثر وضوحا كلما تقدم فى صلاته ، وتتراجع التشبيهات البائسة التى تجيش فى صدره (عدد ١ ، ٢) لتعطى مكانًا لأوصاف موضوعية (وإن كانت لا تزال منفعلة) عن حالته وموقفه (عدد ٣ و ٤) وأخيرًا تصل إلى فحص ضميره (عدد ٥) .. لقد أدت الصلاة مفعولها .

العدد ٤ : عن إشارة الرب إلى أولئك الذين يكرهوننى بلا سبب - انظر التعليق على مز ٣٥ : ١٩ حيث يوجد التعبير المشابه (أولئك الذين يبغضوننى

بلا سبب) وإن كانت فى الأصل تعني (أولئك الذين يهاجمونني بلا سبب) والقول (رددت الذى لم أخطفه) أفضل من القول (هل أرد الآن ما لم أخطفه ؟) وذلك لعدم وجود أداة استفهام .. كما أنها تشير إلى الضغط الذى يستطيع أعداء داود أن يمارسوه ضده .

العدد ٥ : فى استخدام كلمة (حماقتى) ما يدل على عدم محاولة التغاضى عن الأخطاء باعتبارها مجرد اساءة تقدير للأمور . إنها خطية ضد الحق ونوع من الإهانة حتى ولو كانت قد صدرت عفوا وبدون تفكير أو تدبير .. وليس مثل حماقة الجاهل فى مز ١٤ : ١ .

الأعداد ٦ - ١٢ : لذعة الإهانة

تشوب المرثاة هنا نغمة من القلق والاهتمام إذ توسع الصلاة دائرة رؤيتها إلى الخارج (عدد ٦) وإلى أعلى (عدد ٧) فما الذى يمكن أن يحدث لشعب الرب واسمه إذا أهين عبد له ووُصم بالتهرب من العقاب ؟ .. ولكى نشعر بقوة هذا الموقف يمكننا أن نتصور خيبة أمل أحد السفراء إذا لم تفعل دولته شيئا لحمايته من حملة يرى من وجهة نظره أنها إذلالاً مصوّبًا ضد دولته وحقيقة أن كلاً من شطرى العدد (٩) ستجد تحقيقها فى المسيح (يوحنا ٢ : ١٧ ، رومية ١٥ : ٣) تضع الأمر فى قرينة جديدة تماما بحيث يجد القارىء المسيحى صعوبة فى الاندماج كلية فى حالة ارتباك داود - منفصلا عن آلامه وهنا يظهر معنى (ضعف الله) على أنه (فدائى) .. وإن تحمل الإهانة من (أجل اسمه) - رغم ما تكلّفه - يعتبر مدحًا .

الأعداد ١٣ - ١٨ : الصرخة

رغم أن عودة تشبيهات (الطين) وعمق المياه ــ ١٤ و ١٥ مقابل ١ و ٢ - تشير إلى أن الإحساس بالعجز لا زال مهيمنا . فإن الصلاة تستمر فى اكتساب أرض جديدة ، فهى الآن تركز لأول مرة على صلاح الرب ورحمته [رغم أنه سبق أن دَعى الله (إلهى) فى عدد (٣) و(السيد رب الجنود) و (إله إسرائيل) فى عدد ٦ - وهى كلها عبارات تعطى أساسًا للتشجيع] .. وقد وُصفت الأمانة الإلهية بتوسع وغنى فى عددى ١٣ و ١٦ .

العدد ١٣ : القول (فى وقت رضى) يسيطر على الطلب (استجب لى) ، وهذا اعتراف متواضع بأنه مهما صرخ الإنسان بإلحاح (استجب لى

سريعا) فإن أوقات الإنسان هى فى يد الله (مز ٣١ : ١٥) لكن التقسيم الطبيعى للعدد يمكن أن يتضمن القناعة بأن الصلاة فى حد ذاتها مقدمة فى يوم رضى وربما كان ذلك يشير إلى الكفارة (قارن لاويين ١ : ٤) أو دعوة الله (قارن مز ٣٢ : ٦ وإش ٥٥ : ٦) دون الإشارة إلى موعد استجابة الرب .

العدد ١٨ : (الفكاك) فعل مرتبط بواجب القريب (الولى) أن يقف بدلا عن الإنسان فى وقت محنته ، للأخذ بالثأر لموته أو إعادة شراء أرضه أو حريته (لاويين ٢٥ : ٢٥ ، ٤٨ و ٤٩) ويستحسن ترجمة (فكنى) أو حررنى – لتصبح (افدنى) لكى تظهر فكرتها الأساسية وهى الشراء .. (انظر التعليق على مز ٣١ : ٥ ..) ويتواجد الفعلان معًا جنبا إلى جنب فى إش ٣٥ : ٩ و ١٠ حيث يسمى شعب الرب (المفديون) لكن لن يبرز المعنى الكامل المتضمن فى طريقة الكلام هذه إلا فى العهد الجديد .

الأعداد ١٩ – ٢١ : الكأس

هناك قليل من الجروح التى تصل فى عمقها إلى مثل تلك المعبر عنها بالكلمات (عارى وخزيى وخجلى) التى تركت طابعها فعلا على الأعداد ٦ – ١٢ .. وفى المجتمعات المقفولة مثل مجتمع العهد القديم تكون الفضيحة العلنية أعمق أثرا منها فى مجتمعنا الحالى (قارن الملحوظة الكاشفة التى قالها الله لموسى فى عدد ١٢ : ١٤) كما أن عب ١٢ : ٢ يبرز هذا العامل فى حديثه عن تكلفة الصليب .. وقد اختار هاندل – فى سيمفونية المسيّا – عن قصة الصليب كلمات الآية ٢٠ [إلا أنه ترجمها : (لقد كسر عارك قلبى) جاعلاً العتاب موجها إلى الله وليس إلى الناس بعكس إتجاه معنى المزمور] .

العدد ٢١ : ما قُدِّم لداود مجازًا قدِّم للمسيح حقيقة .. كما جاء فى متى ٢٧ : ٣٤ و ٤٨ .. والكلمات اليونانية المترجمة (مرا) أو (خلا ممزوجًا بمرارة) هى نفس الكلمات المستخدمة فى المزمور [وهذا المأخوذ من الأعشاب لا يمكن تحديده بالضبط ، وكان يقرن فى العهد القديم بالافسنتين للتعبير عن المرارة .. إلا أنه يستخدم أيضا كتعبير شعرى عن (سم الأصلال)

كما فى تثنية ٣٢ : ٣٣ وأيوب ٢٠ : ١٦) ومع ذلك فإن متى لا يقول إن هذه كانت نبوة تحققت رغم أن يوحنا ١٩ : ٢٨ يتكلم عن عطش يسوع بمثل هذه التعبيرات .

الأعداد ٢٢ - ٢٨ : اللعنة

إلى هنا تم تصوير المسيح وآلامه بكل وضوح (انظر التعليقات على أعداد ٤ و ٩ و ٢١) حتى إننا على استعداد الآن أن نسمع طلبة يسوع (يا أبتاه اغفر لهم) أو ما يشبهها . أما اللعنة التى تأتى بدلاً منها فهى مذكر قوى لنا بالشيء الجديد الذى عمله مخلصنا فى الجلجثة ، وهو ليس مجرد فارق عاطفى .. فإن غيرة داود قد زادت من حماسه لأجل العدالة - الأمر الذى يحرص العهد القديم على أن يضعه أمامنا دائما - لكن المسيح جاء ليتوّج العدالة بالكفّارة أما وقد تمت الكفارة ، فإن الغيرة عليها سوف تثيرنا بطريقة مختلفة إذ تطفىء نار الغضب بدلا من أن تشعلها ، ترعى وتشجع الحنان بدلا من أن تخففه - انظر أيضا المقدمة / خامسا والتعليق على مز ٣٥ : ٧ و ٨ ، مز ١٠٩ : ٦ وما بعده .

والدينونة التى استمطرها داود على هؤلاء المضطهدين (كما يتبين من عدد ٢٦- قارن أيضا زكريا ١: ١٥) تعدد فى المقابل كل الأشياء التى تجعل الحياة تستحق أن نحياها .. فهى تشمل : الطعام والشركة [كما فى ولائم الذبائح - كما يقول الترجوم] - وبعض الترجمات القديمة تقول [الانتقام وهو ما يشبه القول : (لتصر - فخا وشركا) وهذا لا يختلف إلا قليلا عن الترجمة الماسورية التى تقول «للآمنين» - كما جاء فى الترجمة العربية] وقدرات الإنسان وقوته.. (العيون .. والمتون) والمكان الذى ينتمى إليه ، والأهم من ذلك كله - رضا الله (عدد ٢٤) ومحو آثامهم (عدد ٢٧) .. وأن يكونوا معروفين لله ومقبولين منه (عدد ٢٨ وقارن خروج ٣٢ : ٣٢ وما بعده) وهذا الاحتياج الأخير أساسى وهام - قارن أعظم أسباب الفرح التى جاءت فى لوقا ١٠ : ٢٠ (بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم كتبت فى السموات) والحكم الرهيب (أنا لم أعرفكم قط) .

الأعداد ٢٩ - ٣٣ تسبيح من القلب

يبدو العدد ٢٩ وحيدا كصلاة أخيرة إلا أن نصفه الثانى إيجابى جدا فهو يطلب أكثر من فترة توقف وبذا يرتبط بموجة التسبيح التى تتلوه .. والنقطة التى توضحها الأعداد ٣٠ وما بعدها هى أن التسبيح الشخصى هو أحب لدى الله (عدد ٣١) وأكثر تشجيعًا وفائدة لبنى الإنسان (٣٢ و ٣٣) من أغلى الذبائح .. وتُوجد نغمة سخرية متحفظة فى التلميح إلى (القرون والأظلاف) فماذا يعمل الله بها ؟ .. مما يعيد إلى الأذهان ما جاء فى مز ٥٠ : ١٢ وما بعده حيث تتعمق فكرة مماثلة فى الأذهان .

العدد ٣٣ : يكشف التعبير الأخّاذ (لا يحتقر أسراه) (لا يحتقر شعبه المأسور) عما يلمس قلب الله بعمق خاص (انظر التعليق على مز ٧٢ : ٢) وما يُبرز التناقض بين (الرب) وبين آلهة الوثنيين الجشعة – وهى نوع علاقتنا به وحاجتنا إليه (انظر مز ٦٨ : ٥ و ٦) .

الأعداد ٣٤ - ٣٦ : تسبيح من كل القوات

عن العلاقة بين هذه التسبحة المشتركة وصلاة الإنسان ، انظر الفقرة الثانية فى التعليق الأولى على المزمور .. والقول (يهوذا) بدلا من إسرائيل يشير إلى زمن لاحق لأيام داود كما أن عدد ٣٥ يلائم ظروف حزقيا الملك عندما كانت صهيون مهددة وكل مدن إسرائيل المحصنة قد سقطت (٢ مل ١٨ : ١٣) وسواء كانت هذه هى مناسبة كتابة هذا الكلام أم لم تكن فإن محنة الأمة كان يمكن مقارنتها بمحنة داود الشخصية السابقة . والمثير فعلا أن الإضافة التى أضيفت لم تكن استرحامًا بل تسبحة ، وهى تسبحة تمتد ببصرها إلى ما وراء يوم الضعف والانحطاط وانعدام الأمان ، إلى أقصى مدى مملكة الله (عدد ٣٤) واكتمال ميراث شعبه – والمزمور بعد ذلك – تذكير جديد لنا بأن أكثر الصلوات يأسًا يمكن أن تختتم – عن حق – بتسبحة شكر .

المــزمــور الســـــبعون

(أســرع يـا اللـه)

هذا المزمور مطابق تماما – عمليا – لمزمور ٤٠ : ١٣ – ١٧ ومن المفيد أن نرنم هذا المزمور سواء بمفرده أو مقترنا بالتسبحة عن المراحم السابقة التى تسود المزمور (٤٠) كله .. ويبدو أن هذا الازدواج قد نتج عن تجميع عدة مجموعات من المزامير (أنظر المقدمة ثانيا) – وانظر أيضا مز ٧١ الذى يفتتح بثلاث آيات تتطابق إلى حد كبير مع بداية مز ٣١ .

وعليه فيمكن الرجوع إلى تعليقنا على مز ٤٠ : ١٣ – ١٧ لتفسير هذا المزمور – ويكفى هنا أن نبرز أماكن الخلاف بينهما .. وبالنسبة للعنوان انظر تعليقنا على مز ٣٨ .

وفى الأعداد ١ و ٢ يتركز الفرق بينهما وبين مز ٤٠ : ١٣ – ١٧ فى الاختصار الكبير لهذه الصلاة الذى يعطى لها إحساسًا أعمق بالأهمية .. ثم انه توجد بعض الاختلافات اللفظية القليلة فى الأعداد ٣ – ٥ .

عدد ١ : أضافت بعض الترجمات للكلمات الافتتاحية (إرتض اللهم) وهذه الإضافة غير موجودة فى الأصل العبرى وقد استعارها المترجمون من مز ٤٠ : ١٣ .. والنص العبرى يعنى حرفيا (اللهم إلى تنجيتى .. إلى معونتى أسرع) . كما جاءت فى الترجمة العربية ، وقد اكتفت الترجمات القديمة بالقول (أسرع) .

عدد ٢ : يزيد عليه فى مز ٤٠ : ١٤ القول (معًا) .. كما أن هناك تشدد فى لهجة (عدد ٢) واختصار فى الطلب عن (مز ٤٠ : ١٤) الذى يقول (الذين يطلبون نفسى لإهلاكها) .

عدد ٣ : يقول مز ٤٠ : ١٥ (ليستوحش من أجل خزيهم القائلون لى هه هه) بينما يقول عدد (٣) هنا (ليرجع من أجل خزيهم القائلون هه هه) كما فى مز ٦ : ١٠ ومز ٥٦ : ٩ .

العددين ٤ و ٥ : (ليتعظم الرب .. **اللهم** أسرع .. **يا رب** لا تَبطُؤ) يقابل ما جاء فى مز ٤٠ : ١٦ و ١٧ [(يتعظم **الرب**) .. (**الرب** يهتم) ..

(يا إلهى لا تبطىء)] .. ومرة أخرى تؤكد استغاثات مز (٧٠) خطورة الأمر فليست هناك لحظة يمكن التفريط فيها .. أو على الأقل فإن هذا ما يبدو من وجهة نظر الأرض .. وعن الأبعاد الأخرى لمثل هذا الموقف انظر دانيال ١٠ : ٢ و ٣ و ١٢ و١٣ ، يوحنا ١١ : ٥ و ٦ وإش ٦٠ : ٢٢ ب .

المـزمـور الحـادى والسـبعون

« مـزمـور للشـيخوخة »

لم يذكر اسم كاتب هذا المزمور إلا أن هناك تعبيرات خاصة بداود (لأنك صخرتى وحصنى) و (أعدائى) (أسرع) .. إلخ .. لكن بما أن الكاتب يكتب مقتبسا من المزامير السابقة بكل حرية فإن ذلك لا يفيدنا كثيرًا وكل ما نعرفه أو نحتاج أن نعرفه أن الكاتب كان شيخًا متقدمًا فى الأيام وأنه كان يجتاز محنة غير عادية (عدد ٧) لا يبدو لها نهاية .. وفى مقابل قواه المتداعية يذكر الآن قائمة طويلة من أمانة الرب معه سابقا ، ويستجمع الأمل فى قوته التى تجدد الحياة .

الأعداد ١ - ٣ : صخرتى وحصنى

تكاد تكون هذه الأعداد اقتباسًا دقيقًا لما جاء فى مز ٣١ : ١ - ٣ / أ - حيث يمكن أن تجد التعليق المناسب عليها والفارق الأساسى هو فى الأصل العبرى للعدد (٣) الذى تعتبر بعض الترجمات أنه قد حدث فيه خطأ فى النسخ إلا أنه كما هو قائم فعلا يترجم (كن لى صخرة ملجأ ادخله دائما - أمرت بخلاصى) كما فى الترجمة العربية .. وهذا اختلاف واضح عن فقرة مز ٣١ المقابلة .. لكى تؤكد الفكرة المحببة (بصيغة خاصة لدى رجل شيخ) عن الأشياء العادية والمألوفة التى يعبّر عنها بالقول (دائما) الذى سوف يتكرر فى الآية (٦) و (١٤) .

الأعداد ٤ - ٦ : صديق منذ الميلاد

تسير هذه الأفكار متوازية مع ما جاء فى مز ٢٢ : ٩ وما بعده رغم أن التعبير عنها مختلف فهنا يستعيد المرنم فى ذاكرته أبعد حدود الماضى (عدد / ٥) وما قبله (عدد ٦) لكى يتأكد بواسطة العلاقة المثلثة الأبعاد : (١) التى استمرت طول الحياة ، (٢) التى سدت إعوازه فى أوقات الضعف ، (٣) والتى لم تكن من تدبيره الخاص .. كان من ناحيته معتمدًا اعتماد الابن على أبيه لكن الله كان يعمل طوال الوقت لحسابه .

وفى العدد (٦) نجد خلفيته ما جاء فى مز ٢٢ : ٩ وإن كانت الكلمات

مختلفة بعض الشيء ..

الأعداد ٧ – ١١ : قوىً متناقضة

يجب أن تفهم كلمة آية هنا على أنها تعنى صورة سيئة تثير الاستهجان كما فى تث ٢٨ : ٤٦ حيث يقاسى غير الطائعين مصيرا يعتبر مثالا لغيرهم . ويشترك المرنم هنا مع الناس الذين يمرون فى أسوأ الظروف لكنهم يصلون إلى نتائج طيبة . وهكذا يواصل الحديث عن الموضوع الذى بدأه فى العددين ٥ و ٦ ناظرًا إلى الله الذى يقوده إلى خاتمة العمل الذى بدأه معه منذ مدة طويلة – وعليه فإن نفس (كبر السن والضعف) – عدد ٩ – يتحول إلى أساس صلب للطلب .. لاحظ أيضا الأثر الهام للقول (أما أنت) – عدد ٧ / ب – فى تحويل انتباهه من نفسه والأعداء المحيطين به (عدد ٨) مما يعد هروبًا إلى الحقيقة أكثر منه هروبًا منها .. والتعبير المشابه (لأنك أنت) – عدد ٥ – كان له نفس الأثر – هذه نقطة أخرى من نقط التشابه مع مزمور ٢٢ (انظر التعليق على مز ٢٢ : ١ – ٢٠) .

الأعداد ١٢ – ١٦ : أمل متزايد

تبدأ هذه الفقرة المتصاعدة بمجرد همسة ، وتستند الصلاة أولا إلى كلمات سبق أن نطق بها داود فى مواقف مشابهة (عدد ١٢ / أ يردد صدى مز ٢٢ : ١١ ، ١٢ / ب يؤيد مز ٧٠ : ١ / ب كما أن العدد ١٣ قريب جدا من مز ٣٥ : ٢٦ ومز ١٠٩ : ٢٩) وتتزايد قيمة مثل هذه الصلاة بأصدائها التى تؤكد أن سيَّاحا آخرين قد اجتازوا هذا الوادى قبلنا فإن صلاتين من صلوات المسيح على الصليب كانتا من أقوال سفر المزامير .

العدد ١٥ : ويتصاعد صوت التسبيح وينمو بالعديد من الحقائق ، لاحظ فى هذه الأعداد التركيز على ما فعله الله .. فالمفاهيم المعبَّر عنها بالقول (يحدّث ، أعدادًا) ترتبط ببعضها فى اللغة العبرية كما فى اللغات المختلفة الأخرى ، حتى أنه توجد هنا لمحة عن النصيحة الحكيمة فى الترنيمة التي تقول (بركات الرب عدد شاكرا) مع العلم أن بركات الرب – مع كل ذلك – لا تحصى – قارن التناقض الظاهرى فى (أفسس ٣ : ١٩) .

العدد ١٦ : تقول الترجمة العربية (آتى بجبروت السيد الرب) أو أجىء

مؤيدا بقوة السيد الرب* نفس المعنى .. ولما كان الفعل (آتى) يحمل معنى (العزم) فقد رأت بعض الترجمات أن نيَّة المرنم أن يأتى أمام الرب بالتسبيح [وقالت إحدى الترجمات : « ادخل إلى » أو « ابدأ بذكر جبروت الرب »] .

الأعداد ١٧ – ٢١ : حصاد متأخر

بالتقاط موضوع عناية الرب الدائمة للمرنم ، يعود فيضرب على نغمة الربط بين الإيمان والثقة ، وبين الرثاء للنفس كما فى الأعداد ٥ – ٩ وإن كانت النغمة الآن تنظر إلى المستقبل بحيوية أكثر .. فهناك الكثير المطلوب عمله وهو متلهف على أدائه .. ومرة أخرى يملى (مزمور ٢٢) صلاته هنا .. إذ ينسب المرنم لنفسه الخاتمة السعيدة المهللة بنفس اللهجة التى تتوق إلى نقل قصته إلى أجياله المقبلة (قارن عدد ١٨ / ب مع مز ٢٢ : ٢٢ ، و ٣٠ و ٣١) .

الأعداد ١٩ – ٢١ : هناك أكثر من تلميح عن معجزة الخروج من مصر فى عددى ١٩ و ٢٠ .. فعبارة (يا الله من مثلك) مأخوذة من ترنيمة البحر الأحمر (خروج ١٥ : ١١) وصورة الخلاص (من أعماق الأرض) – عدد ٢٠ مقارنة مع خروج ١٥ : ٥ وعليه فإن ضيقات الحاضر قد وضعت فى هذه القرينة العظيمة بالإيمان .. تماما كما يعلمنا بولس الرسول أن نقرن موقفنا بالذى (أقام يسوع من الأموات) – والذى (سيحيى أجسادكم المائتة أيضا (رومية ٨ : ١١ ، ٢ كو ١ : ٩ .. وهناك ميل إلى أن تُقرأ الآية ٢٠ من المزمور على أنها تقرير عن القيامة من الأموات ، لكن النص العبرى للأجزاء الأولى من العدد يتكلم عن (نحن) (أريتنا) أكثر من الكلام عن (أنا) .. لقد رأى شعب إسرائيل أحزانه – كما رآها المرنم – ولكنه أيضا رأى إحياءه ومن ثم فهو يستطيع أن يكون له نفس اليقين وإذا توقف هذا اليقين وانتهى قبل أن يصل إلى القيامة فلن يكون له معنى .. إلا أن المرنم لا يُبدى أى إشارة إلى أنه يطلب أكثر من حقبة جديدة من الحياة ، وليس هنا قول يمكن أن يقارن بالرجاء الحى بالتواجد مع الله فورا – هذا الرجاء الذى يتوِّج مزامير ١٦ و ١٧ و ٤٩ و ٧٣ .

* انظر كتاب الحياة (المحرر) .

الأعداد ٢٢ - ٢٤ : تسبيحات متواصلة

الإحساس بالاشتراك فى خلاص إسرائيل وفى نفس الوقت الاختبار الشخصى للخلاص يظهر فى عدد ٢٠ وذلك بتوسله إلى الرب بكلمتى الشخصية (يا إلهى) و (يا قدوس إسرائيل) التى هى صرخة الإسرائيليين . (عدد ٢٢) .. وهذه الصرخة الأخيرة التى نادرا ما ترد خارج سفر إشعياء هى عبارة تجمع بين (النور الذى لا يدنى منه) و (محبة العهد) .. وعليه فإن موضوع التسبيح يقرن بطريقة صحيحة بين البر (أو الصلاح) (عدد ٢٤) وبين (الأمانة - أو الحق) - عدد ٢٢ - فى خلاصه ، وفى إسكات العدو وهذا هو (التبرير) [وليس (الحقد وحب الانتقام)] الذى سيكون جزءًا من أفراح السماء (قارن رؤيا ١٥ : ٣ ، ١٨ : ٢٠) .

وعليه فإن هذا المحارب القديم - وقد ظهرت براءة ساحته وثبات إيمانه ، يستطيع الآن أن يستريح وأن يستخدم أصابعه وشفتيه وقلبه كلها فى تسبيح الرب وترديد قصته .

المزمور الثانى والسبعون

« الملك الكامل »

حصل هذا المزمور المتألق على مكانة خاصة لدى المسيحيين عن طريق الترانيم التى تبدأ بتعبيرات مثل « سبحوا مسيح الرب » أو « سيسود الفادى » وهى ترانيم تحول الحديث عن الملك الأرضى إلى تعبيرات عن مُلك المسيح رغم أن العهد الجديد لم يأخذ هذا المزمور على أنه (مسيانى) إلا أن هذه الصورة للملك ومملكته قريبة جدا من نبوات إشعياء فى إش ١١ : ١ و ٥ وأصحاحات ٦٠ - ٦٢ بحيث أنه لو كانت تلك المقاطع مسيانية فلا بد أن يكون هذا المزمور مسيانى أيضا ، وإلا صارت هذه الكلمات مجرد كلمات مجاملة مبالغ فيها ، لكن لا يعنى هذا أن المزمور رؤوى خالص . فإنه كمزمور ملكى يرفع صلاة من أجل الملك الحاكم ، وكان تذكيرًا قويًا بدعوته العليا ومع ذلك فإنه يمجده لمدى أبعد من أن يصل إليه إنسان عند الكلام عن ملكه اللانهائى مثلا - مما يوحى بأنه لن يتحقق ما فيه إلا بمجىء المسيا ، وذلك ليس فقط بالنسبة للفكر المسيحى بل والفكر اليهودى أيضا .. ويضيف الترجوم على العدد الأول كلمة (المسيح الملك) كما أن هناك تلميحات للربيين اليهود عن المزمور مما يكشف عن نفس الفكرة (انظر التعليق على عدد ١٧) .

العنوان : ينسب العنوان المزمور لسليمان وقالت السبعينية (لأجل سليمان) كما يمكن أن تسمح الكلمة العبرية .. لكن المألوف فى سفر المزامير القول مزمور لداود (مثلا) إلا إذا ذكر صراحة أنه مزمور لأجل فلان . لذلك فلا بد أن يكون هذا المزمور لسليمان - مثل الباقى .. وليس هناك سبب قوى لإنكار انتساب كتابة المزمور إلى سليمان . والعدد الأخير من المزمور يختم كتابا - أو أكثر من كتب المزامير التى كتبها داود وإن كان ليس هو الكاتب الوحيد . ولهذا المزمور أسلوب خاص به وسواء كان صلاة رفعها سليمان أساسًا من أجل مُلكه (ويحتمل أن يكون ذلك فى ذكرى سنوية لاعتلائه العرش) أو من أجل حكم ابنه فهى مناسبة لأيامه حين كان إسرائيل لا يزال امبراطورية قصيرة الأمد - كما أنه مناسب لمثاليات مُلكه التى عبر هنا

فى صلاته فى (جبعون) - ١ مل ٣ : ٦ - ٩ .

الأعداد ١ - ٤ : البر الملكى

لقد تأكد دور الملك كحارس للعدالة ومحامٍ عن الفقراء على مر التاريخ .. وإن كان ذلك غالبًا بطريقة سلبية (قارن إرميا ٢٢ : ١٥ - ١٧) وفى نبوة مسيانية - قارن إش ١١ : ٤ .. وتكرار ضمير المخاطب أربع مرات فى عددى ١ و ٢* (**أحكامك** - **برك** - **شعبك** - **مساكِنك**) تدخل إلى لب الموضوع أولا : إن القابلية للتعامل بالعدل تُرى أنها عطية من الله [كما تعزز ذلك كل من صلاة سليمان فى طلب الحكمة فى (١ مل ٣) والنبوة عن المسيح الممتلىء بالروح فى إش ١١] وثانيا : فى النظرة إلى المساكين على أنهم (مساكينك) مساكين الرب وهو مفهوم بعيد المدى سيأخذ تعبيره الكلاسيكى فى متى ٢٥: ٣٥ - ٣٧ .

(البر .. الحق .. البر) تسود هذه الكلمات على افتتاحية المزمور (اعداد ١ و ٢ و ٣) طالما أن هذه هى أولى فضائل الحكم - حتى قبل الشفقة - (التى ستصبح موضوع الأعداد ١٢ - ١٤) وهذه النقطة موضحة فى الناموس الموسوى الذى يحرم المحاباة فى القضاء سواء كانت لصالح المسكين (!!) أو الغنى (خروج ٢٣ : ٣ و ٦) .

العدد ٣ : (سلامًا) أو (نجاحًا) - حتى الانسجام الكامل الذى يشمل السلام (أو السلام والنجاح معًا) هو أمر ثانوى يأتى بعد البر الذى هو التربة أو الجو الذى يزدهر فيه السلام [قارن عدد (٧) وأيضا إش ٣٢ : ١٧ بالنسبة لترتيب الأولويات] .. أنظر أيضا التعليق على مز ٢٤ : ٥ .

الأعداد ٥ - ٧ : حكم لا ينتهى

تقول الترجمة السبعينية (ليحيى) ما دامت الشمس - بدلا من (يخشونك) ما دامت الشمس .. لكن على أى الحالتين فإن المقطع الشعرى يتحدث عن سلطان ثابت لا ينتهى على ضوء ما جاء فى عدد (٧) ويقودنا إلى ما يشبه **القرار** بالإشارة إلى مدى حياة الشمس والقمر (أعداد ٥ و ٧

* يستحسن ترجمة الفعل الأول فى عدد (٢) فى صيغة المستقبل (سوف يدين) لتبدأ سلسلة من **النبوات** فى الأعداد ٢ - ٧ - وليست **صلوات** . لكن غالبية المفسرين يتبعون الترجمة السبعينية .. أما الأعداد من ٨ - ١٠ و ١٥ - ١٧ فهى تبدأ بأفعال لا تدع مجالا للشك فى أنها صلوات .

و ١٧) وما أقل ما يعنى هذا إذا نظرنا إلى القول (ليعش الملك إلى الأبد) كما فى سفر دانيال .. ومع ذلك ، فما أكثر ما تعنى من وجهة نظر النبوات المسيانية ومن الطريقة التى فهمت بها هذه الكلمات فى أيام العهد الجديد (مز ١١٠ : ٤ وحز ٣٧ : ٢٥ ، يو ١٢ : ٣٤ ، عب ٧ : ٢٤) .

العددان ٦ و ٧ : قد يكون هذا التشبيه الرائع قد أُخذ عن كلمات داود الأخيرة (٢ صم ٢٣ : ١ - ٧) حيث شُبِّه الملك العادل بالشمس والمطر بالنسبة لرعاياه ، حيث يخلق الظروف التى يمكن أن يزدهر فيها كل ما هو طيب وعذب .. وهذا هو الوجه الآخر (لقضيب الحديد) الذى يشير إلى الملك فى مز ٢ : ٩ .. وهما يكمِّلان بعضهما البعض كما أظهرت الآية (٤) أعلاه . وتبرز نقطة أخرى من النص العبرى للعدد (٧) الذى يقول (الصديق) بدلا من (الصدق) أو (البر) موجها الانتباه إلى الجانب المتواضع للملك البار .. الشخص الذى يعتمد على كماله (السلام) أو الرفاهية للكل . (انظر التعليق على عدد (٣)) - قارن إش ٦٠ : ٢١) .

الأعداد ٨ - ١١ : مملكة بلا حدود

قد يكون القول (من البحر إلى البحر) إشارة إلى حدود الأرض الموعودة فى خروج ٢٣ : ٣١ (من بحرسوف إلى بحر فلسطين) أى إلى شواطىء فلسطين على البحر الأبيض المتوسط - (ومن البرية إلى النهر) أى إلى نهر الفرات .. لكن إذا كان الأمر كذلك فإن أعداد ١٠ و ١١ تجعلها نواة إمبراطورية باتساع العالم كله .

العدد ٩ : النص العبرى يعنى (سكان البادية) أو (أهل البرية) وقد ترجمتها إحدى الترجمات (اعداؤه) - أما فى العربية فقد جمعت بين الكلمتين : (أهل البرية وأعداؤه) ومن المسلّم به أن القول (أهل البرية) يدل عادة على مخلوقات غير بشرية ولكن ليس دائما (قارن مز ٧٤ : ١٤ - للشعب لأهل البرية) .

العدد ١٠ : (ترشيش) قد تكون فى أسبانيا ، وهى على أى حال كلمة مرتبطة بالرحلات البعيدة . وكذلك (الجزائر) أو (الجزُر) أو (الشريط الساحلى) التى كانت تنم عن أقصى الأرض (انظر إش ٤٢ : ١٠) .

العددان ١١ و ١٢ : (شبا وسبأ) يبدو أنهما كانتا إما شعبين مرتبطين فى جنوب الجزيرة العربية أو أنهما لفظان بديلان لاسم واحد .. وقد كانت ملكة (سبأ) واحدة ممن قاموا بمثل هذه الرحلة الطويلة محملة بالهدايا (١ مل ١٠ : ١ - ٣ و ٢٣ - ٢٥) لكن المزمور يتطلع إلى ما هو أبعد من هذه الرموز للتحية والمجاملة إلى (ما هو أعظم من سليمان) وإلى هدايا الولاء الكامل .. ومن العجيب حقا - فى ظل هذه الرؤية أن المسيح تعامل مع أول إرهاصة للأمم بقرار تقديم نفسه (يوحنا ١٢ : ٢٠ - ٢٥) وليس باستعراض نفسه كما فعل سليمان .

الأعداد ١٢ - ١٤ ملك شفوق

يستمر سليمان فى الحديث بحكمة تفوق كل أعماله . كما أن صلواته عند ارتقائه العرش وتكريس الهيكل (١ مل ٣ : ٦ - ١٠ وص ٨ : ٣٨ - ٥٣) تبين مدى إعجابه بأحاسيس الملك الذى يصفه هنا لكن حكم شعبه عليه كان (إنه قد قسّى نيرنا) - ١ مل ١٢ : ٤ .. وهو يختلف فى هذا أيضا عن ابن داود العظيم وما عرف عنه (متى ١١ : ٢٨ - ٣٠) .

الأعداد ١٥ - ١٧ : بركة لا تنتهى

يلمس المزمور هنا أنواعًا عديدة من الثروات - الذهب الذى يكتسبه الإنسان بجرأته وحنكته (قارن أيوب ٢٨ : ١ و ٢) والصلوات التى ترفع لأجله فى محبة ، وبركة النمو فى كل شيء*.. [وقد ذُكرت (رؤوس الجبال) باعتبارها أقل الأراضى أملا فى الإنبات] والمدن المزهرة - والقرينة ليست عن الأدغال المهذبة حول مدننا الحالية بل عن أرض تنتظر الاستخدام وحصون بلا رجال ، وليس آخرًا هناك ثروة الكرامة الإنسانية والسعادة التى هى من نوع السعادة التى تأتى من يد الله مباشرة .. والتعبيرات الواردة فى هذا العدد (١٧) هى نفس تلك الواردة فى وعد الرب لأبرام فى تك ١٢ : ٢ و ٣ .. إنها صلاة رائعة ترفع من أجل ملك ودولته ، ومن أجل قائد ومغامراته ..

* انظر كتاب الحياة (ليحيى الملك ! ليعط له ذهب شبا وليصلوا من أجله دائما ويطلبوا له بركة الله كل النهار) - المحرر .

من أجل الملك واكتمال مملكته التى فيها (يقدم ملوك الأرض بمجدهم وكرامتهم – وتمشى الشعوب بنورها) – رؤيا ٢١ : ٢٤ .

الأعداد ١٨ – ٢٠ : ترنيمة شكر وختام

يلخص هذا التمجيد الكتاب الثانى كله من سفر المزامير (من مز ٤٢ – ٧٢) وليس هذا المزمور فقط . ولكن الرؤية المتسعة اتساع العالم والتى ظهرت الآن تبدو بصفة خاصة فى هذا التمجيد وخاصة فى عدد ١٩ / أ .

العدد ٢٠ : يبدو من هذه الكلمات الأخيرة أن القول (صلوات) كان هو المسمى العبرى للمزامير فى الأزمنة القديمة ، وهى تسمى الآن (تسابيح) فى الكتاب المقدس العبرى ، وبين هذين التعبيرين تظهر أبرز نغمات سفر المزامير المميزة .

هـذا الكتـاب :

الهدف من اصدار هذه السلسلة « التفسير الحديث للكتاب المقدس » هو مساعدة قارىء الكتاب المقدس على فهم معنى النص الكتابى ودلالته .

ولكل سفر مقدمة خاصة مختصرة لكنها عبارة عن معالجة عميقة للتعرف على كاتب السفر وزمن كتابته . وهى معلومات تفيد القارىء حتى يعرف غرض السفر والجو العام له .

وهذا الكتاب تفسير قيم للدارسين والمدرسين الذين يبحثون عن معالجة علمية للموضوعات الأساسية التى تربط البحوث العلمية المتعمقة بالنص الكتابى .

وهذا المرجع يقدم تفسيراً لكل مقطع من مقاطع السفر على حدة مع تبويب هذه الأجزاء ووضع عناوين لكل جزء

كما يقدم تفسيراً لكل آية ويواجه مشكلات التفسير و يتهرب منها . كما أنه يحتوى على مذكرات إضافية تقد مناقشات أوفى لبعض المشكلات الهامة بهدف التعمق في الدراسة للوصول إلى المعنى الحقيقى للنص الكتابى وتوضيح رسالته لنا .

١٠١٠٩١٥٨